

(ج)

تصدير

للقسم الأول من الجزء الأول من كتاب السلوك

يرجع تفكيرى في وجوب نشر هذا المؤلف المعروف إلى سنة ١٩٢٧، حين كنت أعدّ بحثاً لنيل الدكتوراه، من جامعة لُقربُول. وقد كان موضوع ذلك البحث "العلاقات الخارجية للدولة المصرية في القرن الخامس عشر، (Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century)"، أى القرن التاسع الهجرى تقريباً، فقصدتُ إلى الإحاطة بمؤلفات المؤرخين المصريين في ذلك القرن. لهذا استوعبت معظم الموجود من مؤلفاتهم، في التاريخ وغيره، مطبوعة أو مخطوطة، وقرأت ما استطعت أيضاً من مؤلفات كُتاب القرنين الثامن والعاشر الهجريين؛ وقد خرجت من ذلك الميدان الفسيح، معتقداً ومؤمناً، بأن صاحب الصدارة بين تلك المؤلفات جميعاً، من الوجهة التاريخية، هو كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك"، لمؤلفه المقرئى، المولود بالقاهرة سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م)، والمتوفى بها سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م).

ثم كان أن تحدثت يوماً مع الأستاذ هـ. أ. ر. جب (H. A. R. Gibb)، أستاذ اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن، في مؤلفات المؤرخين المصريين، الذين عاشوا وكتبوا في القرن التاسع الهجرى، وفيما يعترض قارئ المخطوطات منها - وهي القسم الأكثر عدداً - من العثرات والصعوبات. فسرتنى قوله إن من أولى تلك الكتب بالطبع والنشر، كتاب السلوك، إذ وافق قوله رأيى في ذلك المؤلف^(١).

حينئذٍ بعدئذٍ إلى مصر، والتحققت بوظيفة مدرّس للتاريخ، في كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٠، فطفقت أنلمس الوسائل وأتحن الفرص، للعمل في نشر ذلك الكتاب، حتى علمتُ أن "لجنة التأليف والترجمة والنشر" تفكر في إخراجها، بمعاونة

(١) أنهز هذه الفرصة لأشكر للأستاذ جب، ما أسداه إلى من الاقتراحات إبان بدئى العمل في هذا الكتاب.

وزارة المعارف العمومية . ومن هذا نتج القسم الأول من الجزء الأول ، الذي تخرجه اللجنة اليوم . وإني مبادر هنا ، برجائي إلى العاملين على إحياء النصوص التاريخية المصرية ، أن يقولوا كلمتهم في هذا النحو الذي طُبِعَ عليه القسم الأول ، وأن يمدوني بنقدم وملاحظاتهم .

♦ ♦ ♦

ليس هذا التصدير مجال الترجمة للمقريزي ، أو الإفاضة في تحليل كتابه السلوك ، وحسبي هنا التعريف بهما ، وكلمات قليلة ، لأتفرغ بعدُ لبيان الطريق الذي سلكته في إخراج هذا القسم .

أما أحمد بن علي المقريزي ، فلا خلاف في تبوئه صدارة المؤرخين المصريين ، في النصف الأول من القرن التاسع الهجري . ويكفي دليلاً على هذا أن فطاحل ذلك الجيل من المؤرخين في مصر ، كانوا تلاميذ المقريزي ، مثل أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ، مؤلف كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة^(١) ، ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، صاحب كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك^(٢) ، وأن أحمد بن حجر العسقلاني ، وبدر الدين محمود العيني ، لم يوجها كل عنايتهما إلى التاريخ ، كما فعل المقريزي ، بل كانا محدثين أكثر منهما مؤرخين .

ولا خلاف أيضاً في استحقاق كتاب السلوك أن يحل المحل الأول ، بين كتب التاريخ في عصره . وقد كتبه المقريزي ليكون خاتمة مؤلفاته في تاريخ مصر : إذ ألف " كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط " ، في تاريخ مصر من الفتح العربي ، إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية ؛ و " كتاب اتعاظ الخلفاء بأخبار الخلفاء " ، في تاريخ مصر زمن الخلفاء الفاطميين ، (انظر ص ٩ ، حاشية ٢٦١) ، ثم رأى أن يصل " ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلاطين النمايك التركية والجركسية " ، إلى زمنه ، في مؤلف مستقل ، وسماه " كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك " . (انظر ص ٩ ، سطر ١ - ١٠) .

(١) أنجحت جامعة كاليفورنيا الأمريكية شطرا من هذا الكتاب ، في سبعة أجزاء ، (انظر ثبت المراجع العربية ، تحت اسم ابن تغري بردي ، صفحة ١٠٠) ، وتدأب دار الكتب المصرية ، منذ سنة ١٩٢٩ ، في إخراج طبعة كاملة له ، ظهر منها حتى الآن الأربعة الأولى . (٢) طبع هذا الكتاب في بولاق ، سنة ١٨٩٦ .

♦ ♦ ♦

يقع هذا الكتاب، كما رتبته المقريري، في أربعة أجزاء؛ وتوجد منه نسخ خطية عديدة، كاملة وناقصة، بعضها مجلد في أربعة أجزاء، وبعضها في أكثر من ذلك. وأكبر هذه قيمة، النسخة الأصلية الأولى، التي خطها المؤلف بيده، ومن هذه يوجد الجزء الأول، من أربعة أجزاء، بمكتبة يكي جامع بالآستانة، تحت رقم (٨٨٧).

وتحوى مكاتب الآستانة عدة نسخ أخرى، متفاوتة في تاريخ كتابتها، وفي عدد أجزائها: ففي مكتبة الفاتح نسخة في إحدى عشرة مجلدة، تنقصها الأولى والعاشرة، كتبت سنة ٥٨٨٠هـ، وأرقامها (٤٣٨١ - ٤٣٩٠)؛ وهي أقدم النسخ المعروفة، وتتلو النسخة الأصلية في القيمة. وبالمكتبة نفسها نسخة أخرى، في أربعة أجزاء كاملة، أرقامها (٤٣٧٧ - ٤٣٨٠). وفي مكتبة أيا صوفيا نسختان كاملتان، كل منهما في أربعة أجزاء، كتبت إحداهما سنة ٨٨٣ هـ، والثانية سنة ٨٩٤ هـ، وأرقامها (٣٣٦٩ - ٣٣٨٦). وفي مكتبة عاشر حفيد، الجزء الأول من نسخة، ذات أربعة أجزاء، رقمها (٢٤٧). وفي مكتبة كوبرلي جزء واحد، من نسخة مختلفة في تقسيمها عن الصنفين الآنفين، ويرجح أنها كتبت في ثمانية أجزاء، ورقمها (١١٣٧)^(١).

يوجد عدا ذلك، من مخطوطات السلوك، نسخ مبعثرة في شتى المكاتب والمتاحف الأوربية: منها بالمتحف البريطاني في لندن، الجزءان الثاني والرابع من نسخة ذات أربعة أجزاء، (British Museum Mss. Or. 2902, 9542)؛ وفي مكتبة بودليان بأكسفورد نسخة كاملة، (Bibliotheca Bodleiana, Codicum Manuscriptorum Orientalium... Catalogus a Joanne Uri confectus, Oxonii, DCLXXXIX, DCCXXIV, DCCXXIX et DCCLI). وفي مكتبة جامعة جوتا الجزء الأخير من نسخة ذات أربعة أجزاء،

(١) إنى مدين بهذه المعلومات، الخاصة بجزائن الآستانة، إلى الدكتور ف. ه. رتر (Ph. H. Ritter)، وقد نقلتها من خطاب منه لزميل وصديق الدكتور عبد الوهاب عزام، مدرس اللغتين الفارسية والتركية، بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وأريد أن أدون شكرى لكليهما هنا: فقد تولى الدكتور رتر تجهيز الصور الشمسية، التي احتجت إليها من هذه المخطوطات، وأرسلها مرفقة بتلك المعلومات المتقدمة؛ ومهد لى الدكتور عزام السبيل للاتصال بالدكتور رتر، والاستقاء من عليه.

(Verzeichniss der für die orientalische Sammlung in Gotha von U. J. Steetzen, 1810, Leipzig, N^o. 1484) ، وفي المكتبة الأهلية بباريس نسخة كاملة في أربعة أجزاء ، ونسخة أخرى مُعبّارة عن مجلدين من الجزء الثالث ، (Bibliothèque Nationale, Paris, Fonds Arabe N^{os}. 1726-1728) ، ويوجد بدارالكتب المصرية صور شمسية لها تين النسختين الباريسيتين (تاريخ ٤٥٥، ٤٦٤) ، ونسخة خطية ثالثة ، منقولة حديثاً من النسخة الباريسية الكاملة .

♦ ♦ ♦

أول ما يلزم لنشر مخطوط ، الحصول على صور شمسية لأكثر عدد ممكن من النسخ المعروفة منه ، مع الإحاطة بأوصاف ما لم يتيسر منها . وقد وقّفتُ إلى أكثر من هذا ، فيما يخص نشر الجزء الأول من السلوك ، إذ حصلتُ على صور شمسية من المخطوط الذي كتبه المقرئ بيده ، والموجود بمكتبة يكي جامع ، فلم تعد حاجة ماسة إلى الحصول على عدة من النسخ المعروفة . وهذه النسخة هي أصل القسم الأول المنشور هنا ، وعماد ما يتلوه من بقية الجزء الأول . على أني لم أطمئن إلى إخراج الكتاب من نسخة واحدة ، رغم انتسابها إلى المؤلف مباشرة ، لما حدثته فيها من الصعوبات عند أول نظرة . لذلك استعنت بالصور الشمسية للنسخة الباريسية الكاملة ، الموجودة بدارالكتب المصرية ، فاستهديتها في إبانة بعض ما غمضت قراءته من الألفاظ من مخطوطة يكي جامع ، واسترشدت بها في بعض العبارات والألفاظ الزائلة ، أو المحجوبة بورقة ملصقة فوقها ، (انظر ص ٧٠ ، حاشية ٣ ، ص ١٠١ ، حاشية ٣ ، ص ٤٤ ، ص ١٠٨ ، حاشية ٢ ، ص ١٩٦ ، حاشية ١ ، وغيرها كثير) .

♦ ♦ ♦

يتعين هنا ، قبل شرح الطريقة التي اتبعتها في إخراج هذا القسم الأول من السلوك ، أن أصف مخطوطة يكي جامع ، وقد سميتها س في الحواشي ، ونسخة باريس ، وقد سميتها ب ، وأن أذكر الشذرات المطبوعة فعلاً من السلوك ، بلغتها أو مترجمة .

أما س فمجلد ضخم ، غلافه من جلد قوي ، مطبوع في وسطه مستطيل للزينة ، غير مُذهب . وخط هذا المجلد نسخ متوسط ، واضح القراءة ، وعدد أوراقه ٢٥٧ ، لونها أبيض ضارب إلى الصفرة ، ومقاس الورقة $25 \frac{1}{4} \times 16 \frac{1}{4}$ س م ، أي أكبر بقليل من الصورة الشمسية المطبوعة هنا . (انظر ص ٢) .

يبتدئ متن كتاب السلوك في هذه المخطوطة من الورقة ١٣ ، وينتهي عند ورقة ١٢٥٣ . أما ما قبل ذلك ، وما بعده ، من أوراق المجلد ، فيحتوي عبارات متنوعة ، ليس لئلا علاقة ظاهرة بها ، على أنها مكتوبة بخط يشبه خط متن السلوك ، ما عدا الوارد في ص ١١٠ . ويوجد بتلك الصفحة الأولى رسم دائرة ، في نصفها الأعلى ، بخط نسخ كبير ، وقفية نصها : "وقف سلطان أحمد خان بن غازي سلطان محمد خان" ، وبنصفها الأسفل طغراء ، يرجح أنها لهذا السلطان العثماني ، الذي تولى من سنة ١٦٠٣ إلى ١٦٢٧ م . وعلى ص ١ ب فقرة في منشأ الحوارج ، وفي أصل عادة حلق الرؤوس عندهم ، وتستغرق هذه إلى آخر ص ١٢٠ . وعلى الصفحة ٢ ب فذلك في أصل الجبارة ، تنتهي في منتصف الصفحة نفسها ، ويتلوها عبارة في أنساب بعض قبائل العرب ، التي سكنت حوف مصر .

أما العبارات التي تلي آخر الجزء الأول ، فأولها تعليقة في أنواع الطلاق ، تشغل ص ٢٥٣ ب ومنتصف ص ٢٥٤ ، ويتلوها قول في أصل القصيدة المشهورة ، التي مدح الفرزدق بها علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وتبتدئ ص ٢٥٤ ب بقول آخر في أصل القصيدة المعروفة التي أنشأها ابن زريق البغدادي ، في زمن غربته بالأندلس ، ثم يتلو هذا القول ، إلى آخر الصفحة ، اقتباسات قصيرة من أقوال بعض المحدثين في أهمية الإسناد في الحديث ، ورأى في مدى ملكية المالك للغلام المملوك . وتبتدئ ص ٢٥٥ ب بفصل في الجرح والتعديل ، ويشغل هذا الفصل حد ثلثي ص ٣٥٦ ب ، وعلى بقية تلك الصفحة ، حتى ثلثي ص ٢٥٧ ، وهي الصفحة الأخيرة من المخطوط ، فصل في الترغيب في علم الأنساب ، يتلوها ذكر وفاة أبي عثمان إسماعيل الصابوني ، المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، وإشارة إلى أحد الأئمة الشافعية ، لم أستطع أن أقرأ من اسمه سوى لفظي "مهراڤان الاسفراينى" ، ويتلو ذلك كله حديث نبوي .

ليس تمت شك في أن هذه النسخة من الجزء الأول هي الأصلية الأولى ، سطرها المقريري لنفسه ، على حد قوله في صفحة العنوان ، وفي "حرد" المجلد (Colophon) (انظر

ص ٣، سطر ٦ هنا، وكذلك ص ٢٥٣ في س). وتوجد عدا هذا شواهد داخلية عدة، للدلالة على أن المقریزی كتب هذا الجزء بيده، وتتضح هذه الشواهد من وصف خواص ترتيب المتن. أول تلك الخواص أن كثيرا من صفحات هذا الجزء مرقوش بهوامش إضافية، مكتوبة أحيانا على جوانب الصفحات، وأحيانا على ورقة منفصلة بين صفتين، وفي المتن عادة إشارة بعلامة إلى المكان المناسب لهذا أو ذاك الهامش من المتن. وتلك الهوامش، بحسب ارتباطها بالمتن، على أربعة أنواع: إما فقرة متسقة مع المتن اتساقا تاما، فهي عبارة عن سقطة كتابية، تداركها المؤلف عند المراجعة، فأثبتها حيث استطاع، وأشار إلى موضعها المناسب من صلب المتن، (انظر ص ٤، حاشية ١)؛ أو عبارة من عبارات المتن مكتوبة بأسلوب آخر، (انظر ص ٢٥٥، حاشية ١)؛ أو إضافة لا اتساق لها مع عبارة المتن، رغم علاقتها أحيانا بموضوعه، وأمثلة هذه لا شك زيادات عثر المؤلف عليها، فيما بعد، فأثبتها حيث أراد، (انظر ص ٨، حاشية ٢؛ ص ٢٩ حاشية ٣؛ ص ٤٦، حاشية ٢؛ ص ٦١، حاشية ١؛ ص ٢٥٥، حاشية ١)؛ أو عبارة تفسيرية للفظ لغوي، (انظر ص ٨، حاشية ١؛ ص ١٧، حاشية ٢)؛ أو عبارة للتنبيه إلى ما في المتن من مواضع، وهذا النوع الأخير مكتوب بخط مخالف، (انظر ص ٧٩، حاشية ١؛ ص ٢٠٩، حاشية ٢؛ ص ٢١٧، حاشية ١؛ ص ٢٢٤، حاشية ١؛ ص ٢٤١، حاشية ٣).

تدل هذه الهوامش، ما عدا النوع الرابع منها، على أن المقریزی كتب هذه النسخة من الجزء الأول بيده، ثم راجعها بنفسه، فتدارك بالإثبات ما فاتته، وأضاف من الزيادات ما رأى أن يضيف، وفسر من الألفاظ ما ظن غريبا. غير أنه يلاحظ أحيانا خلاف طفيف بين خط المتن وخط تلك الهوامش، وهذا يرجح أن المقریزی راجع الكتاب بعد مضي عدة سنين من تاريخ كتابته، بعد أن اعتري خطه شيء من الضعف والهزّة.

ومن خواص من أيضا طريقة الرسم الإملائي، التي راتبها المقریزی في سائر هذا الجزء، إذ أمثل الهمزات إهمالا تاما، فسهلها بالإبدال إلى ياء في أواسط الكلمات، وحذفها في أواخرها، وأمثلة ذلك الطابع (الطائع)، وسائر (سائر)، وهولا (هؤلاء)، وعلا (علاء)، وخلفا (خلفاء). وفي هذا الجزء أيضا دأب المقریزی على إحلال الدال موضع الذال، مثل

إدخاير (ذخائر)، وهمدان (همدان)؛ وتهاون في النقط كثيرا، حتى أن بعض الألفاظ وارد بغير نقط البتة؛ ووقع في بعض أخطاء نحوية ولغوية؛ كما ضبط بعض الألفاظ ضبطا خطأ؛ وقد أشرت إلى أمثال ذلك كله في الحواشي . (انظر ص ٤، حاشية ٢، ص ٧، حاشية ٥، ٨، ص ١٠، حاشية ٢، ص ١٦، حاشية ٢) .

♦ ♦ ♦

بلى س في القيمة العلمية، النسخة التي كتبت عام ٨٨٠ هـ، والموجودة بمكتبة الفاتح، لأنها أقدم النسخ الخطية المعروفة حتى الآن، وأقربها إلى زمن المقرئ والمقرئ والمقرئ الأصلية الأولى . ويليهما ما كتب بعدها، وهكذا . أما نسخة باريس (بج) المتأخرة بالنسبة إلى غيرها من النسخ المعروفة، لأن الجزئين الأول والثاني منها بخط المدعو منصور الأزهرى، وقد فرغ من كتابتهما في أول سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)، والجزئين الثالث والرابع بخط المدعو حسن العثماني، وقد فرغ من نسخهما بمكة، في أواخر سنة ٩٣٩ هـ (١٥٣٣ م) . (انظر فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية، ج ٥، ص ٢١٩) .

تشبه ب مخطوطة س في وضوح الخط، وفي الرسم الإملائي أيضا : من تسهيل الهمزات المتوسطة، وحذف الهمزات المتأخرة؛ كما تشبهها أيضا في الاقتصاد في النقط، وفي الأخطاء النحوية واللغوية . والواقع أنها نسخة طبق الأصل، لا تختلف عنه في الأسلوب أو العبارة أو ترتيب المحتويات، إلا ما نتج عن تصرف طفيف من الناسخ، أو سهوه أو إهماله، أو تقصيره في قراءة بعض الهوامش المزدحمة، أثناء النقل . ومن أمثلة ذلك صفحة العنوان، إذ ليس في ب شيء مما هو وارد بتلك الصفحة في س، بل يوجد بدلها الفقرة الآتية :

”الجزء الأول والثاني من السلوك لمعرفة دول الملوك للشيخ الإمام العلامة الهمام الرحالة المقرئ الميرزا رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم“ . وثمت خلاف آخر بين النسختين، في الصفحة الأولى، ففي ب بعد البسملة عبارة: ”وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب، قل اللهم مالك الملك ...“ (قارن هذا بالعبارة الافتتاحية في س) .

هذا ولمعرفة أنواع الخلاف الأخرى بين النسختين، انظر (ص ٢٨، حاشية ٣، ص ٣٩، حاشية ١، ص ٦١، حاشية ١، ص ١٠٩، حاشية ٤، ص ٩٨، حاشية ٢، ص ١٧٨، حاشية ٢) .

ويوجد بين النسختين خلاف من نوع آخر، لا أساس له بجوهر المتن، بل هو عرضي، بحث : ذلك أن الهوامش التي في س عبارة عن سقطات كتابية، قد تداركها المقرزي بالإثبات عند المراجعة، أو إضافة عثر عليها فكتبها حيث يريد كما تقدم، أدمجها كاتب نسخة ب - أو كاتب النسخة التي نقل منها - حيث تجب من المتن، أو حيث مظنة الصواب، ولم يخطئ إلا قليلا في هذا المجهود المحمود، الذي صير ب ذات أهمية. (انظر ص ٢٨، حاشية ٣، ص ٦١، حاشية ١، ص ٩٠، حاشية ١ - ٤، ص ٩٨، حاشية ٢، ص ١٧٨، حاشية ٢). أما ما عدا ذلك من الهوامش الواردة في س، كالحواشي التفسيرية التي كتبها المقرزي، وكالإشارات والتنبيهات الواردة بخط مخالف، فليست موجودة في ب مطلقا. على أن في ب هوامش من نوع آخر، تميزت بها هي أيضا، وهذه عبارة عن إشارات باللغة الفرنسية لآثار أحداث الحروب الصليبية، أو ترجمة إلى تلك اللغة لأسماء كبار الصليبيين، قبالة ورود أسمائهم بالمتن. (انظر ص ٩٦، حاشية ٧).

+ + +

ليست الطبعة المعروضة اليوم، أول محاولة لنشر كتاب السلوك، فقد تناوبته مجهودات المستشرقين، كل على قدر حاجته منه، منذ أواسط القرن الثامن عشر، أي قبل وصول الحملة الفرنسية إلى مصر بجيل تقريبا. وأول المبكرين إلى هذه هو (Cardonne)، إذ نشر منه في سنة ١٧٦١ م، شذرات باللغة العربية، في ذيل كتاب تاريخ حياة لويس التاسع ملك فرنسا (Joinville: Vie de St. Louis; ed. Cardonne. Paris, 1761)، كما نشر منه فقرات أخرى سنة ١٨٢٤، ضمن مختارات عربية، متعلقة بتاريخ فرنسا، تحت عنوان (Cardonne: Extraits de MSS. Arabes)، في المجموعة الفرنسية المسماة (Petitots: Collection des Mémoires; Vol III, Paris, 1824).

بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة، أتم المستشرق (Quatremère) ترجمة فرنسية في جزئين، لسطر كبير من كتاب السلوك، أوله سنة ١٧٤٨ هـ، وآخره سنة ١٧٠٨ هـ، تحت عنوان (Quatremère: Histoire des Sultans Mamlouks etc, Paris, 1837 - 1845).

وكان اعتماده في الترجمة على مخطوطة باريسية، كانت في أيامه بمكتبة الملك (Bibliothèque du Roi)، تحت أرقام ٦٧٢ - ٦٧٤؛ فبدأ ترجمته من ص ١١٥ منها، وانتهى عند ص ٣١٥^(١). ثم انتقلت تلك المخطوطة إلى (Bibliothèque Nationale)، وصارت أرقامها ١٧٢٦ - ١٧٢٨؛ ومنها ترجم (Blochet)، في سنة ١٩٠٨، ما فاته (Quatremère) من الجزء الأول، وسمى ترجمته (Blochet: Histoire d'Égypte de Makrizi)، ونشرها في (Revue de L'Orient Latin, Tomes VI, VIII-XI). وهذه المخطوطة، التي كانت عماد الترجمتين الفرنسيتين، ليست سوى ب هنا، والتي أشرتُ إلى مبلغ استعابني بها في المقابلة والمقارنة.^(٢)

* * *

أما محاولتي التي تخرج باكورتها في الصفائف التالية، فهي أول محاولة لإخراج الكتاب كاملاً، بلغته التي كُتبت بها. وقد اعتمدت على مخطوطة من اعتماد كلي، واستعنت بنسخة ب، واسترشدت بترجمة (Blochet). على أني تناولت تلك الترجمة ببعض النقد، (انظر ص ٨٠، حاشية ٥؛ ص ٩٤، حاشية ١؛ ص ١١٢، حاشية ١؛ ص ١٣٥، حاشية ٤؛ ص ١٣٧، حاشية ١، ٢؛ ص ٢١٧، حاشية ٢)، ونبّهت إلى عدد قليل من أخطائها، التي كانت منشؤها اعتماد المترجم على نسخة ب فقط، (انظر (Blochet: Op. cit. Introd. P. 53). وقصدتُ بذلك إبراز قيمة مخطوطة س، لا النيل من نتيجة مجهود محمود، فضله مشهود به هنا، في كثير من الحواشي. (انظر ص ١٠، حاشية ١؛ ص ٢٤، حاشية ٦؛ ص ٣٦، حاشية ٦؛ ص ٤٦، حاشية ١؛ ص ٥٠، حاشية ٣، ٤، ٨؛ ص ٦٠، حاشية ١؛ وغيرها).

(١) يوافق بدء ترجمة (Quatremère) ص ١٩٦ من مخطوطة س، وينتهي في أوائل الجزء الثاني منها. والسبب الذي حدا به إلى ذلك البدء، واستبعاد الصفحات الأولى من السلوك، وهي القسم الخاص بدولة الأيوبيين في مصر، أنه كان قد فكر في نشره في مجموعة فرنسية مستقلة، اسمها (Collection des Historiens des Croisades)، كان الغرض مفقوداً على إخراجها، ولم ينجح المشروع. راجع (Quatremère: Op. cit. T. I. 1 Pref. P. XVIII).

(٢) توجد أيضاً قطعة صغيرة من كتاب السلوك، منشورة في الجزء الثاني من كتاب تاريخ عمارة اليمن، (Derenbourg: Oumara du Yemen. Paris, 1897-1902. Tome II. PP. 650-652) تحت عنوان "نبذة من السلوك". (انظر ص ٥٣، سطر ١٠ - ص ٥٤، سطر ١١).

وقد بدأت العمل بنسخ المتن المعد للطبع من ب ، وقابلته عليها ، تمهيدا لمقابلته على نسخة الآستانة . وكان اعتقادي أن النسختين ذاتا قيمة متكافئة ، بل ظننت أن نسخة باريس أهم من الأخرى ، لأن معظمها قد ترجم إلى الفرنسية ، فأصبحت ذات قيمة معروفة ، ونصها محترم . فلما رأيت بعد ذلك أن مخطوطة الآستانة بقلم المقریزی ، تضاءلت أمامها نسخة باريس ، وصارت فرعا ، ومخطوطة س أصلا .

ولم يكن البدء على هذا النحو المعكوس مضيعة لوقتي ، فإني استفدت من ب استفادة واسعة ، (انظر صحيفة ٧) ، واستطعت أن أدرك أوجه الشبه والخلاف بين المخطوطتين . غير أني لم أدب على إثبات نتيجة المقابلة في الحواشي ، لأن أهمية س طغت على كل الاعتبارات ، ولأني توخيت ألا أحمل كعوب صفحات المتن أكثر من اللازم .

كتب المقریزی كتابه على نظام الحوليات ، الشائع في مؤلفات المؤرخين الشرقيين في القرون الوسطى ، فسرد تاريخ كل سنة على حدته ، ولم يحاول أن يصل بين سنة وأخرى أبدا ، ولم يستوقف القارئ في وسط السنين إلا عند حدوث عهد جديد . وقد سار المقریزی على هذا النحو فبدأ كل سنة في سطر جديد ، وعنوانها بخط أكبر من خط المتن ، وبمبدأ أحمر ، وفعل مثل ذلك عند بدء عهد سلطان جديد . وللتوفيق بين هذا النظام ومقتضيات الطبع الحديث أقيمتُ عناوين السنين في مواضعها ، في أول سطر دائما ، وبحروف أكبر قليلا من حروف المتن ، ووُضعتُ أوائل أسماء السلاطين في وسط السطر ، بحروف كبيرة أيضا . (انظر ص ٤١ ، حاشية ٦) .

وقد أخذت حريتي في نقط الألفاظ ، وفي الترقيم والتقسيم ، كما فعلت ذلك أيضا في الأخطاء الإملائية البحتة ، فاتبعت الرسم الإملائي الحديث . ولو كنت عمدت إلى الإشارة إلى جميع مواضع النقط الناقصة ، أو الغلطات الإملائية الشائعة ، لملاأت أضعاف المساحات التي شغلها الهوامش . على أني نبهت دائما ، عند الحاجة ، إلى الألفاظ التي نقطتها من عندي ، وعلى مسئوليتي . ولما كان المقریزی قد ضبط بعض ألفاظ المتن دأبت على إثبات

ضبطه دائما حيث كان ، بغير تنبيه إليه في الحواشي ، إلا إذا كان هناك ما يقتضى ذلك ، أو كان الضبط خطأ ، فقد أصابته ، ونهت إلى أصله . على أنه كثيرا ما استلزم المتن ضبط كلمات أخرى ، لزيادة التوضيح . (انظر ص ٢٤ ، حاشية ٢) .

+++

والآن ، وقد بينت في هذا التصدير المختصر ، معالم الترتيب الذى سرت عليه ، فواجبى أن أشكر لكل من عاوننى ، بالمساعدة أو بالتشجيع ، فى إخراج هذا القسم الأول من كتاب السلوك . وأبدأ بالذكر "لجنة التأليف والترجمة والنشر" ، وهيئتها الفنية ، لتكليفى القيام بنشره ، وإعطائى الحرية فى كيفية طبعه وتنظيمه ، وتواصياها بالصبر إزاء البطء الذى تطلبه نوع العمل . وأشكر أيضا الأستاذ أحمد أمين ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ورئيس "لجنة التأليف والترجمة والنشر" ، لما رمقنى به من عنايته المستمرة ، إذ قرأ جميع صفحات القسم الأول ، قبل اعتمادها نهائيا للطبع ، وهدانى باقتراحاته ، مرة إلى مراجعة عبارة بالمتن ، ومرات لتعديل بعض الحواشى . وقد كان من حسن حظى أيضا أن طلبت إلى صديق وزميلى أحمد الشايب ، أن يعاوننى فى أدوار المقارنة والمقابلة ، فقرأ معى النسخة التى أعدتها للطبع ، على نسخة باريس ، وعلى ثلثي مخطوطة الآستانة ، فأسديه شكرى ، كما أسديه إلى صديقى محمد نديم ، ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية ، فقد حرص على طبع الكتاب طبعة دقيقة . ولست أعدد تلك المساعدات توزيعا للمسئولية النهائية على أكتاف غيرى ، بل إعترافا بالجهد الذى قدموها إلى ، فإن تلك المساعدات سهلت على العمل فى مختلف أدواره ، وجنبتنى بعض الزلل . وإنى أتقدم إلى كل الذين ذكرت ، وإلى غيرهم أيضا ، ممن شجعونى على المضى فى العمل ، بوافر الشكر والثناء ، كما أرسل شكرى مقدما إلى كل من يطلع على هذا القسم ، ويدلنى بنقده على ما عساه قد وقع من خطأ ، أو على ما يقترح من إصلاح يساعدننى فى إخراج الأقسام التالية .

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة ، فى أول المحرم سنة ١٣٥٣

١٤ أبريل سنة ١٩٣٤

المراجع المذكورة في حواشي القسم الأول

مراجع عربية

ابن الأثير (عز الدين أبي الحسين علي المعروف بابن الأثير) : كتاب الكامل في التاريخ ،

١٤ جزء . طبعة ليدن . (Edidit Tornberg. Lugduni Batavorum. Brill, 1863).

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

طبعة جامعة كاليفورنيا . (Edited by Popper. Vols II, III, V, VI, VII ;

University of California Publications in Semitic Philology, 1909-1929).

ابن حوقل (أبو القاسم) : كتاب المسالك والممالك . طبعة ليدن .

(Bibliotheca Geographorum Arabicorum, edidit De Geoe. pars secunda.

Lugduni Batavorum, Brill. 1873).

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس محمد) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان .

طبعة جوتنجن . (Edidit Wüstenfeld, Gottingae, Deuerlich, 1835-1840).

لهذه المؤلف ترجمة إلى الإنجليزية . انظر ثبت المراجع الأوربية ، تحت اسم (De Slane) .

ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهري) : كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق

والمسالك . طبعة باريس . (Ed. Ravaisse, Imprimerie Nationale, Paris, 1894).

ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

طبعة باريس . (Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux,

Tome III, Imprimerie Nationale. Paris, 1884).

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ثمانية أجزاء .

(مكتبة القدسي ، بجوار الأزهر ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ) .

ابن مسكويه (أبو علي أحمد المعروف بمسكويه) : القسم الأخير من كتاب تجارب الأمم ،
سبعة أجزاء . طبعة أكسفورد .

(Arabic text, edited by Amédroz, vols I-III; English translation, vols IV-VII,
Margoliouth. Oxford, Basil Blackwell, 1920-1921).

ابن النديم (أبو الفرج محمد) : كتاب الفهرست . طبعة ليبزج .

(Mit anmerkungen herausgegeben von Gustav Flügel, Leipzig, Vogel, 1872).

أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل) : منتخبات من المختصر في أخبار البشر . طبعة باريس .

(Recueil des Historiens des Croisades. Historiens Orientaux, Tome I.
Imprimerie Nationale, Paris, 1872).

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن) : منتخبات من كتاب الروضتين في أخبار الدولتين
النورية والصلاحية . طبعة باريس .

(Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux, Tomes IV-V,
Imprimerie Nationale, Paris, 1898-1906).

أمين (أحمد) : ضحى الإسلام ، الجزء الأول . (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٣) .

الأنصاري (زكريا) : شرح المنهج ، جزآن . (المطبعة الميمنية ، قرب الأزهر . القاهرة
سنة ١٣٠٥ هـ) .

البيروني (أبو الريحان محمد) : كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، طبعة ليبزج .

(Herausgegeben von Sachau, Harrassowitz, Leipzig, 1923).

هذا المؤلف مترجم أيضا إلى اللغة الإنجليزية . انظر ثبت المراجع الأوربية ، تحت

اسم (Sachau) .

حسن (حسن إبراهيم) : الفاطميون في مصر . (المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٢) .

أنخزرمي (علي بن الحسن) : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية . طبعة ليدن .

(E. W. J. Gibb Mem. Series, Vol III. Parts I-V, Brill, Leiden, 1906-1918).

الخوارزمي (أبو عبد الله محمد) : مفاتيح العلوم . (مطبعة الشرق ، بجوار الأزهر . القاهرة ،

سنة ١٣٤٢ هـ) .

- الزركشى (عبد الله محمد) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية . (تونس ، ١٢٨٩ هـ) .
- السخاوى (محمد شمس الدين) : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع . (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ١٨ جزء ، رقم : تاريخ ٦٧٥) .
- الطبرى (أبو جعفر محمد) : تاريخ الرسل والملوك . طبعة ليدن .
- (Cum aliis Edidit De Geoje, Lugduni Batavorum, Brill, 1901.)
- العيني (بدر الدين محمود) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ٢٣ جزء ، في ٦٩ مجلدا ، رقم : تاريخ ١٥٨٤) .
- القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ١٤ جزء . (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩) .
- مبارك (علي باشا) : الخطة التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، ٢٠ جزء ، في أربع مجلدات . (المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣٠٦ هـ) .
- المسعودي (أبو الحسن علي) : كتاب التنبيه والإشراف . طبعة ليدن .
- (Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Edidit De Geoje., Pars octava, Lugduni, Batavorum, Brill, 1894).
- المسعودي (أبو الحسن علي) : كتاب مروج الذهب ، تكملة أجزاء . طبعة باريس .
- (Texte et traduction par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courteille, Collection d'Ouvrages Orientaux publiée par la Société Asiatique, 9 vols. Paris, Imprimerie Imperiale, 1874.
- المقريزي (أحمد بن علي) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار ، جزآن . (دار الطباعة المصرية ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ) .
- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله) : ٦ أجزاء ، كتاب معجم البلدان . طبعة ليزج .
- (Herausgegeben Ferdinand Fustefeld, Leipzig, Brockhaus, 1866).

(ف)

مراجع أوروبية

- ALLEN (W. E. D.):** A history of the Georgian People. (Kegan Paul, London 1932).
- BLOCHET (E.):** Histoire d'Égypte de Makrizi. (Leroux, Paris, 1908). (Extrait de la Revue de L'Orient Latin. Tomes VI, VIII-XI).
- BROWNE (E. G.):** An Abridged Translation of the History of Tabaristân. Compiled by Ibn Isfandiyyar; translated by Browne. (E. W. J. Gibb Mem. Series. Vol. II. Leyden, Brill, 1905).
- BUTCHER (MRS E. L.):** The story of the Church of Egypt, 2 vols. (Smith Elder, London, 1897).
- CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY:** (Camb. Med. Hist.). *
- DERENBOURG (H):** Oumara du Yémen... 2 vols. (Leroux, Paris 1897-1902). (Publications de L'École des Langues Orientales vivantes, IV^{me} Serie, vol. X).
- DE SLANE (BARON MAC GUCKIN):** Ibn Khallikan's, Biographical Dictionary. Translated from the Arabic. 4 Vols. (Oriental Translation Fund. Paris 1842-1871).
- DOZY (R.):** Supplément Aux Dictionnaires Arabes. (Dozy: Supp. Dict. Ar.). *
- ENCYCLOPÆDIA OF ISLAM:** (Enc. Isl.). *
- G.—DEMOMBYNES:** La Syrie à l'Époque des Mamlouks. (Geuthner, Paris, 1922).
- GIBB (H. A. R.):** The Damascus Chronicle of the Crusades. (Luzac, London, 1932).
- HITTI (PH. K.):** Memoirs of Usâmah Ibn Munkidh. (Columbia University Press, New York, 1929).
- HOGRATH (D. G.):** A history of Arabia. (Clarendon Press, Oxford, 1922).
- KING (E. J.):** The Knights Hospitallers in the Holy Land. (Methuen, London, 1931).
- LAMB (HAROLD):** Genghis Khan. (Thornton Butterworth, London, 1928).

(* The asterisks denote the abbreviated form, in which the authority is cited in the notes.

- LANE-POOLE (S.):** A History of Egypt in the Middle Ages. (Methuen. London, 1914).
- LANE-POOLE (S.):** The Story of Cairo. (Dent, London, 1924).
- " : Muhammadan Dynasties. (Geuthner, Paris, 1925).
- " : Saladin. (Putnam, London, 1926).
- LE STRANGE (G.):** Palestine Under The Moslems. (Watt. London, 1890).
- MORIER (J.):** The Adventures of Hajji Baba of Isphahan.
- " : Hajji Baba in England.
(Humphrey Milford, Oxford, 1924, 1925).
- PRICE (A. P.):** Holbyn's Dictionary of Medical Terms. (Bell, London, 1899).
- QUATREMÈRE (E.):** Histoire des Sultans Mamlouks de l'Égypte. 2 vols.
(Paris, 1837-1845).
- RAPPOPORT (A. S.):** History of Palestine. (Allen & Unwin. London, 1931).
- RECUEIL DES HISTORIENS DES CROISADES:** Historiens Orientaux. Tomes I-V.
(Rec. Hist. Or.). (Paris, Imprimere Nationale 1872-1906).
- SACHAU (E.):** The Chronology of Ancient Nations, ... of Albiruni. (London, Allen, 1879). (Oriental Translation Fund).
- SCOTT. (SIR. W.):** The Talisman. (Nelson, London).
- STEVENSON (W. B.):** The Crusaders in the East. (University Press, Cambridge, 1907).
- TOUSSOUN (LE PRINCE OMAR):** Mémoire sur les Anciennes Branches Du Nil. Époque Arabe. (Mémoires présentés à l'Institut d'Égypte, Tome 4^{me}. 2^{me} F. Le Caire, 1923).
- TOUSSOUN (LE PRINCE OMAR):** La Géographie de l'Égypte à l'Époque Arabe. Tome 1^{re}, 1-2. parties. (Mémoires de la Société Royale de Géographie d'Égypte, Tome, VIII, 1^{re}, 2^{me} parties, Le Caire, 1926, 1928).
- ZIADA (M. MUSTAFA):** The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century. (Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt. Vol. I. Part I. pp. 90-113).

تصحیحات

	صفحہ	سطر
• الصیغۃ المراد لإبانتها .	۷	۱
المستعان		
• (راجع التصدير)	۷۶	۱۸
وَأَذَنَّةٌ ؛	۱۶	۲
— وقيل مرداویج بن قافیج —	۲۴	۱۴
• یجتی عمه وأخیه ،	۴۴	۹
• (یاقوت : معجم البلدان ،	۵۵	۲۳
• ما یلی .	۷۰	۱۸
(۲) مضبوطة	۷۳	۱۷
• (Blochet : Op. cit. p. 145. N. 3)	۷۴	۱۸
تمتع من شمیم عرار نجد	۷۷	۱۱
أبو الفتح عثمان بن السلطان	۱۱۴	۹
• وهی قلعة علی الفرات	۱۱۴	۲۰
• المذكور فیما یلی ، (سطر ۱۰)	۱۱۶	۲۲
(القلقشندی :	۱۲۷	۱۹
المدماک ، یسکر به ،	۱۴۱	۲۵
• من تسمى بهذا الاسم ،	۱۴۳	۲۰
• (۴) فی س ایاز کوح ،	۱۴۸	۲۲

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
١٤٩	١٩ - ٢١	والمشهور أن فعل فند لا يتعدى بهن، وإنما يتعدى بعلى؛ ففي محيط المحيط: فنده على الأمر بمعنى أرادته منه. ولعل المقرئ استباح لنفسه استعمال هذا الفعل مقرونا بعن، ليؤدى عكس المعنى المعروف. على أن فند تستعمل بدون حرف جر، بمعنى عجز.
١٥١	٢٢ - ٢٣	(٤) بياض في س، يشغل سطرين تقريبا، وبه آثار كتابة ممحوة.
١٥٤	٢٠	اضطراب ترتيب الحوادث، في تلك الترجمة،
١٥٤	٢١	فانظر ص ١٥٧، حاشية ٣.
١٥٩	٢٣	(Blochet : Op. cit. p. 273. N. 2).
١٦٦	٢٣	انظر قاموس المحيط.
١٦٩	١٩	"سنه اربع وستمائة".
١٦٩	٢٤	: A History of The Georgian People.
١٧٨	١٠	تسع عشرة قطعة
١٩٢	٢٦	بكار كتاب المالية.
٢٢٤	٢١	رحمه الله تعالى عليه.
٢٢٥	٢١	(٢) في س اعمامه.
٢٣٢	١٣	(٨٣)
٢٣٩	١٥	أقل منهم في الرتبة،
٢٤٦	٤	يحيى بن خالد.
٢٥٠	٦	صنابير
٢٦٣	١	تكل طبع القسم الأول من الجزء الأول، من كتاب السلوك للمقرئ.

السلوك لمعرفة دول الملوك

(محتويات الصورة الشمسية المواجهة وهي صفحة العنوان كما في نسخة الأستانة)

(١٣) الجَزَعُ الْإِكْرَاقُ

من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، جمع فقير عفو الله أحمد بن علي بن عبد القادر
بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم ،
الشهير جده بالمقریزی الشافعي ، غفر الله له وتغمد زلله بمنه :

سَطَّرَهُ لِنَفْسِهِ * قَائِلُهُ وَجَامِعُهُ

فَلْيَعْفَ عَن زَلَاتِهِ * نَاقِلُهُ وَسَامِعُهُ

لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته ، ولا أهلك إلى قبض عوض عن جميل
أوليته ، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا ، وأعاذك من عز مفقود وعيش
مجهود ، وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك ، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك ، بعد عمر
مديد وسمو بعيد ، وختم بالحسنى عملك ، وبلغك في الأولى أملك ، وستد فيها مضطربك ،
وأحسن في الأخرى من قلبك ، إنه سميع قريب جواد مجيب .

الأكراد ينسبون إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وقيل هم من ولد عمرو مزريقياً بن عامر ماء السماء . وقيل إنهم من بني حميد بن طارق الراجح

(١) هذا الاسم غير واضح كله في س ، ولكن المراجع العربية تبني آباء الأكراد به . قال ابن حوقل في المسالك
والممالك ، ص ١٨٧ : " إنهم من كره بن مرد بن عمرو بن عامر " بدون ضبط . أما المسعودي في مروج الذهب
ج ٣ ، ص ٢٥٠ ، فقد نسبهم إلى " كرد بن مرد (كذا) بن صعصعة بن هوازن " ، ونسبهم في كتابه التنبيه والإشراف ،
ص ٨٩ ، إلى كرد بن مرد بن صعصعة بن حرب بن هوازن . وكل هذه الأنساب محاولات من الأكراد للاتصال
بالنسب العربي ، ولكن الثابت أنهم من الجنس الإيراني (راجع Enc. Isl. Art. Kurds) . ولا يشار إلى
المراجع هنا بأكثر من هذا ؛ أما مكان الطبع وزمانه ، وتعيين المخطوطات ، وسائر المعلومات الأخرى ، فهي واردة
في قائمة المراجع المذكورة في المقدمة .

(٢) انظر حاشية رقم (١) في الصفحة التالية .

إلى حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب^(١) . وهم قبائل : منهم الكورانية^(٢) بنو كوران ، والهدبانية ، والبشوية ، والشاهنجانية ، والسرجية ، واليزولية ، والمهرانية ، والزرزارية ، والكيكانية ، والجمالك ، واللؤ ، والدنبلية ، والرهادية ، والديسنية ، والهكارية ، والحميدية ، والوربكية ، والمروانية ، والجلالية ، والشنكية ، والجوبى . وتزعم المروانية أنها من بنى مروان بن الحكم بن أبي العاص ، وتزعم بعض الهكارية أنهم من ولد عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب . وأحياء الأكراد تكثر عن الإحصاء ، غير أنهم جميع أحيائهم كانوا مقيمين بفارس ، فكانوا يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر ، يخرج من البيت الواحد نحو العشرين ، وكانوا ينتجعون المراعى فى الشتاء والصيف ، ويجبال كوران

(٤) بقية لمحتويات صفحة العنوان

أولا - العمريين (كذا) ، بمصر وأعمالها ، ينتسبون إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب . قال

(١) العبارة المتبذئة بلفظ "عمرو" فى الصفحة السابقة ، والمنتهية بكلمة "كلاب" هنا ، موجودة بهامش صفحة العنوان . وسبب ذلك سقطة كتابية من المؤلف ، تداركها هو بخطه عند مراجعة الكتاب ، وأشار إليها بعلاوة بين سطور المتن للدلالة على مكانها المناسب لها . ونسخة من مملوءة بأشياء هذا الهامش ؛ فإكان منها نتيجة سقطات الكتابة ، ومتسقا مع عبارة المتن أدرج فيه ، وما كان منها تفسيراً أو شرحاً لعبارة المتن ، أو كانت غير متسقة تماماً معه ، وضع فى حاشية فى آخر الصفحة بنصه .

(٢) معظم هذه الأسماء . وورد فى المراجع الثلاثة المشار إليها فى حاشية رقم ١ ، ص ١ ؛ وقد أكتفى هنا بضبط البعض الذى عنى المقرئ بضبطه . وسيحافظ دائماً على ضبط المؤلف بغير ترتيبه ، إلا إذا كان هناك ما يقتضى ذلك ، أو كان خطأ فينبه إليه بعد إصلاحه . على أنه كثيراً ما يحتاج المتن إلى ضبط كلمات أخرى لزيادة التوضيح . انظر أيضاً المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، حيث بعض هذه الأسماء وورد برسم مخالف .

(٣) بلى هذا هامش تمذرت قراءته ، وهو بالزاوية الجنوبية اليسرى من الصفحة . والمقابلة بين ما كتب المقرئى هنا فى الأكراد وبين ما جاء فى المسالك والممالك لابن حوقل ، ص ١٨٦ ، يحمل على الاتقاد بأن صاحب السلوك نقل بتصرف من ابن حوقل ، أو أنها ما نقلت من مرجع واحد . وهذا ما ورد فى المسالك والممالك بعد ذكر فروع الأكراد : - "ويزيدون على خمسمائة ألف بيت ، ويخرج من الحى الواحد ألف فارس ، وأقل من ذلك وأكثر ، ينتجعون فى الشتاء والصيف المراعى ، إلا القليل منهم على حدود الصرود"

(٤) بقية محتويات صفحة العنوان هذه هوامش مبعثرة فى نواحيها بلا ترتيب ، وليس بينها وبين ما هو وارد فى متن الصفحة اتساق أو ارتباط . وأحد هاتين الحى ، والباقي يظهر أنه دليل على من ملك الكتاب أو حازه أو اطلع عليه ، وقد أثبتت كلها فى الصلب تحت نظام عددى بحت (انظر الصورة الشمسية) . وفى من هوامش عدة بغير خط المؤلف سينبه إليها دائماً ، أما الهوامش الواردة بخطه فليست بحاجة إلى هذه الإشارة .

الجزء الأول

الشريف النسابة محمد بن أسعد الجواني في كتاب الجوهر المكنون في القبائل والبطون :
 "وهم يكذبون في ذلك لأن أنسابهم لا تتصل به ، وقد لقيت منهم جماعة وعرفتهم كذبهم
 بطرائق علمية وغيرها ، وعلى قدر اتساع الأوقات" ، [و] قال : "وأمر هؤلاء المتتمين إلى ولد
 عبد الله بن عمر يحتاج إلى دليل ، وإلا فهو قول من الأقاويل الداخلة في الأباطيل" (١) .

ثانياً - الحمد لله ، وبه أكتفى من عوادي الدهر في نوبه ، أقل عبيد الله تعالى محمد
 بن أحمد بن إينال العلائي الدوادار الحنفي ، عامله ربه بحفي لطفه الجلي والحنفي .

ثالثاً - بليتُ بحظ ما ارتفع إلا انضع ، ولا قام إلا خربت ريعاً ووقع ، ولا استوى
 إلا التوى ، [ولا ارتفع إلا] انحط و [هوى] ، ولا [تيسر] إلا تعذر ، ولا تنبه إلا وعن قليل
 رقّد ، ولا نشط إلا تحبط وهبط : (٤)

لعمرك ما عدت لواء مجد * ولا كل الجواد عن السباق

ولكني بليت بحظ سوء * كما تبلى المليحة بالطلاق (٥)

رابعاً - ملكه محمد المقريزي .

خامساً - قيد شد في سنة ١١٣٧ هـ [هـ] . (٦)

(١) هذا هو الهامش التاريخي وهو وارد في الجهة اليمنى الجنوبية ، وافظة العمرين واردة هكذا منصوبة ومشكلة .

(٢) من حنفي .

(٣) عبارة هذا الهامش مكتوبة بخط مخالف . أما محمد بن أحمد بن إينال العلائي الأصل القاهري الحنفي ،
 والمولود سنة ٥٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م) ، فهو أحد أبناء المماليك الذين جمعوا بين ولاية المناصب والاشتغال بالعلم . تولى وظيفة
 الدوادار للأخير برسباي قرأ رأس نوبة النوب في عهد السلطان الملك الأشرف قايتباي . وكان شديد العناية بقراءة
 النفاس من كتب العلم والتاريخ ، ومطالعته كتاب السلوك ، أو امتلاكه إياه وهو الأرجح ، دليل واضح على هذا .
 (السخاوي : الطوبى اللامع : المجلد الثاني ، القسم الأول ، ص ٧ ؛ والمجلد الثالث ، القسم الثاني ، ص ٣٩٨ ؛ ابن أبي عمير :
 بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٨) .

(٤) اعترى بعض ألقاظ هذا الهامش ما محابها ، وقد وضعت الألفاظ التي بين الأقواس المربعة على سبيل الترحيح .

(٥) هذه الجملة مكتوبة بخط مخالف . ومحمد هذا هو ابن أبي المؤاف (راجع ابن تغري بردي : النجوم

الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٧٨) .

(٦) عبارة تركية معناها صار تقيده في السنة المذكورة ، وهي بخط مخالف .

سادسا - الحمد لله على نعمه ؛ أَنَّهُ أُوذِيَ [كذلك ما بعده ؟] مطالعةً ، داعياً لمؤلفه
بالرحمة والرضوان ، ولملكه بالسيادة وطول العز ، محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي ، إلى
(١)
[رابعه] سنة ٨٤٦

(١) دا بين الأقواس بياض تقريباً في الأصل ، على أنه يوجد في آخر القسم الثالث من الجزء الرابع من الضوء اللامع
للسخاوي ما يشبه هذه العبارة في أسلوبها . أما محمد بن فهد الهاشمي المشهور بعمر ، والمذكور في الضوء اللامع في حرف
العين ، فهو سليل أميرة مكية مجيدة ، توارثت الاشتغال بعلم الحديث . ولد عمر هذا بمكة في سلخ جمادى الثانية سنة ٧١٢ هـ
(٨ نوفمبر سنة ١٤٠٩ م) ، وتوفي بها في ٧ رمضان سنة ٨٨٥ هـ (١٠ نوفمبر سنة ١٤٨٠ م) . على أنه تنقل في مدن
مصر والشام واليمن والحجاز غير مرة ، مشغلاً بالحديث والتراجم . وقد روى عنه المقرئ في فضل البيت الحرام .
أما عن سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٣ م) المدونة آخر هذه العبارة ، فإن ابن فهد كان فيها مقياً بمكة حسبما جاء في الضوء اللامع ،
ولم يأت إلى القاهرة حتى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) . ولما كان من المقرر أن المقرئ أقام بمكة حتى سنة ٨٣٩ هـ
(١٤٣٥ م) فقط ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ فليس يبعد أن كتاب السلوك حمل إلى مكة بعد ما ملكه محمد المقرئ
ابن أنحى المؤلف (السخاوي : الضوء اللامع ، المجلد الثالث ، القسم الثاني ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٩) .

(ب ٣) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهُ الْمُسْتَعَانُ (١)

- (٢) قل اللهم، مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير. توبج الليل في النهار، وتوبج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب. فسبحان الله من إله حكيم قادر، ومليك مقتدر قاهر، يعطي العاجز الحقير، ويمنع البطل الأيد الكبير، ويرفع الخامل الذليل، ويضع ذا العز المنيع والمجد الأثيل، ويعز المحتقر الطريد المحفوق الشريد، ويذل أولى الحد الحديد، والعدّ العديد، وأرباب الألوية والبنود، ومالكي أزمّة العساكر والجنود، ويؤتي ملكه من لم يكن شيئاً مذكوراً، ولا عرف له أبا نبيها وجدًا مشهوراً، بل نشأ كلاً على مولاه وخادماً لسواه، تجبهه وتشنؤه الناس، ولا يرعاه سائر الأجناس، لا يقدر على نفع نفسه فضلاً عن الغير، ولا يستطيع دفع ما ينزل به من مساءة وضير، عجزاً وشقاء ونحوها واختفاء، وينزع نعت الملك ممن تهابه أسد الشرى في غيلها، وتخضع لجلالته، عتاة الأبطال يقظتها وقظيظتها، وتخضع لخزوانة سلطانه حماة الحكمة بجمعها وجميعها، وتذل لسطوته ملوك الجبابرة وأقياها، ويأتمر بأوامره العساكر الكثيرة العدد، ويقتدى بعوائده الخلائق مدى الأبد. والحمد لله على حالتي منعه وعطائه، وابتلائه وبلائه، وسزائه وضرائه، ونعمه وبأسائه، أهل الثناء والمجد، ومستحق الشكر والحمد، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون)؛ ولا إله إلا الله الواحد

(١) لا توجد هذه الجملة بعد البسمة في ب (ص ٢ ب)، وإنما يوجد بدلها "وما توفيقه إلا بالله عليه توكلت

وإليه أنيب" . (راجع المقدمة) . (٢) في س "توتى الملك من تشاء" بدون همز (راجع المقدمة) .

(٣) الحد هنا البأس، والحديد الشديد . (٤) هذه الكلمة غامضة في س، وليس لها وجود في ب (ص ٢ ب) .

(٥) كذا في س، ب (ص ٢ ب) . والوارد في معاجم اللغة قضاها وقضيضها بالضاد، والقض الحصى الصفار والقضيض الكبار، والمعنى أنهم يخضعون جميعاً .

(٦) في س لخزوانة . وليس لهذا اللفظ بالحاء وجود في المعاجم،

أما الخزوانة بالحاء فعناها الكبر كما في المحيط في مادة خنز . (٧) في س ناموامره . (٨) في س البنا .

الأحد ، الفرد الصمد ، الذي (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) ، والله أكبر
 (لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) ، ولا تدرك من عظمتها العقول إلا ما أخبر به عنه
 الرسل والأنبياء . وُصلي الله على نبيِّ محمد الذي أذهب به دول أهل الشرك من الأكاسرة ،
 ومحا بشريعته عظماء الروم الفياصرة ، وأزال بملته الأصنام والأوثان ، وأحمد بظهوره بيوت
 النيران ، وجمع له أسود العرب وقد كانت في جزيرتها متفرقة ، ولم يركنه شعثها بعد ما غبرت
 زماناً وهي متمزقة ، (١٤) وألّف قلوبها على موالاته وطاعته ، وحبب اليها المبادرة إلى مبايعته
 على الموت ومتابعته ، فنواصلوا بعد القطيعة والتدابير ، وتحابوا في الله كأن لم ينشأوا على البغضاء
 والتنافر ، حتى صاروا باتباع ملته ، والاقتراء بشريعته ، من رعاية الشاء والبعير ، إلى سياسة
 الجمل الغفير ، وبعد اقتعاد سنّام الناقة والقعود ، وملازمة بيت الشعر والعمود ، وأكل
 القيصوم والشيح ، ونزول القفر الفسيح ، إلى ارتقاء المنابر والسريز ، وتوسد الأرائك على
 الحرير ، وارتباط المسومة الجياد ، واقتناء ما لا يحصى من الخدم والعنّاد ، بما فتح الله عليهم
 من غنائم ملوك الأرض ، الذين أخذوهم بالقوة والقهر ، وحووا ممالكهم بتأييد الله لهم
 والنصر ، وأورثوها أبناءهم وأبناء أبنائهم ، وأحفادهم وأحفاد أحفادهم . فلما خالفوا ما جاءهم
 به رسولهم من الهدى ، أحلهم الرزايا المجيحة والردى ، وسلط عليهم من رعاغ الغوغاء وآحاد
 الدهماء من أحقهم بعد الملك بالهك ، وحطّهم بعد الرفعة ، وأذلم بعد المنعة ، وصيرهم من
 رتب الملوك إلى حالة العبيد المملوك ، جزاء بما اجترحوا من السيئات ، واقترفوا من الجائر
 الموبقات ، واستحلوا من الحرمات ، واستهواهم به الشيطان من اتباع الشهوات ، واعتبر
 أولو البصائر والأفهام ، ويخشى أهل النهى مواقع تقم الله العزيز ذي الانتقام ، لا إله إلا
 هو سبحانه .
 (٢)

(١) في هامش من العبارة التفسيرية الآتية : " الجمل الغفير الجماعة ، أى ساسوا الناس جميعاً " .
 (٢) في هامش من العبارة الآتية : " روى وكيع عن كامل أبي العلاء عن حبيب بن ثابت عن عبيد الله بن
 عبد الله بن عتبة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا معشر قريش ، إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى
 تحدثوا أعمالاً تخرجكم منه ، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه ، فالتحروم كما يلتحق القضيبي " .

أما بعد ، فإنه لما يسر الله وله الحمد ، بإكمال كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط ، وكتاب اتعاظ الخلفاء بأخبار الخلفاء ، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء ، وما كان في أيامهم من الحوادث والأخبار ، منذ فتحت وإلى أن زالت الدولة الفاطمية وانقرضت ، أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلاطين المماليك التركية والجركسية ، في كتاب يحصر أخبارهم الشائعة ، ويستقصى أعلامهم الذائعة ، ويحوى أكثر ما في أيامهم من الحوادث والمجريات ، غير معتنٍ فيه بالتراجم والوفيات ، لأنني أفردت لها تأليفاً بديع المثل بعيد المنال ، فألفت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل ، وسميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . والله أستعين فهو المعين ؛ وبه اعتضد فيما أريد وأعتمد ، فإنه حسبي ونعم الوكيل .

(ب) ذكر ما كان عليه الكافة قبل قيام ملة الإسلام

اعلم أن الناس كانوا بأجمعهم ، قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ما بين عربي وعجمي ، سبع أمم بكارهم : الصين وهم في جنوب مشرق الأرض ، والهند وهم في وسط جنوب الأرض ، والسودان وهم جنوب مغرب الأرض ، والبربر وهم شمال مغرب الأرض ، والروم وهم في وسط شمال الأرض ، والترك وهم في شمال مشرق الأرض ، والفرس وهم في وسط

(١) ليس بدار الكتب الملكية المصرية نسخة من هذا الكتاب . على أنه موجود بمكتبة الدولة ببرلين ، ضمن مجموعة

خطية رقمها ٩٨٤٥ ، في الجزء التاسع ص ٣٢٦ من كالج المخطوطات العربية بها . وأرقم المخطوط في هذه المجموعة ٥٦ .

(٢) طبع لأول مرة من نسخة وحيدة سنة ١٩٠٩ بالقدس الشريف . وقد كتب له ناشره دوجو بونز (Hugo Bunz)

مقدمة .

(٣) يقصد المؤلف بهذا كتاب المقفى الذي أراد تأليفه في تراجم حكام ومشوري مصر في ثمانين مجلداً ، ولكنه

لم ينجز منه سوى ستة عشر ، ومن هذه ثلاثة بخطه محفوظة في مكتبة ليدن بهولندا تحت رقم ١٠٣٢ ، وجزء واحد آخر منها

في باريس بالمكتبة الأهلية بالقسم العربي رقم ١١٤٤ ، وربما قصد المقرئ بهذا كتاب درر العقود الفريدة في تراجم

الأعيان المقيدة الذي لم ينجزه كذلك . غير أن هذا الكتاب الثاني كان مقصوداً على تراجم المعاصرين ، والجزء الأول منه

المشتمل على الأسماء من حرف الألف إلى حرف العين موجود بمكتبة مدينة جوتا (Gotha) بألمانيا تحت رقم ١٧٧١ .

انظر (Enc. Isl. Art : Makrizi) .

هذه الممالك ، قد أحاطت بهم هذه الأمم الست ^(١) . وكانت الأمم كلها في قديم الدهر ، قبل ظهور الشرائع الدينية ، صنفا واحداً مسمين باسمين سمنين ^(٢) وكلدانيين ^(٣) ، ثم صاروا على خمسة أديان ، وهي الصابئة ، والمجوس ، والذين أشركوا ، واليهود ، والنصارى .
فأما الصابئة فإنها التي تعبد الكواكب ، وترى أن سائر ما في العالم السفلى المعبر عنه بالحياة الدنيا ناشئ وصادر عن الكواكب ، وأن الشمس هي المفيضة على الكل . وهذا الدين أقدم هذه الأديان ، وبه كان يدين أهل بابل من الكلدانيين ، وإليهم بعث الله نوحاً وإبراهيم ، صلوات الله عليهما ، وكانت الصابئة تتخذ التماثيل من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وتعبدها ، فتصلي إليها وتقرب لها القرابين ، وتعتقد أنها تجلب النفع وتدفع السوء . وبقيت منهم بقايا بأرض السواد من العراق وبحرّان والرها ، أدركوا الإسلام وعرفوا بالنبط ^(٤) وبالخرنانيين ، ولم يبق لهم إذ ذاك ملك منذ ظلمهم فارس ، فلما كانت أيام المأمون أسقطوا عن أنفسهم اسم الكلدانيين ، وتسموا بالصابئين .

وأما المجوس فإنهم الذين يقولون بإلهين اثنين ، أحدهما فاعل الخير وهو النور ، والآخرفاعل الشر وهو الظلام ، ويقال لهم الثنوية أيضاً ، واتخذوا لهم بيوت نيران لا تزال تقد أبداً ،

(١) هذا التقسيم مخالف لما تواتر في كتب جغرافي العرب ورياضيهم كياقوت (انظر معجم البلدان : ج ١ ، ص ٢٥ - ٣٥) . وقد اتبع المقرئ هنا التقسيم المذكور القائم على تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم يقع السابع وهو فارس والبلاد الإيرانية في وسطها . (Blochet : Hist. d'Ég. P. 59, N. 1.) .

(٢) كذا في س ب وهي مترجمة إلى (Samanéens) في (Blochet : Op. cit. P. 60) . ويفسر هذه القاموس الفرنسي (Gra. Dict.) بأنها اسم أطلقه كتاب اليونان على بعض معتكفة الهنود تميزاً لهم عن المترطين . وعلى هذا تكون بضم السين نسبة إلى معبد بلدة سمنات الذي كان قائماً بشاطئ شبه جزيرة كتياروار بالهند (Enc. Isl. Art. Sūmānāt) . ولم يكن مذهب السمنين مقصوراً على الهند ، بل كانت خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام في القديم على هذا المذهب ، وقد عرف أيضاً بين المسلمين في العصر العباسي . (أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص ٢٤١ - ٢٤٢) . على أن هذا كله لا يوضح عبارة المقرئ ، وقد ورد في الخوارزمي (مفاتيح العلوم ، ص ٢٥) "وكان الناس على وجه الدهر سمنين وكدانيين ، فالسمنيون هم عبدة الأوثان ، والكدانيون هم الذين يسمون الصابئين ..." .

(٣) في س كلدانيين بالذال ، وقد وردت أيضاً في نفس الصفحة بالذال وهي القراءة المتواترة .

(٤) نسبة إلى بلدة حرّان الواقعة في الجنوب الشرقى من مدينة الرها . وقد ساق ابن النديم هذه النسبة في كتابه (ابن النديم : كتاب الفهرست ، ص ٣١٨ ؛ والخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٢٥) .

وكانت إلى هذه النيران صلواتهم وقرابينهم ، ويعتقدون فيها النفع والضرر . وعلى هذا الاعتقاد كانت الأكاسرة ملوك فارس بالعراق . وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام كسرى أنوشروان . وأزاله العرب ملكهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وملكوا منهم المدائن وجلولاء وغيرها ، وقتل يزيدجرد آخر ملوكهم في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولم يبق بعده قائم من الأكاسرة ، وتمزق الفرس وذهب ملكهم إلى اليوم . وقد تقدم في كتاب عقد جواهر الأسفاط ذكر ملوك الفرس فراجعه .

وأما الذين أشركوا فإنهم وإن وافقهم الصائبة والمجوس في عبادة التماثيل والنار من دون الله ، فإن العرب الذين بعث الله فيهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يقال لهم المشركون سمة لهم ، واسما لزمهم . وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والطواغيت من دون الله ، فيسجدون ويصلون ويدبحون الذبائح لتماثيل عندهم ، قد اتخذوها من الحجر والخشب وغيره ، ويزعمون أنها تجلب لهم النفع ، وتدفع عنهم الضرر . ويعتقد المشركون مع ذلك (١٥) أن الله سبحانه هو الذي خلقهم ، وهو الذي وجدهم ثم يميتهم ، وهو الذي يرزقهم ، وأن عبادتهم للأصنام وسيلة تقربهم إلى الله سبحانه . وكانوا إذا مسهم الضر في البحر من شدة هبوب رياحه وعظم أمواجه ، وأشرفوا على الهلاك ، نسوا عند ذلك الأصنام التي كانوا يعبدونها ، ودعوا الله يسألونه النجاة . وقد محى الله ، وله الحمد ، نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، الشرك من العرب حتى دخلوا في دين الله أفواجا ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، إلى أن ظهر دين الإسلام بهم على سائر الأديان ، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها مما تطوّه الدواب ، وتمر فيه السفن . وقد ذكرنا أيضا في كتاب عقد جواهر الأسفاط قبائل العرب وبطونها ذكرا شافيا فتأمله .

وأما اليهود فإنهم أتباع نبي الله موسى بن عمران ، صلوات الله عليه ، وكتابهم التوراة . وكلهم أبناء إبراهيم الخليل ، ويعرفون أيضا بنبي إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، صلوات الله عليهم . وكانوا اثني عشر سبطا ، وملكوا الشام بأسره إلا قليلا منه إلى أن زالت

(١) في س الطواغيت بالتاء .

دولتهم على يد بختنصر ، ثم على يد طيطش ، وجاء الله بالإسلام وليس لهم ملك ولا دولة ، وإنما هم أمم متفرقون في أقطار الأرض ، تحت أيدي النصارى . وقد ذكرنا أيضا جميع ملوكهم في كتاب عقد جواهر الأسفاط .

وأما النصارى فانهم أتباع نبي الله المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه ، وكتابهم الإنجيل ، وجاء الله بالمسيح إلى بني اسرائيل فكذبوه إلا طائفة منهم . ثم انتشر دينه بعد رفعه بدهر ، فدخل فيه الروم والقيبط والحبشة وطائفة من العرب ، وما زالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام ، فقاتل المسلمون من الصحابة والتابعين رضی الله عنهم هرقل آخر الملوك القياصرة وأتباعه حتى ملكوا منه بلاد الشام وأرض مصر ، وأخرجوه إلى جزائر البحر . ثم قاتل المسلمون القوط والجلالقة ، وملكوا منهم إفريقية والأندلس وسائر بلاد المغرب ، وتابعوا الحرب والقتال للروم حتى اقضى ملكهم ، وقام من بعدهم الإفرنج . وقد ذكرنا في كتاب عقد جواهر الأسفاط . وفي كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جملة من حروب الروم والفرنج للمسلمين . وإلى وقتنا هذا ملوك الفرنج ورعيتهم ، وملوك أكثر بلاد الحبشة ورعيتهم ، يدينون بدين النصرانية .

فهذه ، أعزك الله ، ديانات أهل الأرض عند (هـ ب) مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت الممالك يومئذ على خمسة أقسام : مملكة فارس ويقال لمن ملك منهم كسرى ، ومملكة

(١) بختنصر واسمه في المراجع الأوربية نبوخاد رزار (Nebuchadrezzar) ، هو ملك بابل من ٦٠٤ إلى ٥٦١ ق . م . وقد خربت جيوشه بيت المقدس عاصمة اليهود مرتين ، سنتي ٥٩٧ و ٥٨٦ ق . م . أما طيطش (Titus) فهو إمبراطور الدولة الرومانية من ٧٩ إلى ٨١ م ، وكان قبل ذلك أحد القواد المهرة في الدولة ، وعلى يديه فتح بيت المقدس سنة ٧٠ م ، في حكم أبيه الإمبراطور فسباسيان (Vespasian) . وقد كان طيطش وأبوه قبل أن يصبح إمبراطورا ، يشتركان في حرب اليهود منذ أواسط القرن الأول الميلادي .

(Rappoport: History of Palestine, PP. 170, 216-218).

(٢) نسبة إلى جهات جليقية (Galicia) في الشمال الغربي من شبه جزيرة إيبيريا . وقد ساق هذه النسبة ياقوت في معجم البلدان (راجع ج ١ ، ص ٣٧٦ وج ٢ ، ص ١٩٠) . والجلالقة نسبة جغرافية إلى هذه الجهات ، أما من حيث الجنس فعظم سكان جليقية أيام الفتح الإسلامي للأندلس هم عنصر السويقي (Suevi) ، وقد حلوا فيها منذ سنة ٤١١ م ، وأسسوا بها مملكة عاشت حتى سنة ٥٨٥ م ، حين قضى عليها القوط فاستعالت ولاية قوطية تابعة . (Camb. Med. Hist. Vol. II, pp. 170, 259.)

الروم ويُقال لملكها قيصر، وكانت الحرب لا تزال بين الروم وفارس وببيدهما أكثر المعمور، ومملكة الترك وكانت ملوكهم تحارب ملوك الفرس، ولم يكن لهم قط فيما بلغنا من أخبار الخليقة غلبة على الممالك، ومملكة الهند وحسب ملوكهم ضابط بما بيدها فقط، ومملكة الصين، وأما بنو حارم من الحبشة والزنج والبربر فلم يكن لهم ملك يُعتد به.

ذكر القائمين بالملة الإسلامية من الخلفاء

اعلم أن الله بعث نبينا محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلى الله عليه وسلم، على رأس أربعين سنة من عمره، فدعا قومه من قريش بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر من مكة إلى المدينة فأقام بها عشر سنين، وتوفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة، وقد ذكرنا جملة سيرته في أول كتاب عقد جواهر الأسفاط. فقام بعد وفاته، صلى الله عليه وسلم، بأمر الإسلام والمسلمين، الخلفاء الراشدون مدة ثلاثين سنة، وعدتهم خمسة: هم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واسمه عبد الله بن عثمان أبي خُفافة مدة سنتين وثلاثة أشهر غير نحس ليل، وعمر بن الخطاب بن نُفيل العدوي مدة عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وعثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مدة اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، وقيل إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما، وقيل ثمانية عشر يوما، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم مدة أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، وقيل ثلاثة أيام، وقيل أربعة عشر يوما، والجمن بن علي بن أبي طالب مدة خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وقيل ستة أشهر، وبه تمت أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. وصارت الخلافة ملكا عَضُوضًا، أي فيه عسف وعنف، وانتقل الأمر إلى بني أمية. وأول من ولي منهم معاوية بن أبي سفيان، واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ومدته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر إلا أياما. وقام من بعده ابنه يزيد بن معاوية مدة ثلاث سنين وبعثة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل غير ذلك، وليس بشيء. فولى بعده معاوية بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر، وقيل أربعين يوما. وقام بعد يزيد

أيضا عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بالمجاز، وخالف عليه مروان بالشام، فكانت مدة ابن الزبير إلى أن قتل بمكة تسع سنين. وقام بعد معاوية بن يزيد بالشام مروان بن الحكم بن أبي العاصي (١٦) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، مدة عشرة أشهر. وقام من بعده ابنه عبد الملك بن مروان، واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفي على حرب عبد الله بن الزبير فقتله، وأقام عبد الملك بعد قتله ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال. وقام بعده ابنه الوليد بن عبد الملك مدة تسع سنين وسبعة أشهر. وقام بعده أخوه سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وقيل إلا خمسة أيام. وقام بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم سنتين وخمسة أشهر. ثم قام بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان مدة أربع سنين وشهر وأيام. وقام بعده أخوه هشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحد وعشرين يوما، وقيل ثمانية أشهر ونصف. وكان قد اتخذ طرازا له قدر، واستكثر منه حتى كان يحمل ما أثر فيه من طرازه على سبعائة حمل. فهذه ثيابه التي لبسها، فكيف بما كان عنده مما لم يلبسه؟ فقام من بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويعرف يزيد الناقص، مدة سنة وثلاثة أشهر، وقيل وشهرين واثنين وعشرين يوما. فبويع بعده ابنه يزيد بن الوليد، وفي أيامه اضطربت الدولة، وولى مدة خمسة أشهر وأياما. فقام بعده أخوه إبراهيم بن الوليد مدة أربعة أشهر، وقيل سبعين يوما، ولم يتم له أمر. وقام بعده مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويعرف بمروان الجعدي وبمروان الحمار. وفي أيامه ظهرت دولة بني العباس، وحاربوه حتى قتلوه بأرض مصر، وله في الخلافة منذ بويع خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما. وانقرضت بمقتل مروان دولة بني أمية. وقامت من بعدها دولة بني العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف مدة خمسمائة سنة وثلاث وعشرين سنة وعشرة أشهر وأيام، فيها افتتحت كلمة الإسلام، وسقط اسم العرب

(١) في س واحد . (٢) كذا في س بهذا الضبط . وفي محيط المحيط : أثر في الشيء ترك فيه أثرا ، فاعل

المراد هنا ما استعمله الخليفة من الثياب . وقد ترجم هذا اللفظ بمعنى أثر أي اختار في (Blochet : Op. cit. P. 67.)

من الديوان ، وأُدخِل الأتراك في الديوان ، واستولت الديلم ثم الأتراك ، وصارت لهم دول عظيمة جدا ، وانقسمت ممالك الأرض عدّة أقسام ، وضار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر . وكان أول من قام من خلفاء بني العباس السفاح ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، مدّة أربع سنين وثمانية أشهر ويوم . وكان سريعا إلى سفك الدماء ، سفك ألف دم فاتبعه عماله في الشرق والغرب في فعله ، وكان مع ذلك جوادا بالمال ، فاقتدى به في ذلك عماله أيضا . ثم [ولي بعده] أخوه أبو جعفر المنصور ، واسمه أيضا عبد الله بن علي ، فأقام مدّة إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا . وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي بن أبي طالب ، وكان قبل ذلك أمرهم واحدا ، وهو أول خليفة قرب المنجمين ، وعمل بأحكام النجوم ، وأول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات ، وأول خليفة استعمل مواليه وغلمانه في أعماله ، وقدمهم على العرب ، فاقتدى به من بعده من الخلفاء ، حتى سقطت قيادات العرب ، وزالت رياستها ، وذهبت مراتبها . وكان قد نظر في العلم ، فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت علومهم . فقام بعده ابنه المهدي أبو عبد الله محمد [مدّة] عشر سنين وشهر ونصف ، وكان سخيا جوادا ، فسلك الناس في ذلك مسلكه ، واتسعوا في معاشهم ، وأمعن في قتل الملحدين لظهورهم في أيامه ، وانتشار كتبهم ، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين ، فصنفت في أيامه ، وعمر مسجد مكة والمدينة والقدس . ثم ولي بعده ابنه الهادي بالله أبو محمد موسى سنة وثلاثة أشهر ، وكان جبارا ، وهو أول من مشى الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة ، والأعمدة المشهورة ، والقيسى الموترة ، فاقتدى به عماله ، وكثر السلاح في محضره . فقام بعده أخوه ملارون بن محمد الرشيد ، مدّة ثلاث وعشرين (٦ ب) سنة [و] شهرين وثمانية عشر يوما ، وقيل وشهر وستة عشر يوما ، وكان مواظبا على الحج ، متابعا للغزو ، واتخذ المصانع والآبار والبرك والقصور بطريق مكة ، وبمكة ومنى وعرفات والمدينة النبوية ،

(١) في س ادخل بالحاء المهملة وبغير ضبط ، وفي محيط المحيط : دحل رادحل دخل في الدحل وهو النقب الذي فيه ضيق وجوفه متسع .

(٢) جمع مصنع وهو كالخوض يجمع فيه ماء المطر . والمصانع أيضا القرى والمباني من القصور والحصون (محيط المحيط) .

وعم الناس إحسانه وعدله ؛ وبني الثغور ، ومدن المدن ، وحصن فيها الحصون ، مثل
 طرسوس وأدنه ؛ وعمر المصيصة ومرعش وغير ذلك ، فاقتدى الناس به . وهو أول خليفة
 لعب بالصوالمجة في الميدان ، ورمى بالذباب في البرجاس ، ولعب بالكرة ، ولعب بالشطرنج ،
 وترب أرباب هذه الأمور ، وأجرى لهم الأرزاق ، فاقتدى به الناس . وكانت أيامه كأنها من
 حسناتها أعمراس . فبويع بعده ابنه الأمين محمد بن هارون ، وأقام أربع سنين وثمانية أشهر
 وخمسة أيام ، فقدم الخدم ، ورفع منازلهم ، وسُغِف بهم ، فاتخذت له أمه الجوارى الغلاميات ،
 فاتخذ الناس في أيامه [ذلك] . فقام من بعد أخوه المأمون عبد الله بن هارون ، مدة اثنتين
 وعشرين سنة منذ سُم عليه بالخلافة ، ومدة عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ، وقيل
 وخمسة وعشرين يوماً ، بعد قتل أخيه . وكان أولاً ينظر في أحكام النجوم ويعمل بموجبها ،
 ويكثر النظر في كتب القدماء من الحكماء ؛ فلما قدم بغداد أعرض عن ذلك كله ، وقال
 بأقوال المعتزلة ، وقرب أرباب العلوم ، وطلبهم من الآفاق ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فرغب
 الناس في العلوم الجدلية ، وصنف كل أحد فيها ما ينصر به مذهبه ؛ وكان كريماً عفواً ،
 فاقتدى الناس به في أحواله كلها . وقام بعد المأمون أخوه المعتصم بالله أبو إسحاق محمد
 بن هارون ، مدة ثمانين سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ؛ وهو أول من أدخل الأتراك
 الديوان ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يغلب عليه الفروسية ، ويتشبه بالعجم في عامة
 أحواله وقام من بعده ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون بن محمد ، مدة خمس سنين
 وتسعة أشهر وستة أيام . وفي أيامه كانت المحنة ؛ وكان كثير الأكل ، واسع الطعام . فقام
 من بعده المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ، مدة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام ؛

(١) في "واذ" ، وبقية الحروف غير ظاهر . (٢) في من بالنسب .
 (٣) كذا في من ، ب (ص ١٦) . والغلاميات الجوارى يلبس لباس الغلمان (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .
 (٤) بقية هذه العبارة لم تيسر قراءتها تماماً . على أنه من المحتمل أن تقرأ هكذا "وكان لهم إلف به ، فكثروا في ..."
 (٥) يشير المؤلف هنا إلى محنة خلق القرآن ، التي اشتد أوارها في عصر المأمون والمعتصم والواثق ، والتي كان من
 ضمهاها في عهد الواثق أحمد بن نصر (راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ١٣٤٣ — ١٣٥٠) .

وقتل الأتراك ، وتمكوا من حينئذ في ممالك الدنيا ^(١) . وهو الذي رفع المحنة ، ونهى عن الجدل وعاقب عليه ، وأمر بإظهار رواية الحديث . وأقاموا بعده ابنه المنتصر محمد بن جعفر ، مات بعد ستة أشهر تنقضي أياما . وأقيم بعده المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم ، فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما ، وخلعه الأتراك وعذبوه ، ثم قتلوه بعد تسعة أشهر من خلعه . والمستعين أول من أحدث لبس الكمام الواسعة ، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار ، وصغر القلائس وكانت قبله طوالا . وأقيم بعده المعتز بالله محمد بن المتوكل ، ثم خلعه الأتراك وعذبوه بالضرب حتى مات ، فكانت خلافته مدة ثلاث سنين وستة أشهر وواحد وعشرين [يوما] ، وقيل وأربعة وعشرين يوما . وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب ، — وكان من قبله من خلفاء بني أمية وبني العباس يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق — واتخاذ السيوف والسروج واللجم ، فلما ركب المعتز بحلية الذهب تبعه الناس في فعل ذلك . وأقيم بعده المهتدي بالله محمد بن الواثق ، ثم قتله الأتراك بعد أحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما . وأقيم بعده المعتمد بالله أحمد بن المتوكل ، فغلبه الأتراك ، واستبد عليه أخوه الموفق بالله أبو أحمد طلحة ، وخرج في أيامه صاحب الزنج ^(٤) ، فخاربه الموفق أعواما كثيرة . ثم مات [الموفق] بعد قتله صاحب الزنج ، فاختلفت أمور المعتمد وقُتل ، وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما . وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به . فقام من بعده المعتضد أحمد بن الموفق طلحة واستبد بالأمر ، وخرجت القرامطة في أيامه ، ومات وله في الخلافة مدة عشر سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام ، وقيل تسع سنين وسبعة

(١) إزاء هذه العبارة في س هامش على ورقة مفصلة ، وهو يشتمل على آراء متعددة في أصل بني بويه . ويظهر أن لاصق هذه الورقة قصد أن يضعها تجاه ما ورد في الكتاب عن دولة بني بويه ، ولهذا الاحتمال أرجح إيراد هذا الهامش حتى يجي . ما في صلب الكتاب عن هذه الدولة (انظر ص ٢٣) .

(٢) "الكمام جمع كمة وهي نزع من القلائس" . عن هامش بهذا الضبط في س .

(٣) في س واحد . (٤) أطلقت هذه التسمية على زعيم تلك الثورة العلوية ، وهو علي بن محمد بن

عبد الرحيم ، لأنه "جمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ" بالبصرة (راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ، ص ١٧٤٣ — ٢١٠٣) .

أشهر واثنين وعشرين يوما . ولما مات كفن في ثوبين قيمتهما ستة عشر قيراطا . فولي بعده ابنه الميكتفى بالله علي ، وجد في حرب القرامطة وهزمهم ، وأزال دولة بني طولون من مصر والشام ، ومات وله مدة ست سنين وستة أشهر وستة عشر [يوما] ، وقيل تسعة عشر يوما . فأقيم من بعده أخوه المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد ، وعمره ثلاث عشرة سنة (١) وشهران وثلاثة أيام ، لم يبلغ الحُلم . (١٧) وهو أول من ولي الخلافة من الصبيان ، فغلبت على أموره النساء والخصيان ، وأكثر من قتل الوزراء وتغييرهم ، فاضطربت عليه الأمور ، فلم يقم غير أربعة أشهر . وخلع بعبد الله بن المعتز ، ثم قتل ابن المعتز بعد يوم وليلة . وأعيد المقتدر ، وخرجت القرامطة في أيامه ، وأخذوا الحجر الأسود من الكعبة إلى بلادهم ، وخرج عليه أيضا الديلم ، وظهر عبيد الله الأهدى بإفريقية ودعا لنفسه ، وقطع دعوة بني العباس من بلاد المغرب وبرقة . ثم إن المقتدر خلع مرة ثانية ، وأقيم بدلَه القاهر بالله محمد بن المعتضد . ثم أعيد المقتدر ، وغلب عليه أصحاب الدواوين ، ولم يجعلوا له أمرا ينفذ ، وصارت تُحمل القهرمانه إحدى جواريه تجلس للظالم ، ويحضرها الوزراء والقضاة والفقهاء . وفي أيامه انقطع الحج ، وكثر الهزل والمجون ، وآخر أمره أنه قتل بعد ما أقام في الخلافة أربعاً وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام ، وقيل واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، عند ما خرج على الجند وقد شغبوا وهو متشح بالبردة النبوية ، فقتل وتلوث بالدم . فقام من بعده القاهر بالله محمد بن المعتضد ، ثم خلع وحُكِلَ بمسار ، وقد حُمي في النار مرتين ، حتى سألت عيناه ، بعد سنة وستة أشهر وثمانية أيام . وآل أمره أن كان يقوم يوم الجمعة بالجامع ، ويسأل الناس فيقول : "يا معاشر الناس ، أنا بالأمس كنت خليفتم ، واليوم أسألكم ما في أيديكم" ، فيتصتق عليه . وقام من بعده في الخلافة الراضى بالله محمد بن المقتدر ، وفي أيامه استولى الروم على عامة الثغور ، وكان مغلوبا عليه مع مواليه ، لا يقدر على شيء ، ومات بعد ست سنين وعشرة أشهر وعشرة

(١) في س وشهرين . (٢) في س "واستز" . (٣) ضبط هذا الاسم هكذا نقلا عن ناشر

ابن مسكويه (القسم الأخير من كتاب تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٨٤) . راجع أيضا الجزء الأول من الترجمة

الإنجليزية للكتاب عنه ، ص ٩٣ ، حيث يرد اسم هذه القهرمانه مترجما (Thumal) .

أيام ، وقيل وتسعة أيام من خلافته . والراضي آخر خليفة له شعر مدون ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة بنى ، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الندماء ، ووصل إليه العدماء^(١) ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه ، وعظاياه وخدمه ، وجراياته وخزائنه ، ومطابخه وشرابه ، ومجالسه وحجابه وأموره ، جارية على ترتيب الخلافة الأول ، وآخر خليفة سافر بزي الخلفاء القدماء ، وقد سافر بعده المتقى والطائع . ثم قام بعده أخوه المتقى لله إبراهيم بن المقتدر ، وكان خيرا أبدا ، وفي أيامه تغلب بنو حمدان على الجزيرة والشام ، وكثر الاختلاف عليه ، فخلعه توزون التركي ، وكحلّه كما كحلّ القاهر ، ثم حبسه مع القاهر وهما مكحولان ، فقال القاهر :

صرت وإبراهيم نَحْيَ عمي * لا بد النخين من صدر^(٢)

مادام توزون له إمرة * مطاعة فالميل في الجمر

وكان ذلك بعد ثلاث سنين وأحد عشر شهرا ، ومات بعد خلعه بخمس وعشرين سنة . وقام من بعده لما خلع^(٣) ، المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي ، فاستولت الديلم على البلاد ، ووقع الاختلاف عليه ، فقبض وكحل على يد معز الدولة أحمد بن بويه ، فكانت أيامه سنة وأربعة أشهر ويومين . وأقيم من بعده المطيع لله الفضل بن المقتدر ، فأقام تسعا وعشرين سنة^(٤) وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوما ، ليس له سوى الاسم ، والمدبر للأموال معز الدولة ، و[قد] فرض لنفقة المطيع في كل يوم مائتي دينار . وفي أيامه قدمت عساكر المعز لدين الله أبي تميم معد إلى مصر ، وانقطعت الدعوة العباسية من مصر والشام . وأقام [المطيع] إلى أن خلع نفسه ، وأقام ابنه الطائع لله عبس الكريم ، فمكث [الطائع] سبع عشرة سنة وتسعة أشهر

(١) في س الهندما . (٢) النخّة والنخّة البقر العوامل والحمر؛ وأما الصدر فهو مصدر من صدر، فيقال صدر فلان بعيره أي شدّ حبلا من حزامه إلى ما وراء المكرمة (محيط المحيط) .

(٣) بلى هذا هامش في س ، ولما لم تستقم عبارته تماما مع المتن روى إيرادها هنا وهو : ”فطلب [المستكفي] الفضل بن المقتدر لما بينهما من العداوة ، ففر [الفضل] إلى أحمد بن بويه ، فأواه إلى أن مات توزون ، [ثم] قدم به بغداد . وكان المستكفي يتظاهر بالتشيع وموالاة علي بن أبي طالب ، وقد كحل أيضا ، فكل صدر النخين الذي قال القاهر في شعره“ . (٤) في س تسعة . (٥) في س واحد وعشرين .

وستة أيام محكوما عليه بنى بويه، ثم خلع وحبس فقيرا ذليلا حتى مات . وكان [الظاهر] كثير الانحراف على آل علي بن أبي طالب ، وسقطت الهيبة في أيامه حتى هجاه الشعراء وطولوا . وقام من بعده القائد (٧ ب) بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، فأقام إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وقيل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ، وكان ديناً بازا [بأهله] وبالطالبين . وفي أيامه عظمت الديلم والباطنية ، واشتهر مذهب الاعتزال ، ومذاهب الباطنية والرافضة ، وانتشر ذلك في الأرض . وفي أيامه ظهر السلطان يمين الدولة محمود ابن سبكتكين ، وغزى الهند . وقام من بعده ابنه القائم بأمر الله عبد الله ، فثار عليه أرسلان البساسيري ، وصار يدعى له على منابر العراق والأهواز ، فكتب القائم إلى السلطان طغرل بك ابن ميكائيل بن سلجوق التركماني ، أول ملوك بني سلجوق ، فقدم بغداد وفر منه البساسيري بمن معه من الأتراك ، وانتمى إلى المستنصر بالله معد بن الظاهر الفاطمي صاحب مصر ، فأمدّه بالأموال حتى أخذ بغداد ، وقطع منها دعوة بني العباس ، وخطب للمستنصر بها نحو سنة ، والقائم محبوس . ثم قدم طغرل بك وأعاد القائم إلى الخلافة ، وقتل البساسيري ، وتحكم في سائر الأمور ، فلم يزل القائم في الخلافة حتى مات ، وله مدة أربع وأربعين سنة وثمانية أشهر . وكان ديناً خيراً كثير الصلاة ، إلا أنه كان كثير الإصغاء إلى من يشير عليه . فاتفق أن وزر له رجل من سوقة بغداد يعرف بابن السلة ، فحسن له مجيئ الغز ، لأنه كان منحرفاً عن الشيعة ،

(١) يمكن قراءة هذه الكلمة في س "أديبا" ، وقد اعتبرها كاتب نسخة ب هكذا (ص ١٨) . غير أن التدين هو الصفة التي امتاز بها الهاد من معظم خلفاء العباسيين ، فقد جاء فيه "أنه سلك من طريق الزهد والورع ما تقدمت فيه خطاه . فكان راهب بنى العباس حقا وزاهدم صدقا ، ساس الدنيا والدين ، وأغاث الإسلام والمسلمين" . (انظر الروذراورى : ذيل كتاب تجارب الأمم ، ص ٢٠٧) . (٢) ليست موجودة في س ، ولكنها في ب (ص ١٨) . (٣) هكذا ضبطها مارجليوث في ترجمته لكتاب ابن مسكويه (القسم الأخير من كتاب تجارب الأمم ، ج ٢ من الترجمة ، ص ١٢٠ ، وكذلك الفهرس في مادة (Sabuktakin) . أما في س فهي سبكتكين . بهذا الضبط . (٤) في س البساسيري وأحيانا بلا نقطة على الغين (راجع ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٨) . (٥) هكذا ورد في ابن الأثير (نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٣١١) ، وهو في س ميكال . (٦) كذا في س بغير ضبط ، وقد نقلها كاتب نسخة ب بتاء مفتوحة (ص ١٨) ، غير أنه ليس في وزراء القائم ، حسبما جاء في ابن الأثير ، من تسمى بهذا الاسم . وهذا ما ورد في ابن الأثير (نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٦٤ - ٦٥) : "وزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب ، وأبو الفتح بن دارست ، ورئيس الرؤساء ، وأبو نصر بن جهير... ولعل المقرزي قصد ابن دارست ، ولا سيما أنه كان في أول أمره تاجرا (نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٩) ."

فكاتبهم القائم، فلما جاء وكان من أمرهم وإمر السياسيرى ما كان . وقام من بعده المقتدى بأمر الله عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم ، فلم يكن له سوى الاسم ، لا يتعدى حكمه بابه ، والتدبير إلى ملك شاه بن عضد الدولة ، وأقام على ذلك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين ، وقيل إلا نحسة أيام . وأقيم بعده ابنه المستظهر بالله أحمد ، فأقام محكوما عليه نحسا وعشرين سنة ، وقيل أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوما ، ومات .^(١) وفي أيامه أخذ الفرنج بيت المقدس من المسلمين ، واستمر ملكهم به .^(٢) وقام من بعده ابنه المسترشد بالله الفضل بن أحمد ، وقُتِل بعد سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما . فقام بعده ابنه الراشد بالله منصور ، وخُلِع ثم قُتِل ، فكانت خلافته سنة تنقص عشرة أيام . وبويع [بعده] المقتضى لأمر الله محمد بن المستظهر ، فصفت له الدنيا ، وسعد بوزيره عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة ، وقبض على جماعة من المتغلبين ، وخرج بنفسه وحارب من ناوأه ، وأقام أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوما .^(٣) فبويع [بعده] ابنه المستنجد بالله يوسف ، وأقام إحدى عشرة سنة وشهرا واحدا ، ومات . فبويع [بعده] ابنه المستضى بأمر الله الحسن ، وفي أيامه أعيدت الخطبة العباسية بالقاهرة ومصر ، بعد انقطاعها مائتين وخمس عشرة سنة ، على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى الكردي ، (١٨) ومات [المستضى] بعد عشر سنين تنقص أربعة أشهر . فقام بعده الناصر لدين الله أحمد ، مدة ست وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما ، وفي أيامه ابتداء ظهور جنكركخان . ورؤى [الناصر] مرة وعليه [قبا] أبيض برسوم [ذهب] فيه ، وعلى [رأسه] قلنسوة مذهب مطوقة بوبر أسود من فنك أو نحوه يتشبه [بملوك] الأتراك . وقام من بعده

(١) في س واحد وعشرين . (٢) يشير المؤلف إلى ابتداء الحروب الصليبية ، والتي نتجت ، بفتح المسيحيين

ليت المقدس في ٢٣ شعبان سنة ٥٤٩٢ ، الموافق ١٥ يولييه سنة ١٠٩٩ م .

(٣) في س واحد وعشرين . (٤) هذه العبارة كلها من أول " ورؤى " إلى كلمة " الأتراك "

موجودة بهامش في " س بالزاوية اليمنى العليا من الصفحة . وبعض ألفاظها ضائع ، ولا يدل على بعضها الآخر سوى الحرف الأول ، غير أن نسخة ب (ص ٨ ب) تحوى العبارة كاملة ، ماعدا كلمة "الناصر" التي أضيفت هنا للإيضاح وما عدا كلمة " بملوك " فان كاتب نسخة ب فضل أن يقول " بزى " . أما الفنك فحيوان فروته ثمينة ، قيل هو نوع من جراء الثعلب التركي (محيط المحيط . انظر أيضا زكريا الأنصارى : شرح المنهج ، ج ٥ ، ص ٢٧١) .

ابنه الظاهر بأمر الله محمد، فأقام تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً، ومات . فقام بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور مدة سبع عشرة سنة غير شهر، وقيل خمس عشرة سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام، وفي أيامه قصد التتار بغداد، فاستخدم [الخليفة منهم] العساكر، حتى بلغت عدتها نحو مائة ألف . وقام من بعده ابنه المستعصم بالله عبد الله، فجمع الأموال، وقطع كثيراً من العساكر، فقدم التتار بغداد، وقتلوه في سادس صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة، وله في الخلافة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام . وانقرضت دولة بني العباس بزواله، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين [وثمانمائة] . فأقيم [في تلك السنة] خليفة بمصر قدم إليها من بغداد، لُقِّبَ بالمستنصر بالله أحمد بن الظاهر بن الناصر، وسار يريد بغداد فخاربه التتار وقتلوه، قبل أن تتم له سنة منذ بويج بمصر . فصار من بعده ملوك مصر الأتراك يقيمون رجلاً يسمونه الخليفة، ويقبونه بلقب الخلفاء، وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكُتاب والقضاة، لتبنتهم بالأعياد والشهور، وسيأتي ذكرهم إن شاء الله .

(١) كذا في س غير ضبط . ويكتب المؤلف هذا الاسم في سائر هذا الجزء أحياناً بالرسم الوارد هنا، وأحياناً "التتر" بغير ضبط أيضاً، وأحياناً أخرى "الططر"؛ هذا ولاسم "التتر" رسم ثالث هو "التاتار"، ولكنه غير وارد في هذا الجزء من الكتاب، وكلها أسماء لمسمى واحد . (Enc. Isl. Art. Tatar) .

ذكر دولة بني بويه الديلم^(١)

ويقال في أصل الديلم إن باسل بن ضبة بن أد بن طابجة بن إلياس بن مضرب بن نزار بن معد بن عدنان خرج مغاضبا لأبيه ، فوقع في أرض الديلم ، فتروج امرأة من العجم ، فولدت له ديلم بن باسل فهو أبو الديلم كلهم .^(٢) وهم أنخاذ وعشائر ، ومنهم ملوك بني بويه . وكان سبب ظهورهم أن الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن

(١) الديلم تسمية جغرافية للصقع الجلي من بلاد جيلان ، الواقعة في الجنوبي الغربي من بحر قزوين ، ويحده في شماله جيلان نفسها ، وفي شرقه طبرستان المعروفة أيضا بما زندان ، وفي جنوبه جهات قزوين ، وفي غربه آذربيجان . والديلم أيضا تسمية جنسية لمن يسكن هذا الصقع ، غير أن بني بويه ليسوا من الجنس الديلمي ، بل هم فرس "نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم" . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٩٧) و (Enc. Isl. Arts. Dailam and Būyids) . ويوجد هامش في مس على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٦ ب و ٧ أ يشتمل على بعض الروايات في أصل بني بويه ، وهذا نصه : "ذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، أن أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ذكر في كتابه ، الذي سماه التاجو (كذا) ، أن بويه هو ابن فناخسرو (في س فناخسره) بن ثمان بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركده بن شيرزيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرفنه بن سنان شاه بن سنن خرة بن شوزيل بن سناذر بن بهرام جور [الملك] . وذكر أبو الحسن بن علي بن نانا في كتابه ، الذي اختصر فيه أخبارهم ، أنه بويه بن فناخسرو بن ثمان ؛ ثم قال بعضهم ثمان بن كوهي بن شيرزيل الأصغر ، وأنكر بعضهم كوهي فقالوا شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرفنه بن سنان شاه بن سنن خرة بن شوزيل (في س خيره بن شوزيل) بن سناذر بن بهرام جور ؛ ثم اختلفوا في بهرام ، فمن نسبهم إلى الفرس قال هو بهرام جور وساق النسب ، ومن نسبهم إلى العرب قال هو بهرام بن الضحاك بن الأبيض بن معاوية بن الديلم بن باسل بن ضبة بن أد . وذكر في جملة الآباء لاهو بن الديلم بن باسل ، فقالوا وبهذا الاسم يسمى ولده إياهم . قال أبو الريحان [البيروني] : أول من عرف من هذه القبيلة هو بويه بن فناخسرو ، وليست تلك الأمم معروفة بحفظ الانساب ، ولا مذكورة بأنها كانت تعرف ذلك من قبل انتقال الدولة إليهم" . يظهر أن المقرئ نقل هذا كله حرفيا ، باختصار طفيف في العبارة الأخيرة فقط ، من كتاب الآثار الباقية للبيروني (أنظر منه ص ٣٨) . وقد نشر هذا الكتاب الدكتور أدوارد زخاو (Eduard Sachau) ، ونشره هو ثانيا مترجما إلى الإنجليزية ، وقد استعملت النسخة لتصحيح أسماء الأعلام وتحقيق العبارة كلها (انظر الترجمة الإنجليزية ، ص ٤٥) .

(٢) في س باسل بثلاث نقط تحت السين . وفي نسخة من كلمات متنوعة منقوطة بينها هكذا أحيانا .

(٣) هنا حاشية تفسيرية على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٧ ب ، ٨ أ . وهذا نصها ما بعد ما بين القوسين المستديرين في آخرها ، فإنه أضيف للتوضيح الامزم : — "يقال ولد ضبة بن أد بن طابجة سعد بن ضبة ، وسعد بن ضبة ، وباسل بن ضبة ، وهو أبو الديلم فيما يقال . قال هشام بن محمد الكلبي : حدثني أبي قال : خرج باسل مغاضبا لأبيه ، فتروج امرأة من العجم فولدت له ، فيقال إن الديلم ولد باسل هذا ، وهم ينسبون إليه . وقال غير ابن الكلبي : وقع بين باسل وبين أخيه سعد شر ، فافتلا فعضب [باسل] ووقع بالديلم ، فعضمه أهلها حتى عبدوا رجله إلى أن ذهبت الرجل ، وجعلوا له مثالا من طين فعبدوه ، فبعض من الديلم من ولده . (ومعنى "عضب" هو أنه قطعت رجله ، وهي الواردة في س بغير نقط ما خلا نقطة الضاد) .

أبي طالب الزيدى الأطروش^(١) دخل الديلم، وأقام نحو أربع عشرة سنة يدعواهم إلى الإسلام،
ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم، فأسلم منهم خلق كثير، وتلقب بالناصر للحق،
واجتمعوا عليه، وبنى في بلادهم مساجد، وحثهم على الخروج معه إلى طبرستان حتى أجابوه،
وقاتل [بهم] أبا العباس محمد بن إبراهيم صعلوك وهزمه، وقتل من أصحابه سبعة آلاف، وعاد
إلى آمل^(٢) ظافرا، واستولى على طبرستان في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، وعاد (٨ ب)
إلى بغداد. ومات الناصر — بعد [أن] ملك طبرستان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياما —
في شعبان سنة أربع وثلاثمائة، وله تسع وسبعون سنة. فبقيت بعده طبرستان في أيدي العلوية
اثني عشرة سنة، ثم انتقلت عنهم إلى أمراء الديلم. ولما مات الناصروني ابنه أبو الحسين،
فقدم جرجان وأقام بها، وصاحب جيشه سرخاب بن وهسودان، فكانت له حروب وأبناء مع^(٣)
عساكر السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان إلى أن مات سرخاب. فاستخلف أبو الحسين
بن الناصر بعده ما كان بن كالي^(٤) على أستراباد^(٥)، فاجتمع إليه الديلم، وقدموه وأمره على
أنفسهم، فكانت له بتلك النواحي أخبار كثيرة إلى أن قوى أبو الحجاج مرداويج بن زيار،
وقيل — مرداويج بن قافيح^(٦) — الجيلى الديلمى، وملك جرجان وغيرها من ما كان، وعاد
إلى أصفهان ظافرا. ودامت الحرب بينهما عدة سنين، فقوى مرداويج واستولى على بلد
الجبل والرّى^(٨)، وأنته الديلم من كل ناحية، فعظمت جيوشه. وكان من الديلم رجل يقال له
بويه، وكنيته أبو شجاع، متوسط الحال، وله ثلاثة أولاد: أبو الحسين على أكبرهم، وأبو على

(١) لم يذكر ابن الأثير اسم زيد بين آباء الحسن هذا (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٠).

(٢) مضبوطة هكذا في س، وكذلك في ياقوت (معجم البلدان، ج ١١ ص ٦٨). وتسمى هذه المدينة الكبيرة
آمل طبرستان، تميزا لها من آمل جيحون، المعروفة باسم آمل الشط أيضا. (٣) في س سرخاب بن

بهسودان، بغير ضبط. ولم يضبط ابن الأثير من الاميين سوى السين بالضم في سرخاب (ابن الأثير: نفس المرجع، ج ٨، ص ٩٦).

(٤) هو ابن عم سرخاب بن وهسودان (ابن الأثير: نفس المرجع، ج ٨، ص ٩٦).

(٥) في س استراباد. (٦) هذا الاسم غير واضح تماما في س، وهو وارد في ب (ص ١٩) كما أثبت هنا. وقد
رُوي عن ابن الأثير وابن اسفنديار وابن مسكويه والبيروني و (Enc. Isl. Art. Mardāwidj) ثقبه فلم يوجد
فيها. أما (Blochet: Op. cit. P. 78) فقد ترجم هذا الاسم إلى (Kafidj) مع التشكك. (٧) نسبة

إلى بلاد الجيلى أو جيلان. (٨) في س الجيلى (راجع ابن الأثير: نفس المرجع، ج ٢٨، ص ١٦٧)
و (Enc. Isl. Art. Mardāwidj).

الحسن أوسطهم، وأبو الحسين أحمد أصغرهم . وكان ينتسب إلى الفرس، ويزعم أنه أبو شجاع بويه بن فنا خسرو بن ثمان^(١) بن كوهي بن شيرزِيل الأصغر بن شيركذة^(٢) بن شيرزِيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سسناذر شاه بن سيس فيروز بن شيزوزيل بن سسناذر بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك^(٥) . فبنو بويه من قبيلة من قبائل الديلم يقال لها شيرزِيل أوندازه^(٦) . ثم إن أبا شجاع بويه رأى في منامه كأنه يبول، فخرج من ذكوه نار عظيمة اهتطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب، وتولد من تلك الشعب عدة شعب، فأضاعت الدنيا بتلك النيران، ورأى البلاد والعباء خاضعين لتلك النيران . فقصه علي منجم، فقال له : "إنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها، ويعلو ذكركم في الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب" . فقال له أبو شجاع : "أتسخر بي وأنا رجل فقير، وأولادي هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكا؟" فقال المنجم : "أخبرني بوقت ميلادهم" فأخبره، فجعل يحسب، ثم قبض على يد أبي الحسن على الذي لقب بعد ذلك عماد الدولة قبلها، وقال : "هذا والله يملك البلاد، ثم هذا من بعده"، وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن، الذي لقب بعد ذلك ركن الدولة "ثم هذا"، وقبض على يد أخيهما أبي الحسين أحمد، الذي لقب معز الدولة . فاغتاز منه أبو شجاع وقال لأولاده : "اصفَعُوا هذا فقد أفرط في السخرية بنا"، فصفَعوه وهو

(١) في س فناخسره، مضبوطة . (٢) كتب المؤلف هذا الاسم "اتمام"، والله اتبع في ذلك

ابن الأثير الذي كتبه "تمام" . (راجع حاشية رقم ٥)، ثم أصلحه إلى ما هو وارد هنا .

(٣) ورد "شيركده" في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٩٧) .

(٤) في س سسناذر في المرتين وكذلك فيزور بالزاي قبل الواو . وفي ابن الأثير (نفس المرجع والصفحة)

"هشتان شاه ابن سيس فيروز من شيروزيل بن سباد بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك ..."

(٥) تقدمت هذه النسبة الطويلة في ص ٢٣ حاشية رقم ١، مضبوطة على البيروني المنقولة عنه فراجعها، غير أن

هناك اختلافا جوهريا بين ما هو وارد هنا وبين النص السابق، ويظهر أن هذا الخلاف ناشئ عن اعتماد المقرئ، هذا،

على مرجع آخر لعله ابن الأثير . وقد قوبل هذا عليه فلوحظ اختلاف في بعض الأسماء، نبه إليه (راجع ابن الأثير :

نفس المرجع، ج ٨، ص ١٩٧) . (٦) كذا في س، وهي بالراء بدل الزاي في ب (ص ٩ ب) .

وقد ترجمت إلى (Ondarah) في (Blochet : Op. cit. P. 79) .

يستغيث (١٩) وهم يضحكون منه ، ثم أمسكوا . فقال لهم [المنجم] : " اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأتم ملوك " ، وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم . فلما خرج الديلم مع ما كان بن كالى كان أولاد أبي شجاع من جملة قواده ، إني أن استولى مرداويج على ما بيد ما كان من طبرستان وجرجان وانهزم ما كان ، قال له على والحسن ابنا أبي شجاع بويه ، وكانا ضعفة^(١) عجزه " نحن في جماعة ، وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا ، وأنت مضيق ، والأصلح لك أن تفارقك لتخف عنك مؤونتنا^(٢) ، فإذا صلح أمرك عدنا اليك " . فأذن لها فسارا إلى مرداويج ، واقتدى بهما جماعة من قواد ما كان وتبعوهما . فأقبل عليهم مرداويج ، وخلع على ابني بويه ، وقد عماد الدولة على بن بويه كرج ، فأحسن السيرة وافتتح قلاعا ظفر منها بدخائر كثيرة ، فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس . فاستوحش منه مرداويج ، واستدعاه فدافعه ثم سار [عماد الدولة]^(٣) من كرج إلى أصبهان ، وقاتل المظفر محمد بن ياقوت وهزمه ، وملك أصبهان يوم الأحد الحادى عشر من ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . فعظم في أعين الناس ، لأنه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف . وبلغ ذلك الخليفة القاهر بالله محمد بن المعتضد فاستعظمه ، وخاف مرداويج عاقبته ، فأخذ يتحيل في أخذه . وأخذ بن بويه أيضا أرجان من أبي بكر بن ياقوت ، في ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقوى بها . وبعث أخاه ركن الدولة الحسن ، فأخذ كازرون . ثم ملك [عماد الدولة] شيراز في جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين ، فلما ملك شيراز ودارس كتب إلى الخليفة الراضى بالله محمد بن المقتدر ، وقد أفضت إليه الخلافة ، وإلى وزيره أبي على محمد بن على بن مقله ، يعرفهما أنه على الطاعة ، ويطلب أن يقاطع على ما بيده من البلاد ، وبذل ألف ألف درهم ، فأجيب إلى ذلك . وسُيرت له الخلع واللواء ، فلبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ، وءالط

(١) مضبوطة هكذا في س . (٢) في س مؤونتنا ، وهي في ابن الأثير مؤونتنا (نفس المرجع) ، ج ٨ ،

ص ١٩٩ . ويظهر أن مرجع المقرئ فيما كتبه هنا عن بنى بويه ، هو كتاب الكامل لابن الأثير (نفس المرجع) ،

ج ٨ ، ص ١٩٧ وما يليها . (٣) أضيف ما بين القوسين نقلا عن ابن الأثير (نفس المرجع) ، ج ٨ ،

ص ٢٠٤ . (٤) في س انى .

الرسول بالمال^(١)؛ فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين . وعظم شأنه ، وقصده الرجال من الأطراف ، فقام مرداويج وقعد ، فقدر الله قتله على يد غلماناه ، يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . وسار أكثر أصحابه إلى ابن بويه ، ومضى كثير منهم إلى بيجم^(٢) فقدم [بهم] بغداد . ثم سار عماد الدولة بن بويه إلى كرمان في سنة أربع وعشرين ، وكانت له بها حروب ظفرفيها . ثم قدم عليه أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي في سنة ست وعشرين ، وأطمعه في العراق والاستيلاء عليه ، فسار وملك عدة بلاد ، وسير أخاه ركن الدولة على عساكر ، وكانت لهما أنباء وقصص . وجرى في (٩ ب) بغداد حوادث عظيمة آلت إلى مسير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه إلى بغداد ، في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، فخاربه أمير الأمراء توزون في ذي القعدة ، وهزمه عن بغداد . فلما مات توزون قدم [معز الدولة] بغداد ، واستولى عليها في يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . قال الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقلة : "إني أزلت دولة بني العباس وأسلمتها إلى الديلم ، لأنني كاتبت الديلم وقت إنفاذي إلى أصبهان ، وأطمعتهم في سرير الملك ببغداد ، فإن اجتنيت ثمرة ذلك في حياتي ، وإلا فهي تجتني بعد موتي" ، فكان كما قال . ولما ملك معز الدولة بغداد خلع الخليفة المستكفي بالله عبد الله ، ونهب الديلم دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء ، وأقام المطيع لله الفضل بن المقتدر ، ولم يجعل له أمرا ولا نهيا . ولا رأيا ، ولا مكنه من إقامة وزير ، بل صارت الوزارة إليه يستوزر لنفسه من يريد ، وشنع هو والديلم على بني العباس ، بأنهم غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها . وأراد معز الدولة إبطال دعوة بني العباس ، وإقامة دعوة المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي ، حتى رجعه أصحابه عن ذلك . وبعث نوابه فتسلموا العراق ، ولم يبق بيد الخليفة منه شيء البتة ، إلا ما أقطعه مما لا يقوم ببعض حاجته ، وملك البصرة والموصل وعامة البلاد . ومات عماد الدولة

(١) كانت تعليمات الرسول ألا يسلم الخلع أو اللواء إلا بعد قبض المال ، فلما وصل خرج عماد الدولة إلى لقائه ،

وطلب منه تسليمها ، فذكر له الشرط ، فأخذها منه قهرا . (ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ٨ ، ص ٢٠٧) .

(٢) مضبوطة هكذا في س . (٣) مضبوطة هكذا في س .

أبو الحسن علي بن بويه بمدينة شيراز في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وعهد إلى ابن أخيه عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، فكانت مدة إمارته ست عشرة سنة، ولم يترك غير بنت واحدة. وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الأمراء، فلما مات صار أخوه ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه أمير الأمراء. وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد هو المستولى على العراق والخلافة، وهو كالثائب عنهما إلى أن مات ببغداد، لثلاث عشرة بقية من ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة، فكانت مدة ملكه لبغداد إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ويومين. وقام من بعده ابنه عز الدولة أبو منصور بختيار، فسار إليه ابن عمه عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة في سنة أربع وستين، وقبض عليه ثم أطلقه، وضرب عليه الجند، وعاد من بغداد. فمات ركن الدولة لخمس بقين من المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة، واستخلف على ممالك ابنه عضد الدولة، فسار إلى العراق ثانيا وأخذ بغداد من بختيار، وخطب له بها، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد سوى الخليفة. وضرب [عضد الدولة] أيضا على باب الطبول ثلاث نوبات، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه، ونعت الملك السيد شاهنشاه الأجل المنصور ولي النعم تاج الملة عضد الدولة أبا شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن ثمان بن كوهي. وقُتل بختيار في الحرب لاثنتي عشرة بقية من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وستة أشهر. وعظم أمر عضد الدولة (١١٠) إلى أن مات لثمان خلون من شوال سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة، ومدته منذ مات عمه عماد الدولة بفارس أربع وثلاثون سنة، ملك منها ببغداد خمس سنين وستة أشهر

(١) في من فناخسره، وبغير ضبط هنا وفيما يلي . (٢) توجد في من عبارة مكلمة هي : "حتى زال

ملكه"، ولكنها مشطوبة . (٣) في هامش من الجملة : "فقر بختيار"، وهي ليست متسقة مع عبارة المتن، ولا سيما أن المؤلف لم يشر كعادته إلى المكان المناسب لها . غير أنه أدبها كاتب نسخة ب (ص ١٠ ب) قبل عبارة

"وخطب له بها" . (٤) مضبوطة في من "ونعت الملك السيد ... المنصور" بضم الآخر .

(٥) في من "أبو شجاع" . (٦) في من تمام . انظر ص ٢٥ ، حاشية رقم ٢ .

واربعة أيام . فقام من بعده ابنه صمصام الدولة أبو كاليبجار المرزبان ببغداد ، أربع سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً . وغلبه أخوه شرف الدولة أبو الفوارس شيرزِيل ، في رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، ثم سَمَّه وقام بالأمر ، فلقبه الخليفة الطائع بشرف الدولة وزين الملة . ومات [شرف الدولة] بعد سنتين وثمانية أشهر وأيام ببغداد ، في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . فملك بعده أخوه بهاء الدولة أبو نصر^(٢) خره فيروز بن عضد الدولة ، ولقبه الطائع بهاء الدولة وضيء الملة ، ثم زاد القادر في ألقابه غياث الأمة شاهنشاه ، ثم زاده قوام الدين ونقله عن مولى أمير المؤمنين إلى صهفي ، أمير المؤمنين ، ومات بأرجان في خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة ، فكانت مدته اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وقام من بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع فنا خسرو ، فكانت أيامه ببغداد — سنة واحدة وستة أشهر تنقص ثلاثة أيام — على انزعاج ، لكثرة مطالب الأتراك ،^(٣) فخرج [منها] ،^(٤) وقد رتب أخاه مشرف الدولة أبا علي الحسن ، وسار إلى الأهواز ، واستقر مشرف الدولة في ملك العراق خمس سنين وشهرين وأياما . ومات سلطان الدولة بفارس ، لأربع بقين من شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فكانت إمارته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وأياما . ومات بعده أخوه مشرف الدولة ببغداد ، لثمان بقين من ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة ، فسار [أخوهما] جلال الدولة أبو طاهر فيروز خره بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد ، باستدعاء الخليفة القادر ، لما حصل في بغداد من مصادرات الأتراك للناس ، فلما قدمها تلقاه القادر ولقبه ركن الدين جلال الدولة . وفي أيامه المحل امر الخلافة

(١) كذا في من غير ضبط ، ولم يضبط ابن الأثير شيئا من هذه الأسماء . (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٦) .
غير أن كاتب نسخة ب (ص ١١١) أورد اسم كاليبجار بالنون بدل الياء فأصبحت " كاليبجار " ، وتبعه في ذلك (Blochet) فترجم الاسم كله إلى (Šamsām - ad - Daūlah - Abou - Kalandjār - Al - Merzebān) .
راجع (Ibid : Op. cit., P. 82.)

(٢) في ص "خسر" دائما . (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٧٤) .

(٣) بل هذه الكلمة إشارة إلى هاشم غير متعمق مع المتن ، فروى إيرادها هنا وهو : "وضرب [سلطان الدولة] الطبول على بابيه في أوقات الصلوات الخمس" . (٤) في ص "وخرج" (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٤٤) .

والسلطنة ببغداد ، وانطلقت الأيدي ، وعجز جلال الدولة عن إقامة الأخر إلى أن مات ، في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فكانت مدته ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا . فاستدعى الجند ابنه الملك العزيز أبا منصور نحره فيروز ، فلم ينتظم له أمر ، واستنجد بالملوك فلم يجده ، فكتب عسكر بغداد عز الملك أبا كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة أبي نصر نحره فيروز بن عضد الدولة ، ولقبه الخليفة القائم بأمر الله شاهنشاه عز الملك ، وحملت إليه الخلع واللواء وخطب له ، فسار وقدم بغداد ، ومات سنة أربعين وأربعمائة . وملك [بعده] ابنه الملك الرحيم (١٠ ب) أبو نصر نحره فيروز بن عز الملك ، وكان [عز الملك] قد سار إلى كرمان ، فهلك في طريقه لأربع سنين من ولايته . فقام من بعده ببغداد الملك الرحيم بمبايعة الجندله ، وثار في أيامه الأمير أرسلان البساسيري وملك بغداد ، ثم قدم طغرل بك والسلجوقية ، وقبض على الملك الرحيم وسجنه حتى مات . فكانت عدة من ملك بغداد من بني بويه أحد عشر ، ومدتهم ببغداد إلى أن انقضوا على يد السلجوقية مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، أولها يوم وصل معز الدولة إلى بغداد ، وأخرها يوم وصول طغرل بك ببغداد ، ومدتهم منذ ملك عماد الدولة بلاد فارس مائة وخمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام .

ذكر دولة السلجوقية

وكان ابتداء أمر السلجوقية أنهم أخلاط من الترك ، كانوا يصيغون في بلاد البلغار ويشتون في تركسيان ، وينهبون ما طرقوه . وكان من مقدمهم رجل يقال له دقاق^(٤) ، فولد له سلجوق فنجب ، وقدمه بيغو ملك الترك ، فقوى وكثر جمعه فخافه بيغو ، فخرج [سلجوق] بجموعه

(١) أضيف هذا بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٧٣ - ٣٧٤) .

(٢) في س البساسيري . (٣) في حوض نهر القوخلجا بالروسيا الحالية .

(٤) صحح ناشر ابن الأثير هذا الاسم إلى "تقاق" (الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٢٢) . على أن هناك ما يحمل على تفضيل الرسم الوارد هنا (انظر Enc. Isl. Art. Seldjüks) وقد ضبطت الأعلام الواردة هنا على هذين المرجعين .

(٥) في س "بيغو" مضبوطة ، وفي نفس السطر "بيغوا" بالضبط عنه . ورسم هذا الاسم بالياء أولا أنصار .

(انظر Enc. Isl. Art. Seldjüks)

مهاجراً من دار الحرب [إلى ديار الإسلام] وأسلم وأقام بنواحي بخارى وصار يغزو الترك ، وكان له من الولد أرسلان^(٢) وميكائيل وموسى . ومات سلجوق بجمند وراء بخارى ، عن مائة وسبعة أعوام ، وبقي ولده على ما كان عليه من غزو الترك ، فقتل ميكائيل شهيداً . وخلف [ميكائيل] بيغو وطغرلبك، وبنال وجغرى بك داود . ثم إنهم قربوا من بخارى فأساء أميرها جوارهم ، فرجعوا إلى بغراخان ملك تركستان وجاوروه ، وتعاهد طغرلبك وأخوه داود ألا يجتمعا عند بغراخان . وحاول على مجتمعهما فلم يطق ، فقبض على طغرلبك وأرسل عسكره إلى أخيه داود ، فانهزم العسكر وأتبعوه وخلصوا طغرلبك من أسره ، وعادوا إلى جند ، وأقاموا بها إلى انقراض الدولة السامانية ومُلك أيلك خان بخارى ، فعظم عنده محل أرسلان بن سلجوق .^(٥) ولما رجع أيلك خان عن بخارى ولى عليها على تكين^(٦) فبقي معه أرسلان إلى أن عبر محمود بن سبكتكين النهر إلى بخارى ، وهرب على تكين فدخل أرسلان وقومه المفازة ، وكاتبه محمود ولاطفه حتى قدم عليه ، فقبضه ونهب أحياءه ، وأجازهم النهر وفرقهم في نواحي خراسان ، ووضع عليهم الخراج ، فلحقهم جور العمال . فسار منهم جماعة أرسلان إلى أصبهان ، وحاربهم علاء الدين بن كاكويه حروبا كثيرة ، إلى أن ساروا إلى آذربيجان ، وكانوا يعرفون بين الترك بالغز^(٧) . وسار طغرلبك وأخوه داود وبيغو من خراسان إلى بخارى ، وجمع على تكين عسكره

(١) ما بين القوسين منقول عن ابن الأثير ، لضرورة انسجام العبارة (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٢٢) .

(٢) في س بفتح على السين فقط . (٣) في س بفتح على النون فقط .

(٤) في س "بنال وجغرى بك وداود" راجع (Enc. Isl. Arts. Caghr Beg and Tughrilbeg) .

(٥) لعدم وضوح هذه العبارة تماما ، مع الحرص على إيرادها كما هي ، روى نقل ما يقابلها عن ابن الأثير

(الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٢٣) وهي : "واسم تقرر الأمر بين طغرلبك وأخيه داود أنهما لا يجتمعان عند

بغراخان ، إنما يجتمع عنده أحدهما ويقم الآخر في أهله ، خوفا من مكر بكرة بهم ، فبقوا كذلك . ثم إن بغراخان اجتمع

في اجتماعهما عنده فلم يفعل ، فقبض على طغرلبك وأسره ، فثار داود في عشائره ومن يتبعه وقصد بغراخان ليخلص أخاه ،

فأخذ إليه بغراخان عسكرا ، فاقتلوا فانهزم عسكر بغراخان وكثر القتل فيهم ، وخلص [داود] أخاه من الأسر ، وانصرفوا

إلى جند وهي قريب بخارى ، فأقاموا هناك . فلما انقضت دولة السامانية ، ومُلك أيلك الخان بخارى ، عظم محل أرسلان بن

سلجوق عم داود وطغرلبك بما وراء النهر ... " . (٦) هو أخو أيلك خان (نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٣٢٣) .

(٧) "الغز (مضبوطة) لفظ يقع على ما يتوالد بين العجم في المدن من نسائهم ؛ وقيل الغز لفظ يقع على جنس العجم كله . وقيل

الغز في جنس العجم كالمولدة في العرب ؛ وقيل لفظ الغز تقع على التركي والتركاني والقفشقي والجنس المولد . وقيل هم كل من ولد

عامور بن يافث بن نوح ؛ وقيل الغز بجنس التركي والتركي أقعد ؛ وقيل الغز بجيل من الشام" . عن هامش في س ، ص ١٠ ب .

وأوقع بهم ، فعادوا إلى خراسان وخيموا بظاهر خوارزم ، في (١١) سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، واتفقوا مع خوارزم شاه هارون بن التوتاش^(١) ، ثم غدر بهم وكبسهم ، فساروا إلى جهة مرو . فأرسل إليهم مسعود بن محمود بن سبكتكين جيشا فهزمهم ، واشتغل أصحابه بالغنائم فرجع [الغز] وهزمهم ونهبهم ، فاستمالهم مسعود بعدها وكان يبلغ ، فطلبوا منه إطلاق عمهم أرسلان الذي قبضه محمود بن سبكتكين ، فشرط حضورهم فأبوا . وعادت الحرب وهزموا عساكره ، وقوى أمرهم واستولوا على غالب خراسان ، وفرقوا العمال وخطب لطفربك في نيسابور . وسار داود إلى هراة ، ففرت عساكر مسعود ، وتركوا خراسان حتى أتوا غزنة ، وسار مسعود من غزنة إلى خراسان في جيوشه ، ففروا أمامه وهو يتبعهم ، حتى قتل الأزواد وطال الأمد ، ودخلوا البرية ومسعود في إتباعهم مدة ثلاث سنين ، فانتقض عليه عسكره ، ورجع السلجوقية وهزمهم أقبج هزيمة ، وولى مسعود وغنموا منه مالا يحصى ، وعادوا إلى خراسان فلكوها ، وثبتت أقدامهم بها ، وخطب لهم على منابرها . ووصل مسعود إلى غزنة ، واختلف عليه أمراؤه حتى قتل . وملك طغربك جرجان وطبرستان ، وملك بعد ذلك خوارزم ، ثم سار إلى بلد الجبل واستولى عليها ، فأسلم من الترك خمسة آلاف خركاه وتفترقوا في بلاد الإسلام ، ولم يتأخر عن الإسلام سوى الخطا والتار بنواح الصين . وبعث طغربك أخاه إبراهيم ينال بن ميكائيل ، فملك همدان والدينور ، ثم استوحش منه وقاتله وأخذه ، فبعث ملك الروم يطلب الهدنة من طغربك وهاداه ، وعمر مسجد القسطنطينية وأقام فيه الصلاة والخطبة لطفربك . ثم سار طغربك وحاصر أصبهال حتى أخذها صلحا ، ونزلها

(١) في س التذكرة طاش (راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٩٤، ٢٢٥) . وكذلك

(Enc. Isl. Art. Altuntash) . (٢) في س فراجعوا وهزموه ونهبوه . (انظر ابن الأثير: نفس

المرجع، ج ٩، ص ٢٢٥) . (٣) في س فقرأ . (٤) في س بلاد الجبل . (راجع ابن الأثير:

نفس المرجع، ج ٩، ص ٢٤٧ - ٢٤٩) . (٥) كلمة فارسية معناها خيمة أو تجمع .

(٦) العلاقة بين ماجرى لطفربك مع أخيه ينال وبين ملك الروم، أن ينال كان قد غزا البلاد الرومية سنة ٥٤٤٠ .

(٧) (١٠٤٨ م) . يجمع من الغز حتى وصل بهم إلى طرابزون ، وظل يقاتل من يقابله من الجيوش الرومية ويقتل ويسبي

ويغنم ، حتى لم يبق بينه وبين القسطنطينية سوى خمسة عشر يوما . فلما وقعت الوحشة بين الأخوين ، انتهزها ملك

الروم وصالح طغربك على الشروط السواردة هنا . (ابن الأثير: نفس المرجع، ج ٩، ص ٣٦٠ - ٣٧٢

و ٣٨٠ - ٣٨١، وكذلك (Camb. Ded. Hist. Vol. III. pp. 111, 384 - 385) . (٧) في س فسار .

ونقل إليها ذخائره ، وأتاه ملك الأكراد فأقره على بلاده شهرزور وغيرها . ثم أنفذ رسوله إلى الخليفة القائم بأمر الله بالهدايا ، وسار يريد بغداد ، فدخلها لخمس بقين من رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة ^(١) . ونعت بالسلطان ركن الدين أبي طالب محمد طغرلبك بن ميكائيل ابن سلجوق بن قنق ^(٢) بن جبريل بن داود بن أيوب بن دقاق بن إلياس بن بهرام بن يوسف بن عزيز بن أحمد بن دهقان ، وقبض على الملك الرحيم أبي نصر وعلى قواده ، وأزال دولة بني بويه . ثم توجه (١١ ب) إلى نصيبين وديار بكر ، واستولى على الموصل ، وترك عليها أخاه ينال إبراهيم ، فخالف ^(٤) على طغرلبك ، وتوجه إلى همدان ، فسار إليه [طغرلبك] وقتله . ثم عاد إلى بغداد ، وقد ماكبها أبو الحارث أرسلان البساسيري ، فأعاد القائم إلى الخلافة وقتل البساسيري ، ثم سار إلى بلاد الجبل فمات بالري ، في ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، فكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة تنقص عشرين يوما ، ولم يخلف ولدا . فملك بعده ابن أخيه عضد الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن جفري بك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وسار إلى حلب وأقر صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عليها ، ولقي ملك الروم وهزمه ، وبعث جيوشه فأخذت القدس والرملة من خلفاء مصر [الفاطميين] ، وحاصرت دمشق . ومات ، ألب أرسلان بعد ما رجع من حلب إلى ما وراء النهر ، في ربيع الأول سنة خمس وستين . وملك بعده ابنه السلطان جلال الدولة أبو الفتح محمد ملك شاه بن عضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تسع عشرة سنة وشهرا ، ومات في نصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وعمره سبع وثلاثون سنة وخمسة أشهر . وكان يُحطَب له من أقصى بلاد الترك إلى بلاد اليمن ، وفي أيامه ملك دمشق أئسز ^(٦) ، ثم أخذها منه ^(٧) . ونش بن ألب أرسلان ، فاستمرت بأيدي الترك ، وبعث ملك شاه أيضا آفسبنقر قسيم الدولة

(١) في س ، ب "وثلاثين" (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤١٥ - ٤٢٤) . (٢) في س

بفتح القاف وكسر النون ، (انظر Enc. Isl. Art. Seldjüks) . (٣) كذا في س . انظر ص ٢٢ .

(٤) في س لخالف ، (راجع ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠) . (٥) في س

جعري بك . (٦) في س "اطسز" بغير ضبط . (٧) في س نش بغير ضبط ولا نقط على التاء الثانية .

فلك الموصل ، وأقسنقر هذا هو والد عماد الدين زنكي ^(١) . ثم قدم ملك شاه إلى حلب وسلمها إلى آقسنقر ، وعاد إلى بغداد . وملك بعد ملك شاه ابنه محمود وعمره أربع سنين ، فقامت أمه ^(٢) تركان خاتون بتسييره ، فثار عليه أخوه بريكاروق بن ملكشاه واستبد بالأمر ، وكانت له ^(٣) [أيضا] حروب مع أخويه محمد وسنجر إلى أن مات ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ، عن خمس وعشرين سنة ، منها مدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنا عشرة سنة وأربعة أشهر ، قاسى فيها من الحروب واختلاف الأمور ما لم يقاسه غيره . وأقيم بعده ابنه ملكشاه بن بريكاروق ^(٤) ، وعمره أربع سنين وثمانية أشهر ، ولقبه جلال الدولة . وقام بأمره الأمير أياز الأتابك إلى أن قُتل في ثالث عشر جمادى الآخرة ، بعد ما سلم أمر الدولة إلى السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان . فقام محمد بأمر المملكة إلى أن مات ، في رابع عشر ذى الحجة سنة إحدى عشرة وخمسة ، عن ست وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، منها مدة اجتماع الناس عليه اثنا عشرة سنة وستة أشهر ، ولقى مشاق وأخطارا كثيرة . فأقيم بعده ابنه محمود بن محمد بن ملكشاه ، وعمره أربع عشرة سنة ، فنازعه عمه ^(٥) (١٢) السلطان ناصر الدين معز الدولة أبو الحارث سنجر ابن ملكشاه بن ألب أرسلان وقاتله ، فانهزم منه محمود ، وخطب لسنجر ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسة ، وقطعت خطبة محمود . ثم اصطلحا وجعل سنجر ابن أخيه محمودا ^(٦) ولى العهد بعده ، وكتب إلى جميع الأعمال التي بيده بأن يخطب للسلطان محمود بعده ، وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد ، فخطب لها ببغداد وغيرها . وعاد سنجر إلى ولايته ، واستمر محمود في السلطنة ، فتنكر الحال بينه وبين الخليفة المسترشد بالله

(١) في الهامش : "اقسنقر هذا هو جد نور الدين الشهيد" . (٢) ضبط هذا الاسم على منطوقه الإنجليزي

(Tārkan) . انظر (Enc. Isl. Art. Malikshāh) . (٣) الهاء عائدة على بريكاروق . (٤) في س

"اسعر" (٥) في س : بريكاروق . (٦) في س : "عشرين" بآيات النون ، وأظلم ما ترد على هذه

الصورة ، وستصلح دائما بدون تنبيه . (٧) في س : مشاقا . (٨) هذا بدء الهامش طويل منسق

مع المتن ، ولم تكن هناك حاجة إلى الإشارة إليه أولا أنه بخط غير خط المؤلف . وأكبر الظن أن ورقة هذا الهامش

تمرضت للتلغ ، فكتبها أحد المتأخرين بخط نسخ جميل على ورقة أخرى ، ووضعها مكان الأولى . (٩) في س

محمود .

واقْتتلا، ثم اصطُلحا في عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين . وسار محمود عن بغداد، وولى عماد الدين زنكي بن آقسنقر شخنيكيتها^(١)، ثم نقله إلى الموصل؛ وأضاف إليه الجزيرة، فاشتدت وطأته بها حتى ملك حلب أول المحرم سنة ثنتين وبمشرين، ثم ملك حماة وعدة حصون بالشام . ومات السلطان محمود في شوال سنة خمس وعشرين [وخمسمائة] بهمدان عن سبع وعشرين سنة، منها ولايته السلطنة اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً . فأقعد بعده في السلطنة ابنه داود بن محمود [بن محمد] بن ملكشاه، فنازعه عمه السلطان مسعود، وقاتله ثم اصطُلحا . وطلب مسعود من الخليفة المسترشد أن يخطب له ببغداد، فأجاب بأن الحكم في الخطبة إلى السلطان سنجر، [وأرسل إلى سنجر]^(٢) ألا يأذن لأحد في الخطبة، وأن الخطبة ينبغي أن تكون له وحده، فوافق ذلك غرض سنجر . فاشتد ذلك على مسعود، وعزم على أخذ السلطنة، فسبقه [أخوه] السلطان سلجوق شاه بن السلطان محمد إلى بغداد، وكانت أمور آلت إلى أن يكون مسعود بن محمد بن السلطان ملكشاه سلطاناً، وسلجوق شاه ولي عهده، وقُطعت خطبة سنجر من العراق جميعه . وكان عماد الدين زنكي قد قدم نصره لمسعود، فهزمه أصحاب سلجوق شاه هزيمة قبيحة، فلما وصل تكريت أقام له نجم الدين أيوب بن شادي الدردار بها المعابر حتى خلص إلى بلاده، فشكر ذلك لنجم الدين وقربه، فكان ذلك سبباً لاتصال نجم الدين به والمصير في جملته، حتى آل بهم الأمر إلى ملك مصر والشام وغيرها . واقتتل مسعود وسنجر، فانهزم مسعود وقتل أصحابه، ثم أحضر إلى سنجر فعاتبه، وأعادته إلى كنجة^(٣)، وأجلس [ابن أخيه] الملك طغرل بن السلطان محمد

(١) أي زيادة الشرطة بها، ويسمى متولياً صاحب الشحنة . (Dozy: Supp. Diet. Ar.) . (٢) في سائنا .

(٣) راجع . (Lane-Poole: Muhammadan Dynasties, Table facing P. 152)

(٤) ليس لما بين القوسين وجود في س ولكنه في ب (ص ١٣ ب) ، وهو يطابق تماماً ما ورد في ابن الأثير

(الكامل في التاريخ) ج ١٠، ص ٤٧٤ . وربما استعان كاتب نسخة ب بهذا المرجع في توضيح ما غمض

عليه . (٥) في س الدردار . أما الدردار فكلية فارسية معناها "حاكم حصن" . (Enc. Isl. Art. Diz.)

(٦) في س محمود . (٧) في س كنجته . انظر ابن الأثير : نفس المرجع، ج ١٠، ص ٤٧٧

و ٤٨٣؛ وكنجة مدينة كبيرة، وهي قسبة بلاد أزان (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠٨) .

(٨) في س "واجلسه الملك طغرل" . (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٧٧) .

في السلطنة ، وخطب له في جميع البلاد، وذلك في ثامن رجب سنة ست وعشرين . فلما كان في رمضان اُقتل الملك طغرل بن محمد هو وابن أخيه الملك داود بن محمود ، فانهزم داود ، فلما سمع ذلك السلطان مسعود بن محمد سار إلى بغداد ، فلقية داود ودخل معه إليها ، في صفر سنة سبع وعشرين ، وأعيدت له الخطبة بها ولداود معه ، وخلع عليهما الخليفة . ثم سارا لمحاربة طغرل ، فخارباة وهزماه في شعبان ، فامتدت الحرب بينهم إلى شوال . ثم عاد طغرل بن محمد ، وأجلى أخاه مسعودا ^(١) عن بلاده في رمضان سنة ثمان وعشرين ، فقدم [مسعود] ^(٢) بغداد في نصف شوال ، فأكرمه الخليفة المسترشد وأنزله وأنعم عليه . ثم قدم ^(٣) الخبر بوفاة طغرل بن محمد ، في المحرم سنة تسع وعشرين ، فسار مسعود إلى همدان واستولى عليها ، و[كان قبل ذلك قد] نافر الخليفة ، فقطع [المسترشد] خطبته من بغداد وسار لقتاله ، فبرز إليه [مسعود] ، وقاتله في عاشر رمضان وأخذه أسيرا ، وبعث إلى بغداد فقبض علي أملاك الخليفة ، وكسر منبره وشباكه . ثم قُتل الخليفة بيد الباطنية ، وأقيم بعده الراشد ^(٤) (١١٢) خليفة . فسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر آذر بيجان إلى بغداد ، فقدمها رابع صفر سنة ثلاثين وخمسمائة ، وأقام برنقش ^(٥) على شحنيكتها . وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب لداود ، فسار مسعود إلى بغداد وحصرها نيفا وخمسين يوما ، فكانت أمور آلت إلى عود الملك داود إلى بلاده في ذي القعدة ، و[إلى] تفرق الأمراء [الذين كانوا معه] ^(٦) ،

(١) في م : مسعود . (٢) انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٦ .

(٣) في م : فقدم . (٤) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (نفس المرجع ، ج ١١ ،

ص ١٠ ، ١٤ - ١٦) . (٥) هنا ينتهي الهامش المشار إلى مبدئه في ص ٣٤ ، حاشية رقم ٨) .

(٦) في م برنقش . وفي ابن الأثير برنقش بازدار بدون ضبط ، وكان صاحب قزوين . (نفس المرجع ،

ج ١٠ ، ص ٢٣) . راجع أيضا . (Rec. Hist. Or. II. 2. pp. 88, 92) حيث رسم هذا الاسم هكذا

(Borenkaeh) . أما البازدار فهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده . (العلقشندي :

صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩) . (٧) يظهر هنا بوضوح أن المقرئ كان ينقل من ابن الأثير مباشرة

أو عن مرجع آخر مصدره ابن الأثير . على أن عبارة المقرئ هنا مقتضبة ، وهي بحاجة إلى توضيح أكثر ، برغم

ما أضيف بين القوسين (انظر ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٢٢ - ٢٤ ، ٢٦ - ٢٧) .

وسار الخليفة الراشد [من بغداد] إلى الموصل في نفر يسير مع عماد الدين زنكي، [فلما سمع
السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكي بغداد سار إليها]، ودخلها في نصف ذي القعدة، وخلع
الراشد وأقام المقتضى لأمر الله أبا عبد الله محمد بن المستظهر في الخلافة، وزوجة أخته فاطمة
على مائة ألف دينار صداقا . فسار الراشد بالله من الموصل إلى مراغة، فأناه الملك داود
في جماعة ليرده إلى الخلافة، فسار السلطان مسعود من بغداد في شعبان سنة اثنتين وثلاثين،
وحاربهم وهزمهم، فحمل عليه بعض من انحاز منهم إلى تل، [فلم يثبت لهم وانهمزم، وما زال]
حتى صار إلى آذربيجان، وقصد داود همدان ومعه الراشد، وسار سلجوق شاه بن محمد
إلى بغداد ليملكها فمنع منها، وسار مسعود ليمنع داود من أخذ الراشد ومسيره به إلى
العراق، فترك داود الراشد، وعاد إلى فارس، فقتل الراشد بيد الباطنية أيضا . وضافت
الأموار على السلطان مسعود، وكثرت الحوارج عليه : وسار عماد الدين زنكي إلى
دمشق، وحصرها مرتين ومَلَكَ بعلبك، وحارب السلطان سنجر بن ملكشاه خوارزم شاه
أتسز بن [قطب الدين] محمد بن أنوشتكين، فقتل ابن خوارزم شاه، فبعث
خوارزم شاه إلى الخطا وهم بما وراء النهر، فأطعمهم في البلاد وتزوج منهم، فساروا
في ثلاثمائة ألف فارس، فحاربهم سنجر، فقتلوا منه نحو مائة ألف، وهزموه في صفر
سنة ست وثلاثين، فأخذ خوارزم شاه مدينة مرو . فسار السلطان مسعود إلى الري،
وقد استقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر، وأخذ خوارزم شاه نيسابور
أيضا، وقطع خطبة السلطان سنجر أول ذي القعدة، وخطب باسمه، وعاث أصحابه
في خراسان وعملوا أعمالا قبيحة . ثم آل أمر أتسز خوارزم شاه إلى مصالحة السلطان سنجر،
(١) كان الخليفة زنكي من حلفاء داود ضد مسعود . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١١،
ص ٢٢ - ٢٣) ، (٢) روى إضافة ما بين القوسين من ابن الأثير للتوضيح (نفس المرجع، ج ١١،
ص ٢٦) . (٣) في من "ودخلها السلطان مسعود" . (٤) في من "شي" .
(٥) في من "وهزمهم" . وهذا يخالف ما جاء في ابن الأثير (نفس المرجع، ج ١١، ص ٤٠) . وقد
أضيف منه ما بين القوسين بتصرف طفيف . (٦) في من اطسز . (٧) في من اطسز . يلاحظ
أن المؤلف عكس ترتيب الاسم هنا .

في سنة ثمان وثلاثين ، وأقام بخوارزم ، إلى ما كان عليه ، وأقام سنجر بمرو . ومات أمابك
عماد الدين زنكي بن أفسنقر صاحب الموصل والشام ، قتله بعض مماليكه (١٢ ب)
في خامس ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، فسار أبوه نور الدين محمود بن زنكي
إلى حلب فملكها ، وملك سيف الدين غازي بن زنكي الموصل . ومات السلطان مسعود
ابن محمد بن ملكشاه بهمدان ، أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، ومات معه ^(١) معادة
بني سلجوق ، فلم يبق بعده لهم راية يعتد بها . فقام بعده ملكشاه بن السلطان محمود ،
وخطب له ، فلما بلغ الخليفة المقتضى لأمر الله موت [السلطان مسعود] أحاط بداره ودور
أصحابه ، وأخذ كل ما لهم ، وجمع الرجال والعساكر ، وأكثر من الأجناد ، وجهز إلى الحلة
والكوفة وواسط العساكر فأخذوها . ثم إن الأمير خاص بك قبض على ملكشاه وبعثه
إلى خوزستان ، واستدعى أخاه محمد بن محمود من خوزستان ، وأجاسه على تخت السلطنة ،
في أوائل صفر سنة ثمان وأربعين ، فقتل محمد [خاص بك] ثاني يوم قدومه . وملك نور الدين
محمود بن زنكي دمشق في صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، واستولى ^(٥) شملة التركاني على
خوزستان في سنة خمسين وخمسمائة ، وأزاح عنها ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد .
وضعت يد السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، حتى لم يبق له إلا اسم السلطنة ،
وأخذ الغزنيسابور بالسيف ، فغمر منهم سنجر في رمضان سنة إحدى وخمسين إلى ترمذ ، ثم إلى
جيجون يريد خراسان ، ثم عاد إلى دار ملكه بمرو . وسار السلطان محمد شاه بن محمود من
همدان ، وحصر بغداد في ذي الحجة منها ، لامتناع الخليفة من الخطبة له ، إلى أن عاد إلى

(١) في س "ومات" . (٢) في س "موتة" . (٣) في س وجوه .

(٤) كان خاص بك — واسمه الأصلي أرسلان بن بلنكري — أقرب الأمراء إلى السلطان مسعود . وهو الذي

أجلس ملكشاه على عرش عمه بالعراق . (Enc. Isl. Art. Mas'ūd) ، وكذلك ابن الأثير (نفس المرجع ،
ج ١١ ، ص ١٠٥ — ١٠٧) . (٥) بدون ضبط في س وابن الأثير ، واسم أيدغدي التركاني وكان

معروفا بشملة (ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ١٠٦) . (٦) في س ترمذ . والنطق المثبت هنا

هو "المتداول على لسان أهل تلك المدينة" زمن ياقوت ، وغيره كثير (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٣) .

(٧) يقصد المؤلف سنة إحدى وخمسين المتقدمة الذكر (انظر ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ١٤٠ — ١٤٢) .

همذان في أخريات ربيع الأول سنة ثنتين^(٢) وخمسين ، ولم ينل طائلا من بغداد . ومات
السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان في ربيع الأول سنة ثنتين وخمسين ، و [قد]
خطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة ، وكان قبلها يخاطب بالملك
عشرين سنة . واستخلف بعده على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخته .
ومت السلطان محمد شاه بن محمود بن محمد في ذي الحجة سنة أربع وخمسين بهمدان ، عن
اثنين وثلاثين سنة ، وترك ولدا صغيرا ، فاختلف الأمراء بعده : فمنهم من أراد أن يملك
ملكشاه بن محمود ، ومنهم من طلب سليمان شاه [بن محمد] ، وطلب قوم أرسلان [شاه بن
طغرل] . فسار ملكشاه من خوزستان إلى أصفهان ، وملكها ، فخالف عليه أهل همدان
وطلبوا سليمان شاه ، فسار^(٣) (١٣ أ) من الموصل أول سنة خمس وخمسين يريد همدان ، فقبض
عليه بها في شوال سنة ست وخمسين ، وخطب لأرسلان شاه بن الملك طغرل بن محمد . ومات
ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بأصبهان في أثناء السنة ، وخطب
بعده بها لسليمان شاه ، واستقر ملكه بتلك البلاد . ثم قتل السلطان سليمان شاه بن
محمد بن ملكشاه في ربيع الأول ، وخطب بعده لأرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن
ملكشاه بن ألب أرسلان بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمدان وأعمالها .
وطلب [أرسلان شاه] من الخليفة المستنجد بالله أن يخطب له ببغداد ، كما كانت العادة
في أيام السلطان مسعود ، فأهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة ، فكثرت الخلاف والقتال
بين عساكر السلجوقية ، فمات أرسلان في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وأقيم من بعده

(١) في ب (ص ١٥ ب) "شهر ربيع الأول" ويحدث هذا التصرف الطفيف أحيانا ، أما الغالب في نسخة

ب فهو حذف كلمة "شهر" حيث توجد ، وسينه إلى هذا النوع الآخر من التصرف في مكانه مرة واحدة .

(٢) و (٣) في م سني . (٤) في م استخلف .

(٥) راجع (Lane - Poole: Muhammadan Dynasties, Table facing p. 152) .

(٦) في م خالف . (٧) في م "طغرل" . (٨) في م "حمر بك بن داود" .

(١) ابنه طغرل بن أرسلان آخر السلاطين السلجوقية، وكان تحت أمر قزل أرسلان ^(٢) إيلدرك، ثم استبد بسلطنته، وفارق قزل أرسلان. فأقام قزل عوضه معز الدين سنجر بن سليمان بن محمد ابن ملكشاه، وطرده ثم ظفربه ومججه، ثم خلص وقتل في محاربة خوارزم شاه قريبا من الري، في ربيع عشرى ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة، وحمل رأسه إلى بغداد فكان آخر السلجوقية، وملك بمده خوارزم شاه. فكانت مدتهم، من سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة إلى سنة تسعين وخمسمائة، مائة وثمانيا وخمسين سنة. وكان أسد الدين شيركوه بن شادي قد تقدم عند نور الدين محمود بن زنكي، وبعثه أمير الحاج من دمشق، ثم سيره مع ^(٣) شاور بن مجير السعدي وزير الخليفة العاضد [الفاطمي]، على عسكر من الغز إلى مصر. وكان شيركوه هذا وأخوه نجم الدين من بلد ^(٤) دوين أحد بلاد آذربيجان، وأصلهما من الأكراد، فحدا مجاهد الدين بهروز ^(٥) شحنة بغداد، بفعل أيوب ^(٦) مستحفظا لقلعة تكريت، فسار إليها ومعه أخوه شيركوه، وهو أصغر منه

(١) في س " طغرل " .

(٢) في س " قزل أرسلان بن ابل دكر " ، بدون ضبط . أما هذا السلطان الأخير من سلاجقة العراق فقد تولي الملك قاصرا صغيرا ، وكان صاحب أمره أولا الأتابك البهلوان محمد بن إيلدرك ، ثم بعد وفاته أخوه قزل أرسلان ، واسمه عثمان بن إيلدرك . وقد تمرد هذا السلطان الأديب لما أيفع على قزل ، وظل يدفع عن شرف الدولة السلجوقية واستقلالها بالعراق حتى مات في ميدان القتال سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) . راجع ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ و ٣٧١ - ٣٧٣ ؛ وأيضا ج ١٢ ، ص ١٥ - ١٦ و ٤٩ - ٥٠ و (٦٩ - ٧٠) ؛ وراجع أيضا (Enc. Isl. Art. Tughril, II.) .

(٣) اسم هذا الوزير " أبو شجاع مجير الدين بن مجير السعدي " . ومن هنا يثبت خطأ كاتب نسخة ب (ص ١١٥) إذ أورد الاسم على أنه " شاور بن مجير الدين السعدي " .

(٤) مضبوطة هكذا في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٣٢) وهي واقعة حبا جاء في نفس المرجع ، في أزان في آخر حدود آذربيجان بقرب تفليس .

(٥) وظيفة الشحنة هي الشحنة (انظر ص ٣٥ ، حاشية رقم ١) . أما بهروز مجاهد الدين النخائي ، فقد كان صاحب الشحنة ببغداد مرات متعددة ، بين سنتي ٥٠٢ و ٥٤٠ هـ (١١٠٨ و ١١٤٥ م) . وأصله عبد روى بن دوين ، ثم كانت قلعة تكريت من ضمن أملاكه ، فولى عليها صديقه وابن بلده أيوب ، قبيل سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م) . راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ، ص ٣٣٠ ، ٤٧٥ و ج ١١ ، ص ٧٠ و ٢٢٥ وأيضا (Lane - Poole : Saladin, p. 5.) وكذلك . (Enc. Isl. Art. Aiyūbids.) . (٦) أي حاكما على تلك القلعة . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) وانظر أيضا ص ٣٥ حاشية ٥ .

سنا، نخدم الشهيد زنكي لما انهزم، فشكر له^(١) ذلك . ثم إن شيركوه قتل رجلا بتكريت، فطرد هو وأخوه من القلعة، فسارا إلى زنكي فأحسن إليهما ، وأقطعهما إقطاعا حسنا ، ثم جعل أيوب مستحفظا لثلاثة بعليك ، ثم ترقى وصار من أمراء دمشق . واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي، وخدمه في أيام أبيه، فلما ملك حلب بعد أبيه، كان لنجم الدين أيوب عمل كبير في أخذه دمشق ، فزادت مكاتهما عنده ، ولم ير أحدا يليق به أن يسير مع شاور إلى مصر سوى شيركوه ، فبعثه إليها معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، فكان من أمره ما ذكر في أخبار العاضد، فلما مات شيركوه قام من بعده صلاح الدين يوسف ، كما ستقف عليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى^(٥) .

(١١٤) السلطان الملك الناصر صلاح الدين^(٦)

يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان بن أبي علي [بن عنترة] الحسن بن هلي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هُدبة بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف . ومن هنا اختلف النسابون : فقيل عوف بن أسامة بن نَبَش بن الحارثة [صاحب الجمالة] ابن عوف، بن ابن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غَيْظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان ابن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس [بن] عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ويقال إن علي بن أحمد يعرف بالخراساني، مدحه المتنبي بقصيد منها : —

(١) انظر ص ٣٥ . (٢) وقعت هذه الحادثة سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) . (٣) بهامش الصفحة تفسير لهذا الاسم، نصه: "معنى شيركوه اسد الغابة" . (٤) لا يوجد كثير من أخبار العاضد هنا، وليس بالنسبة المطبوعة من كتاب اتعاط الحماة بأخبار الخلفاء شي . فإن آخر موضوعاته قتل الخليفة الحاكم بأمر الله (انظر ص ٩، حاشية رقم ٢) . (٥) لكي يتبدى المؤلف الموضوع التالي على ورقة جديدة، ترك بقية هذه الصفحة (١١٣) والتي تليها بيضا . (٦) يبدأ المؤلف في س، والناصح في ب، عناوين الموضوعات الجديدة أول سفر دائما بقلم عربي، بخط نسخ، بمداد أحمر غالبا . غير أن بعضها طويل، إذ ينتهي عنوان هذا الموضوع عند لفظ "شادي" (سطر ٩) في المتن، وقد اكتفى منه بالقطعة الأولى . (٧) في س "يهس بن الحرب" . وبغير ضبط . (٨) في س ذبيان بن بغيض، وبغير ضبط . (٩) ليس لهذه النسبة، أو ما يشابهها من الأنداب العربية للاكراد، نصيب من الصحة (انظر ص ٣، حاشية رقم ١) . ومع هذا فقد صححت الأعلام الواردة هنا على ماورد في ترجمة صلاح الدين بالجزء المختار من وفيات الأعيان في (Rec. Hist. Or. III, p. 400) .

شرق الجسـو بالغبـار إذاه سار على بن أحمد القمـتـام

وقيل إن مروان من أولاد بني أمية ، زعم ذلك إسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، وأنكر ذلك عمه العادل أبو بكر . وذكر ابن القادسي أن شادي كان مملوكا لبهروز الخادم . والحق أنه من الأكراد الروادية أحد بطون الهذبانية ، من بلد دوين في آخر آذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج . وكان له ابنان ، أكبرهما أيوب ثم شيركوه ، قدم بهما العراق فخرما عند بهروز ، فجعل أيوب على قلعة تكريت وكانت في إقطاعه ، وقيل جعله بعد أبيه شادي ، فخدم أيوب وشيركوه عماد الدين زنكي لما انهزم إليها ، ثم قتل شيركوه رجلا ، فأخرجه بهروز من تكريت هو وأخاه أيوب ، وقد ولد يوسف بن أيوب تلك الليلة . فلحقا بزنكي ، واتصل أيوب بولده غازي بن زنكي ، وخدم شيركوه محمود بن زنكي . فأقام عماد الدين غازي أيوب بن شادي على قلعة بعلبك ، وما زال يترقى [حتى صار من أمراء دمشق] .

ولد [صلاح الدين يوسف] بقلعة تكريت في سنة اثنين وثلاثين وخمسة مائة ، وكان أبوه نجم الدين أيوب واليا بها ، ثم انتقل بابنه يوسف إلى الموصل ، وصار منها إلى الشام ، فأعطى بعلبك ، فأقام بها مدة . ونسأ يوسف وعليه لوائح السعادة ، وجالس مشايخ أهل العلم ، فجمع [له الشيخ الإمام] قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري عقيدة تحوى

(١) انظر بعض أخباره في (Blochet : Op. cit. p. 98, N. 1.)

(٢) راجع ج ٤ ، وأيضاً (Rec. Hist. Or. III. p. 399) . (٣) مضبوطة هكذا في م .

(٤) الراجع أن المقرئ استعان بكتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد ، في ترجمة

صلاح الدين . غير أنه قضب العبارة كثيرا ، فجعلها في حاجة إلى كثير من الإضافة بين أهواس مربعة ،

ولهذا رأى إيراد ما جاء في ابن شداد ، وهو : " وكان [صلاح الدين] رحمة الله عليه حسن العقيدة ، كثير الذكر لله

تعالى ، قد أخذ عقيدته عن الدليل ، بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء . وتتهم من ذلك ما يحتاج

إلى تفهمه ، بحيث كان إذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولاً حليماً ، وإن لم يكن بعباراة الفقهاء ؛ فتحصل من

ذلك علامة عقيدته عن كدر الشبه ، غير مارق سهم النظر إلى التعطيل والتويه ، جارية على نمط الاستقامة ، موافقة

لقانون النظر الصحيح ، مرضية عند أكابر العلماء . وكان قد جمع له الشيخ الإمام قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع

جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب ... " (Rec. Hist. Or. III. p. 7.) (٥) بهامش الصفحة إشارة

تاريخية ، ونصها : " ولد مسعود هذا في سنة خمس وخمسة مائة ، ومات بدمشق سنة ثمان وسبعين وخمسة مائة ، وكان إماما

فاضلا في علوم الديانة " .

جميع ما يحتاج إليه، فن شدة حرصه عليها كان يعلمها صغار أولاده ويأخذها عليهم . وكان يواظب الصلاة مع الجماعة، حتى قال يوما : "لى سنين ما صليت إلا فى جماعة". وكان إذا مرض استدعى الإمام وحده، وضلى خلفه . وصار فى خدمة نور الدين محمود بن زنكى ، فخرج مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر، فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقدمها . ثم عاد إلى الشام ، وقدمها ثانيا مع عمه، وحضر وقعة البابين^(١)، وحصره الفرنج بالإسكندرية . ثم خرج مع عمه إلى الشام، وسار معه فى الكفة الثالثة على كره منه فى المسير إلى مصر، ففقدتها فى سنة أربع وستين . ولما تقاعد شاور عن إجابة شيركوه، وإعطائه ما تقدم به الوعد لنور الدين وللعسكر، تشاوروا على الإحاطة به والقبض عليه، فلم يجسر عليه أحد منهم إلا صلاح الدين : فإنه لما قدم عليهم شاور على عادته فى كل يوم ، وساروا معه لقصد أسد الدين ، سار صلاح الدين إلى جانبه وأخذ بتلابيبه، وأمر العسكر بأخذ أصحابه، ففروا عن شاور، ونهب الغزما كان معهم، وسبق شاور إلى المخيم وقتل^(٢) . فاستقر أسد الدين [شيركوه] بعده فى وزارة العاضد إلى أن مات، فى ثمانى عشرى جمادى الآخرة من سنة أربع وستين . فقوض العاضد وزارته إلى صلاح الدين ، ونعته بالملك الناصر، فمضى الأحوال، وبذل الأموال، واستعبد الرجال، وتاب عن الخمر فترك معاقبته، وأعرض عن اللهو . ودبر الأمر فى نوبة نزول الفرنج على دمياط أجسن تدبير، حتى رحلوا عنها خائبين، فهبت آلاتهم، وأحرقت مجانيقهم، وقتل^(٣) منهم خلق كثير . وتمكن [صلاح الدين] فى مصر، فقدم عليه أبوه نجم الدين أيوب وإخوته وأهله . ثم إنه دأب فى إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها، فأغانه الله على ذلك،

(١) تقع هذه البلدة عند مسافة عشرة أميال جنوبى المنيا، وقد اشتبك عندها، فى ١٨ إبريل سنة ١١٦٧ م، شيركوه مع شاور وحليفه عمورى (Amaury) ملك الدولة الصليبية ببيت المقدس، وانتصر شيركوه عليهما بفضل قائد قلب جيشه صلاح الدين . (Lane - Poole : Saladin, pp. 88 - 89) . (٢) بعد مقتل شاور، طلب الخليفة العاضد أيضا "ولد شاور الملك الكامل، وقتله فى الدهليز؛ وقتل أخاه" كذلك (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٠٠، وابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص ٢٢٠ - ٢٢٤) . (٣) فى ص "مجانيقهم" . ويشير المؤلف هنا إلى حصار الصايبيين دمياط فى نوفمبر سنة ١١٦٩ م، وإلى جلائهم عنها فى ديسمبر من السنة نفسها . (Lane-Poole : Saladin, pp. 103-105)

ومات العاضد وقد قطع [صلاح الدين] خطبته، وأمر الخطباء بالدعاء (١٤ب) للمستضى، [بنور الله العباسي]، فاستولى على القصر^(١) وأبجويه من عشر المحرم سنة سبع وستين . وأخذ يتأهب لغزو الفرنج ، وقد انفرد بساطنة ديار مصر . وكتب العباد الإصطهاني إشارة تُقرأ في سائر بلاد الإسلام بإقامة الخطبة العباسية بمصر، وإشارة ثانية تُقرأ بحضرة الخليفة المستضى، بنور الله في بغداد ، على يد القاضي شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن عَصْرُون . فسار [القاضي] ، ولم يترك مدينة ولا قرية إلا وقرأ فيها المنشور، حتى وصل بغداد، فخرج الناس إلى لقائه، ودخل يوم السبت ثانی عشریه، فعَلَّقت أسواق بغداد بالزينة، وخَلِع عليه .

وفي يوم الجمعة رابع عشره أُخرج الكامل شجاع بن شاور، من المكان الذي قُتل فيه بالقصر ودفن فيه ، فوجدت الجثة مختلطة بِجِثْنِي^(٣) عمه وأخيه، فجمعوا في تابوت^(٤) حمل إلى قبر شاور، فنبش عنه وأُخرج منه، وكان في مكان غامض، وحمل في تابوت . وساروا بالتابوتين إلى تربة طي^(٥) بن شاور فدفنوا بها . وفي تاسع عشره رحل السلطان الملك الناصر من القاهرة، ونزل البئر البيضاء^(٦) يريد بلاد الشام، فوصل إلى الشوبك، فواقع الفرنج، وعاد على أيلة، وهلك منه نحو الخمسة آلاف رأس، ما بين جمل وفرس، في هذه السفارة .

وفيها فُرقت الزكوات في ثالث ربيع الأول على الفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل والغارمين ، ورفع إلى بيت المال سهم العاملين والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب . وأخذت

(١) فصور الفاطميين بالقاهرة كثيرة، ولعل المقصود هو القصر الكبير الذي بدأ بناؤه القائد جوهر الصقلي سنة ٩٦٩م .

(Lane-Poole : Cairo 126-128) .

(٢) أي المحرم سنة ٥٦٧ م . ويقع هذا التاريخ يوم الجمعة بالضبط .

(٣) لعل المقصود هو صبح أخو شاور ، الذي جرح جرحاً بليغاً مات منه في تلك الأيام (حسن إبراهيم حسن) :

الفاطميون في مصر، ص ٣٠٣ . (٤) في س "رحل" . (٥) أولاد شاور ثلاثة، وهم : طي وشجاع

وسليلك والأول أكبرهم ، وقد قتل سنة ١١٦٣ م ، بعد قليل من سفر أبيه شاور إلى الشام ، لاستنجد نوره الدين على فرغانة .

(Enc. Isl. Art. Shawar) . قارن هذا بما هو وارد في حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر، ص ٢٩٩ -

(٦) (٣٠٠) . لم يرد هذا الاسم في معجم البلدان لياقوت ، غير أن "البيضاء" فقط "اسم لأربع قرى بمصر،

الأولى من كورة الشرقية" ، والراجع أن هذه القرية هي ما قصد المقرئزي هنا (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٧٩٣) .

الزكاة من البضائع، وعلى ما اقتدر عليه من المواشى والنخل والخضراوات، وقررت السكة باسم المستضى، بأمر الله، وباسم الملك العادل نور الدين، فنُقش اسم كل منهما في وجهه، وذلك في سابع شهر ربيع الآخر. وفيه قُلعت المناطق الفضة التي كانت بمحاريب جوامع القاهرة التي فيها أسماء الخلفاء الفاطميين، وكان وزنها خمسة آلاف درهم فضة نقرة^(١). وفيه أنزل الغز بالقصر الغربي، وأخرج من كان ساكنا فيه. وورد الخبر بأن الخمر - بعد تعطيلها، وغلق حاناتها وقطع ذكراها، بالإسكندرية - أعيدت ببذل مال لديوان نجم الدين أيوب، ففتحت مواضعها وظهرت مناكرها. وفي جمادى الآخرة قرّر دينار الأسطول بنصف وربع دينار، بعد أن كان بنصف وثمان دینار. وفي سابعه ولد عثمان الملك العزيز. وفي ثالث عشره كشف حاصل القصر بالخزائن الخاصة، فوجد فيها مائة صندوق كسوة فاخرة، ما بين موشع ومرصع، وعقود ثمينة، وذخائر نخمة، وجواهر نفيسة، وغير ذلك من ذخائر عظيمة. وكان الذي تولى كشفها بهاء الدين قراقوش^(٥). وفيها كثرت عادية الفار في أكل ثمار النخل والأقصاب والأشجار، وأتتهى الحال إلى أن اعتصر من مائة فدان مزروعة قصباً ستون أبلوجا^(٦). ومع هذا بالأسعار

- (١) الفضة النقرة عبارة عن سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر، بنسبة ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الأحمر، ومنها كانت تضرب الدراهم النقرة. (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٣، ٤٦٦ - ٤٦٧).
- (٢) في ص "فتحت مواضعها وظهرت مناكرها". (٣) عنى الفاطميون بالأسطول، وكان قواده في أيامهم عشرة ومرتبائهم من ديوان الجيش، وهذه تختلف من عشرين دينارا إلى دينارين وعبرتها راجعة إلى الإقطاعات التي تعرف بأبواب الغزاة، والتي منها رواتبهم، ولهذا كان يصل دينارهم - أى دينار الأسطول - بالمناسبة إلى النصف. وقد اعنى صلاح الدين أيضا بالأسطول، فأفرد له ديوانا خاصا عرف بديوان الأسطول، وعين له نواحى عديدة من الخراج، كما زاد في إقطاعاته وفي ديناراه إلى ما هو مبين بالمتن (المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٨٢ - ٤٨٣، ج ٢، ص ١٨٩ - ١٩٧). (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٠، ٤٤٣).
- (٤) ثانی أولاد صلاح الدين. انظر أخبار سلطته فيما يلي. (٥) في ص، ب (ص ١٦ ب) "قراقوش"، وسيصحح إلى الرسم الوارد هنا في سائر المتن بلاتميه. واسمه بهاء الدين بن عبد الله الأسدي الرومي الملكي، وأصله عبد طوامش، أعتقه أسد الدين شيركوه، وأصبح في أوائل أيام وزارة صلاح الدين حاجبا، وقد نبطك به بعد ذلك أعمال هامة كبناء قلعة الجبل بالقاهرة، واستمر موضع ثقة صلاح الدين، وولده عثمان من بعده كما سيأتى ذكره (Enc. Isl. Art. Karakūsh). (٦) في ص ابلوجه، ويفسره (Dozy: Supp. Diet. Ar.) بأنه (pain de sucre) أى قع سكر. (٧) في ص الأسعار.

رخيصة ، (١١٥) والغلة كل ثلاثة أراڤ من القمح بدينار ، والشعير كل ثمانية أراڤ بدينار ، والفلو كل أربعة عشر أراڤا بدينار ، والسكر كل قنطار بثلاثة دنانير . وفي تاسع رجب وصلت الخلع التي نُفِّذت إلى نور الدين من الخليفة ببغداد ، وهي فَرَجِيَّة سوداء وطوق من ذهب ، فلبسها نور الدين ، وسيرها إلى الملك الناصر ليلبسها ، وكانت نفدت له خلعاً ذكر أنه استقصرها واستنزرها واستصغرها دون قدره . فبات الواصل بالخلع برأس الطابية ، فلما كان العاشر منه خرج قاضي القضاة صدر الدين بن درَّ بَاس^(١) والشهود والمقرئون والخطباء إلى خيمة الواصل بالخلعة ، وهو من الأصحاب النجمية ، وزُيِّنَت البلد . وفيه ضُربت نوب^(٢) الطبلخاناه بالباب الناصري ثلاث مرات في كل يوم ، وضربت بدمشق خمس مرات كل يوم بالباب النوري . وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع ، وشق بين القصرين والقاهرة ، فلما بلغ باب زويلة نزعها وأعادها إلى داره ، وبرز للعب الكرة^(٣) . وفيها عمت بلوى الضائقة بأهل مصر ، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا ، وعُدما فلم يوجد ، ولهيج الناس بما عثمهم من ذلك ، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكأنما ذكرت حرمة الغيور له ، وإن حصل في يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له . ومقدار ما يُحدَس أنه خرج

(١) مضبوطة على منطوقها الفرنسي في (Blochet : Op. cit. p. 105) . (٢) الطبلخاناه

— بالهاء — كلمة فارسية معناها هنا فرقة الموسيقى السلطانية ، وكانت العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بالقلمة بعد صلاة

المغرب ، وتكون صحبة السلطان في الأسفار والحروب . والطبلخاناه أيضا المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول

الفرقة وأبوابها وتوابعها من الآلات . (القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨ - ١٣ و٩) . وانظر أيضا :

(G.-Demombynes: La Syrie, Introd. P.LIV) . وفي هامش الصفحة عبارة تفسيرية لأصل نظام

نوبات الطبلخاناه ، وهذا نصها : " أصل ذلك أن السلطان علاء الدين خوارزم شاه لما عزم على المسير إلى العراق ،

وخالف على الخليفة الناصر ، ضرب لنفسه نوبة ذى القرنين تماظا ، وهي [في] وقتي الشروق والغروب ، بعد ما كانت

تضرب له خمس نوب في أوقات الصلوات الخمس ، فقوضها لأولاده بضربونها في الأقاليم التي سماها لهم على أبواب

دور سلطنتهم ، فلذلك كان نور الدين يضرب بدمشق النوب الخمس . وأول يوم ضربها خوارزم شاه اختار لضربها

سبعة وعشرين ملكا من أكابر الملوك وأولادهم ، وكانت آلات النوبة من الذهب " . (٣) في ص "وم" ،

وهي في ب (ص ١١٧) "ثم لعب" .

من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وطبوس^(١) وأثاث وقماش وسلاح
 مالا يفي به ملك الأكسرة، ولا تتصوره الخواطر، ولا تشتمل على نيئه المالك، ولا يقدر
 على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة . فوكيها عرض السلطان العربان
 الجذاميين^(٢)، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس، فاستقرت على ألف وثلاثمائة فارس لا غير،
 وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار، وكُلِّف الثعالبية [مثل]
 ذلك فامتعضوا، ولوحوا بالتحيز إلى الفرنج . وفي ثاني عشرى رجب أقيمت الخطبة في صلاة
 الجمعة بمصر والقاهرة، وقد نصبت على المنابر الأعلام السود، ولبس الخطباء ثيابا سودا أرسل
 بها من بغداد . وجُرس في البلد بالآيتاخر أحد عن الجمعة وحضورها، والفريضة وأدائها،
 ومن عثر عليه (١٥ ب) عومل بالحبس والتقييد واللوم والتفنيذ، فحضر من لا يريد الحضور .
 وفي ثالث عشرية خُلع على الوفد الشامي خلع مذهيات من بقايا ما أخذ من القصر، وأقيمت
 ضيافتهم وأدريت أنزالاتهم . وفي شعبان وقع برد في الدقهلية والمرتاحية^(٣) كأنه الأحجار المدورة،
 فاستهلك الغلات، وأصاب منها واحد رأس ثور فمات من ساعته، وبلغ وزنها ما بين رطل
 كل بردة إلى رطلين . وفيه سارت الرسل من القاهرة إلى نور الدين بلبس الخلع، وبتقرير
 ما أمر به [صلاح الدين] من المال في كل سنة . وفيه أمر السلطان بصرف أهل الذمة والمنع
 من استخدامهم في أمر سلطاني ولا شغل ديواني، فصرف جماعة، ولم ينصرف واحد منهم
 من كتابة الغز، وأرجف بإخراجهم من البلد وأخذ مساكنهم . فلما كان الخامس عشر منه
 صرفت جماعة من وجوه [أهل] الذمة من الأشغال السلطانية، وبقى بعضهم، وكتاب الغز

(١) كذا في م. والصحيح "الطباسي" جمع "طبسي" وهو الإناء الصغير . أما الطبوس فهي جمع طبس

وهو الذئب . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) (٢) في م "الجداميون" .

(٣) الدقهلية والمرتاحية هما الجزء الشمالي من مديرية الدقهلية الحالية، وكانا قسمين إداريين إلى عصر المماليك البحرية،
 ثم صارا قسما واحدا . وتنسب الدقهلية إلى دقهلة، التي تقع حسبما جاء في ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٨٤)
 على أربعة فراسخ جنوبي دمياط . وكان من حدود هذه الكورة أو القسم الإداري الجديد في الجنوب بلدة السملالوين،
 وفي الشمال قرب بلدة شربين . وأما الأراضي الواقعة على ضفتي فرع دمياط، فيما يلي هذه الكورة إلى البحر، فكانت
 تسمى نغردمياط (P. Omar Toussoun : La Geog. de L'Egypte... Arabe, T. I. P. 221)

على حالهم ، وامتنعوا من صرفهم بأنهم قد دَرَبُوا أمرهم ، ويخشون بإخراجهم ضياع أمرهم ،
وفي حادى عشرية خرج السلطان إلى الإسكندرية ، وسبب خروجه إليها كثرة رجاله وقلة
أمواله بحيث ضاق به التدبير ، فمقيل له إن في بلاد برقة أموالاً متسعة ، وليس بها إلا عربان
غير مائة ، فخرج لذلك . وعقد بالإسكندرية مشورا ، حضره [أبوه] نجم الدين أيوب
وشهاب الدين [الحارمى] وتقى الدين [عمر] ، بسبب المسير إلى بلاد الغرب ، ومبادرة زرعها
قبل حصاده . وكوتب من بمصر والقاهرة من الجند بالحضور ، وتجهيز الأسواق من السقطيين^(١)
والبيطرة وغيرهم ، وكوتب العربان بطلب الزكوات والإنكار عليهم في قطع الطريق على الجلابين .
واتضح أنه عدم في هذه السنة مائة ألف رأس من الغنم . واستقرت الرأى على أن تقى الدين
عمر بن شاهنشاه بن [نجم الدين] أيوب ، يتوجه بعسكره ومعه بحماسة فارس آخر ، وتقررت
حوالتهم في النفقة عليهم على [كورة] البحيرة . وفي ذى القعدة كثرت المناسر^(٢) ، وهجموا [على] الدروب
بالسلاح والشموع ، وحاربوا الناس ، وأخذوا المنازل ، وأحرقوا الدور بمصر . وفي ذى الحجة
وصل رسول مملك الحبشة بهدية وكتاب إلى [الخليفة] العاضد ، فقرأ كتابه وأخذت هديته .
ووصل عسكر ملك النوبة إلى القرى المتاخمة لثغر أسوان . وفيها ابتدأت الوحشة والنفرة بين
الملك العادل (١١٦) نور الدين محمود وبين السلطان صلاح الدين يوسف : وذلك لأن
نور الدين بعث إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية ، والمسير بها إلى بلاد الفرنج
ومحاصرة الكرك ، ليجتمع هو وإياه على ذلك . فبرز [صلاح الدين] وكتب إلى نور الدين
بذلك ، وخوفه أصحابه من الاجتماع بنور الدين . وكان نور الدين قد جمع عساكره ، وأقام ينتظر
الخبر ، فلما أتاه الخبر بأنه قد برز رحل عن دمشق ، ونازل الكرك وهو ينتظر قدوم صلاح الدين ؛
فأتاه كتابه يعتذر عن الوصول باختلال بلاد مصر والخوف عليها ، ويعلمه أنه عاد إلى القاهرة ؛

(١) في س أموال . (٢) شهاب الدين خال صلاح الدين ، وتقى الدين هو عمر بن شاهنشاه ، أى ابن أمى
صلاح الدين (انظر مايل) . (٣) الغالب أن المؤلف يقصد بهذا الاسم صفار الباعة عموما . على أنه يجتمل أيضا
أنه أراد باعة السقط والكروش . انظر (Dozy. Supp. Dict. Ar.) و (Blochet: Op. cit. p. 108) .
(٤) المنسر بفتح الميم وكسرهما شرذمة من العسكر . (محيط المحيط) .

فَعظَمَ ذَلِكَ عَلَى نَوْرِ الدِّينِ ، وَعَزَمَ عَلَى دُخُولِ مِصْرَ وَقَلَعَ صَلَاحَ الدِّينِ مِنْهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ صَلَاحَ الدِّينِ ، نَخَافَ وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَخَوَاصَهُ وَاسْتَشَارَهُمْ ، فَقَالَ تَقِي الدِّينَ عُمَرَ ابْنَ أَخِيهِ ، - "إِذَا جَاءَ قَابِلَنَا كَلْنَا ، وَصَدَدْنَا عَنْ الْبِلَادِ" ، وَوَافَقَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ عَلَى ذَلِكَ . فَسَبَّهَ نَجْمَ الدِّينِ أَيُوبَ ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ ذَا رَأْيٍ وَمَكْرٍ ، وَقَالَ لابْنِ ابْنِهِ تَقِي الدِّينِ : "اقْعُدْ" ، وَسَبَّهَ . وَالتَفَتَ إِلَى وَلَدِهِ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ وَقَالَ : "أَنَا أَبُوكَ ، وَهَذَا شَهَابُ الدِّينِ الْحَارِمِيُّ خَالِكَ ! أَنْظِنِ فِي هَؤُلَاءِ مَنْ يَجِبُكَ وَيُرِيدُ لَكَ الْخَيْرَ أَكْثَرَ مِنَّا؟" قَالَ : "لَا" . فَقَالَ [نَجْمَ الدِّينِ] : "وَإِنَّ اللَّهَ لَوِ رَأَيْتُ أَنَا وَخَالِكَ هَذَا السُّلْطَانَ نَوْرَ الدِّينِ لَمْ يَمَكَّنَا إِلَّا أَنْ تَرَجُلَ لَهُ ، وَتَقْبِلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ أَمَرْنَا بِضَرْبِ عُنُقِكَ بِالسَّيْفِ لَفَعَلْنَا . فَإِذَا كُنَّا نَحْنُ هَكَذَا فَكَيْفَ يَكُونُ غَيْرُنَا؟ وَكُلُّ مَنْ تَرَاهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ ، لَوْ رَأَى السُّلْطَانَ نَوْرَ الدِّينِ وَحَدَّهُ لَمْ يَتَجَاسَرَ عَلَى الثَّبَاتِ فِي سِرْجِهِ ، وَمَا يَسَعُهُ إِلَّا التَّزْوِيلُ وَتَقْبِيلُ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَهَذِهِ الْبِلَادُ لَهُ ، وَقَدْ أَقَامَكَ فِيهَا نَائِبًا عَنْهُ ، فَإِنْ أَرَادَ عَزْلَكَ فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى الْمَجِيءِ؟ يَا مَرْكَرُ بِكِتَابٍ مَعَ نَجَابٍ حَتَّى تَقْصِدَ خِدْمَتَهُ ، وَيُولَى الْبِلَادَ مِنْ يَرِيدٍ" . وَقَالَ لِلْجَمَاعَةِ كُلِّهِمْ : "قَوْمُوا عَنَّا ، فَتَحْنُ مَمَالِكَ السُّلْطَانَ نَوْرَ الدِّينِ وَعَبِيدَهُ ، يَفْعَلُ بِنَا مَا يَرِيدُ" . فَتَفَرَّقُوا عَلَى هَذَا ، وَكَتَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى نَوْرِ الدِّينِ بِهَذَا الْخَبَرِ . ثُمَّ إِنْ نَجْمَ الدِّينِ خَلَا بِابْنِهِ صَلَاحَ الدِّينِ وَقَالَ لَهُ : "أَنْتَ جَاهِلٌ قَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ ، تَجْمَعُ هَذَا الْجَمْعَ الْكَثِيرَ وَتَطْلِفُهُمْ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ ، فَإِذَا سَمِعَ نَوْرَ الدِّينِ أَنَّكَ عَازِمٌ عَلَى مَنَعِهِ عَنِ الْبِلَادِ ، جَعَلَكَ أَهْمَ أُمُورِهِ وَأَوْلَاهَا بِالْقَصْدِ ، وَلَوْ قَصِدْتَ لَمْ تَرْمَعْ أَحَدًا مِنْ هَذَا الْعَسْكَرِ ، وَأَسْلَمُوكَ إِلَيْهِ . وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ فَإِنَّهُمْ سَيَكْتُبُونَ إِلَيْهِ بِقَوْلِي ، فَارْتَبِطْ أَنْتَ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي الْمَعْنَى (١٦ ب) وَقُلْ لَهُ : "أَيُّ حَاجَةٍ إِلَى قَصْدِي؟ نَجَابٌ يَجِيءُ فَيَأْخُذُنِي بِجَبَلٍ يَضَعُهُ فِي عُنُقِي ، فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ هَذَا عَدَلَ عَنِ قَصْدِكَ ، وَاسْتَغْلَلَ بِمَا هُوَ أَهْمٌ عِنْدَهُ ، وَالْأَيَّامُ تَنْدَرُجُ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ؟" . فَفَعَلَ صَلَاحَ الدِّينِ مَا أَشَارَ بِهِ أَبُوهُ ، فَانْحَدَعَ نَوْرَ الدِّينِ وَعَدَلَ عَنِ قَصْدِهِ ، وَانْدَرَجَتِ الْأَيَّامُ كَمَا قَالَ نَجْمَ الدِّينِ ، وَمَاتَ نَوْرَ الدِّينِ .

(١) كذا في س غير ضبط .

وفيها اتخذ نور الدين محمود بالشام [الحمام الهوادي لنقل البطائق] ^(١) وفيها ولي أمير الينبع
خطابة الجامع العتيق، بعد موت الشريف تاج الشريف ^(٢) حسن بن أبي الفتوح ناصر في المحرم.

• • •

سنة ثمان وستين وخمسمائة . فيها خرج السلطان صلاح الدين بعساكره يريد بلاد الكرك
والشوبك : فإنه كان كلما بلغه عن قافلة أنها خرجت من الشام تريد مصر خرج إليها ليحميها
من الفرنج ، فأراد التوسيع في الطريق وتسهيلها . وسار إليها وحاصرها ، فلم ينل منها قصدا
وعاد . وفيها جهز [صلاح الدين] الهدية إلى السلطان نور الدين ، وفيها من الأمتعة والآلات
الفضية والذهبية والبلور واليشم ^(٣) أشياء يعز وجود مثلها ، ومن الجواهر والآلات ^(٤) شيء عظيم القدر ،
ومن العين ستون ألف دينار ، وكثير من الغرائب المستحسنة ، وفيل وحمار عتابي ، وثلاث ^(٥)
قطع بلخش فيها ما وزنه نيف وثلاثون مثقالا ، وكان ذلك في شوال . وفيها خرج العبيد من ^(٦)
بلاد النوبة لحصار أسوان ، وبها كثر الدولة ، ^(٧) فجهز السلطان الشجاع البعلبكي في عسكر
كبير فسار إلى أسوان ، وقد رحل العبيد عنها ، فتبعهم ومعه كثر الدولة ، وواقعهم وقتل منهم
كثيرا ، وعاد إلى القاهرة . وفيها سار الملك المعظم شمس الدولة نحر الدين تورانشاه بن أيوب ،
أخو السلطان صلاح الدين ، إلى بلاد النوبة ، وفتح قلعة ^(٨) برسيم وسبي وغنم ، وعاد إلى أسوان ؛

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٤٦) لتعذر قراءته في س ،
بسبب وروده بهادش بين ملتصق الصفحين ١٦ ب ، ١٧ أ .

(٢) في س السرف . (٣) حجر ثمين قريب من الزبرجد (Blochet : Op. Cit. P. 116)

(٤) في س شيا . (٥) في س ستين . (٦) في س كثيرا . (٧) الغالب أن المؤلف يقصد

نوعا من حير الوحش ، لأن كلمة "عتابي" تطلق على صنف من قماش خشن مخطط بحمرة وصفرة ، وفراء حمار الوحش

مخطط أيضا (عتابي Dozy: Supp. Dict. Ar.) . (٨) نوع من الياقوت ، والعامية تميزه من غيره بهذا

الاسم ، غير أن التسمية الصحيحة هي "الياقوت البدخشي" نسبة إلى جهات بدخشان في أقصى شرقي أفغانستان

(Quatremère: Maml. II. I. P. 71) وكذلك (Blochet: Op. cit. P. 110)

(٩) اسمه أيضا "الكنز" فقط ، وهو مصري من الصعيد ، انتزع إلى أسوان لما شرد صلاح الدين الجنود

السودانية الفاطمية بعد كشف مؤامرة الطواشي مؤتمن الخلافة . وقد جمع الكنز إليه بقايا تلك الجنود ، وحاول

معهم إعادة الدولة الفاطمية (ابن شداد النوادر السلطانية ، ص ٥٦ في Rec. Hist. Or. Vol. III.)

(١٠) في س "انحى" . (١١) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet: Op. cit. P. 111)

وأقطع إبراهيم رجلاً يعزف بإبراهيم الكردي، فسار إليها في عدة من الأكراد، وانبثوا يشنون الغارات على بلاد النوبة، حتى امتلأت أيديهم بالأموال والمواشي بعد فقر وجهد. فوافى كتاب ملك النوبة إلى شمس الدولة وهو بقوض مع هدية، فأكرم رسوله وخلع عليه، وأعطاه زوجين من نساب، وقال له: "قل للملك مالك عندى جواب إلا هذا".^(١) ووجهز معه رسلاً ليكشف له خبر البلاد، فسار إلى دمقلة وعاد إليه، فقال: "وجدت بلاداً ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة ونخل صغير منه أدامهم؛ ويخرج الملك وهو عريان على فرس عري، وقد التف في ثوب أطلس، وليس على رأسه شعر. فلما قدمت عليه وسلمت ضحك وتغاشى، وأمر بي فكويت على يدي هيئة صليب، وأنعم علي بنحو خمسين رطلاً من دقيق. وليس في دمقلة (١١٧) عمارة سوى دار الملك، وباقيها أخصاص". وفيها عظم هم [السلطان] نور الدين بأمر مصر، وأخذ من استيلاء صلاح الدين عليها المقيم المقعد، وأكثر من مراسلته بجمل الأموال، ثم بعث بوزيره الصاحب موفق الدين خالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسراني إلى مصر، لعمل حساب البلاد، وكشف أحوالها، وتقرير القطيعة على صلاح الدين في كل سنة، واختبار طاعته؛ فقدم إلى القاهرة وكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله. وفيها مات أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب نجم الدين الملقب بالملك الأفضل أبي سعيد الكردي، والد السلطان صلاح الدين يوسف. وذلك أنه خرج من باب النصر بالقاهرة، فألقاه الفرس إلى الأرض يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي الحجة، فحمل إلى داره في تاسع عشره وقيل لثلاث بقين منه، فقبُر عند أخيه أسد الدين شيركوه، ثم نقل إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين وخمسمائة.

(١) كذا في س دائماً، وهي أيضاً صحيحة بالنون بدل الميم (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٩٩، و ٦١١). (٢) بين الصفحتين ١٦ ب، و ١٧ أ هامش على ورقة منفصلة. وقد لصق هنالك خطأ، وموضعه المناسب حيث حوادث سنة ٥٧٥، فلينظر هناك. (٣) في س "صغير"، وقد صححت على منطوقها في (Blochet: Op. cit. P. 112).

* * *

سنة تسع وستين وخمسمائة . فيها وصل إلى القاهرة موفق الدين أبو البقاء خالد ابن محمد بن نصر بن صغير المدزوف بابن القيسراني من عند السلطان الملك العادل نور الدين ، مطالباً لصلاح الدين بالحساب عن جميع ما أخذ من قصور الخلفاء وحصل من الارتفاع .^(١) فشق ذلك عليه وقال : " إلى هذا الحد وصلنا ؟ " وأوقفه على ما تحصل له ، وعرض عليه الأجناد ، وعرفه مبالغ إقطاعاتهم وجامعاتهم ، ورواتب نفقاتهم . ثم قال : " وما يُضبط هذا الإقليم العظيم إلا بالمال الكبير ، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماؤها ، وأنهم معتادون بالنعمة والسعة ، وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم ، ولا يسمحون بأن ينقص من ارتفاعها " ، وأخذ يجمع المال . وفيها سار الأمير شمس الدولة تورا نشاه ، أخو السلطان صلاح الدين ، إلى اليمن : وذلك لشدة خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين أن يدخل إلى مصر وينتزعهم منها ، فأحبوا أن يكون لهم مملكة يصيرون إليها . وكان اختيارهم قد وقع على النوبة ، فلما سار إليها لم تعجبه وعاد . وكان الفقيه عمارة اليمني قد انقطع إلى الأمير شمس الدولة ، ومدحه واختص به ، وحدثه عن بلاد اليمن وكثرة الأموال بها ، وهون أمرها عنده ، وأغراه بأن يستبد بملك اليمن ، وتعرض لذلك في كلمته التي أولها :

العِلْمُ مَذْكَانٌ مَحْتَاجٌ إِلَى الْعَلْمِ * وَشَفْرَةُ السَّيْفِ تَسْتَفْنِي عَنِ الْقَلَمِ^(٢)

ومنها : —

فَأَخَاطِقُ لِنَفْسِكَ مَلَكًا لَا تُضَافُ بِهِ * إِلَى سَوَاكِ وَأَوْرِي النَّارَ فِي الْعَلْمِ
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته * ، كما يقول الوري ، لحما على وضم

(١) الارتفاع ما يحصل من الدواوين عامة . راجع الفهرس . (٢) الجلميكات الرواتب عامة (Dozy: Supp. Dibt. Ar.) وفي الفلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٧) أن ثقة بمالك السلطان كانت عبارة عن "جاميكات وعليف وكسوة وغير ذلك" .

(٣) كثير من أبيات هذه القصيدة وارد في ترجمة عمارة اليمني وقد قوبل الوارد هنا عليها . انظر (Derenbourg: Oumara du Yemen, T. I. PP. 352—355, T. 2. PP. 619—620)

(١٧ ب) وكان يشمس الدولة مع ذلك جوادا كثير الإنفاق، فلم يقنع بماله من الإقطاع بمصر، وأحب التوسع . فاستأذن صلاح للدين في المسير، فأذن له واستعد لذلك، وجمع وحشد، وسار مستهين رجب . فوصل إلى مكة فزارها، ثم خرج منها يريد اليمن، وبها يومئذ أبو الحسن علي بن مهدي، ويقال له عبد النبي . فاستولى على زبيد في سابع شوال، وقبض على عبد النبي، وأخذ ما سواها من مدائن اليمن، وتلقب بالملك المعظم، وخطب له بذلك بعد الخليفة المستضيء بأمر الله في جميع ما فتحه، وبعث إلى القاهرة بذلك . فسير السلطان صلاح الدين إلى الملك العادل يعلمه بذلك، فبعث بالخبر إلى الخليفة المستضيء ببغداد . وفي سادس شعبان قبض على أولاد العاضد وأقاربه، وأخرجوا من القصر إلى دار المظفر بحارة برجوان، في العشر الأخير من رمضان .

وفيها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، وكتبوا الفرنج : منهم القاضي المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله ابن كامل القاضي، والشريف الجليس، ونجاح الحماسي، والفقيه عمارة بن علي اليماني، وعبد الصمد الكاتب، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولى ديوان النظر ثم القضاء، وداعي الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوي، والواعظ زين الدين بن نجما، فوشى [ابن نجما] بنحبرهم إلى السلطان، وسأله في أن ينعم عليه بجميع ما لابن كامل الداعي من الدور

(١) قبالة هذه العبارة كلمة "انظر" بالهامش . (٢) قصة هذه المؤامرة منشورة بنصها في كتاب تاريخ عمارة اليمنى تحت عنوان "نبذة من كتاب السلوك..." . (Derenbourg: Oumara, T: II. PP. 650—652) . وقد قوبل ما دعا عليها . (٣) بغير ضبط في س . (٤) تقاصر منصب الوزارة بمصر منذ عصر الأيوبيين، وشارك الوزير في أعماله وتصريفها النظار، وتنوعت ألقاب هؤلاء بحسب الأعمال التي آلت إليهم : فناظر الجيش هو الذي يتحدث في أموال الجيوش وينظر في حسابها؛ وناظر الخصاص هو الذي ينظر في خاص أموال السلطان؛ وناظر الدولة وعمله مشاركة الوزير في التصرف عامة، وأكثر في المالية وأرزاق أصحاب القلم من الموظفين خاصة . واسمه أيضا ناظر الدهاوين، وأحيانا ناظر النظار أو صاحب الشريف، ومقره ديوان النظر . ويعاونه في أعماله متولى الديوان، وهو ثاني رتبة الناظر . القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥، ص ٤٦٥ — ٤٦٦ . (G. — Demombynes: Op. cit. P. LXVIII) . (٥) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ ج ١١، ص ٢٦٢ — ٢٦٤) .

والموجود كله ، فأجيب إلى ذلك ، فأحيط بهم وشنقوا في يوم السبت ثاني شهر رمضان بين القصرين : وشنق عمارة وصب فيما بين بابي الذهب و باب البحر ، وابن كامل في رأس الخروقيين التي تعرف اليوم بسوق أمير الجيوش ؛ والعوريس على درب الهلسلة ؛ وعبد الصمد وابن سلامة وابن المظلي^(١) الأمير ومصطنع الدولة والحاج ابن عبد القوي بالقاهرة ؛ وشنق ابن كامل القاضي بالقاهرة يوم الأربعاء تاسع عشر شوال ؛ وشنق أيضا شبرا^(٢) وأصحابه وجماعة من الأجناد والعيبد والحاشية وبعض أمراء صلاح الدين . وقبض [صلاح الدين] سائر ما وجد عنهم من مال وعقار ، ولم يمكّن ورثتهم من شيء البتة ؛ وتبع من له هوى في الدولة الفاطمية ، فقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا ؛ ونودي بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر وراجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد . وقبض على رجل يقال له قديد بالإسكندرية ، من دعاة الفاطميين ، يوم الأحد خامس عشر رمضان ، وقبض على كثير من السودان ، وكووا بالنار في وجوههم وصدورهم^(٤) .

وفيهما جهاز السلطان مع الوزير ابن القيسراني ما تحصل عنده من المال ، وأصحبه هدية لنور الدين : وهي خمس خنّات إحداها في ثلاثين جزءا ، مغطاة بأطلس أزرق ومضّبة بصفايح ذهب ، وعليها أقفال من ذهب مكتوبة بخط ذهب ، بحواجرى في عشرة أجزاء مغطاة بديباج فُستق ؛ وأخرى في جلد بخط ابن البواب بقفل ذهب وثلاثة أحجار بلخش ، منها حجر زنته اثنان وعشرون مثقالا ، وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا ، وآخر عشرة مثاقيل ونصف ؛ وست قصبات زمرد إحداها وزنها ثلاثة مثاقيل ، وحجر ياقوت أحمر ، وزنه سبعة مثاقيل ، وحجر ياقوت أزرق وزنه ستة مثاقيل ، ومائة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالا ، وخمسون قارورة دهن بلسان ، وعشرون قطعة (١٨) بلور ، وأربع عشرة قطعة جَزَع بمابين

(١) في س المطبى بغير ضبط . (٢) في س ثم ما بشين منقوطة فقط ، وبغير ضبط .

(٣) في س قديم . (٤) هنا تنتهى الفقرة المنشورة بكتاب تاريخ عمارة اليمنى (انظر ص ٥٣ حاشية ٤) .

(٥) في س احدها .

زبادى وسكارج^(١) ، وإبريق يشم^(٢) وطشت يشم^(٣) ، مسقوق مينا مذهب^(٤) ، بعروة فيها حبتا لؤلؤ
وفي الوسط فص ياقوت أزرق ، وصحون وزبادى وسكارج من صيني عدتها أربعون قطعة ،
وعود قطعتين كبارا ، وعبر منه قطعة زيتها ثلاثون رطلا ، وأخرى عشرون رطلا ، ومائة ثوب^(٥)
أطلس ، وأربعة وعشرون بقبارا مذهباً^(٦) ، وأربعة وعشرون ثوبا وشياً حريرية بيضاء ، وحلة لؤلؤ^(٧)
مذهب ، وحلة مرايش أصفر مذهب ، وحلة مرايش أزرق بذهب ، وحلة مرايش بقصب
أحمر وأبيض ، وحلة فستق بقصب مذهب ، وقماش كثير^(٨) ، قدر قيمتها بمائتي ألف دينار وخمسة
وعشرين ألف دينار . وساروا بذلك ، فبلغهم موت نور الدين ، فأعيدت وهلك بعضها .

وفيها مات السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكي ، في يوم الأربعاء حادي عشر شوال ،
بعلة الخوانيق^(٩) ، وكان قد تجهز لأخذ مصر من صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد خطب
له بالشام ومصر والحرمين واليمن . وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل ، وعمره إحدى عشرة
سنة ، فخطب له السلطان صلاح الدين بمصر ، وضرب السكة باسمه . وفيها نزل أسطول الفرنج
بصقلية على ثغر الإسكندرية ، لأربع بقين من ذى الحجة بغتة^(١٠) ، وكان الذي جهز هذا الأسطول

(١) سكلج جمع سكرجة وهي الصلحة ، وزبادى جمع زبدية وهي وعاء الشراب . أما الجزع فهو الخرز البني ،
فيه سواد وبياض ، وإنما المقصود هنا الآنية المصنوعة من الصيني الجزع ، أى الذى فيه سواد وبياض ، أوردى
الألوان المختلفة . (محيط المحيط و Dozy: Supp. Diet. Ar.) . (٢) انظر ص ٥٣ حاشية ٣ . (٣) كذا
في س بغير ضبط ، وهي مترجمة مع التشكك إلى (Shakrāk) في (Blochet : Op. cit. p. 116) . على أنه
يوجد نوع من النبيذ الحبشى اسمه سقرقه (Lane : Lexicon) ، وربما كان المقصود هنا الوعاء الخاص بهذا
الشراب . (٤) كلمة فارسية معناها سجادة سوداء مصنوعة من وبر الجمل (Johnson : Diet.) ، ومعناها أيضا
في (Dozy: Op. cit.) نوع من العائم الكبار ، كالتى يلبسها الوزراء وأصحاب القلم . (٥) في س "وشى حريره
بيض" . (٦) في س "مرايش" . (٧) في س "قاشا كثيرا" . (٨) هي المرض المسى بالذبحة ،
(Dozy: Supp. Diet. Ar.) ، ومن أنواعه الذبحة الصدرية (Angina Pectoris) . انظر (Price: Holbyn's
Diet. of Med. Terms.) (٩) كانت هذه الحملة البحرية ذبلاً للزمامرة الثورية التى اتهم بتديرها الشاعر
عمارة البنى . وقد تقدم أن المتأمرين كاتبوا الفرنج (انظر ص ٥٣) ومن هؤلاء وليام الثانى (William II)
النورماندى ملك صقلية . وهو ابن وليام الأول ، وجده روجر الأول (Roger I) مؤسس مملكة النورماندين
في صقلية منذ سنة ١١٠٣ م . بعد التغلب على دولة المسلمين بها بقليل (Camb. Med. Hist. Vol. V. pp. 184 - 207).
أما عن هذه الحملة التى وصلت مراكبة إلى الإسكندرية بعد فشل المؤامرة ، فالسبب فى ذلك
أن ملك صقلية لم يعلم بما حاق بالمتأمرين بالقاهرة ، فبعث مراكبه إلى الإسكندرية حسب الاتفاق المبيت معهم .
(Lane - Poole : Saladin. p. 127)

غليالم بن غليالم بن رجار ممتلك صقلية ، ولى ملك صقلية بعد أبيه في سنة ستين وخمسمائة وهو صغير، فكفلته أمه ، وتولى التدبير خادم اسمه با ترمدة سنة^(٢) ، ثم فر إلى السيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [صاحب البلاد المغربية]^(٣) ، ثم اشتد غليالم بتدبير ما يكره ، واحتفل في سنة إحدى وسبعين بعمارة [هذا] الأسطول ، فاجتمع له مالم يجتمع لجدده رجار ، وحمل في الطرائد^(٤) ألف فارس ، وقدم على الأسطول رجلا من دولته يسمى أكيم مؤذقة^(٥) ، وقصد الإسكندرية ، ومات غليالم في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . ولما أرسى هذا الأسطول على البر ، أنزلوا من طرائدهم ألفا وخمسمائة فارس ، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، وعدة طرائدهم ستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل ، ومائتي شيني في كل شيني مائة وخمسون رجلا ، وعدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار ست سفن ، والتي تحمل الأزواد والرجال أربعين مركبا ، فكانوا نحو الخمسين ألف راجل . ونزلوا على البر مما يلي المنارة ، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السور ، وقتل من المسلمين سبعة . وزحفت مراكب الفرنج إلى الميناء ، وكان بها مراكب المسلمين ففرقوا منها ، وغلبوا على البر وخيموا به ، فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة . وزحفوا لحصار البلد ، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها ، وثلاثة مجانيق^(٨)

(١) كذا في س ، وبغير ضبط . انظر الحاشية السابقة . (٢) كذا في س ، وبغير ضبط . والاسم الصحيح هو . (Stephen of Perch) ولم يكن خادما ، بل هو ابن عم الملكة ماجريت (Margaret) أم الملك وليام الثاني (Camb. Med. Hist. Vol. V. P. 197) . (٣) ما بين القوسين من أبي شامة (كتاب الروضتين في (Rec. Hist. Or. Vol. IV. P. 164) . (٤) جمع طراد أو طراة ، وهي نوع من المراكب الحربية ، أكثر شيها بالبرميل الهائل من السفينة ، وكانت تستعمل غالبا في حمل الخيول والفرسان (Dozy: Supp. Diet. Ar.) وانظر أيضا المرجع والصفحة المذكورين في الحاشية السابقة . (٥) كذا في س ، وبغير ضبط . وهو مترجم إلى (Akim - Moudhaka) في (Blöchet: Op. cit. p. 117) مع عدم اهداء المترجم إلى شخصية صاحب الاسم . هذا وليس بين أسماء مجلس الملك و يلبام الثاني من يشابه اسمه الرمم الوارد هنا . انظر (Camb. Med. Hist. Vol. V. p. 197) .

(٦) كذا في س . (٧) سفينة حربية كبيرة ، يقابلها في الفرنسية (Galère) ، ومثلها الهيئية ، والجمع شون وشواني (Dozy: Supp. Diet. Ar.) . (٨) الدبابات جمع دبابة ، وكانت لعبارة عن شبه برج متحرك ، له أحيانا أربعة أدوار ، أولها من الخشب ، وثانيها من الرصاص (Plomb) ، وثالثها من الحديد ، ورابعها من النحاس الأصفر . ويحرك هذا البرج الهائل على عجلات ، وتصعد إلى طبقاته الجنود لمهاجمة الحصون وتسلق الأسوار . أما لفظ الكباش ، ففرده كبش ، ويجمع على كبوش وأكبش ، وهو آلة متصلة بالدبابة ، لها رأس ضخم وقرنان ، تدفعها الجنود نحو الأسوار لتهدمها (Dozy: Supp. Diet. Ar.) .

كبارا تضرب بجارية سود عظيمة . وكان السلطان على فأقوس ، فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرنج ، فشرع في تجهيز العساكر ، والقتال والرمي بالمجانيق^(١) مستمر . فوصلت العساكر ، وفتحت الأبواب ، وهاجم المسلمون الفرنج ، وحرقوا الدبابات ، وأيدهم الله بنصره ، واستمر القتال يوم الأربعاء إلى العصر ، وهو الرابع من نزول الفرنج . ثم حملوا حملة ثانية عند اختلاط الظلام على الخيام ، فتسلموها بما فيها ، وقتلوا من الرجال عددا كثيرا ومن الفرسان . فافتحم المسلمون البحر ، وأخذوا عدة مراكب خسفوها فغرقت ، (١٨ ب) وولت بقية المراكب منزومة ، وقتل كثير من الفرنج ، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة مالا يقدر على مثله إلا بعناء ، وأقلع باقي الفرنج مستهل سنة سبعين .

وفيها ، أعنى سنة تسع وستين [وخمسمائة] ، وقف السلطان صلاح الدين ناحية نقادة من عمل قوص بناحية الصعيد الأعلى ، وثلاث ناحية سندیس من القليوبية ، على أربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح الشريف النبوي ، وضمن ذلك كتابا ثابتا تاريخه ثامن عشرى شهر ربيع الآخر منها ، فاستمر ذلك إلى اليوم . وكان قاع النيل ستة أذرع وعشرين أصبعا ، وبلغ سبعة عشر ذراعا وعشرين أصبعا .

(٥)

[سنة سبعين وخمسمائة] . وفيها جمع كنز الدولة وإلى أسوان العرب والسودان ، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية ، وأنفق في جموع أموالا جزيلة ، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم ، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين . وخرج في قرية طود رجل يعرف بعباس ابن شادي ، وأخذ بلاد قوص ، وانتهب أموالها . فجhez السلطان صلاح الدين أخاه الملك

(١) في مره "بالمناجنيق" . (٢) في س ست . (٣) في س سبع عشرة .

(٤) ليس لعنوان هذه السنة وجود في س ، ولعل السبب أن المقریزی اكتفى بكلمة "فيها" ، على أن تعود هاؤها

إلى عبارة "سنة سبعين" الواردة بالسطر الثامن من هذه الصفحة . انظر ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٧٣) .

حيث يرد ذكر هذه الحادثة أول سنة سبعين . (٥) العبارة الآتية واردة بالهامش : "كنز الدولة هذا يرجع

نسبه إلى مسروق بن معدى كرب (كذا) بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل ، واسمه

كنز الدولة" . وبلاحظ أن بعض هذه الأسماء مضبوط في س .

العادل في جيش كثيف ، ومعه الخطير مهذب بن ممتاني ^(١) ، فسار وأوقع بشادي وبدد جموعه وقتله ، ثم سار فلقية كثر الدولة بناحية طود ، وكانت بينهما حروب فز منها كثر الدولة ، بعد ما قتل أكثر عسكره ، ثم قتل [كثر الدولة] في شابع صفر ، وقدم العادل إلى القاهرة في ثامن عشرية .

وفيها ورد الخبر على السلطان بسير الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن نور الدين إلى حلب ، ومصالحته للسلطان سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فأهّمه وخرج يريد المسير إلى الشام . فترى بركة الحب ^(١) أول صفر ، وسار منها في ثالث عشر ربيع الأول ، على صدر ^(٢) وأيلة ، في سبعمائة فارس ، واستخاف على ديار مصر أخاه الملك العادل . ونزل بصرى وخرج منها ، فترى الكسوة يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول ، وخرج الناس إلى لقائه ، فدخل إلى دمشق يوم الإثنين أول شهر ربيع الآخر ، وملكها من غير مدافع . وأنفق في الناس مالا جزيلا ، وأمر فنودي بإطابة النفوس وإزالة المكوس ، وإبطال ما أحدث بعد نور الدين محمود من القبائح والمنكرات والضرائب ، وأظهر أنه إنما جاء لتربية الصالح بن نور الدين ، وأنه ينوب عنه ويدبر دولته ، وكاتب الأطراف بذلك . وتسلم قلعة دمشق بعد امتناع ، فأنزل بها أخاه ظهير الإسلام طغتكين بن أيوب ، وبعث بالبشارة إلى القاهرة ، وخرج مستهل جمادى الأولى ، فنزل حمص حتى تسلمها في حادى عشره ، وامتنعت عليه قلعتها ، فأقام على حصارها طائفة ، وسار إلى حماة فترى عليها في ثالث عشرية ، وبها عز الدين جريدك ^(٤) ، فسلمها إليه .

(١) لعله ابن ممتاني صاحب كتاب قوانين الدولة (الفقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٦) . وقد اخطأ كاتب نسخة ب (ص ١٢١) قراءة هذا الاسم فقال : ومعه الخطيب مهذب بممتاني فارس . (٢) منزله بظاهر القاهرة من بحريها ، وكان صلاح الدين يبرز إليها للصيد ، ويقام فيها الأيام ، وفعل ذلك الملوك قبله وبعده . وقد تغير اسمها زمن المقرئى — أى في القرن الثامن الهجرى — إلى بركة الحاج ، لنزول الحاج بها عند سيرهم من القاهرة وإليها موسم الحج (المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٨٩) . (٣) قلعة خراب بين القاهرة وأيلة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٧٥) .

(٤) تصح كتابة هذا الاسم "جوردك" أيضا ، انظر (Rec. Hist. Or. Vol. III. Index) . وأصل جوردك من ممالك السلطان نور الدين ، واقبه النورى . وكان ممن رافقوا أسد الدين شيركوه إلى مصر ، وهو الذى اشترك مع صلاح الدين في الفتك بالوزير شاور (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤) . أما عن تفصيل موقفه بازاء مجي صلاح الدين إلى الشام ، فانظر نفس المرجع والجزء ص ٢٧٦ ، وسأبقى بقية أخباره فيما يلي .

وفي جمادى الأولى ولى ابنُ عَصْرُون القضاء بديار مصر، وسار [صلاح الدين] إلى حلب، وبعث إلى الصالح [إسماعيل] في الصلح مع جرديك، فأبى أصحابه ذلك، وقبضوا على جرديك وقيده، وبلغ ذلك صلاح الدين، وقد سار عن حماة يريد حلب، فعاد إليها، ثم سار منها إلى حلب، ونزل جبل جوشن^(١) ثالث جمادى الآخرة، واستعد أهل حلب وخرجوا لقتاله، وقاتلوه قتالا شديدا إلى أول رجب. فرحل (١١٩) صلاح الدين يريد حمص، وقد بلغه مسير القومص ملك الفرنج بطرابلس، بمكاتبة أهل حلب، وأنه منازل لحمص. فلما قرب من حمص عاد القومص إلى بلاده، فنزل صلاح الدين قلعتها، ونصب المجانيق عليها إلى أن تسلمها بالأمان، في حادى عشرى شعبان؛ وسار إلى بعلبك، فحصرها حتى تسلم قلعتها في رابع رمضان، وعاد إلى حمص. وكانت بينه وبين أصحاب الصالح وقعة على قُرُون حماة، في يوم الأحد تاسع عشره، انتصر فيها صلاح الدين، وهزمهم وغنم كل ما معهم، ولم يقتل فيها أكثر من سبع أنفس؛ وسار حتى نزل على حلب، وقطع الخطبة للصالح، وأزال اسمه عن السكة في بلاده، فبعث أهل [الصالح] إليه يلتمسون منه الصلح، فأجاب إليه على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام، ولهم ما بأيديهم منها، واستراد منهم المعرة وكفرطاب^(٤)، وكُتبت نسخة يمين^(٤) وعليها خط صلاح الدين، بعد ما حلف وعاد إلى حماة.

١٥ [وكان صلاح الدين] قد كتب إلى بغداد يعدد فتوحاته وجهاده للفرنج، وإعادته الخطبة العباسية بمصر، واستيلاءه على بلاد كثيرة من أطراف المغرب وعلى بلاد اليمن كلها، وأنه قدم

(١) في مس "جبل جوشن" بغير ضبط. انظر باقوت (معجم البلدان ج ٢، ص ١٥٥).
 (٢) كذا في مس بغير ضبط، والقومص تعريب حرفي للكلمة اللاتينية (Comes) التي صارت إلى (Comte) في اللغة الفرنسية. أما الشخص المقصود هنا، فهو الكونت ريمون الثالث صاحب إمارة طرابلس الصليبية، ولقبه الصنجيل في بعض المراجع الإسلامية، (Le comte Raymond descendant... de Saint-Agilles Prince de Tripoli) راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٧٧، وكذلك نفس المرجع في (Rec. Hist. Or. Vol. I. p. 619). (٣) في مس سبعة. (٤) بغير ضبط في مس، وهي بلدة بين المعرة ومدينة حلب (باقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٢٨٩).

إليه في هذه السنة وفد سبعين راكبا ، كلهم يطلب لسلطان بلده تقييدا . وطلب [صلاح الدين] من الخليفة تقييدا مصر واليمن والمغرب والشام ، وكل ما يفتحه بسيفه .^(١) فوافقه بحماة رسل الخليفة المستنصر بالله ، بأمر الله ، بالتشريف والأعلام السود ، وتوقيع بسلطنة بلاد مصر والشام وغيرها . فسار ونزل على بعيرين ويقال بارين ،^(٢) وحاصر حصنها حتى تسلمه في العشرين منه ، ورجع إلى حماة . وفيها تقرر العماد الإصفهاني نائباً في الكتابة عن القاضي الفاضل بسعاية نجم الدين محمد بن مصال .^(٣) وسار صلاح الدين إلى دمشق ثم رحل عنها ، فقتل مرج البصفر ،^(٤) ووافته به رسل الفرنج في طاب الهدنة ، فأجابهم إليها بشروط أشراطها . وأذن للعساكر في المسير إلى مصر لحدب الشام فساروا ، ورجع هو إلى دمشق في محرم [سنة] إحدى وسبعين ، وفوض أمرها إلى [ابن أخيه] تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

♦ ♦ ♦

[سنة إحدى وسبعين وخمسمائة] . وفيها سار شرف الدين قراقوش - أحد أصحاب تقي الدين عمر - إلى بلاد المغرب في حادي عشر محرم في جيش ، فأخذ من صاحب أوجلة^(٥) عشرين ألف دينار فرققها في أصحابه ، وعشرة آلاف دينار لنفسه ، وسار منها إلى غيرها ، ثم بلغه موت صاحب أوجلة ، فعاد إليها وحاصر أهلها ، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عنوة ، وقتل من أهلها سبعمائة رجل ، وغنم منها غنيمة عظيمة ، وعاد إلى مصر .

(١) كان الخطيب شمس الدين بن البيضاء رسول صلاح الدين إلى الخليفة المستنصر بالله في تلك المرة

(٢) Blochet : Op. cit. p. 123. N. 3. (٣) في س "بسرير" والنطق الأول الذي في المتن هو ما تقول به العامة ، والثاني هو الصحيح . وتقع بارين

بين حلب وحماة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٥) . (٤) ضبط هذا الاسم على منطوقه

في (Rec. Hist. Or. IV. P. 130) (٥) أحد الأرواح الواقعة حول مدينة دمشق . (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٨٨) . (٦) في س بلذب . (٧) ليس لعنوان هذه السنة وجود في س ،

انظر ص ٥٧ حاشية رقم ٤ ، وراجع أيضا ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٨٢ ، وما بعدها) .

(٨) في س بها الدين ، وقد خلط المقرئ بين بها الدين قراقوش المتقدم ذكره وبين شرف الدين هذا . انظر

(٩) مدينة في جنوبي برقة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٩٧) .

- وفيها تجهز الحلبيون لقتال صلاح الدين، فاستدعى عساكر مصر، فلما وافته بدمشق في شعبان سار في أول رمضان^(١)، فلقينهم في عاشر شوال. وكانت بينهما وقعة (١٩ ب) تأخر فيها السلطان [سيف الدين] غازي صاحب الموصل، فظن الناس أنها هزيمة، فوأت عساكرهم. وتبعهم صلاح الدين، فهلك منهم جماعة كثيرة، وملك خيمة غازي، وأسر علبا عظيما، واحتوى على أموال وذخائر وفُرش وأطعمة وتحف تجمل عن الوصف. وقدم عليه [أخوه] الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه [بن أيوب]^(٢) من اليمن، فأعطاه سرادق السلطان غازي بما فيه من الفرش والآلات، وفرق الإصطبلات والخزائن علي من معه،^(٣) وخلع على الأسرى وأطلقهم. ولحق [سيف الدين] غازي بمن معه، فالتجأوا [جميعا] لحلب، ثم سار إلى الموصل [وهو لا يصدق أنه ينجو، وظن أن صلاح الدين يعبر للفرات ويقصده بالموصل]. ورحل صلاح الدين ونزل على حلب في رابع عشر شوال، فأقام عليها إلى تاسع عشره، ورحل إلى بزاعة^(٥)، وقاتل أهل الحصن حتى تسلمه. وسار إلى منبج، فنزل عليها يوم الخميس رابع عشره، ولم يزل يحاصرها أياما حتى ملكها، وأخذ من حصنها ثلاثمائة ألف دينار، ومن الفضة والآنية والأسلحة ما يناهز ألفي ألف دينار. ورحل إلى عزاز، وحاصرها من يوم السبت رابع ذي القعدة إلى حادي عشر ذي الحجة، فتسلمها وأقام فيها من يثق به، وعاد إلى حلب.
- وفي يوم الثلاثاء رابع عشره وثب عدّة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين، فظفر بهم بعد ما جرحوا عدّة من الأمراء والخواص. ثم سار إلى حلب فنزل عليها في سادس عشره،

(١) العبارة الآتية واردة بهامش الصفحة في س، ونصها: "وفي يوم الاثنين ثامن عشرى رمضان كسفت الشمس بجميعها، وأظلم النهار ورؤيت النجوم". وقد أدمجها كاتب ب (ص ٢٢ أ) في المتن بعد لفظ "رمضان".

(٢) في س الإصطبلات. (٣) في س اخلع.

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٨٣) لتوضيح العبارة:

(٥) في س بزاعانا وهي بلدة من أعمال حلب، واقعة بينها وبين منبج. وينطق أهل حلب هذا الاسم أحيانا بكسر

الباء، وأحيانا بالألف المقصورة بدل التاء. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٦٠٣). (٦) في س

مزار، وهي بلدة شمالي حلب (نفس المرجع، ج ٣، ص ٦٦٧). (٧) قصة وثوب الإسماعيلية هذه

واردة بهامش الصفحة في س، وتلاها بالهامش أيضا فقرة طويلة عن حملة بحرية أتت من صقلية لمحاصرة الإسكندرية، =

وأقطع عسكره ضياعها ، وأمر بجباية أموالها ، وضيق على أهل حلب من غير قتال ، بل كان يمنع أن يدخلها أحد أو يخرج منها^(١) .

♦ ♦ ♦

[سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة^(٢)] . فلما كان رابع المحرم سنة اثنتين وسبعين ركب العسكران وكانت الحرب ، فقتل جماعة من أصحاب صلاح الدين . ثم تقرر الصلح بينه وبين الملك الصالح ، على أن يكون للصالح حلب وأعمالها . ورحل [صلاح الدين] في عاشره ، فنازل مصيَّب^(٣) ، وفيها راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد ، صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الباطنية ، وإليه تنسب الطائفة السنانية . ونصب عليها المجانيق والعزادات^(٤) من ثالث عشره إلى أيام ، ثم رحل ولم يقدر عليهم ، وقد امتلأت أيدي أصحابه بما أخذوه من القرى . وفوض [صلاح الدين] قضاء دمشق لشرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون ، عوضاً عن

= وهي في تفاصيلها وعدد مراكبها وجنودها وأزوادها تشبه الحملة التي تقدم ورودها في ص ٥٥ ، تحت سنة ٥٨٩ ، وليس في المراجع المتداولة في حواشي هذا الكتاب ما يشير إلى وصول حملة ثانية من صقلية إلى الإسكندرية ، فأكبر الظن أن المؤلف نسي ما أورده أولاً عن تلك الحملة ، فكتبها مرة ثانية في مكان غير مناسب تاريخياً . وهذا نص الفقرة بتمامه : — ” وفيها وصل من صقلية إلى الإسكندرية مائتان وستون مركباً تحمل الرجال ، وستة وثلاثون طريدة تحمل الخيل ، وستة مراكب تحمل آلة الحروب ، وأربعون مركباً تحمل الزاد ، فكانت [عدة] من فيها من الرجال خمسين ألفاً ، ومن الخيالة ألفاً (في س الف) وخمسمائة فارس ، فقاتلهم أهل النصارى قتالاً ، وأتتهم العساكر من القاهرة . ثم قدم السلطان صلاح الدين فهزم الله الفرنج ، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة ، وأحرقوا عدة من مراكبهم ، وأسروا طائفة ، وذلك في المحرم [سنة سبعين وخمسمائة] “ .

(١) العبارة الآتية واردة بهامش الصفحة ، وليس لها علاقة بالمتن ، ولذا وضعت هنا ، ونصها : — ” وفي سنة إحدى [سنة] وسبعين مات الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وأتودين (كذا) بن علي بن أحمد بن وأل (كذا) أحد العشرة أصحاب مهدي الموحدين أبي عبد الله محمد بن نور محمد بن نومرت بسلا . وإلى أبي حفص هذا ينسب ملوك تونس من إفريقية فيقال لهم الحفصيون “ . انظر الزركشي (تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ١٤٩) .

(٢) ليس لعنوان هذه السنة وجود في س ، ولعل السبب هو اتصال أخبار السنة السابقة بحوادث هذه السنة ، وعدم وجود علة حقيقية للفصل . (٣) في من مصيات وهو خطأ ، واسمها مصياف أيضاً عند العامة ، وهي

بساحل الشام قرب طرابلس (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٥٦) . (٤) جمع عمادة ، وهي من آلات الحرب ، أصغر من المنجنيق ، ترمى بالحجارة المرمى البعيد (محيط المحيط) .

كآال الدين الشهرزوري بعد وفاته . وفيه أأار الفرنج على البقاع ،^(٢) فخرج إليهم الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم من بعلبك ، فأوقع بهم وقتل منهم وأسرو . وخرج إليهم المعظم شمس الدولة من دمشق فلقبهم بعين الجرز ، وأوقع بهم ، ثم سار إلى حماة وبها صلاح الدين ، فوفاه في الثاني من صفر . ثم سار السلطان منها ودخل دمشق سابع عشره ، فأقام بها إلى رابع شهر (١٢٠) ربيع الأول ، وخرج منها إلى القاهرة ، واستخلف على دمشق أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب ، فوصل إليها لأربع بقين منه .

وفيها أمر السلطان ببناء السور على القاهرة والقلعة ومضمر ، ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بذراع العمل . فتولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، وشرع في بناء القلعة ، وحفر حول السور خندقاً عميقاً ، وحفر واديه وضيق طريقه . وكان في مكان القلعة عدة مساجد منها مسجد سعد الدولة ، فدخلت في جملة القلعة ، وحفر فيها بئراً ينزل إليها بدرج منحوتة في الحجر إلى الماء . وفيها أمر السلطان ببناء المدرسة بجوار قبر الشافعي بالقرافة ، وأن تعمل خزانة الأشربة التي كانت للقصر مارستاناً للرضى ، فعمل ذلك . وسار السلطان إلى الإسكندرية في ثاني عشرى شعبان ، ومعه ابنه الأفضل على والعزيز عثمان ، فصام بها شهر رمضان ، وسمع الحديث على الحافظ أبي الطاهر أحمد السلفي^(٤) . وأمر بتعمير الأسطول بها ، ووقف صادر الفرنج على الفقهاء بالإسكندرية . ثم عاد إلى القاهرة ، فصام بها بقية رمضان .^(٥) وفيها عاد [شرف الدين] قراقوش غلام تقي الدين إلى بلاد المغرب ، وعاد فأخذ جماعة من

(١) في من غار . (٢) أرض واسعة بين دمشق و بعلبك وحصص ، فيها قرى كثيرة ، وأكثر شرب أهلها من عين تتخرج من جبل ، ويقال لها عين الجزر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٦٩٩ ، ج ٣ ص ٧٦٠) .
(٣) لم يذكر المقرئ في المواعظ والاعتبار اسم صاحب هذا المسجد كاملاً (نفس المرجع ، ج ٢ ص ٢٠٢) ، ولعله سعد الدولة الطواشي مملوك الأفضل أمير الجيوش ، وزير الخليفة المستنصر الفاطمي (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٢٤٩) . (٤) انظر ص ٢٧١ ، حاشية ٢ : (٥) لعل المقصود بذلك الضريبة التي كانت تفرض على تجار الفرنج الواصلين بالمناجر من بلادهم إلى ثغر الإسكندرية ، وكان مقدارها زمن الفلقشندي ، أى في القرن الثامن الهجري ، خمس قيمة البضائع التي يحملونها (القلعشنة : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٣) .

الهند، وخرج إلى المغرب، فأمر العادل الأمير خطيبا بن موسى وإلى القاهرة بالقبض عليه،^(١) فسار إلى الفيوم وأخذه محمولا إلى القاهرة . وفيها أبطل السلطان المكس الماخوذ من الحجاج في البحر إلى مكة على طريق عيذاب^(٢)، وهو سبعة دنائير مصرية ونصف، على كل إنسان، وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب أو بجدة، ومن لم يؤد ذلك منع من الحج، وعذب بتعليقه بأثنيه، وعوض أمير مكة عن هذا المكس بالفى دينار، وألف أردب قمح، سوى إقطاعات بصعيد مصر وباليمن، وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف أردب قمح تحمل إليه إلى جدة .

[سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة] . وخرج السلطان من القاهرة، لثلاث مضي من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، لجهاد الفرنج . وسار إلى عسقلان، فسبى وغنم وقتل وأسر . ومضى إلى الرملة، فاعترضه نهر تل الصافية^(٤) في يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة، فازدحم الناس بأنقالمهم عليه . وأشرف الفرنج عليهم، ومقدمهم البرنس أرناط^(٥) صاحب الكرك، في جموع كثيرة . فانهزم المسلمون وثبت السلطان في طائفة، فقاتل قتالا شديدا، واستشهد جماعة وأخذ الفرنج أثقال المسلمين، فمزبهم في مسيرهم إلى القاهرة من العناء ما لا يوصف، ومات منهم ومن دوابهم كثير، وأسر الفرنج جماعة منهم الفقيه عبيد الدين عيسى الهكاري . ودخل السلطان إلى القاهرة منتصف جمادى الآخرة، فحلف لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج،

(١) كذا في س، وبدون ضبط، وهي في ب (ص ٢٣) خطيبا بدون ضبط أيضا، وترجمة إلى (Khoutlobai) في (Blochet : Op. cit. p. 129) . (٢) نهر تجارى عظيم في القرون الوسطى، وهو واقع على الشاطئ المصرى للبحر الأحمر (بحر القلزم) قبالة جدة على الشاطئ الآخر، (ياقوت ومعجم البلدان، ج ٥٣، ص ٧٥١)، وهو في س عيذاب، وأكثر وروده بهذا الرسم، وسيصح دائما بغير تنبيه . (٣) في ب (ص ٢٣) ثلاثمائة [ر] ثمانية آلاف . (٤) حصن بنواحي الرملة قرب بيت جبرين (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٦٧) .

(٥) في س ارباط، وهو (Le prince Arault seigneur de Carac) واسمه الأصل قبل أن يأتي الشام (Renaud de Chatillon) . انظر ابن الأثير (الكامل في التاريخ في 627, 675) . (Rec. Hist. Or. Vol. I. PP. 627, 675) .

وقطع أخباز جماعة من الأكراد، من أجل أنهم كانوا السبب في هذه التكررة . وفيها نزل
 الفرنج على حماة، فقاتلهم الناس أربعة أيام حتى رحلوا عنها، ونزلوا على حارم فحاصروها أربعة
 أشهر، ثم رحلوا إلى بلادهم . وفيها أُطلق شرف الدين قراقوش^(٢) التقوى، وسار (٢٠ ب) إلى
 أوجلة وغيرها من بلاد المغرب . وخرج السلطان في سادس عشرى شعبان سنة ثلاث وسبعين
 من القاهرة يريد الشام، واستخلف بديار مصر أخاه العادل، فلم يزل مقبياً على بركة الحب
 إلى أن صلى صلاة عيد الفطر . فبلغه نزول الفرنج على حماة، فأسرع في المسير حتى دخل
 دمشق في رابع عشرى شوال، فرحل الفرنج عن حماة . ووافته بدمشق رسل الخليفة
 بالتشريفات . وفيها سار الفرنج إلى قلعة صدر، وقاتلوا من بها فلم ينالوا قصداً، فساروا
 يريدون الغارة على ناحية فاقوس، ثم عادوا بنية الحشد والعود . وفيها عصى شمس الدين بن
 المقدم بمدينة بعلبك على السلطان . وفيها ولد الملك الزاهد مجير الدين داود، شقيق الظاهر
 غياث الدين غازى بن السلطان صلاح الدين، لسبع بقين من ذى القعدة . وفيها غلت
 الأسعار ببلاد الشام لكثرة الجذب، واشتد الأمر بحلب . وفيها سار الأمير ناصر الدين
 إبراهيم، سلاح دار تقى الدين [عمر]، في عسكر إلى بلاد المغرب، فوصل إلى قراقوش^(٣)
 التقوى، وسارا إلى مدينة الروحان، فنازلاها أربعين يوماً، حتى فتحت وقتل حاكمها، وقررا
 عليها أربعة عشر ألف دينار، وملكها مدينة غدامس^(٤) بغير قتال، وتقرر على أهلها اثنا عشر ألف^(٥)
 ديناراً، وملكها مدينة غدامس^(٦) بغير قتال، وتقرر على أهلها اثنا عشر ألف

(١) في من اخبار. والأخباز جمع خبز بضم الخاء وسكون الباء، ومعناه إقطاع من الأرض، ويقال به (appanage) في أنظمة العصور الوسطى في غرب أوروبا (Dozy: Supp. Diet. Ar.) ويلاحظ أن اشتقاق هذه الكلمة يشبه اشتقاق مرادفها العربي، إذ أن كلمة خبز يقابلها في اللاتينية (panis)، ومصدره (appanare).

(٢) في من بها الدين . (٣) السلاح دار هو المنوط بمحل سلاح السلطان أو الأمير الذى هو في خدمته، ومن وظيفته أيضا الإشراف على السلاح خاناه، مما هو من نوابغ ذلك . ولفظ السلاح دار مركب من كلمتين، أولاهما عربية، ومعناها آلة القتال والثانية فارسية ومعناها ممسك، ويكون المعنى ممسك السلاح (القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٦، ٤٦٢) . (٤) في من دوح فقط، وهى من نواحي برقة (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٢٩) . (٥) في من ديناراً . (٦) يصح أيضا نطق اسم هذه المدينة بفتح الغين، وهى أقصى حدود برقة، فيما بلى تونس الحالية (ياقوت: نفس المرجع، ج ٣، ص ٧٧٦) .

(١) دينار، وسار إبراهيم إلى [جبال] نفوسة^(٢)، فملك عدة قلاع، وصار إليه مال كثير ورجال، وسار البعث من عند قراقوش إلى بلاد السودان، فغنموا غنيمة عظيمة. وفيها ظهر العمل في سور القاهرة، وطلع البناء، وسلكت به الطرق المؤدية إلى الساحل بالمقس^(٣).
 وفيها مات الأمير شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي،^(٤) خال السلطان صلاح الدين ونائب حماة، في سابع عشر جمادى الآخرة بحماة، وحمل إلى حلب فدفن بها، وكان شجاعا عاقلا سيوسا ممدحا.

* * *

[سنة أربع وسبعين وثمانمائة]. وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين، هجم العدو من الفرنج على مدينة حماة، فهض إليهم المسلمون وأسروا مقدمهم في جماعة، وبعثوا بهم إلى السلطان بدمشق، فضرب أعناقهم. وفيها جهز السلطان أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى محاربة شمس الدين بن المقدم ببلبك، في جيش كثيف، فحاصرها مدة. ثم سار إليه السلطان، وأقام على الحصار حتى دخل الشتاء، فوقع الصلح وتسلمها السلطان، وسلمها لأخيه تورانشاه في شوال. فبنى الفرنج في مدة اشتغال السلطان ببلبك حصنا على مخاضة بيت الأحران، وهو بيت يعقوب عليه السلام، وبينه وبين دمشق نحو يوم، ومنه إلى طبرية وصيد نصف يوم. فعاد السلطان إلى (١٢١) دمشق، وقدم عليه من الديوان العزيز خادم [أسمه فاضل]، فأصعبه معه للغزو، حتى وقف على الحصن، وتخطف من حوله من الفرنج،

(١) في س. أننى ... ديارا.

(٢) تقع هذه الجبال في أقصى الشمال الشرق من غدامس، وهي قريبة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وبينها وبين مدينة طرابلس ثلاثة أيام، وتبعد عن القيروان مسافة سنة أيام (باقوت: نفس المرجع، ج ٤، ص ٨٠٠).
 (٣) فرضة القاهرة منذ عصر الفاطميين، ومكانها قرب الأزبكية الحالية ثم تحول مجرى النيل وانحسر ماؤه، في أواخر القرن السادس الهجري عن بولاق الحالية، فأصبحت هذه فرضة القاهرة منذ الدولة الأيوبية. (المقرئى: المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٢١، ١٣٠).

(٤) في س. الحارمي، وقد توفى ولده قبله بثلاثة أيام. أبو شامة (كتاب الروضين، ص ١٩٣ في Rec. Hist. Or. Vol. IV). (٥) الزاجح أن المقصود هو ديوان الخليفة العباسي ببغداد. وقد ذكر اسم الرسول للتوضيح (نفس المرجع، ص ١٩٥ في Rec. Hist. Or. Vol. IV).

ثم عاد إلى دمشق . فتواترت الأخبار باجتماع الفرنج لغزو بلاد المسلمين ، فأخرج [السلطان ابن أخيه] الأمير عز الدين فرخشاه^(١) أمامه ، فواقعه الفرنج وقعة قُتل فيها جماعة من مقدمي الفرنج وغيرهم ، منهم المهفري وصاحب الناصرة ، فانهزموا وأُسر منهم جماعة . فبرز السلطان من دمشق إلى الكسوة لنبجة عز الدين ، فواقته الأسرى والرؤوس ، فسُر بذلك وعاد إلى دمشق . وفيها أغار ابرنس ملك الفرنج^(٢) بأنطاكية على شيزر ، وغدر القومص ملك طرابلس^(٤) بالتركان . وفيها سار شمس الدولة إلى مصر بعدة من العسكر لخدب الشام في سادس عشرى ذى القعدة . وأغار السلطان على حصن بيت الأحران وعاد بالغنائم والأسرى ، ووالى الفارة والبعث إلى بلاد الفرنج . وفيها قوى قراقوش التقوى وإبراهيم السلاح دار ببلاد المغرب ، وأخذ عدة حصون .

ودخلت سنة خمس وسبعين [وخمسمائة] . والسلطان مواصل الإغارة على بلاد الفرنج ، وكان نازلا على بانياس . وسرح العساكر ومقدمها عز الدين فرخشاه بن أيوب ، فأكثر من قتلهم وأسره . وفتح بيت الأحران في رابع عشرى ربيع الآخر ، بعد قتال وحصار ، فغنم منهم مائة ألف قطعة حديد من أنواع الأسلحة ، وشيئا كثيرا من الأقوات وغيرها ، وأسر عدة نحو السبعمئة ، ونحرب الحصن حتى سبوى به الأرض ، وسد البئر التي كانت به ، وعاد بعد ما أقام عليه أربعة عشر يوما . فأغار على طبرية وصور وبيروت ، ثم

(١) بغير ضبط في س . انظر نفس المرجع والصفحة بالحاشية السابقة . (٢) في س " المهفري " وهو

(Honfroi) صاحب حصن بانياس جنوبي غربي دمشق . نفس المرجع والصفحة وما يليها . وانظر أيضا: Lane-Poole

Saladin, f. 157 حيث الامم (Humphrey of Toron) . (٣) Boémund ou Bohémond II .

وسماه أبو شامة (نفس المرجع ص ٨٩ في Rec. Hist. Or. V) " البرنس الأنطاكي بيمند " . انظر أيضا

(Hitti : Usamah, pp. 93, 155) حيث يسمى " ابن ميمون " . (٤) انظر ص ٥٩ ، حاشية ٢ .

بعسكر قلع أرسلان صاحب الروم [السلجوقية]، فهزمهم وأسر منهم جماعة، فكتب السلطان
 البشائر بظفروه بالفرنج على صرح عيون^(١)، وبظفر أخيه بعسكر الروم، وسيرها إلى الأقطار فاتته
 تهاى الشعراء من الأمصار. ثم اهتم السلطان بأمر بيت الأحران، وكتب إلى الفرنج يأمرهم
 بهدمه فأبوا، فراجعهم مرة ثانية فطلبوا منه ما غرّموا عليه، فبذل لهم حتى وصلهم إلى مائة
 ألف دينار فلم يقبلوا. فكتب حينئذ إلى التركان وأجناد البلاد يستدعيهم، وحمل إليهم
 الأموال والحيول والتشاريف، فقدم إليه خلق كثير. وسار الملك المظفر من حماة، فقدم
 دمشق أول شهر ربيع الآخر، وقد تلاه السلطان. ثم سار السلطان من دمشق يوم الخميس
 خامسه، في عسكر عظيم، ونزل على حصن بيت الأحران يوم الثلاثاء حادى عشره. وكانت
 قاعة صفد للداوية، فأمر بقطع كروم ضياع صفد، وحاصر الحصن ونقبه من جهات، وحشاه
 بالخطب وأحرقه، حتى سقط في رابع عشرية، وأخذه فقتل من فيه وأسره، ووجد فيه
 مائة أسير من المسلمين، فقتل عدّة من أسرى الفرنج، وبعث باقيهم في الحديد إلى دمشق.
 وأحرب الحصن حتى سوى به الأرض، فكانت إقامته عليه أربعة عشر يوماً. وعاد إلى
 دمشق، فمدحه عدّة من الأمراء والشعراء وهنأوه بالفتح^(٢).

وفي صفر ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الحائط الذى كان في جوفه قبر يوسف
 الصديق وتابوته، ولم ينكشف قط منذ نقله موسى عليه السلام إلا حينئذ، عند نقصان
 الماء في قاع المقياس، فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس، وأكثر الناس ما علموا
 ما هو. وفيها نافق جلدك الشهابى بالواحات^(٣)، فأخذه العادل بالأمان وسيره إلى دمشق.
 وفيها أغار عمر الدين فرخشاه على صفد، فأكثر من القتل والسبي وأحرق، الربض^(٤) في رابع عشر
 ذي القعدة، وعاد إلى دمشق.

(١) بقعة بساحل الشام، فيها بنت كثير تخرج فيها الدواب. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٨).

(٢) هنا يذهب الهامش المشار إليه في ص ٦٨ حاشية ١. (٣) في سن "الشهابى"، وقد ضبط الاسم

على منطوقه في (Blochet: Op. cit. P. 137)، ولعله الأمير شجاع الدين جلدك التقوى، المذكور في أبي الفداء.

(المختصر في أخبار البشر في (Rec. Hist. Or. I. P. 98). (٤) بغير ضبط في سن. وهو سور المدينة،

وما حولها من مساكن وبيوت، وماوى الغنم والأبقار. (محيط المحيط).

وفيها مات الخليفة المستضيء^(١) بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتدى لأمر الله محمد، يوم الجمعة لاثنتي عشرة مضت من شوال، وكانت خلافته عشر سنين غير أربعة أشهر. واستخلف من بعده ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن نجرج الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل من بغداد رسولا إلى الملوك وإلى السلطان [صلاح الدين]، وسار (٢١ ب) معه إلى مصر [شهاب الدين بشير الخاص] كما يأتي ذكره^(٢). وفيها ختن السلطان ابنه الملك العزيز عثمان، وسلمه إلى [صدر^(٣) الدين بن المجاور معلما له. وفيها فشا الموت بمصر والقاهرة وعامة أعمال مصر، وتغيرت رائحة الهواء، ومات بالقاهرة ومصر في أيام يسيرة سبعة عشر ألف إنسان.



ودخلت سنة ست وسبعين [وخمسمائة]. فيها سار السلطان إلى حرب عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان [السلجوقي] صاحب قونية، وعاد بغير قتال، فدخل دمشق أول شهر رجب^(٥). وفيها مات السلطان سيف الدين غازي بن السلطان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل، في ثالث صفر، وجلس أخوه عز الدين مسعود مكانه. فكتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر يسأل أن يفوض إليه، فوصل شيخ الشيوخ صدر الدين أبو القاسم عبد الرحيم، وشهاب الدين بشير الخاص، بالتفويض والتقليد والتشريف في رجب. فلقاهم السلطان وترجل لهم، ونزلوا له وبلغوه سلام الخليفة، فقبل الأرض، ودخل دمشق بالخلع، وأعاد الجواب مع بشير، وصحبه ضياء الدين الشهرزوري. وسار [السلطان] إلى بلاد الأرمن لقمع ملكهم^(٦).

(١) في س "المستضيء بالله". (٢) انظر ما يلي. (٣) مكان هذه بياض في س.

ولكنها في ب (ص ١٢٥). (٤) في س قليج، بدون ضبط، وأحيانا بنير البيا. وصيحاظ على

الرسم الوارد هنا بالمتن دائما. (Enc. Isl. Art. Kilidj Arslan). (٥) في ب (ص ١٢٥)

أول رجب. انظر ص ٣٩، حاشية ١. (٦) اسمه (Leon, roi d'Arménie) ويسميه المؤرخون

المسلمون ليفون ولافون وابن لاون. (Rec. Hist. Or. Vol. V. Index).

فأوغل فيها وأطاعه ملكهم ، ثم عاد بعد ما وصل إلى بهسنا وأحرق حصنا ونخر به . وخرج من دمشق يريد مصر في ثامن عشر رجب ، ومعه شيخ الشيوخ [صبر الدين] ، فوصل إلى القاهرة ثالث عشر شعبان ، وخرج شيخ الشيوخ إلى مكة في البحر ، وعاد منها إلى بغداد .
 وفيها مات الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفه السافى^(٢) في يوم الجمعة خامس ربيع الآخر بالإسكندرية عن نحو مائة سنة . ومات الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب بن شادى في خامس صفر بالإسكندرية ، وحمل إلى دمشق فدفن بها . وفيها ولدت امرأة غرابا . و [فيها] كان قاع^(٣) [النيل] ثلاثة أذرع وعشرين إصبعا ، وبلغت الزيادة ستة عشرة ذراعا وثلاثي ذراع .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسة . في محرم خرج الأمر بالحوطة على مستغلات العربان بالشرقية ، وأمروا بالتعدية إلى البحيرة ، ووقعت الحوطة على إقطاع جذام وعلبة ، لكثرة حملهم الغلال إلى بلاد الفرنج . وكثر الفار بالمقاني والغلال بعد حصادها ، فأتاف شيئا كثيرا . واحترق النيل حتى صار يخاض ، وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر ، وربى جزائر رملة خيف منها على المقياس أن يتقلص الماء عنه ، ويحتاج إلى عمل غيره . وبعد^(٥) الماء عن السور بالمقس ، وصارت قوته من بر الغرب . وخيم السلطان في بركة الحب للصيد^(٦)

(١) بغير ضبط في م ، وهي قلعة حصينة ، في أقصى شمال الشام ، بقرب مرعش وسهيساط ، وهي من أعمال حلب (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٧٠) . (٢) مضبوطان عن ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٨) .
 وقد اعتمد ياقوت على أبي الطاهر في كثير من معلوماته (انظر فهرس الأعلام في معجم البلدان) .
 (٣) في م القاع . (٤) جمع المستغل بفتح الفين ، وهو كل ما أغل من أرض أو عقار أو حانوت أو سوق أو طاحون . والمستغل بكسر الفين ما يأتي من المال أو غيره من هذه الأشياء (Dozy. Supp. Diet Ar.) .
 (٥) في م حرايه رميله . (٦) يحتمل أن يكون هذا بدء تغيير مجرى النيل الذي نشأت عنه بولاق فيما بعد ، إذ يقول المقرئ في المواظ والاعتبار ، (ج ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١) في هذا الصدد : "إن الماء انحسر بعد سنة سبعين وخمسة عن جزيرة تعرف بجزيرة الفيل ، وتقلص الماء عن سور القاهرة الذي ينتهي إلى المقس . وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة إلا وهي تكثر ..." . انظر ص ٦٦ ، حاشية ٣ .

ولعب الأكرة ، وعاد بعد ستة أيام . وورد الخبر بأن الأبرنس أرناط ملك الفرنج بالكرك جمع وعزم على المسير إلى ^(٢) تيماء ودخول المدينة النبوية ؛ فخرج عز الدين فرخشاه من دمشق بمساكره إلى الكرك ، ونهب وحرق ، وواد إلى أطراف بلاد الإسلام فأقام به ، وورد الخبر من نائب قلعة أيلة بشدة الخوف من الفرنج .

وفي صفر قدم رسول ملك (١٢٢) القسطنطينية إلى القاهرة ، فوقع الصلح مع صاحبها ، وأطلق في جمادى الآخرة مائة وثمانين أسيراً من المسلمين . وسار صارم الدين خطباً إلى الفيوم ، وقد أضيفت إليه ولايتها ، وأفردت برسمه الخاص ، ونقل عنها مقطوعها . ثم صرف عن ولاية الفيوم بابن شمس الخلافة ، وأحضر خطباً ليسير إلى اليمن . وكتب إلى دمياط بترتيب ^(٣) المقاتلة على البرجين ، وسدّ مراكب السلسلة وتسييرها ليقاتل عليها ، ويدافع عن الدخول من بين البرجين بها .

وفي ربيع الأول طرق الفرنج ساحل تينيس ^(٤) وأخذوا مراكباً للتجار ، ووصلت مراكب من دمياط كانت استدعت من خمسين مراكباً لتكون في ساحل مصر ، وكل بناء برج بالسويس يسع عشرين فارساً ، ورتب فيه الفرسان لحفظ طريق الصعيد ، التي يجلب منها الشب إلى بلاد الفرنج ، وأمر بهارة قلعة تينيس . وورد تجار الكارم من عدن ، فطلب منهم زكاة أربع

(١) في س "ارباط" . (٢) في س تما وهي بليد (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٠٧) في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق . (٣) يرجع إنشاء هذين البرجين والسلسلة التي بينهما ، على سبيل الترجيح ، إلى سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م) في عهد الخليفة المتوكل العباسي (المقريري : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٣ - ٢٢٧) . (٤) في س "تيس" . وبغير ضبط ، وهي بلدة بجزيرة صغيرة اسمها تيس أيضاً ، واقعة بالناحية الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة قرب بورسعيد الحالية . انظر ياقوت معجم البلدان (ج ١ ، ص ٢٨٨) . (٥) في س "واحد" . (٦) في هامش من قبالة هذه السطور العبارة الآتية : "انظر بناء البرج بالسويس لحفظ طريق الصعيد" . (٧) كان معدن الشب ، زمن القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ ، ٤٥٩) من محركات الدولة المصرية ، يستخرج من أسوان والواحات وبلاد أخرى بالصعيد ، ويحمل منها إلى سواحل قوس وأنجم وأسيوط والبهنسي لينقل إلى الاسكندرية ، فيباع أكثره لتجار بلاد الفرنج ، حيث يستعمل في أشياء كثيرة أهمها صيغ الأحرار . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 143. N.1) . (٨) العنبر الأصفر ، وكان لتجاره فندق خاص بهم بالفسطاط (القلقشندي : نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦٩) . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 143. N. 3) . (٩) كان التجار وغيرهم يدفعون الزكاة على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب وفضة ، وعلى ما يأتون به من منجر ، وحال عليه الحال . ثم زادت كمية ما يؤخذ على المتاجر زمن القلقشندي (نفس المرجع والجزء ص ٤٦١ - ٤٦٢ ، ٤٦٨ - ٤٧٠) فأصبح "المرتب السلطاني" عشر قيمة البضائع ، "مع لوائح أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطاني أيضاً" .

سنين . وكثرت بيوت المزر^(١) بالاسكندرية ، فهُدم منها مائة وعشرون بيتا ، ووصل المفرد^(٢) في حادى عشرى ربيع الأول بالوفاء في سابع عشره ، فأوفى [النيل] بمصر في سادس عشره [الموافق] يوم السادس عشر من مسرى ، ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن متقدم . فركب السلطان لتخليق المقياس في غده ، وخلع على ابن أبي الرداد في ساخه . وفتح الخليج في رابع ربيع الآخر ، والماء على خمسة عشر اصبعاً من سبعة عشر ذراعاً ، بمحضر والى القاهرة^(٤) . وفيه أنفق السلطان في الأجناد البطالين^(٣) وجردهم إلى الثغور ، وأنفق في رجال الشوانى وجردهم للغزو . وورد الخبر بكثرة ولادة الحيوان الناطق والصامت للتوأم ، وأن ذلك نرج عن الحد في الزيادة على المعهود ، وأن الغزال في البرية كله أتام ، وكذلك النسوان أتامن أكثر من الأفراد ، وكذلك الطير فإنه كثر ظهوره كثرة ظهرت .

وفيه ماتت امرأة الصالح بن رزيك عن سن كبيرة وضعف حال وعمى ، بعد الدنيا والملك الذى كانت فيه . وركب السلطان في أول جمادى الأولى لفتح بحر أبى المنجا ، وعاد إلى قلعة الجبل ، وركب منها إلى المخيم بالبركة . وسار متسلم الأمير صارم الدين خطباً إلى اليمن . وانتصب السلطان ليلاً ونهاراً في ترتيب أحوال الأجناد ، واقتطع من إقطاعات العربان الثلثين ، وعوض به مقطعو الفيوم ، وصارت أعمال الفيوم كلها للسلطان . وفيه قرر ديوان^(٦) الأسطول (٢٢ ب) وفيه الفيوم والحبس الجيوشى والخراجى والنظرون ، وضمن الخراج بثمانية آلاف دينار .

(١) المزر نوع من الجعة يصنع من الذرة أو الشعير أو الحنطة . محيط المحيط . (٢) مضبوطة على

منطوقها في (Blochet : Op. cit. p. 193) حيث هي مترجمة أيضاً إلى (Maximum) أى غاية ارتفاع

النيل . (٣) انظر وصف حفلات تخليق المقياس وفتح الخليج في القاموس (صبح الأعشى ج ٣ ،

ص ٥١٦ — ٥٢٤ ، وفي المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٧٠ — ٤٧٩ ، ٤٩٣) .

(٤) البطالون من الأجناد والأمرأء هم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها ، نتيجة غضب السلطان

أو كبر السن ، أو اضطراباً إلى الاضكاف والاختفاء ، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد : (G. - Demombynes :

Op. cit. Introd. p. XLVII. N.3) . (٥) فى س كذلكن . (٦) انظر ص ٤٥ ، حاشية ٣ .

[وفي هذه السنة رُتبت المقاتلة على البرجين ^(١) بدمياط] ، وجهزت خمسمائة دينار لعارة سورها والنظر في السلسلة التي بين البرجين . وعُمل تقدير برسم ما يحتاج إليه سور تنيس وإعادته كما كان في القديم ، بجاء ثلاثة آلاف دينار . وكتب إلى قوُص بإبطال المكوس التي تستأدى من الحجاج وتجار اليمن . وورد كتاب إبراهيم السلاح دار من المغرب أنه فتح بلاد هَوَّارة ^(٢) ، وزَوَّارة ^(٣) ، ولَوَّاتة ^(٤) ، وجبل نفوسة ، وغدامس ^(٥) ، وأعمالا طولها وعرضها خمسة وعشرون يوما ، وأنه خطب على منابرها للسلطان وضربت السكة باسمه ، وأنه إذا أنعم عليه بتقوية بلغ أغراضا بعيدة ، وسير أموالا عديدة . وأنشئت أربع حرايق بصناعة مصر برسم من تجرد إلى بلاد اليمن ، وجردت أمراء العسكر السائرين إلى اليمن . وكبر في بحر تنيس تعدى العربان على المراكب ، وعمرت عليهم حرايق فيها ، فلم يُظفر بهم لإيوائهم إلى الهيش .

وفي جمادى الآخرة قطع الفرنج أكثر نخل العريش وحملوه إلى بلادهم ، وسيرت مراكب بالزاد والعلوفات والأسلحة إلى اليمن ، وأسند أمر الجسور إلى والى الغربية و[والى] الشرقية ،

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة المقرئ (المواعظ والاعجاز ، ج ١ ، ص ٢١٥) . (٢) بغير ضبط في س ، وهي قبيلة من البربر سكنت جبال نفوسة . (انظر ص ٦٦ حاشية ٢ ؛ وياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٩٥ ؛ و Blochet : Op. cit. p. 145. Ns. 1, 3.) (٣) في س زوارة وبغير ضبط ، وزوارة بلد صغير بين إفريقية والمغرب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٥٣) . (٤) في س لمائة بفتح على اللام والميم والنون ، وهي قبيلة من البربر أيضا (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٦٧) . انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 143. N. 3.) (٥) انظر ص ٦٥ حاشية ٦ . (٦) المفرد حراقة وتجمع على حرايق أيضا ، وهي نوع من السفن الخفيفة (Dozy & Supp. Dict. Ar.) ، والغالب أنها كانت تستعمل في النيل فقط ، لنقل الأجناد إلى الثغور البحرية . انظر المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤) . (٧) كان بالقاهرة ثلاث دور لبناء السفن ، تعرف كل منها بالصناعة ، وأولها صناعة الجزيرة بالروضة الحالية ، إذ أنشئت سنة ٥٥٤ هـ ، ثم صناعة مصر ، بناها محمد بن طنج الإخشيد بساحل مصر القديم ، وكانت تعرف أيضا بصناعة العائر ، ثم صناعة المقس ، وهي من منشآت المعز لدين الله الفاطمي (المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ، ص ١٩٥ - ١٩٧) . (٨) كذا في س ، بغير ضبط .

ليتوفرا على عمارتها ، وكتب إلى الأمير نخرالدين نشر الملك بن فرحون وإلى البحيرة ومشارفها بذلك .

وفي رجب استلمت عدة الأجناد ثمانية آلاف وستمئة وأربعين ، وأمرأء مائة أحد عشر ، وطواشية ستة آلاف وتسعمائة [و] ستة وسبعين ، وقرأغلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسين . والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمئة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار ، خارج عن المحلولين وعن العربان المقطعين بالشوقية والبحيرة ، والكنانيين والمضريين والفقهاء والقضاة والصوفية والدواوين ، ولا يقصر [مامعهم] عن ألف ألف دينار . ووصل الإبرنس [أرناط] إلى أيلة ، وسار عسكره إلى تبوك . وفي شعبان كثر المطر بأيلة حتى تهدمت قلعتها ، وشرع في بناء سور دمياط ، وذرعه أربعة آلاف وستمئة وثلاثون ذراعا ، و [شرع أيضا] في بناء برج [بها] .

وفي شوال مات منكورس الأسدي أحد الأمراء المماليك ، وأخذ إقطاعه يازكج الأسدي . وقبض على سيف الدولة مبارك بن منقذ بن كامل الكفاني ، نائب شمس الدولة ببلاد اليمن ، وأخذ منه ثمانون ألف دينار وأفرج عنه . وسار خطبا إلى مصر واليا على زييد ، وصحبته خمسمائة رجل ، و [معهم] الأمير باخل ، وقد بلغت النفقة فيهم عشرين ألف

(١) كذا بغير ضبط في س . انظر (Blochet: Op. cit. P. 146) حيث ترجم الاسم إلى "Fakhr-ad-Din Nasr (?) al-Moulk-ibn-Fardjeün" . (٢) في س "استقرت عدة الاجناد ثمانية الاف وستمائة واربعون امرا مائة واحد عشر طواشية ستة الاف وسبعمائة ستة وسبعون قراغلامية الف وخمسمائة وثلاثة وخمسون" . (٣) جاءت الضبطية ، وعملهم مرافقة الطرق أثناء سير الجيوش (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . (٤) هذه الكلمة مترجمة إلى (indisponibles) أى من لا عمل لهم ولا منهم نفع ، في (Blochet : Op. cit. p. 146) مع التشكك . غير أن المقصود هنا بالمحلولين الذين انحلت عنهم إقطاعاتهم أو رواتبهم فأصبحوا بطلين . راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٢ ؛ ج ٦ ، ص ٣٠٦ ، ٣٣٨ ، ٤٨٥ ، ٦٣٧ ؛ ج ٧ ، ص ١٠٧ ؛ وكذلك المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٧ . (٥) انظر القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦٧ — ٧٢) لمعرفة قبائل العربان بديار مصر منذ الأيوبيين . (٦ و ٧) ضبط كل من هذين الاسمين على منطوقهما في فهارس (Rec. Hist. Or. I-V.) . (٨) في س

دينار ، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل (١٢٣) منهم على اليمن ، إن كان من الإقطاعية ، وللبطالين والمترحلة في الشهر ثلاثة وثلاثون دينارا ، وسيرت الحراريق — وهي خمس — وقد شحنت بالرماء . وفي سابع عشره سار السلطان إلى الإسكندرية ، فدخل خامس عشرى شوال ، وشرع في قراءة الموطأ يوم الخميس — ثاني يوم دخوله — على الفقيه أبي الطاهر ابن صوف ، وأنشأ بها مارستانا ودارا للغاربة ، ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه^(١) ، وشرع في عمارة الخليج^(٢) ، ونقل فوهته إلى مكان آخر . وسار منها أول ذى القعدة إلى دمياط ، وعاد إلى القاهرة في سابعه . وفي تاسعه أمر بفتح المارستان الصلاحى ، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار ، وغلات جهتها الفيوم ، واستخدم له أطباء وغيرهم . وفي حادى عشره خرج السلطان إلى بركة الحب ، لتجريد العساكر والمسير إلى الشام ، وخرج الملك العادل في ثالث عشره إلى المخيم ، ونزل ناحية [بركة الحب ؟] . وسوخ برسوم الولاية بمصر والقاهرة ، ورسوم الفيوم ورسوم الصعيد الأعلى ، وأخرجت منجنيقات إلى الخيام برسم الغزاة . وفي حادى عشره سار سيف الإسلام [طفتكين أخو السلطان صلاح الدين]^(٣) إلى أنحيم ، لجباية الجوالى والنظر في أمر الشعب . وظفر والى قوص برجلين من أهل إسنا يدعوان إلى مذهب الباطنية . وفي ثالث عشره عُقد نكاح بنات العادل على أبناء السلطان صلاح الدين ، وهم : غياث الدين غازى ، ومظفر الدين خضر ، ونجم الدين مسعود ،

(١) فى در تورنشاہ .

(٢) يقصد المؤلف قناة الإسكندرية التي كانت تخرج من فرع رشيد عند بلدة زاوية البحر، جنوبى مدينة كفر الزيات

الحالية ، (P. Omar Tousson : Mem. Sur Anc. Branches Du Nil. pp. 196 et seq.) ، على أنه

لا يوجد فى هذا المرجع ذكر لما أحدثه صلاح الدين بذلك الخليج . (٣) انظر (Lane-Poole : Saladin.)

Table II. in pocket . (٤) ”هى ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة لى رقابهم فى كل سنة .

وهى على قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من الفسطاط والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بحاضرة

الديار المصرية فإن لهذه الجهة بها ناظرا يولى من جهة السلطان وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية

من سائر بلدانها ، فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لمقطع تلك البلد من أمير أو غيره ، تجرى مجرى مال ذلك

الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية ، كان ما ينحصل من الجزية من أهل الذمة بها

جاريا فى ذلك الديوان “ . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٢ — ٤٦٣) .

وشرف الدين يعقوب؛ والصدّاق في كل كتاب عشرون ألف دينار . وعقد السلطان الهدنة مع رسول القومص ملك الفرنج بطرابلس؛ ونودي بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل والبغال، من غير استثناء طبيب ولا كاتب . ومات الملك الصالح مجمر الدين إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي صاحب حلب في يوم الجمعة خامس عشر رجب، فقام من بعده ابن عمه السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي . وكان موت الصالح هو المحرّك للسلطان [صلاح الدين] على السفر، وكتب لابن أخيه المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة وغيره من النواب بالتأهب، وكاتب الخليفة الناصر يسأل ولاية حلب :

[سنة ثمان وسبعين وخمسمائة] . وأهلت سنة ثمان وسبعين، والسلطان مبرز بظاهر القاهرة؛ فلما خرج الناس لوداعه، وقد اجتمع عنده من العلماء (٢٣ ب) والفضلاء كثير، وهم يتناشدون ما قيل في الوداع، فأخرج بعض مؤدبي أولاد السلطان رأسه من الخيمة، وقال:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فتطير الحاضرون من ذلك؛ وصحّت الطيرة، فإن السلطان رحل من ظاهر القاهرة في خامس المحرم من هذه السنة، ولم يعد بعد ذلك إلى القاهرة. فسلك في طريقه على أيلة، فأغار على بلاد الفرنج، وسار على سمت الكرك، وبعث أخاه تاج الملوك بالعسكر على الدرب. وخرج عز الدين فرخشاه من دمشق، فأغار على طبرية وعكا، وأخذ الشقيف^(١) [أرنون]، وعاد بألف أسير، وعشرين ألف رأس غنم، وأنزل فيه طائفة من المسلمين. وأتى الريج^(٢) بطسّة للفرنج إلى بردمياط، فأهسر منها ألف وستمئة وتسعون نفسا سوى من غرق. فدخل السلطان

(١) قلعة حصينة قرب بانياس، من أرض دمشق، بينها وبين الساحل . وتسمى في كتب المؤرخين الفرنج (Beaufort)، انظر (Rec. Hist. Or. V. Index) . وأضيف إليها اسم أرنون تمييزا لها من شقيف دركوش وشقيف ديبين، وكلها بالشام . (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٩ — ٣١٠) . (٢) نوع من السفن . انظر (Makhairas: Chron. of Cyprus, Vol. II. p. 141) ، وانظر أيضا (Dozy: Supp. Diet. Ar.) وكذلك (Rec. Hist. Or. IV. P. 216. N. 3) . وفي محيط المحيط: البطسة مركب للحرب أو التجارة بلغة إسبانيا، ج بطس .

إلى دمشق، يوم الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر، فأقام بها يسيراً؛ ثم أغار على طبرية، واشتد القتال مع الفرنج تحت قلعة كوكب^(١)، واستشهد جماعة من المسلمين؛ وعاد إلى دمشق في رابع عشر ربيع الأول، وخيم بالفوار^(٢) من عمل حوران، وأقام به حتى رحل إلى حلب، وخرج سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب بن شادي، من القاهرة إلى اليمن، بعد مسير السلطان، ووصل إلى زبيد فملكها، وأخذ منها ما قيمته ألف ألف دينار، واحتوى على عدن أيضاً.

وخرج السلطان من دمشق يريد حلب، فنزل عليها يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، ونازلها ثلاثة أيام؛ ثم رحل إلى الفرات، فخيم على غربي البيرة، ومدّ الجسر، وكاتب ملوك الأطراف؛ ورحل إلى الرها فتسلمها، وسار عنها إلى حران فرتبها، وانفصل عنها إلى الرقة فملكها وما حولها؛ ونازل نصيبين حتى ملكها وقلعتها. فورد الخبر بقصد الفرنج دمشق ونهبهم القرى؛ فسار ونازل الموصل في يوم الخميس حادى عشر رجب، وألح في القتال فلم ينل غرضاً؛ ورحل يريد سنجار، فنازلها وضايقها من يوم الأربعاء سادس عشرى شعبان. ودخل رمضان فكف عن القتال، ثم تسلمها بالأمان يوم الخميس ثانية؛ وأعطاه [ابن أخيه] الملك المظفر تقي الدين [عمر]، ورحل إلى نصيبين فأقام بها لشدة البرد، وسار عنها إلى حران؛ ثم رحل ونزل على آمد، لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة.

وفيها قصد الفرنج بلاد الحجاز، وأنشأ البرنس أرناط^(٣) صاحب الكرك سفناً، وحملها على البر إلى بحر القلزم، وأركب فيها الرجال؛ وأوقف منها مركبين على حرزة قلعة القلزم، لمنع

(١) قلعة حصينة بالجبل المطل على مدينة طبرية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٨).

(٢) الفوار واد بالقرب من حصن الأكراد من عمل طرابلس، به يُر يعرف بهذا الاسم. (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٧٤). (٣) في س أرناط؛ (٤) كذا في س بغير ضبط. وهي في محيط المحيط بكسر الحاء. الموضع الحصين. (٥) الراجح أن المؤلف يقصد بلدة أيلة كما في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٣٢٣). أما القلزم فوضع على البحر قريب من مدينة السويس الحالية، وكان فرضة مصر والشام، ومنه تحمل المتاجر إلى الحجاز واين. ثم أنه أصبح خراباً زمن ياقوت، فتحوّلت التجارة إلى موضع السويس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٨-١٦١).

أهلها من أستقاء الماء . وسارت البقية نحو عيذاب ، فقتلوا وأسروا ، وأحرقوا في بحر القلزم نحو ست عشرة مركباً ، وأخذوا بعيذاب مركباً يأتي بالحجاج من جدة ، وأخذوا في الأسر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص و عيذاب ، وقتلوا الجميع ، وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن ، وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين ، وأحدثوا حوادث لم يسمع في الإسلام بمثلاها ، ولا وصل قبلهم رومي إلى ذلك الموضع ، فإنه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد ، ومضوا إلى الحجاز يريدون المدينة (١٢٤) النبوية .

فجهز الملك العادل ، وهو يخلف السلطان بالقاهرة ، الحاجب حسام الدين لؤلؤ إلى القلزم ، فعمر مراكب بمصر والإسكندرية ، وسار إلى أيلة ، وظفر بمراكب للفرنج ، فحرقها وأسر من فيها ، وسار إلى عيذاب ، وتبع مراكب الفرنج ، فوقع بها بعد أيام واستولى عليها ، وأطلق من فيها من التجار المأسورين ، ورد عليهم ما أخذ لهم ، وعصعد البر ، فركب خيل العرب حتى أدرك من فر من الفرنج وأخذهم ، فساق منهم اثنين إلى منى ونحرهما بها كما تنحر البُدن ، وعاد إلى القاهرة بالأسرى في ذى الحجة ، فضربت أعناقهم كلهم . وعاد الأسطول [من بحر الروم] (٣) بعد نكاية أهل الجزائر، ومعه بطسة للفرنج كانت تريد عكا، بها أخشاب ونيف وسبعون رجلاً .

١٥ ومات عز الدين فرخشاه الملقب بالملك المنصور في دمشق في أول جمادى الآخرة . ومات الشيخ الزاهد رُوْزْبَهَار بن أبي بكر بن محمد بن أبي القاسم الفارسي الصوفي ، يوم الأربعاء الخامس من ذى القعدة ، ودفن بقرافة مصر . وفيها انقضت دولة آل سبكتكين ، وكان ابتداءها سنة ست وستين وثلاثمائة ، فملكوا مائتي سنة وثلاث عشرة سنة . وأولهم محمود بن

(١) توجد بالهامش إزاء هذه السطور العبارة الآتية : " انظر قصد الفرنج بلاد الحجاز " ، وهي بخط مخالفه .

(٢) في من ونحرهم . (٣) الراجح أن هذه المعركة البحرية كانت قرب إحدى الجزائر الواقعة في شرق

البحر الأبيض المتوسط . انظر أبا شامة (كتاب الروضين ، ص ٢٣٥ ، في Rec. Hist. Or. IV) ، وابن الأثير

(الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٢٦) . (٤) انظر بعض أخباره في (Blochet: Op. cit. p. 155. N. 1) .

سبكتكين، وآخروهم خسرو شاه بن بهرام بن شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين^(١). وقام بعدهم الغورية، [وأولهم عز الدين حسن، صاحب بلاد الغور]^(٢).

وفيها ورد الخبر بأن الماء الذي [في] زقاق^(٣) سبته قل، حتى ظهرت القنطرة التي كان يعبر الناس عليها في قديم الدهر إلى أن غلب عليها البحر وطمها، فلما قل الماء في هذه السنة عنها لم يبق عليها منه سوى قائتين، ورأى الناس آثار بنيانها، وأن مركباً انكسر عليها.



[سنة تسع وسبعين وثمانمائة]. وأهلت سنة تسع وسبعين والسلطان على آمد، فتسلمها في أوائل المحرم، فقدمت عليه رسل ملوك الأطراف يطلبون الأمان. وخرج الفرنج إلى نواحي الداروم^(٤) ينهبون، فبرز إليهم عدة من المسلمين على طريق صدر وأيلة، فأظفرهم الله، وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين. وفيه سار الأسطول من مصر، فظفر ببطسة فيها ثلاثمائة وخمسة وسبعون^(٥) علجاً، قدموا بهم في خامس المحرم إلى القاهرة. وتوجه سعد الدين كمشبه [الأسدي]^(٦) وعلم الدين قيصر إلى الداروم، فأوقعوا بالفرنج على ماء، وقتلوهم جميعاً، وقدموا بالرهوس [إلى]^(٧)

(١) آخر ملوك هذا البيت هو تاج الدولة خسرو ملك، وقد جاء بعد خسرو شاه المذكور هنا. (Lane-Poole : Mult.

(٢) راجع (Ibid: Op. cit. pp. 291 et seq.) Dyns. p. 289).

(٣) الزقاق مجاز البحرين بين طنجة والجزيرة الخضراء في بلاد المغرب (محيط المحيط)، وسبته (Ceuta) مدينة

حصينة بساحل مراكنش قبالة جبل طارق. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠، و Enc. Isl. Art. Ceuta).

(٤) بغير ضبط في س، وهي بلدة بينها وبين غزة أربعة فراسخ، وهي بعد غزة في الطريق إلى مصر، وبها قلعة،

الواقف عليها يرى البحر. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٢٥، ٥٣٧).

(٥) العليج الرجل الضخم من كفار العجم، وبعض العرب يطلق العليج على الكافر مطلقاً، ج علوج وأعلاج (محيط المحيط).

وفي (Dozy : Supp. Dic. Ar.) هو الرجل الشهواني المتهتر، والذي كان مسلماً فنصر، أو نصرانياً فأسلم.

وقد ترجمها (Blochet : Op. cit. p. 156) إلى (Matelots) أي بحارة. (٦) كذا في س بغير ضبط،

وهو مترجم في (Blochet : Op. cit. p. 156) إلى (Kamsaba). انظر أبا شامة (كتاب الروضتين، ص ٣٤٦،

٣٨١، ٣٨٢، في Rec. Hist. Or. IV.) حيث ترجم إلى (Kemchebeh). (٧) هذا اللفظ

غير واضح في س، وكذلك بعض الكلمة السابقة له.

(١) القاهرة في رابع عشره . ورحل السلطان عن آمد، وعبر الفرات يريد حلب، فملك عين تاب وغيرها، ونزل على حلب - بكرة يوم السبت سادس عشرى المحرم - وقد ترب السلطان عماد الدين زنكى بن بودود بن زنكى قلعتهما^(٢) في جمادى من سنة ثمان وسبعين [وخمسةائة] . وتسلمها [صلاح الدين] بصلح، يوم السبت ثامن عشر صفر، على أن تكون لعقاد الدين سنجار . ووات تاج الملوك بوري بن أيوب بن شادى في يوم الخميس ثالث عشره بحلب . وسار عماد الدين إلى سنجار . فولى السلطان قضاء حلب محي الدين محمد بن الزكى على القرشي قاضى دمشق، فاستتاب بهازين الدين ندا بن الفضل بن سليمان البانياسى، وولى يازكج^(٤) قلعتهما، وجعل ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازى ملكا بها، ورحل عنها ثمان بقين من ربيع الآخر . فدخل دمشق ثالث جمادى الأولى، وأقام بها إلى سابع عشره، وبرز وسار إلى بيسان^(٦)، فعبر [نهر] الأردن^(٧) في تاسع جمادى الآخرة، وأغار على بيسان فأحرقها ونهبها . وفعل ذلك (٢٤ ب) بعدة قلاع، وأوقع بكثير من الفرنج . واجتمع بعين جالوت^(٨) من الفرنج خلق كثير، ثم رحلوا، وأسر [السلطان] منهم كثيرا، ونهب من الحصون حصن بيسان وحصن عفر بلا وزرعين^(٩)، ومن الأبراج والقرى عشرة . وعاد إلى دمشق لست بقين من جمادى الآخرة، ثم خرج في يوم السبت ثالث رجب يريد الكرك، فنازله مدة ولم ينل منه غرضاً . فسار إلى دمشق، وقد وصل إليه

(١) في س عتاب، وهى قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية، وكانت تعرف بدلوك . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٥٩) . (٢) يتضح من (Blochet : Op. cit. p. 157. N. 3)، أن المقريزى خلط هنا بين حلب وعزاز . (٣) انظر بعض أخباره في (Blochet : Op. cit. p. 157. N. 4) (٤) في س ياركوج . (٥) في س ايلغازى . انظر (Blochet : Op. cit. p. 157. N. 5) (٦) في س بيسان بغير ضبط، وهى مدينة بين حوران وفلسطين . (ياقوت معجم البلدان، ج ١، ص ٧٨٨، و Blochet : Op. cit. p. 158. N. 3) . (٧) بغير ضبط في س . (انظر ياقوت : نفس المرجع، ج ١، ص ٢٠٠، و Blochet : Op. cit. p. 158) . (٨) قرية صغيرة بين بيسان ونابلس . (ياقوت : نفس المرجع، ج ٣، ص ٧٦٠) . وبها مش الصفة العبارة الآتية : "وكانت يومئذ بلدة عامرة، يزرع بها قصب السكر على عينها التى يقال لها عين جالوت" . (٩) بغير ضبط في س، وهى بلدة بغور الأردن قرب بيسان وطبرية . (ياقوت : معجم البلدان ج ٣، ص ٦٨٨) . (١٠) مضبوطة على منظوقها في (Blochet : Op. cit. p. 159) ولعلها درين أو زرين المذكورة في (G.-Demombynes : Op. cit. p. 243 ; Le Strango : Palestine Under Moslems. p. 411.)

أخوه الملك العادل من مصر في رابع شعبان . فاجتمع السلطان بأخيه الملك العادل على الكرك ، وقد خرج إليه بعسكر مصر . وفي يوم الخميس خامس عشره رحل الملك المظفر تقي الدين من الكرك إلى مصر ، عوضا عن العادل ، وارتجع عن العادل بإقطاعه بمصر ، وهو سبعمائة ألف دينار في كل سنة . فجهز إليها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، ومعه القاضي الفاضل ، وأنعم على تقي الدين بالقيوم وأعمالها مع القبايات وبوش^(١) ، وأبقى عليه مدينة حماة وجميع أعمالها .

ووصل السلطان إلى دمشق لثمان بقين من رمضان ، وبعث بالملك العادل إلى حلب في ثاني رمضان . فقدم الظاهر على أبيه بدمشق ومعه يازكج^(٢) ، وقدم شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشير من عند الخليفة الناصر ، ليصالحا بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل ، ومعهما القاضي محيي الدين أبو حامد بن كمال الدين الشهرزوري ، وبهاء الدين بن شداد ، فأقاموا مدة ورحلوا بغير طائل ، في سابع ذي الحجة .

وفيها ظهر بقرية بوضير بيت هرمس ، فخرج منه أشياء ، منها بكاش وقرود وضافدع بأزهر^(٤) ودهنج^(٥) وأصنام من نحاس . وفيها قتل شرف الدين برغش^(٦) على الكرك في ثاني عشرى

(١) في س القبايات ، انظر ص ٩١ حاشية ٣ ، والقبايات بلخيا الحالية ومركزها مفاغة على حافة الصحراء الغربية ؛ وبوش في بنى سويف ومركزها بنى سويف نفسها .

(٢) في س تركوج . (٣) يوجد بمصر أربع قرى بهذا الاسم (Blochet : Op. cit. p. 160, N. 2) ،

والراجح أن المقصود هنا بوضير فوريدس بالقيوم ، التي قتل فيها مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية سنة ١٣٢ هـ . (المقرزي : المواعظ والاعتبار : ج ١ ، ص ٣٤ ؛ والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٨١) .

(٤) بغير ضبط في س ، وهو حجر خفيف هش ينسب إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، ويسمى أيضا بادزهر ،

وهو لفظ فارسي مركب من كلمتين ، الأولى باد ومعناها طارد ، والثانية زهر ومعناها سم . (محيط المحيط و Dozy : Supp. Diet. Ar. . هذا وبالقلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١١١) فصل طويل

عن البادزهر وخصائصه . (٥) بغير ضبط في س ، وهو جوهر كالزمرد ، ويتكون من معدن النحاس .

(محيط المحيط ، و Dozy : Supp. Diet. Ar. . وبالقلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٠٧) أن الدهنج

مسكن للسموم أيضا . (٦) ضبط هذا الاسم على منظوفه في (Blochet : Op. cit. p. 161) ، وله سمى

مترجم إلى (Barghash) في (Rec. Hist. Or. I. Index) .

رجب، فحمل إلى زُرَيْح^(١) ودفن في تربته. [و] في سنة تسع وسبعين هذه وقعت بالوجه البحري [قطع] برد كبيض الأوز أحرقت ما صادفته من العامر، ودمرت الزروع، وأهلكت كثيرا من الماشية والناس؛

♦ ♦ ♦

سنة ثمانين وخمسمائة . في خامس المحرم توجهت قافلة بغلات وسلاح وبديل مجرد^(٢) إلى قلعتي أيلة وصدر، وخرج من الشرقية جماعة يخفرونها، مع قيصر والى الشرقية، فأوصلها إلى أيلة وصدر . وعاد في خامس عشرية، وكان العدو قد نهض إليها وعاد عنها . وأهلت [هذه السنة] والسلطان بدمشق، فبعث إلى الأطراف يطلب العساكر، فقدم عليه ابن أخيه تقي الدين بعساكر مصر، ومعه القاضي الفاضل . [و] خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول^(٤) إلى جسر الخشب^(٤)، وقدم الملك العادل من حلب - ومعه نور الدين بن قرا أرسلان - إلى دمشق يوم الخميس رابع عشرية، وخرجا إلى الكسوة^(٦) . فرحل السلطان في ثاني ربيع الآخر من رأس الماء يريد الكرك، وخرج تقي الدين في عسكر مصر، ومعهم أولاد الملك العادل وأهله، يوم الأربعاء مستهله، فساروا إلى أيلة، ووصلوا إلى السلطان في تاسع عشره وهو على الكرك . وسارت أولاد العادل في حادي عشرية، فلقوا العادل وهو على الفوازير في خامس عشرية، ووصل معهم زرافة . فاجتمعوا به وساروا إلى حلب، ومعهم بكشن بن عين الدولة الياروقى، وعلى بن سليمان بن جندر^(٨)، ونزل العسكر الحلبي على عمّان مدينة

(١) بغير ضبط في س، وهو اسم يطلق على بلاد فلسطين والأردن (Le Strange : Palestine Under Moslems, p. 356 ; also Index) . (٢) في س وقع . (٣) لعل المقصود أنه كان بالقافلة أعداد من الخيول وغيرها، أرسلت خصيصا لإبدال ما هنالك من المطايا . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . (٤) موضع بظاهر دمشق، ويعرف أيضا بمنازل العساكر . (أبو شامة : كتاب الروضتين، ص ٦٦، ٢٥٩، في Rec. Hist. Or. IV.) . (٥) في س قرارسلان . (٦) بغير ضبط في س، وهي أول منزلة للقوافل الداخلة من دمشق إلى مصر . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٧٥) . (٧) كذا في س بغير ضبط ويرجح (Blochet : Op. cit. p. 162. N. 1) أن صحته (Boktash) . (٨) بغير ضبط في س . انظر (Rec. Hist. Or. I. pp. 663, 673)

البلقاء^(١) في ثامن جمادى الأولى ، ورحل عنها في ثاني عشره إلى الكرك ، وقدم العادل وابن قرا أرسلان إلى الكرك في سابع عشره ، وعملت المجانيق إلى ليلة الخميس حادى عشره ، ثم رُميت تلك الليلة . ورحل العسكر كله لخبر ورد عن اجتماع الفرنج ، وساروا إلى اللجون ، ونزل الفرنج بالواله . ثم سار العسكر إلى ناحية البلقاء ، فنزلوا حسبان تجاه الفرنج ، إلى نصف نهار الإثنين سادس عشره . فرحل الفرنج إلى الكرك ، والعسكر وراءهم إلى نابلس ، فهاجمها العسكر يوم الجمعة سلخه ، وحرقوها ونهبوها ، وساروا فأخذوا أربعة حصون ، ونزلوا على جينين ، ونقبوا قلعتها حتى وقعت ، وقُتل تحتها من النقاين عدّة ، وأخذت عنوة وغنم منها شيء كثير . ورحلوا في ليلتهم إلى زرعين و [عين] جالوت ، وأحرقوها في الليل ، وعبروا الأردن يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة ، ونزلوا الفوار رابعة .

ودخل السلطان دمشق يوم السبت سابعه ، ومعه عساكره كلها . وقدم أخوه العادل من حلب ، وأنته العساكر المشرقية وعساكر الحصن وآمد ، وسار بهم يريد الكرك لأخذها من الفرنج . فنازلها في رابع عشر جمادى الأولى ، ونصب عليها تسعة مجانيق رماها بها . وقدمت الأمداد من الفرنج ، فرحل السلطان إلى نابلس ، ونهب كل ما مرّ به من البلاد ، وأحرق نابلس ونهبها ونهبها ، وقتل وسبي وأسرى ، واستنقذ عدّة من المسلمين كانوا أسرى ، وسار إلى جينين ، وعاد إلى دمشق . فقدم عليه رسل الخليفة ، وهما الشيخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبي سعد أحمد ، و [شهاب الدين] بشير الخادم ، ومعهما خلع

(١) جهات واسعة بين دمشق ووادي القرى . انظر (Blochet : Op. cit. p. 162. N. 2)

(٢) بغير ضبط في س ، وهو بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ،

ص ٣٥١) . (٣) بغير ضبط في س ، انظر (Rec. Hist. Or. IV. p. 248) . (٤) بغير ضبط

في س ، انظر (Blochet : Op. cit. p. 162. N. 4) . (٥) في س فهجمها . (٦) في س أربع .

(٧) في س جينين ، وبغير ضبط ، وهي بلدة بين نابلس وبيسان . (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٨٠) .

(٨) يقصد انؤلف حصن كيفا ، وهو قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر . (ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧٧) . (٩) انظر ص ٨٢ ، وكذلك ابن الأثير (الكامل في التاريخ ،

ج ١١ ، ص ٣٣٥) .

للسلطان والمُلك العادل، فلبسها. وطلب^(١) [الرسولان] تقرير الصلح بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل؛ فلم يتقرر بينهما صلح؛ ونحرجا من دمشق، فماتا قبل وصولهما إلى بغداد. وخلق السلطان على جميع العساكر، وأذن لهم في المسير إلى بلادهم، بعدما أعطاهم شيئا كثيرا، فساروا. وفي نصف شعبان سار المظفر تقي الدين بعساكر مصر يريد العود إلى القاهرة، وقرئت وصية سلطانية، تضمنت ولاية الملك العزيز عثمان ابن السلطان لمصر بكفالة ابن عمه تقي الدين عمر، وولاية (١٢٥) الملك الأفضل [أكبر أبناء السلطان] على الشام بكفالة عمه العادل صاحب حلب؛ وأن مدة الكفالة إلى أن يعلم المسلمون باستقلال كل واحد بالأمر، ويستقر الكافلان في خبيهما وما بأيديهما، ومن عدم من الولدين قام الأمثل من إخوته مقامه، أو من الكافلين قام الباقي منهما مقام الآخر، واستحلف الحاضرون من الأمراء؛ وولى قراءة العهد بذلك القاضي المرتضى بن قريش. وسوح بهلالي^(٢) البهنسا،

(١) في س و ط لبا . (٢) انظر (Lane-Poole : Saladin, Table II., in pocket)

(٣) البهنسا مدينة بصعيد مصر الأدنى غربي النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة، وهي عامرة كثيرة الدخل. (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧١؛ والمقريزي : المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٢٣٧ — ٢٣٨). وهي الآن قرية صغيرة قرب بني مزار (Enc. Isl. Art. Bahnsa). والهلالي المكوس التي تجبي فوق الخراج بالدبار المصرية، وفيها يقول المقريزي (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٠٣ وما بعدها) ما نصه : "اعلم أن مال مصر في زمننا ينقسم إلى قسمين : أحدها يقال له خراجي، والآخر يقال له هلالي. فالمال الخراجي ما يؤخذ من الأراضى التي تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة، وما يؤخذ من الفلاحين هدية، مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف. والمال الهلالي عدة أبواب، كلها أخذتوها (كذا) ولاية السوء شيئا بعد شيء. ... وأقول من أحدث مالا سوى مال الخراج بمصر أحمد بن محمد بن مدبر، بعد سنة خمسين ومائتين، فإنه كان من دهاء الناس وشياطين الكتاب. فابتدع في مصر بدءا سارت مستمرة من بعده لا تنقض : فأحاط بالظنون، وجرب إليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس، وقرر على الكلا الذي ترعاه البهائم مالا سماه الراعى، وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا سماه المصايد، إلى غير ذلك. فانقسم حينئذ مال مصر إلى خراجي وهلالي، وكان الهلالي يعرف في زمنه بالمرافق والمعاون. فلما ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون إمارة مصر، وأضاف إليه أمير المؤمنين المعتمد على الله (١٠٤) الخراج والثغور الشامية، رغب ونزه عن أدناس المعاون والمرافق، وكتب بإسقاطها في جميع أعماله، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة. ... ثم أعيدت الأموال الهلالية في أثناء الدولة الفاطمية عند ما ضعفت، وصارت تعرف بالمكوس. فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر =

وهو ألف ومائتا دينار، وسومح بالأتبان، وما تقصّر عن ألفي دينار، ومنع من ضمان المزر
والخمر والملاهي، وترك ما كان يؤخذ من رسم ذلك للسلطان بديار مصر. وخرج السلطان من
دمشق يريد البلاد الشرقية، فأقام بجماعة بقية السنة، وكان نزوله عليها في عشرين ذي القعدة.
وفي هذه السنة أقيمت خطبة في سابع المحرم عند قبر سارية^(١) يلحف الجبل، في غير بنان^(٢)
وبغير سكان، وتم ذلك بعصبة جماعة. ثم أحدث جامع عند قبة موسك وبقيت سنين.
وبلغ النيل ثلاث عشرة إصبعا من تسع عشرة ذراعا، فأضر ذلك بالقرى، وخرج أهلها منها
لسقوط جدرانهم. وغرقت البساتين والأقصاب، وفاضت الآبار، وانقطعت الترع^(٤)،
وكثر الضرر، كما حصل في سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

[في هذه السنة] مات السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك
المغرب، لسبع خلون من رجب. ومات إيلغازي [بن نجم الدين] بن أبي بن تمر تاش بن
إيلغازي بن أرتق الأرتقي قطب الدين، صاحب ماردين، في جمادى الآخرة. وفيها مات

= يوسف بن أيوب بملك مصر أمر بإسقاط مكوس مصر والقاهرة، فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك، وكان
جملة ذلك في كل سنة مائة ألف دينار ... (١٠٥) وذكر ابن أبي طي أن الذي أسقطه السلطان
صلاح الدين، والذي سماح به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة، بلغه عن نيف (كذا) ألف ألف دينار
والألف أردب، سماح بذلك وأبطله من الدواوين، وأسقطه عن المهاملين، فلها ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن
صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد في شاعتها ... انظر أيضا (نفس المرجع، ج ٢،
ص ٢٦٧ - ٢٦٨، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٧١).

(١) بغير ضبط في س. وهذا القبر من مزارات القاهرة ومشاهدها، وهو بالقرافة، وصاحبه سارية
ابن أبي زعيم البيساني، وهو الذي ناداه الخليفة عمر بن الخطاب على المنبر "ياسارية الجبل!". (ياقوت: معجم
البلدان: ج ١، ص ٧٨٨، ج ٣، ص ٦٤٥، ج ٤، ص ٢٤٧، ٤٨٥، ٥٥٥). (٢) أي قاعدة
الجبل. (محيط المحيط). (٣) بغير ضبط في س، ولعله قبر موسك بن المجلي بن زعيم الأكراد البغية. (انظر
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٤١٦). هذا وقد كان سلطان صلاح الدين ابن خال اسمه عز الدين موسك،
مثنى قنطرة الموسكى بالقاهرة، غير أنه مات بدمشق سنة ٥٨٤ هـ. (المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢،
ص ١٤٧). (انظر ص ١٠٣). (٤) في س التراع. (٥) في س التي. راجع ابن الأثير (الكامل
في التاريخ، ج ١١، ص ٣٣٥). (٦) ضبطت هذه الأسماء على منطوقها في (Blochet: Op. cit., p. 165).
(٧) قلعة حصينة على قنة جبل الجزيرة، مشرفة على نصيبين. (ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٣٩٠).

أقنقر الساقى، صهر قراجا الهام، بحلب في يوم الجمعة حادى عشر رجب . وفيها رسم السلطان بتقييد أولاد [الخليفة] العاضد [الفاطمي] ومن بقى من أقاربه .

(١) سنة ثمانين وخمسمائة) . أول المحرم يوم الاثنين، فيه ابتدئ بالتدريس في المدرسة الفاضلية بدرب ملوخيا من القاهرة . وفي خامسه توجهت القافلة بالبدل المجرى^(٢) إلى قلعتي صدر وأيلة مع قيصر والى الشرقية . وفي سابعه أقيمت الخطبة عند قبر سارية بالحف الجبل في غير بنيان ولا سكان . وفي ثامنه وردت كتب السلطان من دمشق ، باستدعاء العساكر، وجمع الأموال والأسلحة والأمتعة . وفي حادى عشره كانت فتنة بين العرب الجذاميين ، فخرج عسكر إلى الشرقية . وعدى الملك المظفر إلى الجيزة بأولاده، لمدعوة عملها الطواشي قراقوش^(٣) عند قناة طرة^(٤)، وعاد من الغد . وفي ثامن عشره وردت كتب السلطان من دمشق ، لاستنهاض العساكر لغزاة الكرك، وأن يستصحبوا من الراجل ما قدروا عليه . فبرزت الخيام إلى بركة الحب في عشريه ، وخرج من الغد الملك المظفر تقي الدين النائب بمصر . وفي ثانى عشريه ورد الخبر من ناظر قوص بغرق أربع جلاب^(٥)، بها ألف وثلاثمائة رجل من المجاج، هلكوا [كلهم] . وفي خامس عشريه عاد قيصر والى الشرقية من صدر، بعد أن أوصل القافلة إلى أيلة، وعاد بالقافلة العائدة ، وكان العدو قد نهض إليها ، ثم عاد عنها . وفي سلخه ورد الخبر بأن المؤيد سيف الإسلام ملك بلاد اليمن، واعتقل خطاب بن منقذ بزبيد .

[وأهل] صفر . في رابعه ورد الخبر بوصول تابوتى نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه، إلى المدينة النبوية، ودفنهما بها . وكان قد حمل بهما إلى قوص، وعدى بهما من بحر عيذاب

(١) هذا بدء هامش مكنوب على ورقين منفصلتين في ص، بين صفحتى ٢٤ ب، ٢٥ أ . وايس لما ورد به وجود في ب . (٢) انظر ص ٨٣، وبلاحظ أن هذه الأخبار وبعض ما بعدها قد تقدم ذكره .

(٣) في ص قراقوش، وبالهامش العبارة الآتية بخط مخالف : " ذكر ابن الأثير أن هذا قراقوش (كذا)

بالقافين، وأنه هو الذى عمر قلعة الجبل ، والمؤلف يسميه قراقوش، والله أعلم " . انظر ص ٦٠ حاشية ٨

(٤) في ص قاطره ، بغير ضبط . انظر (P. Omar Toussoun : Op. cit. T. I. I., p. 190) .

(٥) نوع من سفن التجارة خاص بالبحر الأحمر، ومفرده جلابة . (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

إلى المدينة، وكان سيرهما في أول السنة الماضية. وفي سادسه سار الأسطول، وهو أحد وثلاثون شينياً وحرقة. وفي سابعة جرت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة، سببها إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسي تكلمه في مسألة [من مسائل] الكلام في مجلس وعظه وترافعوا إلى [الملك] المظفر بنجيمه، فرسم برفع كراسي وعظ الفريقين؛ وقد أطلق كل من الفريقين لسانه في الآخر. وفي ثامنه وقع مطر عظيم، ورعد قاصف وريح عاصف، وبرق خاطف وبرد كثير كبار. فحل بالعسكر المبرز بلاء شديد، وعطبت الثمار، وتفسخت الأشجار، وانقرع النخل، وعمت الجائحة الثمار والزرورع، التي لم تُحصد وما حصد، وتلفت المقاشي. وفي عاشره عقد مجلس لأصحاب الدواوين [للفاضلة ما بين] ابن شكر وابن عثمان: فتسلم ابن عثمان الدواوين، بعد أن أخذ خطه بزيادة خمسة عشر ألف دينار على الارتفاع؛ ثم صرف بابن شكر في ثالث عشره. [وأهلاً] شهر ربيع الأول. في ثاني عشره سار المظفر تقي الدين من بركة الحب، يريد السلطان بدمشق. وعاد ابن السلار إلى القاهرة نائباً عن المظفر. وعاد ابن شكر ناظر الدواوين [إلى القاهرة؟] في خامس عشره، ومعه ولد المظفر، فخرج الناس لتلقيه.

[وأهلاً] شهر ربيع الآخر. في عشريه قدم المظفر على السلطان [صلاح الدين] بالقرب من الكرك.

[و] في عاشر جمادى الآخرة أخذت أهل بلبيس [بلدتهم] في ليلة واحدة، وقد سمعوا بمسير الفرنج إلى فاقوس. واضطرب الناس بالقاهرة ومصر والحيزة، فسميت الهجة الكذابة. وقدم الخبر بأن سيف الإسلام قتل خطاب بن منقذ ومثل به، واستصفى أمواله باليمن، وقبض على أزمه. وكان العسكر عقيب الهجة خرج إلى بلبيس، فنهبا الغلمان، وأخذ الفرنج نحو مائتين وعشرين أسيراً، وساقوا أغناماً لا تدخل تحت حصر.

وفي رابع عشري شعبان قدم المظفر تقي الدين إلى القاهرة بالعسكر، بعد شدة لحقتهم في طريقهم. وفي ذى القعدة ورد كتاب سيف الإسلام بأنه فتح باليمن مائة وثلاثة وسبعين

(١) في من شينياً . (٢) في من وبرد كبير كبار . (٣) في من ومعه .

(١) خصنا ، وقدم أهل خطاب بن منقذ وأخوه مجد إلى مصر . وخرج تقي الدين [ابن] أنحى صلاح الدين إلى البحيرة ليكشف أحوالها . و [كان] معه كاتبه الرضى بن سلامة ، فاستدفع من الدواوين حساباتهم ، وسار بها على بغل . صحبة تقي الدين ، فأرسل الله صاعقة من السماء أحرقت البغل وما عليه من الحساب ، وعاد تقي الدين .^(٢)

* * *

[سنة إحدى وثمانين وخمسمائة] . وأهلت سنة إحدى وثمانين ، فسار السلطان وبلغ حران في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر ، فقبض على صاحبها مظفر الدين محمد كبرى ، واستولى عليها . ورحل عنها في ثانی ربيع الأول ، فوافته رسل الملك قلع أرسلان بن مسعود [السلجوقى] صاحب الروم ، باتفاق ملوك الشرق بأجمعهم على قصده ، إن لم يعد عن الموصل وماردين . فسار يريد الموصل ، وكاتب الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل ، ونزل عليها وحاصر أهلها وقتلهم . فورد الخبر بموت شاه أرمن بن سقمان [الثانى ناصر الدين محمد بن إبراهيم] صاحب خلاط في تاسع ربيع الأول ، فرحل [صلاح الدين] في آخره يريد خلاط ، ثم عاد ولم يملكها ، [وسار] إلى ميافارقين فتسلمها . ثم عاد إلى الموصل ، ونزل على دجلة في شعبان ، وأقام إلى رمضان ، فمرض مرضاً مخوفاً ، فرحل في آخر رمضان ، وهو لما به وقد أيس منه . فزل بحران ، فتقرر فيها الصلح بينه وبين المواصله في يوم عرفة ، وخطب

(١) في س اخو ، وليس بالمراجع المتداولة في هذه الحواشى ما يشير إلى أخ لصلاح الدين بهذا اللقب .

(٢) آخرها تمس المشار إليه بصفحة ٧٨ حاشية ١ . (٣) بغير ضبط في س ، انظر ياقوت (معجم

البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤١) . (٤) في س قلع . (٥) في س بضم الياء وفتح العين ، والظاهر

أن المؤلف عكس موضع الحركتين خطأ . (٦) في س شاهر من س سمان . وقد أضيف ما بين القوسين من

(Blochet : Op. cit. p. 166) . انظر أيضا ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٨) .

(٧) بغير ضبط في س ، وهى قصة أرمينية الوسطى . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ؛

و 2 . (Blochet : Op. cit. p. 166. N. 2) . (٨) بغير ضبط في س ، وهى من مدن ديار بكر . (ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٠٣ - ٧٠٨) .

له بجميع بلاد الموصل، وقطعت خطبة السلجوقية منها، وخطب له في ديار بكر وجميع البلاد الأرتقية، وضربت السكة باسمه، وأمر بالصدقات في جميع مملكه .

[و] في يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول حدثت بمصر زلزلة، وفي مثل تلك الساعة كانت [زلزلة] في بعلبك أيضا. وفيه كانت بالإسكندرية فتنة بين العوام، نهبوا فيها المراكب الرومية، فقبض على عدة منهم ومثل بهم^(٢).

ومات [في هذه السنة] الملك القاهر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص، ليلة عيد الأضحى. واتهم السلطان بأنه سمه: فإنه لما اشتد مرض السلطان تحدث بأنه يملك من بعده. ومات نجر الدولة إبراهيم بن محمد بن (٢٥ ب) إبراهيم بن أحمد بن نصر الأسواني ابن أخت الرشيد والمهذب ابن الزبير فيها. وهو أول من كتب الإنشاء للسلطان، ثم كتب لأخيه العادل. ومات سعد الدين بن مسعود بن معين الدين بآمد. ومات الأمير مالك بن ياروق في منبج ليلة السبت مستهل رجب، فحمل إلى حلب ودفن بها. ومات آمنة خاتون بنت معين الدين [أنار]، التي تزوجها السلطان [صلاح الدين] بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق، وكانت وفاتها يوم الإثنين ثالث ذى القعدة.

[و] فيها خرج المظفر [تقي الدين عمر] إلى كشف أحوال الاسكندرية. وشرع في عمل سور على مدينة مصر بالحجر، فلم يبق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه ساحة (؟) من درب الصفا إلى المشهد النفيسي، وأتصلت العمارة في خط الخليج إلى درب ملوخيا بمصر حتى بين الكومين (؟) ويجوار جامع ابن طولون والكبش، فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع يشقاف

(١ و ٢) ما بين الرقين وارد بهامش الصفحة في س، ولم يشر المؤلف كما دته إلى المكان المناسب له من المتن، وليست في ب (٣٠ ب). (٣) بقية تلك الوفيات، واردة بهامش الصفحة في س، وليس بالمتن إشارة إلى مكانها المناسب منه، ولا هي موجودة في ب (٣٠ ب). على أنه لا شك في وقوعها سنة ٥٨١ هـ. انظر (Enc. Isl. Art. Khatun). (٤) الفقرة الآتية أيضا إلى آخر السنة، واردة بهامش الصفحة في س، قبل بدء الكلام عن السنة التالية. وليس منها في ب (٣٠ ب) شيء. (٥) بغير ضبط في س، والعبارة كلها إلى علامة الاستفهام بالمتن، غير واضحة تماما. (٦) في س المرخا. انظر المقریزی (المواعظ والاعتبار ج ٢، ص ٣٨).

(١) القنز والخرشنف وتراب الأرض . وتحول للناس بلهجة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة .
وفي شعبان ورمضان وقع وباء بأرض مصر و [فشا] موت الفجأة ، و [كثير الوباء] في الدجاج
أيضاً .

♦ ♦ ♦

[سنة اثنتين وثمانين وخمسة] . وأهلت سنة اثنتين وثمانين ، وقد أبل السلطان
من مرضه ، فرحل من حران ، [و] نزل حلب في رابع عشر المحرم ، وصر من حلب إلى
حمص ، فرتب أمورها وأسقط المكوس منها . ودخل إلى دمشق في ثاني ربيع الأول ، وأستدعى
ابنه الأفضل علياً من مصر ، لمنافرة كانت بينه وبين ابن عمه المظفر تقي الدين ، فقدم عليه بأهله
وحشمه ، لسبع بقين من جمادى الأولى . وصرف العادل عن حلب ، وتقرر عوضه بها الملك
الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان ، وعوض العادل الشرقية بديار مصر .

١٠ . وصرف المظفر تقي الدين عمر من ديار مصر ونيايتها ، فغضب لذلك ، وعبر بأصحابه إلى
الحيزة يريد اللحاق بغلامه شرف الدين قراقوش التقوى ، وأخذ بلاد المغرب ، وجعل مملوكه

(١) في س القند ، وبغير ضبط . والقنز الخنزف - محبط المحبط . وفي (Dozy : Supp. Dict. Ar.)
القنز الحجارة الكبيرة . (٢) في س الخرنشف ، وبغير ضبط ؛ والخرنشف هو ما يتحجر مما يوقد به على
مياه الحمامات من الأزبال وغيرها . هذا ومن أخطاط القاهرة خط الخرنشف ، بين حارة برجوان والكافوري ،
ويتوصل إليه من بين القصرين ، ومدخله قبو يعرف بقبو الخرنشف . وإنما سمي هذا الخط بالخرنشف لأن الخليفة المعز
الفاطمي بنى فيه الاصطبلات من هذه المادة المتحجرة . (المقرزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٧) .

(٣) العبارة الآتية واردة في هامش على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٢٥ ب ، ٢٦ أ : "كان إقطاع المظفر
تقي الدين عمر البحيرة جميعها وهي بأربعمائة ألف دينار ، والفيوم بثلاثمائة ألف دينار ، وقاى وقايات وبوش وهي بسبعين
ألف دينار ، ثم عوض عن بوش بسمنود والواحات ، وهي بستين ألف دينار ، وفوة والمزاحتين وهي بأربعمائة ألف دينار ،
وحوف رمسيس وهو بثلاثين ألف دينار ، والمرتب في كل شهر على الإسكندرية ألف وخمسة دينار" . ويلاحظ
أن مدلول هذه الأقسام الإدارية أيام الأيوبيين ليس كدلولها الحال ، فقد تغير حكم بعضها منذ عصر المماليك
البحرية ، بإضافته إلى غيره من الأعمال مع بقاء أهميته ، ودرس اسم بعضها الآخرونسي : فسمنود مثلاً كانت كورة
بذاتها ، ثم أضيفت إلى عمل الغربية ؛ وكورة المزاحتين كانت تشمل ما جاور قناة الإسكندرية من جهة الشمال إلى
البحر الأبيض المتوسط ، فضلاً عن بعض الأراضي بالبر الشرقي من فرع النيل ، وكانت حاضرتها فوة . وكان يلي كورة
المزاحتين بالجهات الغربية البحيرة ، ثم حوف رمسيس . راجع القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٩ -
٤١٠ ؛ و (P. Omar Toussoun : Op. cit. T. I. 1, 2. (٤) في س بها الدين .

(١) بوري في مقدمته . فبلغ ذلك السلطان ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ؛ فقبح الأكا بر عليه
 (٢) مشاقته السلطان وحذروه ، فأجاب وتوجه إلى دمشق ، فوصلها ثالث عشرى شعبان . واستمر
 على ما بيده من حماة والمعرة ومنبج وأنصيف إليه ميا فارقين ؛ وكتب إلى أصحابه فقدموا عليه
 من مصر ، ما خلا زين الدين بوري مملوكه ، فإنه سار إلى المغرب ، وملك هناك مواضع
 [كثيرة] . ثم قصده صاحب المغرب وأسره ، ثم أطلقه وقدمه . ووصل الأفضل على بن
 السلطان من القاهرة إلى دمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى ، وهو أول قدومه
 إليها . وسار الملك العزيز عثمان إلى ملك مصر ، ومعه عمه العادل أتابكا . وكان خروج العادل
 من حلب ليلة السبت رابع عشرى صفر ، فدخل إلى القاهرة في خامس رمضان .

ووقع الخلف بين الفرنج بطرابلس ، فالتجأ القومض إلى السلطان ، وصار يناصحه ، واستولى
 الإبرنس ملك الفرنج بالكرك على قافلة عظيمة ، فأسر من فيها ، وامتنع من إجابة السلطان إلى
 إطلاقهم ، فتجهز [السلطان] لمحاربتة ، وكتب الأطراف بالمسير لقتاله .

وفيها مات بمصر عبد الله بن أبي الوحش برى بن عبد الجبار بن برى النحوى ، ليلة السبت
 لثلاث بقين من شوال ، ومولده [بدمشق] في خامس رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة .

[سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة] . وأهلت سنة ثلاث وثمانين ، وقد برز السلطان من

دمشق لجهاد الفرنج يوم السبت أول المحرم ، وأقر ابنه الأفضل على رأس الماء ، ونزل بصرى ،

(١) في س بوزنه بغير ضبط ، انظر (Blochet : Op. cit. p. 169, N. 5.) هذا واصلاح الدين أخ اسمه

تاج الملوك بوري (Lane-Poole : Saladin, Table II, in pocket) . (٢) في س "فقبح الأكا بر

عليه مشاقته" . (٣) في س بوزنه . (٤) هو الكونت رايون الثاني صاحب طرابلس الذي تقدم ذكره ؛

(انظر ص ٥٩ حاشية ٢) . (٥) هو الأمير أرنو صاحب الكرك الذي تقدم ذكره (انظر ص ٦٤ حاشية ٤) .

(٦) بغير ضبط في س ، واسمه كما جاء في (Enc. Isl. Art. Ibn Barri) أبو محمد عبد الله برى بن عبد الجبار

ابن برى المقدسى المصرى .

(٧) بغير ضبط في س ، واسمها أيضا الديلى . (G. Demombynes : Op. cit. p. 244. N. 1) .

(٨) بغير ضبط في س ، وموقعها بالشام من أعمال دمشق ، وهى قصة كورة حوران . (ياقوت معجم البلدان ،

ج ١ ، ص ٦٥٤) .

فأقام لحفظ الحاج حتى قدموا في آخر صفر . فصار إلى الكرك ، في اثني عشر ألف فارس ، ونازلها وقطع أشجارها ، ثم قصد الشوبك^(١) ، ففعل بها [مثل] ذلك . وتخرج الحاجب (١٢٦) لؤلؤ على الأسطول من مصر ، وهو خمسة عشر شينياً ، ليسير إلى الإسكندرية . وخرج العادل من القاهرة في سابع المحرم إلى بركة الحب ، وسار إلى الكرك ، فترجل على أيلة ، والتقى مع السلطان على القريتين^(٢) ، وعادا إلى الكرك ، فنازلاها في ربيع الأول . وضايق [السلطان] أهلها ، ثم رحل عنها ، ونازل طبرية ، فاجتمع من الفرنج نحو الخمسين ألفاً بأرض عكا ، ورفعوا صليب الصليبوت^(٣) . فافتتح السلطان طبرية عنوة في ثالث عشر ربيع الآخر ، وغاز ذلك الفرنج وتجمعوا ، فسار إليهم السلطان ، وكانت وقعة حطين^(٤) ، التي نصر الله فيها دينه ، في يوم السبت رابع عشر ربيع . وانهزم الفرنج بعد عدة وقائع ، وأخذ المسلمون صليب الصليبوت ، وأسروا الإبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك ، وعدة ملوك [آخرين] ، وقتل وأسر [من سائر الفرنج] ما لا يعد كثرة . ثم قدم الإبرنس [أرناط] ، وضرب السلطان عنقه بيده ، وقتل جميع من عنده من الفرنج الداوية والإسبتارية . ورحل [السلطان] إلى عكا ، فنازلها سلخ ربيع الآخر ، ومعه عالم عظيم .

(١) بغير ضبط في س ، وهي قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك . (ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ ؛ انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 472. N. 1) . (٢) بغير ضبط

في س ، وهي بلدة كبيرة من أعمال حمص ، وتدعى حوارين ، وبينها وبين تدمر مرحلتان . (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٨) . (٣) جاء في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٥٣) أن صليب

الصليبوت هو الصليب الأعظم عند المسيحيين ، وأنهم يسمونه بهذا الاسم لأن " فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها

المسيح عليه السلام في زعمهم " . ولهذا الصليب أخبار كثيرة منها ، فضلا عما سيرد فيما يلي ، أنه نقل إلى جزيرة

قبرص ، بعد خروج الصليبيين من الشام ، ثم استولى عليه المسلمون عند فتحهم لتلك الجزيرة سنة ١٤٢٦ م . على أنه

يقع بقبرص ، ورأه هناك أحد الرحالة الأوربيين سنة ١٤٨٨ م . راجع (Ziada : Maml. Conquest of

Cyprus, p. 102. N. 89) . (٤) بغير ضبط في س ، وهي قرية بالشام بين أرسوف وقيسارية . (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٢) . (٥) في س منهم . (٦) بوجه في (Blochet : Op. cit. p. 173. N. 1)

وصف مسهب لمقتل هذا الأمير . وقد ذكر الكاتب الإنجليزي (Sir Walter Scott) في روايته (Talisman)

تفاصيل تلك الحادثة . (٧) استثنى صلاح الدين من القتل واحدا فقط من رجال هاتين الهيئتين الدينيتين ، وهو

(Gerard de Ridfort) رئيس الداوية . (King : Knights Hospitallers, pp. 128-129) .

قال العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : " كان السوق الذي في عسكر السلطان على عكا عظيماً ، ذا مساحة فسيحة ، فيه مائة وأربعون دكان بيطار . وعدادت عند طباط واحد ثمانيا وعشرين قدرا ، كل قدر تسع رأس غنم . ^(١) وكنت أحفظ عند الدكاكين ، لأنها كانت محفوظة عند شحنة السوق ، وأظنها سبعة آلاف دكان ، وليست مثل دكاكين المدينة ، بل دكان واحد مثل مائة دكان ، لأن الحوائج في الأعدال والجوالقات . ويقال إن العسكر أنتنت منزلتهم لطول المقام ، فلما ارتحلوا غير بعيد ، وزن سمان أجرة نقل متاعه سبعين ديناراً . وأما سوق البز العتيق والحديد ، فشئء يبهر العقل . وكان في العسكر أكثر من ألف حمام ، وكان أكثر ما يتولاها المغاربة ، يجتمع منهم آثنان أو ثلاثة ويحفرون ذراعين فيطلع الماء ، يأخذون الطين فيعملون منه حوضاً وحائطاً ، ويسترونه بحطب وحصير ، ويقطعون حطبا من البساتين التي حولهم ، ويحمون الماء في قدور ، وصار حماما يغسل الرجل رأسه بدرهم وأكثر . "

فلم يزل [صلاح الدين] على محاصرة عكا إلى [أن] تسلمها بالأمان ، في ثاني جمادى الأولى ، وأستولى على ما فيها من الأموال والبضائع ، وأطلق من كان بها من المسلمين مأسوراً ، وكانوا أربعة آلاف نفس . ورتب في كنيستها العظمى مبراً ، وأقيم فيها الجمعة . وأقطع عكا لابنه الأفضل علي ، وأعطى جميع ما للداوية من إقطاع وضياع للفقير ضياء الدين عيسى الهكاري . وسار العادل بعساكر مصر إلى مجدلياً ^(٤) ، فحصره وفتحته وغنم ما فيه . وأفتحت عدة حصون حول عكا : وهي الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعلياً ^(٥) والشقيف والتولع ^(٦)

(١) هذه الكلمة مترجمة في (Blochet : Op. cit. p. 174) إلى (neuf) أي الرقم العدمى تسعة .

(٢) بغير ضبط في س ، ويطلق على الثياب والأمتعة والأسلحة . (محيط المحيط) .

(٣) في س " فلم يزل على محاصرتها " . (٤) في س " مجدلياً " بغير ضبط ، انظر (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٤ ، ص ٤١٨) ، وموقعها قرب الرملة . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 175 . N. 2) .

(٥) في س " معلياً " بغير ضبط ، وهي من نواحي الأردن بالشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٧٨) .

(٦) في س " التولع " بغير ضبط ، وهي قرية بالشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٩٥) .

والطور، ونهب ما فيها، وسبيت النساء والأطفال، فقدموا بما سد الفضاء. وأخذت سبسية^(٢) ونابلس، وكتب [السلطان] للخليفة بنجر فتح هذه البلاد. ونزل العادل على يافا حتى ملكها عنوة ونهبها، وسبي الحزيم وأسرى الرجال. ونازل المظفر تقي الدين عمر^(٤) تبين، وأدركه السلطان فوصل إليها في حادي عشر جمادى [الأولى]، وما زال محاصراً لها حتى تسلمها في ثامن عشره بآمان، وجلا أهلها عنها إلى صور، وتسلم [السلطان] العدد والدواب والخزائن. وسار فأخذ صرخد^(٥) بغير قتال، ثم رحل إلى صيدا^(٦)، ففر أهلها وتركوها، فتسلمها السلطان في حادي عشره (٢٦ ب). ونازل بيروت وضايقها ثمانية أيام، إلى أن طلب أهلها الأمان، فأجابهم واستولى عليها في تاسع عشره. وأخذ جبيل^(٧)، فكان من استنقذ الله من المسلمين المأسورين عند الفرنج، في هذه السنة، ما يزيد على عشرين ألف إنسان، وأسر المسلمون من الفرنج مائة ألف أسير. وهلك [في هذه السنة] القومص صاحب طرابلس. وقدم المركيس^(٨) - أكبر طواغيت الفرنج - إلى صور، وقد اجتمع بها أمم من الفرنج، فتملك عليهم، وحصن البلد. فسار السلطان بعد فتح بيروت، وتسلم الرملة والخليل وبيت لحم، واجتمع بأخيه العادل، ونازلا عسقلان^(٩) في سادس عشر جمادى الآخرة، ونصبا المجانيق عليها. ووقع الجدل في القتال، إلى أن

(١) بغير ضبط في س، وهو جبل على بعد أربعة فراسخ من طبرية. راجع (Blochet : Op. cit. p. 175. N. 9)

(٢) بغير ضبط في س، وهي من أعمال نابلس. راجع (Blochet : Op. cit. p. 176. N. 1)

(٣) انظر في نفس المرجع والصفحة (٢ N.)، ترجمة لكتاب أرسله صلاح الدين إلى حاكم تنيس بعد وقعة حطين.

(٤) في س تبين بغير ضبط، وهي بلدة صغيرة بين دمشق وصور، وتقع في جبال بني عامر المطلّة على بلد بانياس.

(ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢٤) ، وراجع أيضا (Blochet : Op. cit. p. 177. N. 1)

(٥ و ٦) بغير ضبط في س في الموضوعين، وصرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. وصيدا مدينة

على ساحل الشام من أعمال دمشق أيضا. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠، ٤٣٩) . (٧) بغير

ضبط في س، وهي من أعمال دمشق، على بعد أربعة فراسخ من بيروت. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣) .

(٨) يقصد المؤلف (Conrad. Marquis de Montferrat) الذي وصل الشام من أوروبا قبل سقوط عكا

بثلاثة أيام. (Stevenson : Crusaders In The East, p. 251) . (٩) توجد في (Blochet : Op. cit.)

(١) p.179. N. 1 تفاصيل مهمة عن أخذ السلطان ذلك الحصن، منها أن ملك بيت المقدس ورئيس الداوية نصحا

لأهل البلد من الفرنج بالتسليم مريعا، فلم ينتصخوا حتى وقع الجدل في القتال .

تسلم [السلطان] البلد في سلخه، وخرج منه الفرنج إلى بيت المقدس، بعد أن ملكوه نحسًا وثلاثين سنة. وتسلم [السلطان] حصون الداوية: وهي غزة والنظرون وبيت جبريل^(٢). وقدم عليه بظاهر عسقلان ابنه العزيز عثمان من مصر، و[واقته]^(٣) [البساطيل] و[عليها] الحاجب لؤلؤ. وكانت الشمس قد كُست، قبل أخذ عسقلان بيوم، حتى أظلم الجو وظهرت الكواكب، في يوم الجمعة ثامن عشرية.

وسار السلطان—وقد اجتمعت إليه العساكر— يريد فتح بيت المقدس، فنازله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم^(٤). فنصب المجانيق، واقتتل الفريقان أشد قتال، استشهد فيه جماعة من المسلمين. وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من السور وتقبوه، وأشرفوا على أخذ البلد. فسأل الفرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنياً أو فقيراً، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار. وتسلم المسلمون القدس، يوم الجمعة سابع عشر رجب، وأنخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفاً، بعد ما أسر [منهم] نحو ستة عشر ألفاً، ما بين رجل وامرأة وصبي، وهم من لا يقدر على شراء نفسه. وقبض [السلطان] من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة.

(١) بغير ضبط في س، وهو حصن كان للداوية قرب الرملة بجنوب فلسطين، واسمه أيضاً الأطرون. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٠)؛ وانظر أيضاً (Rec. Hist. Or. I, pp. 57, 697). (٢) بغير ضبط في س، وهو بليد بين بيت المقدس وغزة، ويسمى أيضاً بيت جبرين. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧٦). (٣) أضيف ما بين القوسين للنوضح، وبعد مراجعة أبي شامة (كتاب الروضتين، ص ٣١٦، في (Rec. Hist. Or. IV). (٤) في س "حمايعهم".

(٥) في س الف. (٦) توجد في (Blochet: Op. cit p. 179. Ns. 1, 2) نبذة طويلة عن أخذ صلاح الدين لبيت المقدس، وهي من كتاب سير الآباء البطارقة، وبها تفصيلات أخرى نادرة. (٧) قبالة هذه السطور في ب (ص ١٣٢). العبارة الآتية: "Les Mahometans prennent Jerusalem sur les franes" و يوجد في نسخة ب كثير من أمثال هذه الحاشية بالفرنسية، ولا سيما قبالة أسماء كبار الصليبيين، وربما كتبها المستشرق (Quatremère) أو (Blochet) بعده، حين ترجم كل منهما جزءاً من السلوك إلى الفرنسية.

والتحق من كان بالقدس من الفرنج بصور، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالا وركبانا من كل جهة لزيارته، حتى (١٢٧) كان من الجمع ما لا يحصر. فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان، وخطب القاضي محي الدين بن الزكي بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجما، فوعظ الناس. وأمر السلطان بترخيم المحراب العمري القديم، وحمل منبر ملبح من حلب، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية. وغُلقت كنيسة قمامة، ثم فُتحت، وقُدر على من يرد إليها من الفرنج قطعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به. وسار العادل مع السلطان، فتزلا على عكا أول شهر رمضان، ثم رحل [السلطان] منها، ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها. واستدعى [السلطان] الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر، فأخذ الفرنج خمس شواني. ووردت مكتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالاعتذار، ورحل عن صور في آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، وأقام السلطان بعكا، وسار العادل

(١) لما أمر صلاح الدين بعمل منبر للمسجد الأقصى، قيل له: "إن نور الدين محمودا كان قد عمل بجلب منبرا، أمر الصناع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه، وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس، فعمله النجارون في عدة سنين، لم يعمل في الإسلام مثله، فأمر [صلاح الدين] بإحضاره، فحمل من حلب ونصب بالقدس". (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢ ج ١١، ص ٣٦٥).

(٢) في "أرال".

(٣) أطلق المسلمون هذا الاسم على كنيسة القيامة بيت المقدس منذ عصر صدر الإسلام: (Le Strange: Palestine Under Moslems. p. 202.)

إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب، وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها. وأنته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم^(١) والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس. وفي هذه السنة، أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة^(٢)، اجتمع الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد والمشتري وزحل و[أظفار]^(٣) الذئب، في برج الميزان، أربع عشرة ساعة، فاجتمع المنجمون كلهم، وحكموا بكون طوفان الريح، وأنه كائن وواقع ولا بد، فتقلب الأرض من أولها إلى آخرها، وأنه لا يبقى من الحيوان شيء إلا مات، ولا شجرة ولا جدار إلا سقط. وكان معظم هذه الحكومة عن بلاد الروم^(٤). وأرجفوا بأنها هي القيامة، فاتخذ قوم الكهوف والمغائر في الجبال، وبالغوا في الاعتداد لهول ذلك اليوم. وقال القوم: "كتب القدماء كلها أحالت على هذا الاجتماع، وإنما فيه دمار الدنيا". وكان ذلك في مسرى، وفي جمادى الآخرة للسابع والعشرين منه، [وهو] يوم الثلاثاء مع ليلة الأربعاء إلى يوم الأربعاء. فلم تهب ريح، ولا تحرك نيل مصر، وهو في زيادته في مسرى؛ ومن العادة أن تهب الريح من العصر إلى العشاء في وجه الماء، ليقف بإذن الله، فتكون فيه الأمواج. فلم يحدث تلك الليلة، ولا ثاني يوم ولا قبلها بيوم، شيء من ذلك. وطلع الناس بالسراج الموقدة على السطوحات لاختبار الهواء، فلم تتحرك نلج البتة. وكان أشد الناس إرجافاً بهذه الكواكب الروم، فأكذبهم الله، وسلط عليهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف،

(١) بعد فتح بيت المقدس، أرسل صلاح الدين إلى إمبراطور الدولة البيزنطية إسحاق الثاني بعثاً، ليخبره بما تم على يديه من الفتوح، وليسلم إليه مائة وتسعين رجلاً من رعايا الدولة البيزنطية، كانوا قد وقعوا في يده أثناء حروبه ضد الصليبيين. ونتج عن هذا البعث أن عقد الإمبراطور والسلطان حلفاً سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م)، كانت من آثاره عداء عواهل غرب أوروبا للدولة البيزنطية. (Blochet: Op. cit. p. 183. N. 1). وراجع أيضاً (Camb. Med. Hist. IV. pp. 483, 603). هنا مثل جديد من أمثلة الخلاف بين النسختين من ب، إذا كتفى كاتب النسخة الثانية (٣٢ ب) بقوله "وفيها" بدل هذه العبارة كلها. (٣) في س الذئب، وأظفار الذئب كواكب صفار قدام الذئبين، وهما كوكبان أبيضان، بين العوائذ والفرقدين. (محيط المحيط).

(٤) وهذه العبارة مترجمة في (Blochet: Op. cit. p. 184) إلى: "ce fut surtout de Roum".

(ar-Roum) qui fut maltraité par ce phénomène surnaturel. ."

فأخذ كبارهم وكسرتهم، وملاً الأرض من الأسرى شرقاً وغرباً، وأخذ القدس . وأصاب جماعة ممن كان يُرجف بهذه الرياح آفات، ما بين موت بعضهم واعتلال بعضهم .
وفيهما خرج في سادس عشر جمادى الآخرة قفل شامئى إلى مصر، وهو أول قفل سلك بلاد الساحل، بلا حق يدفعه ولا مكس يؤديه . وفيها سار قراقوش التقوى ، واستولى على القهروان، وحاربه ابن عبد المؤمن سلطان المغرب على ظاهر تونس فانكسر منه، وأقيمت الخطبة في ربيع الأول بتلك البلاد للسلطان صلاح الدين . فجمع ابن عبد المؤمن ، وواقع قراقوش وهزمه، ففر قراقوش في البرية .

وفيهما أمر [السلطان] بأن تبطل النقود التي وقع الاختلاف فيها وتضرر العامة بها، وأن يكون ما يضرب من الدينار ذهباً مصرياً، ومن الدراهم الفضة الخالصة، وابطل الدراهم السود لاستئصال الناس الميزان، فسر الناس ذلك .

(٢٧ ب) سنة أربع وثمانين [وخمسمائة] . فيها نازل السلطان حصن كوكب أياما، ولم ينل منها شيئاً، فأقام الأمير صارم الدين قايمار النجمي في خمسمائة فارس عليها، ووكل بصفد الأمير طغرل الخازندار في خمسمائة فارس، وبعث إلى الكرك والشوبك الأمير سعد الدين كشيبة الأسدي . واستدعى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي من مصر، فاستخلف على عمارة سور القاهرة، وقدم والمسلطان على كوكب، فندبه لعمارة عكا، فشرع في تجديد سورها وتعليق أبراجها، بمن قدم به معه من مصر من الأسرى والأبقار والآلات والدواب .

وسار السلطان يريد دمشق، فدخلها سادس ربيع الأول، وقد غاب عنها سنة وشهرين وخمسة أيام، كسر فيها الفرنج، وفتح بيت المقدس . فلأزم الجلوس في دار

(١) الدراهم الفضة هي النقرة (انظر ص ٤٥، حاشية ١). أما الدراهم السوداء فاسماء على غير مسميات، كدينار

الأسطول والدينار الجيشى (انظر ص ٤٥ حاشية ٣). وكل درهم منها ممتبر في العرف بثلاث دراهم نقرة (القلقشندي :

صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٤٣). (٢) في من بالميزان بكسر الباء .

(٣) في من كشيبا . انظر ص ٨٠، حاشية ٦ .

العدل بحضرة القضاة ، وكتب إلى الجهادت باستدعاء الأجناد للجهاد ؛ وخرج بعد خمسة أيام على بعلبك ، فوافاه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار على أعمال حمص ، فنزلا على بحيرة قُدس^(١) . وبعث [السلطان] ابنه الظاهر وابن أخيه اليلظفر صاحب حماة لحفظ طريق أنطاكية ، وسار أول ربيع الآخر وشن الغارات على صافيتا وتلك الحصون [المجاوية] . وسار في رابع جمادى الأولى على تعبئة لقاء العدو ، فأخذ أنطرسوس^(٢) ، واستولى على ما بها من المغنم ، ونحرب سورها وبيعها ، وكانت من أعظم البيع ، ووضع النار في البلد فأحرق جميعه . وسار يريد جبلة^(٣) ، فنازلها لاثنتي عشرة بقية منه ، وتسلمها بغير حرب . ثم أخذ اللاذقية بعد قتال ، وغنم الناس منها غنيمة عظيمة . وسار إلى صهيون^(٤) ، فقاتل أهلها إلى أن ملكها ، في ثاني جمادى الآخرة . واستولى على [قلعتي] الشُّغْر وبكاس وعدة حصون ، وأسر من فيها ، وغنم شيئا كثيرا . فلما فتح بفراس^(٥) ، بعث الإبرنس ملك أنطاكية يسأل الصلح ، فأجيب إلى ذلك ، على شريطة أن يطلق من عنده من الأسارى المسلمين ، وهم ألف إنسان . وعاد صاحب سنجار إلى بلده ؛ وسار السلطان إلى حلب ، فأقام بها ثم سار

(١) ورد هذا الاسم في (Blochet : Op. cit. p. 187. N. 1) بهذا الضبط ، ولكن ياقوت في (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥١٦) ضبطه بفتح القاف والدال ، وهو من هذه البحيرة يخرج نهر العاصم .
 (٢) لم يرد ذكر هذا البلد في معجم البلدان لياقوت ، وهو قرب بلدة عرقة (بكر العين) آخر عمل دمشق . شرق طرابلس . انظر (G.-Demombynes: Op. cit. p. 117. N. 2) (٣) كذا في ص بغير ضبط ، وهي صحبة لفة ، على أن تعبئة أكثر شيوعا . (محيط المحيط) . (٤) بغير ضبط في ص ، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الشامية الساحلية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٨٨) . (٥) بغير ضبط في ص ، وهي قلعة بساحل الشام ، من أعمال حلب قرب اللاذقية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٥) .
 (٦) بغير ضبط في ص ، وهي حصن من أعمال حمص ، قرب ساحل البحر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٣٨) . (٧) بغير ضبط في ص ، وهما قلعان حصينتان قرب أنطاكية ، على رأس جبلين بينهما واد كالحندق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٠٤ ؛ ج ٣ ، ص ٣٠٣) . (٨) بغير ضبط في ص ، وهي مدينة في لطف جبل اللكام ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٩٣ - ٦٩٤) . (٩) كان أمير أنطاكية في ذلك الوقت (Boémond III) (Rec. Hist Or. III. Index)

عنها ، ودخل إلى دمشق في آخر شعبان . وما زال كمشبه محاصراً للكرك حتى تسلم قلعتها ،
ومعها الشوبك والسُّلَع ، وعدة حصون هناك ، في رمضان . فلما وردت البشرية بذلك^(٢)
على السلطان سار من دمشق ، ونازل صفد حتى ملك قلعتها [بالأمان ، في رابع] عشر شوال ،
ولحق من كان فيها من الفرنج [بصور . ثم سار إلى كوكب] وضايقها حتى تسلمها ، في نصف^(٣)
ذي القعدة (١٢٨) بأمان ، وأرسل أهلها إلى صور . فكثرت بها جموع الفرنج ، وكاتبوه إفرنج
صقلية والأندلس ، وكتب السلطان إلى الخليفة الناصر بنجر هذه الفتوح ، ورحل فترز
في صحراء بيسان .

وفيها ثار بالقاهرة اثنا عشر رجلاً من الشيعة في الليل ، ونادوا : "يال على ! يال على !" .
وسلكوا الدروب وهم ينادون كذلك ، ظناً منهم أن رعية البلد يلبون دعوتهم ، ويقومون
في إعادة الدولة الفاطمية ، فيخرجون من في الحبوس ، ويملكون البلد . فلما لم يجبه أحد
تفرقوا .

وسار السلطان إلى القدس ، فحلَّ به في ثامن ذي الحجة ، وسار بعد النحر إلى عسقلان ،
وجهاز أخاه العادل إلى مصر لمعاوضة الملك العزيز ، وعوضه بالكرك عن عسقلان ، وكان قد
وهبها له . ثم نزل بعكا .

[سنة خمس وثمانين وخمسمائة] . ودخلت سنة خمس وثمانين ، فسار السلطان عن
عكا ، ودخل دمشق أول صفر ، فورد عليه في ثاني عشره ضياء الدين عبد الوهاب
ابن سكيئة ، رسول الخليفة الناصر ، بالخطبة لابنه ولي العهد ، عدة الدنيا والدين أبي نصر
محمد ، فأقيمت له . وجُهِز الرسول ، ومعه ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزوري ، وبعث
معه بهدايا وتحف وأسارى من الفرنج للخليفة ، ومعهم تاج ملك الفرنج والصليب الذي كان

(١) في س كشا . (٢) بغير ضبط في س ، وهو حصن بوادي موسى عليه السلام ، بقرب بيت المقدس .

(باقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١١٧) . (٣ و ٤) ما بين الأقواس موجود في ب (٣٣ ب) ،

ولكنه في س محجوب بورقة ملصوقة فوفه .

فوق صحرة بيت المقدس، وأشياء كثيرة . تـدفن الصايـب تحت عتبة باب، النوبي [ببغداد] ،
 وديس عليه ، وكان من نحاس مطلي بالذهب .

ونـحـرج السلطان من دمشق في ثالث ربيع الأول ، ونازل ثقيف أرنون وهو متزعج ،
 لا تقضاء الهدنة مع صاحب أنطاكية ، ولا اجتماع الفرنج بصور، واتصال الأمداد بهم .
 فكانت للمسلمين مع الفرنج في بلادهم الساحلية عدة وقائع ، قتل فيها من الفريقين عدة ، وكثر
 القتل في المسلمين ، واشتدت نكاية الفرنج فيهم . فرحل السلطان إلى عكا ، وقد سبقه
 الفرنج ونزلوا عليها . ونزل السلطان بمرج عكا ، وصار محاصرا للفرنج ، والفرنج محاصرين للبلد .
 وتلاحقت به العساكر الإسلامية ، والأمداد تصل إلى الفرنج من البحر . فلم يقدر السلطان
 على الوصول إلى البلد ، ولا استطاع أهل عكا أن يصلوا إلى السلطان . وشرع [السلطان]
 في قتال الفرنج من أول شعبان ، إلى أن تمكن من عكا ، ودخلها في ثانيه ، فما زالت الحرب
 قائمة إلى رابع رمضان . فتحول إلى الخروبة^(٢) ، وأغلق من في عكا من المسلمين أبوابها ، وحفر
 الفرنج خندقا على معسكرهم حول عكا من البحر إلى البحر ، وأداروا حولهم سورا مستورا بالستائر^(٣) ،
 ورتبوا عليه الرجال ، (٢٨ ب) فامتنع وصول المسلمين إلى عكا . وقدم العادل بعسكر مصر
 في نصف شوال ، وقدم الأسطول من مصر إلى عكا في خمسين قطعة ، وعليه الحاجب لؤلؤ
 في منتصف ذي العقدة ، فبدد شمل مراكب الفرنج ، وظفر بيطستين للفرنج . فاستظهر المسلمون
 الذين بعكا ، وقوى جأشهم بالأسطول ، وكانوا نحو العشرة آلاف . وبعث السلطان إلى الأطراف
 يحث الناس على الجهاد ، وأرسل إلى أخيه سيف الإسلام طفتكين باليمن ، يطلب من الإعانة^(٤)

(١) انظر (Blochet : Op.cit. P 192.N. 2) . حيث يذكر أن الملوك والقواد كانوا يقبلون الأرض

قرب ذلك الموضع ، قبل دخول بغداد ، إجلالا للخلافة .

(٢) بغير ضبط في س ، وهي حصن بساحل الشام مشرف على عكا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ،

ص ٤٢٨) . (٣) جمع ستارة ، وهي حائط خارجي مبني من الخشب أو غيره يحمي وراه المدافعون عن

حصن أو سور . ويستخدم المهاجمون الستائر أيضا للوقاية من قذائف المدفوع (Dozy : Supp. Diet. Ar.) ،

ويقابل هذا اللفظ في الإنجليزية (Curtain) ، وفي الفرنسية (Courtine) . (٤) في س طفيكن .

بالمال، وإلى مظفر الدين قر أرسلان صاحب المعجم، وكتب إلى الخليفة، ووصلت الأمداد إلى الفرنج، وورد الخبر من حلب بخروج ملك الألمان من القسطنطينية، في عدة عظيمة تتجاوز الألف ألفاً يريدون البلاد الإسلامية، فاشتد الأمر على السلطان ومن معه من المسلمين.

وتوفي في هذه السنة حسام الدين سنقر الخلاطى ليلة الاثنين سابع عشرى رجب، والأمير حسام الدين طمان يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان، والأمير عز الدين موسك بن جكو في شعبان، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين. ومات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون بدمشق، يوم الثلاثاء حادى عشر رمضان، ومولده أول سنة اثنين وتسعين وأربعمائة. ومات ضياء الدين عيسى الهكاري، يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة بمنزلة الخروبة.

♦ ♦ ♦

[سنة ست وثمانين وخمسمائة] . ودخلت سنة ست وثمانين، والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج، وقدمت عساكر المسلمين من الشرق ومن بقية البلاد، فرحل من الخروبة لاثنتي عشرة بقيت من ربيع الأول إلى تل كيسان، وتتابع مجئ العساكر. وكملت أبراج الفرنج الثلاثة، التي بنوها تجاه عكا في مدة سبعة أشهر، حتى علت على البلد، وامتلات بالعدد والعدة، وطمأوا كثيرا من الخندق، وضايقوا البلد. واشتد خوف المسلمين، واشتدت الحرب بين

(١) يذكر (Blochet: Op. cit. p. 196. No. 1.) أن ملك المعجم هذا هو قزل أرسلان عثمان صاحب

أذربيجان (انظر ص ٤٠ حاشية ٢) . (٢) يقصد المؤلف (Frédéric Barberousse) إمبراطور الدولة

الغربية، ولحمله أخبار طويلة كما سيأتي هنا، آخرها أن فردريك سقط عن فرسه وهو يعبر نهر طرسوس (طشاي الحالي) بآسيا

الصغرى، ففرق ولم يصل من جيشه إلى عكا سوى شزيمة قليلة بقيادة ابنه (Frédéric, duc de Souabe) . انظر

(Stevenson, Crusaders In The East, pp. 264-265 ; Rec. Hist. Or. IV. p.452. N.d.)

(٣) في س الخلاطى، وبغير ضبط . انظر (Blochet : Op. cit. p. 197) . (٤) بغير ضبط في س

(نفس المرجع والصفحة) . (٥) كذا في س (انظر نفس المرجع والصفحة) . هذا والأمير عز الدين موسك

هو الذي أنشأ قنطرة الموسكى على الخليج الكبير بالقاهرة . المقرئى : المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٤٧) .

(٦) يوجد في نفس المرجع والصفحة (N. 4) تفصيلات عن حصار عكا من كتاب سير الآباء البطارقة .

(٧) موضع في مرج عكا من سواحل الشام . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٦٩) .

الفريقين، حتى احترقت الأبراج الثلاثة . وخرج أهل عكا منها، فنظفوا الجندق، وسدوا الثغر، وغنموا ما كان في الأبراج من الحديد، فتقووا به . وكان بين أسطول المصريين وبين مراكب الفرنج عدة معارك، قتل فيها كثير من الفرنج . ودخل ملك الألمان [بجيوشه] إلى حدود بلاد الإسلام، وقد فنى منهم كثير، فواقعهم الملك عز الدين قلع بن أرسلان السلجوقي، فانكسر منهم، فلحق به الفرنج إلى قونية وهاجموها، وأحرقوا أسواقها، وساروا إلى طرسوس يريدون بيت المقدس، واسترجاع ما أخذ منهم السلطان من البلاد والحصون، فمات بها ملكهم . وقام من بعده ابنه^(٢)، فسار إلى أنطاكية . وندب السلطان كثيرا ممن كان معه على حرب عكا إلى جهة أنطاكية، ووقع فيمن بقي معه مرض كثير، [وأمر بتخريب سور^(٣) طبرية ويافا وأرسوف وقيسارية وصيدا [وجبيل^(٤) تخرب ذلك، و] نقل من كان فيها إلى بيروت . وطمع^(٥) (١٢٩) الفرنج في السلطان لقلعة من بقي معه، فركبوا لحربه، ونهبوا وطاق الملك العادل . وكانت للمسلمين معهم حرب، انكسر فيها الفرنج إلى خيامهم، وقتل منهم آلاف، فوهت قواهم . غير أن المدد أتاهم، ونصبوا المجانيق على عكا . فتحول السلطان إلى الخروبة، فوافى كتاب ملك الروم بقسطنطينية، يخبر بوصول المنبر من عند السلطان، و[كذلك] الخطيب والمؤذنين والقراء، وأن الخطبة أقيمت بالجامع القديم بالقسطنطينية للخليفة الناصر [لدين الله] . وسار ابن ملك الألمان عن أنطاكية إلى طرابلس في جيوشه، وركب منها البحر إلى عكا، فوصل إليها سادس رمضان، فأقام عليها إلى أن هلك ثاني عشر ذي الحجة، بعد ما حارب المسلمين

(١) في س مجموعها . (٢) انظر ص ١٠٣ حاشية ٢ . (٣) ما بين القوسين محبوب

بورقة ملصقة فوقه في س، ولكنه موجود في ب (٣٤ ب) .

(٤) بغير ضبط في س؛ وهي مدينة على ساحل الشام بين قيسارية ويافا . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١،

ص ٢٠٧) .

(٥) ما بين القوسين محبوب بورقة ملصقة فوقه في س، ولكنه موجود في ب (٣٤ ب) .

(٦) لفظ تركي معناه الخيمة، جمعه وطاقات . (محيط المحيط) .

(٧) الغالب أن هذا الكتاب نتيجة الحلف بين السلطان والإمبراطور . انظر ص ٩٨، حاشية ١ .

فلم ينل منهم كبير غرض . ودخل الشتاء وقد طالت مدة البيكار^(١)، وصحرت العساكر من كثرة القتال، فرحل صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل .
وفيها تولى سيف الدولة أبوالميمون مبارك بن كامل بن منقذ شد^(٢) الدواوين بديار مصر، وبأشر الأسعد بن ممتى معه الديوان في محرم .

♦ ♦ ♦

[سنة سبع وثمانين وخمسمائة] . ودخلت سنة سبع وثمانين، فسار الظاهر صاحب حلب [إليها]، وسار المظفر إلى حماة . وبقى السلطان في جمع قليل، والحرب بين أهل عكا وأميرهم بهاء الدين قراقوش وبين الفرنج . ودخل فصل الربيع، فوافقت العساكر السلطان، ووصل إلى الفرنج مددهم، فضايقوا عكا وجدوا في حصارها، ونصبوا عليها المجانيق . وتوالت الحروب إلى أن ملكها الفرنج، يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، وأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألوفاً . وخرجوا يريدون الحرب، فواقعهم السلطان وكسرهم، ووقع كلامه في الصلح وإطلاق الأسرى ولم يتم . فلما كان في سابع عشر رجب، برز الفرنج بنجيامهم، واحضروا أسارى المسلمين، وحملوا عليهم حملة واحدة قتلوا [فيها] بأجمعهم في سبيل الله صبراً، واليزك الإسلامي ينظر إليهم . فحمل المسلمون عليهم، وجرت بينهما حرب شديدة، قُتل فيها عدة من الفريقين .

ولما أهل شعبان سار الفرنج إلى عسقلان، ورحل السلطان في أثرهم، وواقعهم في رابع عشره بأرسوف . فانهزم المسلمون، وثبت السلطان إلى أن اجتمع عليه المسلمون، وعاد إلى

(١) لفظ فارسي معناه الحرب عامة (Dozy: Supp. Diet. Ar. & Blochet: Op. cit. p. 201. N.4) .
وفي (Quatremère: Maml. I. 2. p. 18. N. 19) أمثلة عديدة لأوجه استعمال هذا اللفظ منها "وصل الأمراء من التجاريد والياكبر . (٢) أقرب مرادف لهذا اللفظ كلمة تفتيش، ويسمى متولى هذه الوظيفة الشاذ، مضافاً إليها جهة الاختصاص، مثل شاذ الجوالي وشاذ دار البطح والفاكهة وشاذ مراكز البريد وشاذ الزكاة . انظر (G. Demombynes: Op. cit. Index III) . وكان عمل شاذ الدواوين بمصر - أيام الأيوبيين والمماليك - معاونة الوزير في مراقبة الحسابات ومراجعتها .

(٣) لفظ فارسي معناه الطلائع . (Dozy: Supp. Diet. Ar.) وفي (Quatremère: Maml. I. 1. p. 225. N. 101) أمثلة كثيرة لوجوه استعمال هذا اللفظ، منها "كان يزكه وطلايعه لا تنقطع عن الفرنج" .

القتال، حتى التجأ الفرنج إلى جدران أرسوف . ورحل السلطان في تابع عشره، ونزل على عسقلان [يريد تخريبها، لعجزه^(١)] عن حفظها، ففرق أبراجها على الأمراء، ووقع [الضجيج^(٢) والبكاء في الناس] أسفا (٢٩ ب) وغما لخربها، وكانت من أحسن البلاد بناء، وأحكمها أسوارا، وأطيبها سكا، فلم يزل التخريب والحريق فيها إلى سلخ شعبان .

قال الحافظ عبد العظيم المنذرى في المعجم المترجم^(٣) : "سمعت الأمير الأجل أيازين عبد الله - يعني أبا المنصور البانياسي الناصري - يقول : لما هدمنا عسقلان أعطيت أنا برج الداوية، وهدم خطلج^(٤) برجا وجدنا عليه مكتوبا "عمر على يدى خطلج"، وهذا من عجيب الاتفاق . وشبهه بذلك ما أخبرني [به] القاضي الأجل أبو الحسن علي بن يحيى الهكاتب قال : رأيت بعسقلان برج الدم، وخطلج المعزى يهدمه - يعني في شعبان . ورأيت عليه مكتوبا : مما أمر بهارته السيد الأجل أمير الجيوش - يعني بدرا [الجمالى] - على يد عبده ووليه خطلج في شعبان . فعجبت من هذا الاتفاق . كيف عمر في شعبان على يد خطلج، وهدم في شعبان على يد خطلج ؟" .

ثم رحل السلطان عن [عسقلان]^(٦)، وقد خربت في ثاني رمضان، ونزل على الرملة فخرب حصنها، و [هدم] كنيسة لُد^(٧)، وركب إلى القدس بجريدة^(٨)، ثم عاد وهدم حصن النظرون .

(١ و ٢) ما بين الأقواس محبوب تحت ورقة ملصقة فوقه في س، وهو موجود كله في ب (١٣٥) .
 (٣) راجع ملاحظات (Blochet : Op. cit. P. 204. N. 1) عن هذا الكتاب، حيث يقول إنه عبارة عن معجم لتراجم الرجال، وليس معجما لغويا كما ظن حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون . ولد المنذرى سنة ٥٨١ هـ بمصر، ودرس الحديث والفقه والأدب، وتخرج فيها حتى أصبح شيخ المدرسة الكاملية التي أسسها الملك الكامل بن العادل بالقاهرة، وكان من تلاميذه ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان، وتوفى سنة ٦٥٦ هـ . (٤) في س بيروت .
 (٥) ضبط هذا الاسم على منطوق سمي له في (Rec. Hist. Ct. III, IV, Indices.) (٦) في س عنها . (٧) بغير ضبط في س . وهي قرية صغيرة قرب بيت المقدس .
 (٨) (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٥٤) . انظر أيضا (Blochet: Op. cit. P. 205. N. 2) .

(٨) الجريدة الفرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها (محيط المحيط)، على أن المقصود من هذه العبارة هي - وهي متداولة في كتب المؤرخين - سير السلطان على وجه السرعة، دون أن يأخذ معه أمثالا أو حشدا . وفي (Dozy : Supp, Dict, Ar.) أمثلة عديدة توضح هذا المعنى، منها "بجرد الفرنجي عسكره من أنقالم وسار جريدة" .

وكانت بين المسلمين والفرنج عدة وقائع في البر والبحر، فعاد السلطان إلى القدس في آخر ذى القعدة. وقدم أبو الهيجاء السمين بعسكر مصر، ووقع الاهتام في عمارة سور بيت المقدس وحفر الخندق.

وفيها مات علم الدين سليمان بن جندر في آخر ذى الحجة. ومات الملك المظفر تقي الدين عمر ابن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب بن شادى صاحب حماة، وهو الذى أوقف منازل المعز بمصر مدرسة، في ليلة الجمعة تاسع رمضان، ودفن بجماة. ومات نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد ابن علي بن حسن بن عبد الله الخبوشانى الفقيه الشافعى للمصوفى، يوم الأربعاء الثانى عشرى ذى القعدة، ودفن بالقرافة.

وفيها سلم أمر الأسطول بمصر للملك العادل، فاستخدم فيه من قبله، وأفرد برسمه الزكاة بمصر والحبس الجيوشى بالبرين والنطرون والحراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية وإشنى وطنبدة. فاستناب العادل في مباشرة ذلك، واستخدم في ديوان

(١) نسبة إلى خبوشان، فصبه كورة استوا قرب نيسابور. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٠).
 (٢) العبارة الآتية منقولة عن المقرزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٩٤) لتوضيح المقصود بالبرين، ولضبط معرفة ماتعين لديوان الأسطول تلك الأيام، وهى: "وعين [صلاح الدين] لهذا الديوان الفيوم بأعمالها، والحبس الجيوشى في البرين الشرق والغربى، وهو من البر الشرق بهتين والأميرية والمنية، ومن البر الغربى ناحية سفسط ونها ووسيم والبساتين خارج القاهرة. وعين له أيضا الحراج، وهو أشجار من سنط لا تحصى كثرة في البهنسارية وسفسط ريشون والأشمونين والأسبوطية والأنهمية والقوصية، لم تزل بهذه النواحي لا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه، وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار... وعين له أيضا النطرون، وكان قد بلغ ضمانه ثمانية آلاف دينار. ثم أفرد لديوان الأسطول مع ما ذكر الزكاة التى كانت تجبى بمصر، وبلغت في سنة زيادة على خمسين ألف دينار. وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناى وطنبدي. وسلم هذا الديوان لأخيه الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب، فأقام فى مباشرته وعماله على الدين عبد الله بن على بن شكر...". انظر الحاشية التالية، و: (P. Omar Toussoun Op. cit. I. 1, 2) لتحقيق مواضع البلاد المذكورة. أما المراكب الديوانية فهى التى تحمل الغلات السلطانية. (المقرزى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٨٢).

(٣) فى س اشنى وطنبدي، بغير ضبط. واشنى هو ما تنطق به العامة، وهى "قرية بالصعيد إلى جنب طنبدى على غربى النيل، وتسمى هذه وطنبدي العروسين لحسنهما وخصبهما، وهما من كورة البهنسا". (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٥؛ ج ٣، ص ٥٥٠).

الأسطول صفى الدين عبد الله بن [على بن] شكر . وأحيل الورثة الجيوشية على غير الحبس الذى لهم .

وعظمت زيادة النيل وغرق النواحي ، وكثر رخاء الأسعار بمصر ، فأبيع القمح كل مائة أردب بثلاثين ديناراً ، والخبز البائت ستة أرتال بربع درهم ، والرطب الأمهات ستة أرتال بدرهم ، والموز ستة أرتال بدرهم ، والرمان الجيد مائة حبة بدرهم ، وحمّل الخيل بدرهمين ، والتين ثمانية أرتال بدرهم ، والعنب ستة أرتال بدرهم — فى شهر بابه بعد انقضاء موسم المعهود بشهرين ، والياسمين خمسة أرتال بدرهم ، وثمر الحناء عشرة أرتال بدرهم ، والبسر الجيد عشرة أرتال بدرهم ، ومادونه خمسة عشر رطلاً بدرهم . وكثر بمصر والقاهرة التجاهر بمعاصى الله . وظفر الأسطول بمركب فيه اثنتان وعشرون ألف حبة^(١) ، كل حبة قدر الرحي لا يقلها الراجل^(٢) . وحصلت بمصر زلزلة ، وهبت سموم حارة (١٣٠) فيها إعصار ثلاثة أيام ، أتلفت الخضروات التى فضلت من الفرق . وانشقت زريبة جامع المقس لقوة الزيادة ، وخيف على الجامع أن يسقط ، فأمر بعمارتها .

[سنة ثمان وثمانين وخمسمائة] . وأهلت سنة ثمان وثمانين ، والسلطان بالقدس مجتهد فى عمارته . وفى ثالث المحرم نزل الفرج على ظاهر عسقلان ، لقصد عمارتها فما مكثوا ، وواقعهم جماعة من الأسدية منهم يازكج^(٣) وغيره ، وتوالت الوقائع بينهم . وفى صفر سار الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان إلى البلاد الشرقية ، على ما كان بيد الملك المظفر تقي الدين عمر [من البلاد التى هى] قاطع الفرات ، وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار سوى الخلع^(٤) .

(١) فى س " ... حبة كل حبة قدر الرحي " .

(٢) بعض حروف هذا اللفظ متأكل فى س ، ولكنه واضح فى ب (١٣٦) .

(٣) فى س يازكوج . (٤) أضيف ما بين القوسين من ابن شداد (النوادر السلطانية ، ص ٢٩٨ —

٢٩٩ ، فى Rec. Hist. Or. III. ، حيث العبارة مترجمة إلى (les pays au delà de l'Euphrate) ،

ومنا حران والرها وسيمساط .

والتشريفات^(١). ثم نزل الملك العادل أبو بكر عن كل ماله في الشام، ما خلا الكرك والشوبك^(٢) والصَّلْت والبلقاء ونصف خاصّة بديار مصر، وعوض البلاد الشرقية. وسار [السلطان] من القدس في أوائل جمادى الأولى، وكتب بعود الملك الأفضل، فعاد منكسر القلب إلى السلطان. ولحق العادل بجران والرها وقرر أمرهما، ثم عاد إلى السلطان في آخر جمادى الآخرة.

وفي [جمادى الآخرة]^(٣) ملك الفرنج قلعة الداروم، وخرج العسكر المصري يريدون السلطان، فكبسهم الفرنج وأخذوا جميع ما معهم، وتبدد الناس في البرية. وأسر الفرنج منهم خمسمائة رجل، وأخذوا نحو ثلاثة آلاف جمل، وعادوا إلى خيمهم وقد ظمّعوا؛ فقصدوا المسير إلى القدس، ثم اختلفوا ونزلوا بالرملة، وبعثوا رسلهم في طلب الصلح. فبرز السلطان من القدس

(١) في من نزل. ويلاحظ أن تلك التعديلات حدثت على أثر وفاة تقي الدين عمر، واستيلاء ولده الملك المنصور بن تقي الدين على البلاد الجزرية، بغير إذن السلطان صلاح الدين. وفي هذا يقول ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٥٤) ما نصه: "قد تقدم ذكر موت تقي الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده [الملك المنصور] ناصر الدين محمد على بلاد الجزيرة. فلما استولى عليها أرسل إلى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه، مضافاً إلى ما كان لأبيه بالشام. فلم ير صلاح الدين أن مثل تلك البلاد تسلم إلى صبي، فأجابه إلى ذلك (كذا)، فحدث [الملك المنصور] نفسه بالامتناع على صلاح الدين، لاشتغاله بالفرنج. فطلب الأفضل على بن صلاح الدين من أبيه أن يقطعه ما كان لتقي الدين، وينزل عن دمشق. فأجابه إلى ذلك، وأمره بالمسير إليها، فسار إلى حلب في جماعة من العسكر. وكتب صلاح الدين إلى أصحاب البلاد الشرقية: مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها، يأمرهم بإيقاد العساكر إلى ولده الأفضل. فلما رأى ولد تقي الدين ذلك علم أنه لا قوة له بهم، فراسل الملك العادل عم أبيه يسأله إصلاح حاله مع صلاح الدين. فأنهى ذلك إلى صلاح الدين، وأصلح حاله، وقرر قاعدته، بأن يقر له ما كان لأبيه بالشام، وتتخذ منه البلاد الجزرية. واستقرت القاعدة على ذلك، وأقطع صلاح الدين البلاد الجزرية: وهي حران والزها وسميساط وميفارقين وحاني [لأخيه] العادل. وسيره إلى ابن تقي الدين، ليتسلم منه البلاد، ويسيره إلى صلاح الدين، ويعيد الملك الأفضل أين أدركه. فسار العادل فلحق الأفضل بحلب، فأماه إلى أبيه. وعبر العادل الفرات، وتسلم البلاد من ابن تقي الدين، وجعل ثوابه فيها؛ واستنصح ابن تقي الدين معه وعاد إلى صلاح الدين بالعساكر، وكان عوده في جمادى الآخرة من هذه السنة". انظر أيضا ابن شداد (النوادر السلطانية، ص ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، في Rec. Hist. Or. III). (٢) بلد من أعمال الأردن، على مسيرة يوم من مجلون (Blochet: Op. cit. p. 309. N. 1). (٣) في من وفيه. انظر نفس المرجع والصفحة (N. 2).

في عاشر رجب، وسار إلى يافا فحاصرها، ولم يزل يقاتل من فيها من الفرنج إلى أن أخذ البلد عنوة، وغنم الناس منها شيئا عظيما. وتسلم [السلطان] القلعة، وأخرج من كان فيها من الفرنج. فقدم من الفرنج نجدة كبيرة في خمسين مركبا، فغدر أهل يافا بجماعة من المسلمين، وعاد القتال والمراكب في البحر لم تصل إلى البر. فسارع أهل المراكب إلى البر، وحملوا على السلطان، فرحل إلى يازور^(١) وأمر بتخريبها، وسار إلى الرملة ومنها إلى القدس. وعزم على لقاء الفرنج، فاختلف عليه أصحابه، وأسمعه بعضهم كلاما جافيا، فانتزع عن ذلك. وقدم عسكر مصر فخرج إلى الرملة، ووقع الصلح بين السلطان والفرنج لثمان [بقيين من شعبان]^(٢). وعقدت هدنة عامة في البر والبحر مدة [ثلاث سنين وثلاثة أشهر]^(٣)، أولها حادي (٣٠ ب) عشر شعبان — وهو أول شهر أيلول، على أن يكون للفرنج من يافا إلى عكا إلى صور وطرابلس وأنطاكية. ونودي في الوطقات وأسواق العسكر: "ألا إن الصلح قد انتظم، فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل، ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليفعل". وكان يوم الصلح يوما مشهودا، عم فيه الطائفتين الفرج والسرور، لما نالهم من طول الحرب. فاختلف عسكر الفرنج بعسكر المسلمين، ورحل جماعة من المسلمين إلى يافا للتجارة، ودخل خلق عظيم من الفرنج إلى القدس بسبب الزيارة، فأكرمهم السلطان ومد لهم الأطعمة وباسطهم. ورحل ملوك الفرنج إلى ناحية عكا، ورحل السلطان إلى القدس، وسار منها إلى دمشق، فلقية الأمير بهاء الدين قراقوش — وقد تخلص من الأسر — على طبرية. ودخل [السلطان] إلى دمشق، لخمس بقين من شوال، فكانت غيبته عنها أربع سنين. وأذن للعساكر في التفرق إلى بلادهم فساروا إليها، وبقي عند السلطان ابنه الأفضل على والقاضي الفاضل.

وفيها انتقل سعر الفول بديار مصر من خمسة عشر دينارا إلى ثلاثين دينارا، المائة أردب،
بحكم أن المشتري لعلوفة الوسية^(٤) العادية خمسون ألف أردب. وفيها عثر على رجل اسمه عبد الأحد،

(١) بليدة بساحل الشام قرب الرملة. (بأقوت معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٠٢).

(٢ و ٣) ما بين القوسين محبوب في س تحت ورقة ملصقة عليه، ولكنه موجود في ب (٣٦ ب).

(٤) لفظ مشتق من الكلمة التركية الومس، ومعناها الدار وكل ما يتبع صاحبها من حاشية وحشم وحيوان ومتاع.

(Blochet: Op. cit. p. 212. N. 1). و يفسر (Dozy: Supp. Diet. Ar.) الوسية بالمرعى المشاع.

من أولاد حسن ابن الخليفة [الفاطمي] الحافظ لدين الله، وأحضر إلى الملك العزيز بالقاهرة، فقيل له: "أنت تدعى أنك الخليفة؟" قال "نعم!" فقيل له: "أين كنت في هذه المدة؟" فذكر أن أمه أخرجته من القصر فتاه، ووصل إلى طنبذة^(١) فأختفى بها، ثم خرج إلى مصر، فأواه رجل وشرع يتحدث له في الخلافة، وأنه وقع بعدة بلاد وأقطع أناسا ممن بايعه، فسجن وعُثر على بعض أقارب الوزير شاور، وقد ثار بالقاهرة، فسجن هو وجماعته.

وفيها انعقد ارتفاع الديوان الخاص السلطاني على ثلاثمائة ألف وأربعة وخمسين ألف دينار وأربعمائة وأربعة وأربعين ديناراً. ومات فيها جمال الملك موسى بن المأمون البطاحي^(٢) جامع السيرة المأمونية - وهو بقية بيته - في سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة. وفيها وقع الشروع في حفر الخندق من باب الفتوح إلى المقس. وكتب بنقل جماعة من أتباع الدولة الفاطمية المحبوسين في الإيوان ودار المظفر ليلاً، بحيث لا يشعر بهم أحد، حتى يوصلهم [المكلف بذلك] إلى صرخد. وفيها كتب بإخلاء مدينة تنيس، ونقل أهلها إلى دمياط، وقطع أشجار (١٣١) بساتين دمياط وإخراج النساء منها. نخلت تنيس إلا من المقاتلة، وحفر خندق دمياط، وعمل جسر عند سلسلة البرج بها. وفيها كثرت الأراجيف بالقاهرة ومصر، وعظمت الشناعات، وارتفعت الأسعار.

(١) في سر طنبدى. (٢) وظيفة الديوان الخاص هي النظر في خاص أموال السلطان والتحدث في جهاته ومضافاته. وأعظم بلاده وأغناها مدينة الإسكندرية، ويلبها تروجه وفوه ونستروه، ومال جميعها يحمل إلى خزانة الخاص. (القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٣ ص ٤٥٦)، ويلاحظ أن القلقشندي يقول (نفس المرجع والجزء والصفحة) إن ديوان الخاص من منشآت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١هـ)، على أن ذلك لا ينفى وجود إدارة من شأنها النظر في خاص أموال السلطان أيام الدولة الأيوبية. انظر ص ٥٣ حاشية ٤؛ وراجع أيضاً ابن شاهين (زبدة كشف الممالك، ص ١٠٧ - ١٠٩)، حيث يشرح جميع منابع إيرادات ومصروفات ديوان الخاص. (٣) ليس في المراجع المتداولة في حواشي هذا الجزء من السلوك شيء يذكر عن موسى هذا. على أن المعروف أن أباه المأمون، واسمه أبو عبد الله محمد بن مختار بن فائق البطاحي، كان وزيراً للخليفة الأمر الفاطمي (٤٩٥ - ٥٢٤هـ)، وإليه يرجع الفضل في تشييد الجامع الأقر، وتكميل بناء جامع القبلة، الذي كان يطل على بركة الحبش بالقاهرة، وإليه أيضاً تنسب الدار المأمونية، بجوار درب السلسلة. (Ibn Khallikān. Biog. Dict.) والمقريري: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٦٣ - ٤٦٤؛ ج ٢، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

وفيه ورد الخبر في كتاب من اليمن بأن ثلاثة أنهار بالحبيشة تغيرت بعد ما كانت عذبة :
فصار أحدها أجاجا، والآخر لبنا، والآخر دما^(١). وفيها مات قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج
أرسلان بن سليمان صاحب قونية، وقد تغلب عليه ابنه قطب الدين - صاحب سيواس
وأقصر^(٢) - وزاد في أن حجر عليه . وكان موته في شعبان، فولى قونية بعده ابنه غياث الدين
كَيْخِسْرُوبَنْ قَلْجِ أَرْسَلَانَ، وبقيت أخوته على ولاياتهم من عهد أبيهم، فاختلفوا . وثار عليه
أخوه ركن الدين سليمان صاحب ووقاط^(٤)، وملك سيواس وأقصر^(٥) وقيسارية، [وهي] أعمال
أخيه قطب الدين . ثم ملك قونية من غياث الدين، ففر غياث الدين ونزل حلب .

سنة تسع وثمانين وخمسمائة . أهلت والسلطان بدمشق ، فخرج العادل
إلى الكرك، وقدم من اليمن الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين^(٦)
في نصف صفر، فسُر به السلطان . فلما كان ليلة السبت سادس عشره، نزل بالسلطان
مرض، فأمر يوم السبت ولده الأفضل أن يجلس على الطعام، يجلس في موضع السلطان .
وتزايد به المرض إلى اليوم الحادي عشر من مرضه، فخلّف الأفضل الناس . واستمر السلطان
في تزايد من المرض إلى ليلة الأربعاء سابع عشرى صفر^(٧) وهي ليلة الثاني عشر من المرض -
فاحتضرومات بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور . فركب الأفضل، ودار^(٨)
في الأسواق، وطيب قلوب العامة .

(١) يرى (Blochet : Op. cit. p. 213. N. 1.) أن هذه الأنهار هي بعض منابع النيل، غير أنه تريم
عذبة إلى (adbat) معتبرا أنها إحدى بحيرات أواسط إفريقيا . (٢) كثيرا ما يرمم هذا الاسم في س بالحاء
المهملة . (٣) بغير ضبط في س، و يطلق عليها الآن آق سراي، وهي قرب قونية (Enc. Ist. Art. ĀK.)
(Blochet: Op. cit. P. 214. N. 2.,; Sarai.) (٤) كذا في س بغير ضبط، ولعلها توقات، وهي
قلعة حصينة تقع بين قونية وسيواس . (باقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٩٥) . (٥) في س قيصرية
بغير ضبط، وكانت عاصمة ملك بني سلجوق بآسيا الصغرى . (باقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٤) .
(٦) في س به . (٧) في س يوم . (٨) في س عند كلمة "المذكور" إشارة كالتى يضمنها
المؤلف للتنبيه على مكان الهوامش المضافة، وليس أمامها شيء من ذلك .

وكان رحمه الله كثير التواضع ، قريبا من الناس ، كثير الاحتمال ، شديد المداراة ، محبا للفقهاء وأهل الدين والخير محسنا إليهم ، مائلا إلى الفضائل ، يستحسن الشغرا-لميد ويردده في مجلسه . ومدحه كثير من الشعراء ، وانتجعوه من البلدان . وكان شديد التمسك بالشريعة ، سمع الحديث من أبي الحسن علي بن إبراهيم بن المسلم بن بنت أبي سعد ، وأبي محمد بن برقي النحوي ، وأبي الفتح محمود بن أحمد الصابوني ، وأبي الطاهر السلفي ، وابن عوف ، وجماعة [غيرهم] . وكان كريما : أطلق من الخيل بمرج عكاملن معه اثني عشر ألف رأس ، سوى اثمان الخيل التي أصيبت في الجهاد . ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم في طلبه . وتأنر عنه الأمير أيوب بن كان في بعض سفرائه لدين لزمه ، فتقبل لغرمائه بأثني عشر ألف دينار مصرية . وكان ورعا : رأى يوما العمد الكاتب يكتب من دواة محلاة بالفضة فأنكرها ، وقال هذا حرام ، فلم يعد يكتب منها عنده . وكان لا يصلي إلا في جماعة ، وله إمام راتب ملازم ؛ وكان يصلي قبيل الصبح ركعات إذا استيقظ . وكان يسوي في المحاكمة بين أكبر الناس وبين خصمه . وكان شجاعا في الحروب ، يمتاز في الصفوف وليس معه سوى صبي . وقُرى عليه جزء من الحديث بين الصَّفيين ، وهو على ظهر (٣١ ب) فرسه . وكان ذا كرا لوقائع العرب ومعجائب الدنيا ، ومجلسه طاهر من المعاييب ، رحمه الله وغفر له .

ولما مات جلس الأفضل للعزاء ، وكثر بكاء الناس عليه . وغسَّله الفقهاء خطيب دمشق ، وأخرج بعد صلاة الظهر ، وصلى الناس عليه أرسالا ، ودفن بداره التي مرض فيها بالقلعة ؛ ثم نُقل في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين ونحسمائة إلى تربة بنيت له بجوار جامع بني أمية . وكتب [بوفاته] إلى العزيز بمصر ، وإلى العادل بالكرك . وكان عمره يوم مات نحو (١) من سبع وخمسين سنة . منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وأيام (٢) . وترك من الأولاد سبعة عشر ذكرا وبناتا واحدة صغيرة ؛ ولم يخلف في خزائنه سوى سبعة وأربعين

(١) في س نحو . (٢) في س اثنتان وعشرون سنة واياها .

درهما، ولم يترك دارا ولا عقارا . وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني صاحب سره، وبمثلة الوزير منه .

وفيها قتل طغرل بن أرسلان بن طغرل^(١) بن السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان، ابن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق في رابع عشر شهر ربيع الأول، وهو آخر من ملك بلاد العجم من السلاطين السلجوقية، وابتداء دولتهم في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وأولهم طغرل بك بن ميكائيل^(٢) بن سلجوق، فتكون مدة دولتهم مائة سنة وثمانيا^(٣) وخمسين سنة .

السلطان الملك العزيز عماد الدين

أبو الفتح عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . ومات أبوه بدمشق وهو على سلطنة ديار مصر مقيم بالقاهرة، وعنده جل العساكر والأمرء من الأسيديّة والصلاحية والأكراد . فلما بلغه موت أبيه جلس للعرش، وأخذ بالحزم، وقتر أمور دولته، وخلع على الأمرء وأرباب الدولة بعد انقضاء العزاء . فقام أخوه الأفضل نور الدين علي بدمشق، وكتب إلى الخليفة الناصر يطالعه بوفاة أبيه، من إنشاء العماد الكاتب . وبعث بذلك مع القاضي ضياء الدين أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري، ومعه عدد والده وملابسه وخيله، وهديّة نفيسة . وسار العادل من الكرك إلى بلاد المشرق، فأقام بقلعة جعبر،^(٤) وبعث نوابه إلى حران^(٥) .

(١) في س طغرل وبغير ضبط في الموضعين . (انظر ص ٤٠ ، حاشية ٢) .

(٢) صححت بعض الأسماء الواردة هنا بغير تنبيه وذلك لسبق ورودها والإشارة إلى رسم المؤلف لها .

(٣) في س عمان . (٤) في س أبي . (٥) في س الشهرزوري .

(٦) بغير ضبط في س، وفي قلعة على الفرات بين باليس والرقّة قرب صفين وكانت قديما تسمى دوسر . (ياقوت :

معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٤)، وراجع أيضا (Blochet: Op. cit, p. 217. N. 1) .

والرها . واستوزر الأفضل الوزير ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير^(١)، وفوض إليه أموره كلها، فحسن له إبعاد أمراء أبيه وأكابر أصحابه، وأن يستجد أمراء غيرهم . فقارته جماعة منهم الأمير نجر الدين جهاد^(٢) كس، وفارس الدين ميمون القصري، وشمس الدين سنقر الكبير، وكانوا عطاء الدولة . فصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة فأكرمهم ، وولى نجر الدين أستاذاره^(٣)، وفوض إليه أمره ، وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيداء وأعمالها ، وكان ذلك لهما ، وزادهما نابلس وبلادها . وسار القاضي الفاضل أيضا من دمشق ولحق بالقاهرة، فخرج العزيز إلى لقائه (١٣٢) وأجل قدومه وأكرمه . فشرع القوم في تقرير قواعده ملك العزيز، والأفضل في شغل عنهم . وكانت مدينة القدس مضافة للأفضل، فكتب إلى أخيه العزيز يرغب عنها له . وكان [ذلك] من تدبير وزيره ابن الأثير، لأنها كانت تحتاج حينئذ إلى أموال ورجال لمداغة الفرنج . فسُر العزيز بذلك، وجهز عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جرديك النورى متولى القدس، لينفقها في عسكر القدس، فخطب له به . وخشى [العزيز] من نقض الهدنة بينه وبين الفرنج، فبعث عسكرا إلى القدس احترازا من الفرنج . ثم بدا للأفضل أن يعود فيما رغب عنه لأخيه من القدس ، ورجع عن ذلك ، فتغير العزيز من هذا ، وأخذ الأمراء في الإغراء بينهما، وحسنوا للعزيز الاستبداد بالملك والقيام مقام أبيه ، فبلغ ذلك الأفضل .

(١) أخومؤلف كتاب الكامل في التاريخ . وقد ترجم له المقرئى بهامش الصفحة بعبارة نصها : "نصر الله بن محمد بن أبي البركات محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الحراني ، المعروف بابن الأثير أبي الفتح ضياء الدين ، رئيس الكتاب في زمانه . ولد بالجزيرة العمرية يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ [هـ] ، ومات ببغداد سلح ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ [هـ] ، وله مصنفات، منها المثل السائر [في آداب الكاتب والشاعر] " . ولهذين الناقتين أخ ثالث اسمه مجد الدين أبو السعادات ، اشغل بعلوم القرآن والحديث والنحو ، ومن مؤلفاته كتاب النهاية في غريب الحديث ، وهو أكبرهم سناً ، وئليه صاحب الكامل في التاريخ (Enc. Isl. Art. Ibn al-Athir) . (٢) مضبوط على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 218) ، انظر أيضا (Rec. Hist. Or. I. p. 86) . (٣) الأستاذ أراهو الذى يتولى شؤون مسكن السلطان أو الأمير وصرفه ، وتنفذ فيه أوامره . وبين الفلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، ج ٥ ، ص ٤٥٧) وبين عامة المستشرقين خلاف في أصل هذا اللفظ الفارسي المركب ، فانظر (G.-Demombynes : Op. cit. Introd. p. I.X. & N. 4)

♦ ♦ ♦

[سنة تمعين وخمسائة]. ودخلت سنة تسعين، وقد تنافرت القلوب، وقويت الوحشة

- بين الأخوين. واجتمعت الأمراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزیز، فاضطربت أحوال الأفضل. وخرج العزیز من القاهرة بعساكر مصر، من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم، يريد الشام وانتراعها من أخيه الأفضل، من أجل أمور منها أن جبيل — وهو من جملة الفتوح الصلاحية — كان مع رجل كردى [فقيه أقامه صلاح الدين مستحفظاً بها]، فأرغبه الفرنج بمال حتى سلمه لهم، وخرج الأفضل من دمشق ليستنقذه من الفرنج، فتعذر عليه، وظهر العجز عن استخلاصه. فامتعض الأمراء لذلك، وخوفوا العزیز من عاقبة أمر الفرنج، فسار في [صفر]، واستخاف أخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود، وترك بالقاهرة بهاء الدين قراقوش الأسدى وصيرم وسيف الدين يازكج وخطلج في تسعمائة فارس. واتفق أن الأمير صارم الدين قايماز النجمى — أحد أكابر الأمراء الصلاحية — استوحش من الأفضل لإعراضه عنه، فخرج من دمشق يريد إقطاعه، ولحق بالعزیز فأكرمه ورفع محله.

وهم الأفضل بمراسلة أخيه العزیز واستعطافه، فمنعه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من أصحابه، وحسنوا له محاربتة، فقال إليهم. وبعث إلى عمه العادل وهو بالشرق، وإلى أخيه الظاهر بحلب، وإلى المنصور بحماة، وإلى الأجد صاحب بعلبك، وإلى المجاهد شيركوه صاحب حمص، يستنجدهم على أخيه العزیز. فوردت رسالهم في جمادى الآخرة، يعدون بالتقدم عليه. ثم إنه برز من دمشق، ونزل برأس الماء. فلما وصل العزیز إلى القصير من الغور ضاق الأفضل، ورجع من الفوار إلى رأس الماء. فأدركت مقدمة العزیز ساقته، وكادوا يكبسونه

(١) في س وهي . (٢) في س الصلاحى . (٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة أبى شامة

(كتاب الروضين، ص ١١١، ١٥٢، في Rec. Hist. Or. V.)

(٤) انظر نفس المرجع والصفحة بالحاوية السابقة . (٥) كذا في س، وبغير ضبط، وهو مترجم

في (Blochet: Op. cit. p. 219) إلى (Sarim al-Din)، على أن المقصود ليس صارم الدين قايماز النجمى

المذكور فيما يلى . (٦) بغير ضبط في س، واسمه قصير معين الدين، بالغور من أعمال الأردن . (ياقوت :

معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٦)

فانهزم إلى دمشق، ودخلها الخميس مضمين منه . ونزل العزيز في غده على دمشق في قوة قوية،
 ونازل البلد . وكان الأفضل قد استعد لقتاله ، فقدم العادل والظاهر (٣٢ب) والمنصور
 والمجاهد والأجد إلى دمشق . وبعث العادل إلى ابن أخيه الملك العزيز يشفع في الأفضل ،
 ويستأذنه في الاجتماع به ، فأذن له . وخرج العادل فاجتمع بالعزيز - وكل منهما راكب -
 وتحدث معه في الصلح ، وأن ينفس الخناق عن البلد ، وكان قد اشتد الحصار ، وتمطعت
 الأنهار ، ونهبت الثمار ، والوقت زمن المشمش . فوافق العزيز عمه ، وتأخر إلى دارياً ، ونزل
 على الأعوج^(٢) ، وسير الأمير نجر الدين جهار كس الأستادار - وهو يومئذ أجل الصلاحية -
 إلى العادل ، فقتر الصلح على شروط ، وعاد إلى العزيز . فرحل ونزل مرج الصفر^(٣) ، فحدث له
 مرض شديد ، وأرجف بموته ، ثم أبل منه . وأمر بعمل نسخة اليمين ، وهي جامعة
 لمقترحات جميع الملوك ، وحسم هواد الخلاف ، وأن الملك الأجد بهرام شاه بن عز الدين
 فرخشاه ، والملك المجاهد شيركوه ، يكونان مؤازرين للملك الأفضل وتابعين له ،
 وأن الملك المنصور صاحب حماة يكون في حيز الملك الظاهر صاحب حلب ومؤزرا له .
 وبعث كل من الملوك أميرا من أمرائه ليحضر الحلف ، فاجتمعوا يوم السبت ثاني عشر
 شهر رجب ، وجرت أمور آلت إلى الحلف على دَخِين . وتزوج العزيز بابنة عمه
 العادل ، وقبل العقد عنه القاضي المرتضى محمد بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدى .
 ووكل العادل القاضي محي الدين محمد بن شرف الدين بن عصرون في تزويج أبنته من ابن
 عمها الملك العزيز ، وعقد بينهما قاضي القضاة محي الدين . وكتب العماد الكاتب الكتاب
 في ثوب أطلس ، وقرئ بين يدي الملك الظاهر ، وعقد العقد عنده .

١٥
 فلما كان يوم الجمعة أول شعبان ، خرج الملك الظاهر غازي صاحب حلب لوداع أخيه
 العزيز ، فركب العزيز إلى لقائه وأنزله معه ، وأكلا ثم تفرقا ، بعد ما أهدى كل منهما لأخيه

(١) بغير ضبط في س ، وهي قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة . (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ،

ص ٥٣٦) . (٢) بغير ضبط في س ، انظر أباشامة (كتاب الروضتين ، ص ١١٢ ، في Rec. Hist. Or. V.) .

(٣) بغير ضبط في س ، وهو من نواحي دمشق . (ياقوت . معجم البلدان ، ج ٢٤ ص ٤٤٨) ، انظر أيضا

. (Blochet : Op. cit. p. 221. N. 3)

هدية سنية . ثم خرج العادل لوداع العزيز في خواضه ، ثم خرج الأفضل فودعه أيضا ، وهو
أحرمن ودعه . ورحل العزيز من مرج الصفر في ثالث شعبان يريد مصر ، فلما كان ثالث
عشره عمل الأفضل دعوة عظيمة لعمه وبقية الملوك ووادعهم . ثم رحلوا من الغد إلى بلادهم
إلا العادل ، فإنه أقام إلى تاسع شهر رمضان ، ثم رحل إلى بلاده بالشرق .

وقدم العزيز إلى القاهرة في (١٢٣) يوم (١) وأما الأفضل فإنه هم بمكاتبة
العزيز بما يؤكد أسباب الصلح ، فأماله عن ذلك خواضه ، وأغروه بأخيه ، ورموا جماعة
من أمرائه بأنهم يكتبون العزيز ، فاستوحش منهم ، وفطنوا بذلك ففرقوا عنه . وسار الأمير
عز الدين أسامة^(٢) صاحب [كوكب] وعجلون عن الأفضل ، ولحق بالعزيز فأكرمه غاية الإكرام ،
وأخذ يحرضه على الأفضل ، ويحثه على المسير إلى دمشق وانتزاعها منه ، ويقول له :
” إن الأفضل قد غلب على اختياره ، وحكم عليه وزيرها الضياء [ابن الأثير] الجزري ،
وقد أفسد أحوال دولته برأيه الفاسد ، ويحمل أخاك على مقاطعتك ، ويحسن له نقض اليمين .
فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النية ، ولم يوجد ذلك ، فحذهم في اليمين قد تحقق ، وبرئت
أنت من العهدة . فاقصد البلاد فإنها في يدك ، قبل أن يحصل في الدولة من الفساد
ما لا يمكن تلافيه “ . وبينما هو في ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الدين أيديمر بن
السلار^(٣) ، ووصل إلى العزيز ، فسأد الأمير أسامة^(٤) على قصده . ثم وصل أيضا إلى العزيز
القاضي محي الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن أبي عصرون^(٥) ،
فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية ، وضم إليه نظر الأوقاف .

وأقبل الأفضل بدمشق على اللعب ليله ونهاره ، وتظاهر بلذاته ، وفوض الأمور إلى
وزيره ، ثم ترك اللعب من غير سبب ، وتاب وأزال المنكرات وأراق الحمور ، وأقبل على العبادة ،

(١) بياض في الأصل . (٢) في س سامة وبغير ضبط . راجع أبا الفداء . (المختصر في أخبار البشر ،

ص ٧٠ ، ٨٦ ، في Rec. Hist. Or. I.)

(٣) ترجم (Blochet : Op. cit. pp. 223) هذا الاسم إلى (Ibn as-Salat) ؛ وفي فهارس (Rec.

Hist. Or. I-V) شخصان بهذا الاسم (Ibn es-Sellar) . (٤) في س سامة . (٥) في س ابى .

ولبس الخشن من الثياب؛ وشرع في نسخ مصحف بخطه، واتخذ لنفسه مسجدا يخلو فيه بعبادة ربه؛ وواظب على الصيام، وجالس الفقراء، وبالغ في التقشف، حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل؛ وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيه الكمال الكردي من مضر، فأفسد جماعة على السلطان، وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية، فسار إليه العسكر فلم يظفروا به. وقطع [العزيز] أيضا خبز الجناح وعلكان^(١) ومجد الدين الفقيه وعز الدين صهر الفقيه، فساروا من القاهرة إلى دمشق، فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات.

وفي شهر رمضان كسر بحر أبي المنجأ بعد عيد الصليب بسبعة أيام، وتجاهر الناس فيه بالمنكرات من غير نكرهم لهم. وفيه وقعت الآفة في البقر والجمال والحمر، فهلك منها كثير. وفيه كثر حمل الغلة من البحيرة إلى بلاد المغرب، لشدة الغلاء بها. وكثرت^(٢) بين الأمراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخذ منهم، فقصروا في عمارة البلاد. وارتفع السعر بالاسكندرية، ونقص ماء النيل بعد ما بلغ اثنين وعشرين إصبعا من سبعة عشر ذراعا، فرفعت الأسعار، وشرقت البلاد. وبلغ القمح كل أردب بدينار، وأخذ في الزيادة؛ وتعذر وجود الخبز، وضج الناس. وكثرت المنكرات، وغلا سعر العنب لكثرة من يعصره. وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية، وحُمت بيوت المزر، وجعل عليها ضرائب، فمنها ما كان عليه في اليوم ستة عشر دينارا، ومنع من عمل المزر البيوت. وتجاهر الكافة بكل قبيح، فترقب أهل المعرفة حلول البلاء.

(١) بغير ضبط في س، انظر ابن شداد (النوادر السلطانية، ص ٦٥، في Rec. Hist. Or. III.)

(٢) أسلف المقرئ ذكر بحر أبي المنجأ (ص ٧٣)، وقد أرجى الكلام عليه إلى هذا الموضع، لمناسبة إسهاب المقرئ في وصف ما حدث تلك السنة عند الاحتفال بفتحها. وكانت هذه القناة تخرج من النيل قرب بلدة شبرا الخالية، ثم تمر ببليس، وتلتقى في شمالها ببحر الفرما، الذي يسير مخرقا برزخ السويس إذ ذاك حتى مدينة الفرما على البحر الأبيض المتوسط، غربي بور سعيد الحالية. وقد بدى حفر بحر أبي المنجأ سنة ٥٠٦ هـ في عهد الخليفة الأمر الفاطمي (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ)، ونيط بحفره أبو المنجأ بن شعيب اليهودي. وكان يوم فتح هذه القناة من أيام القاهرة وأعيادها، يشارك فيه السلطان والأمراء والناس جميعا. على أن السلطان العزيز لم يباشر فتح القناة بنفسه تلك السنة، واشتد إفراط الناس ذلك اليوم، إذ غلبت "المجاهرة بالمنكرات والإعلان بالفواحش... ولم ينسلخ شهر رمضان إلا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله في الإسلام..." (المقرئ: المواظ والاعتبار، ج ١ ص ٧١ و٨٧)، وأيضا (P. Omar Toussoun : Anc. Branches du Nil, pl. III). (٣) في س وكثر.

(١)

وفيها قدم رسول مملك القسطنطينية (١٠٤٠) يطلب صليب الصليبيوت، فأحضر من القدس، وكان مرصعا بالجواهر، وسُلم إليه على أن يعاد [نغر] جبيل من الفرنج، وتوجه الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة [بذلك].

* * *

تمت سنة تسعين وخمسةائة . [في] يوم الخميس رابع محرم عُقد مجلس بحضرة السلطان، حضره أصحاب الدواوين . وفي عاشره قدم الأمير حسام الدين ببشارة من عند الملك العادل وبقية الأولاد الناصرية، فتلقاء السلطان والأمراء، وحمل إليه سباط السلطنة، فطلب الموافقة بين الأهل . وفي سادس عشره ركب السلطان للصيد بالجيزة، ومر ببياب زويلة، فأنكر بروز مصاطب الخوانيت في الأسواق، ورسم بهدمها، فهدمت بمباشرة محتسب^(٢) القاهرة . ومر بصناعة العماثر، فرسم بسد طاقات الدور المحاورة لننيل فسدت .

(١) إمبراطور الدولة البيزنطية إيداك هو (Isaac II Angelus, 1185-1195)، وقد تقدم ذكره، كان بينه وبين صلاح الدين من العلاقات الحسنة قبل تلك السنة . انظر ص ٩٨ حاشية ١ .

(٢) أفاض المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٦٣ - ٤٦٤) في شرح وظيفة المحتسب، ولا عجب فإنه قد تولى هذه الوظيفة سنة ٨٠١ هـ (Quatremère : Maml. I. Pref. p. 1) . وهذا نص ما كتبه عنها "وأما الحسبة فإن من تسند إليه لا يكون إلا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين، لأنها خدمة دينية . وله استخدام التواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة، كتواب الحكم . وله الجلوس بجامعي القاهرة ومصر يوماً بعد يوم . ويطوف توابه على أبواب الحرف والمعاش، ويأمر توابه بالحتم على قدور الهزابين ونظر لمهم ومعرفة من جزاره، وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات، ويمنعون من المضايقة فيها . ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة، وكذلك مع الحمامين على البهائم . وبأمرون السقائين بتغطية الروايا بالأكسية، ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا، كل دلو أربعون رطلا، وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهي زرق . وينذرون معلمى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضرباً مبرحاً ولا في مقتل، وكذلك معلمى العوم بتحذيرهم من التفجير بأولاد الناس، ويقفون على من يكون سيء المعاملة، فينبهونه بالردع والأدب . وينظرون المكابيل والنوازين . وللمحتسب النظر في دار العيار . ويخلع عليه، ويقرأ سجده بمصر والقاهرة على المنبر، ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها، والولاية تشد معه إذا احتاج إلى ذلك، وجاريه ثلاثون ديناراً في كل شهر" . هذا ويذكر القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٧) أن قد كان بالقاهرة محتسب له التصرف بها وبالوجه البحري عامة، خلا الاسكندرية، فإن لها محتسباً يخصها . وبالفسطاط محتسب ثالث مرتبة أقل أهمية من الأول، ودائرة اختصاصه الفسطاط والوجه القبلي بكاله . انظر أيضاً القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣، ص ٤٨٧، ج ٥، ص ٤٥١، و (G.-Demon- bynes : Op. cit., Introd p. LXXVII. etc.) . وبالمتحف البريطاني لندن كتاب في وظيفة الحسبة لعبد الرحمن العدوي البنداري الشيرازي اسمه نهاية الرتبة في طلب الحسبة (Brit. Mus. Ms. Or. 9588) .

(٣) اسم اطلق فيما بعد على صناعة مصر . انظر ص ٧٤، حاشية ٧، والمراجع التي بها .

وفي صفر غيّرت ولاية الأعمال . وفي عاشره حلف العزيز لعنه العادل . وفي ثالث عشره عاد العزيز من الصيد بالحيزة . وفي هذا الشهر غلت الأسعار ، فبلغ كل مائة أردب ثمانين ديناراً . وفي خامس عشره قدم فارس الدين ميمون [القصرى] ^(١) مقطع صيداء ، وسيف الدين سنقر المشطوب ، وشمس الدين سنقر الكبير مقطع الشقيف ، مفارقين الملك الأفضل . فدفع [العزيز] لميمون خمسمائة دينار ، ولسنقر أربعمائة دينار ، وللمشطوب ثلاثمائة دينار .

وفي ربيع الأول اشتد الأمر في الزحام على الخبز لقلته في الأسواق ، ووقع الحريق في عدة مواضع بالقاهرة . وفي عاشره أخرجت خيمة السلطان للسفر . وفي ثالث عشره انحل السعر قليلاً ، ووجه الخبز في الأسواق . وفي نصفه ورد كتاب [علم الدين] ^(٢) قيصر بأنه تسلم القدس من جرديك في تاسعه ، وتسلم صليب الصلبوت ، وقُتر [أيضاً] إعادة جبيل من الفرنج . وفي سادس عشره قدم بدر الدين لؤلؤ بكتاب الأفضل بخبر جبيل ، وسبب قدوم ميمون ورفيقه . وفيه نزع ^(٣) السعر ، وبلغ كل مائة أردب إلى مائة وخمسة وسبعين ديناراً ، وعظم ضجيج الناس من الجوع . وفي سابع عشره وصل صليب الصلبوت من القدس ، وهو خشبية مرصعة بجواهر في ذهب . وفي ثامن عشره ولي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي قضاء القضاة بديار مصر ، عوضاً عن صدر الدين بن درباس ، بعناية جماعة من المماليك به ، وخلع عليه . وفي سلخه قدم رسول الملك العادل .

وفي تاسع ربيع الآخر هدم المحتسب حوانيت واصطبلات كان صدر الدين بن درباس ^(٤) أنشأها في زيادة الجامع الأزهر بجوار داره ، ورفع صدر الدين نقض ذلك إلى داره . وقوى عزم السلطان على السفر ، وبعث بهرام يقترض له مالا من تجار الإسكندرية ، وطلب من قاضي القضاة زين الدين أن يقرضه مال الأيتام ، وكان يبلغ أربعة عشر ألف دينار ، فحملت

(١) انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ٨٧ ، في Rect. Hist. Or. I.)

(٢) انظر ابن شداد (النوادر السلطانية ، ص ٣٢٩ ، في Rec. Hist. Or. III.)

(٣) في س نزع بغير ضبط . (٤) في س انشاهم .

إلى الخزانة . وكتب السلطان خطه بذلك وأشهد عليه ، وأحال به على بيت المال ، وقرر استخراج [منه] ، وأمر بجملة إلى القاضي . هذا وقد تأخر القرض الذي كان السلطان صلاح الدين أقرضه في نوبة عكا ، وهو ثلاثون ألف دينار ، فلم يوف منه إلا يسيرا . وفي سادس عشره توجه جعفر بن شمس الخلافة إلى الفرنج لإعادة جبيل . وفي يوم الخميس تاسع عشره خرج السلطان إلى مخيمه بركة الحب ، واستناب في غيبته بهاء الدين قراقوش^(١) ، ومعه ثلاثة عشر أديرا ، ونحو سبعمائة فارس . وتوجه مع السلطان سبعة وعشرون أميرا ، في ألفي فارس وألف من الحلقة .^(٢)

وفي ثالث جمادى الأولى استقل السلطان بالمسير ، ونزل على دمشق في تاسع جمادى الآخرة ، ورحل عنها في ثامن عشره بشفاعة عمه الملك العادل .

وفي تاسع رجب دخل الأفضل دمشق ، بعد أن تقرر الصلح بينه وبين أخيه الملك العزيز في سادسه .

(١) في س قراقوش . كانت الجيوش النظامية في مصر منذ الأيوبيين مكونة من ثلاث فئات من الغرباء والأجانب ، وأصلها كلها من الأرقاء ، وليس بينها صفات مشتركة سوى أنها من أسواق النخاسة ، بالقوقاز وآسيا الصغرى وشواطئ البحر الأسود . وأول تلك الفئات المماليك السلطانية ، وهذه عبارة عن مشتريات السلطان وأحلابه — أو جلبانه — وما يتبق عنده من ممالك من سبقه في السلطة . ومن هذه الفئة المماليك الخاصكية ، وتتميز من بقية المماليك السلطانية بانضواء أفرادها وهم صفار في خدمة السلطان ، فهو الذي يتولى تربيتهم وعتقهم ، ومراتب المماليك السلطانية جميعا من ديوان المفرد . أما الفئة الثانية من الجيوش النظامية فهي أجناد الحلقة ، وهذه مكونة من محترفي الجندية ، من ممالك السلاطين السابقين وأولادهم ، وهي أقرب الفئات إلى نظام الجيش الثابت في العصور الحديثة ، ومراتبها من ديوان الجيش . والفئة الثالثة ممالك الأمراء ، وهي شبه فرقة المماليك السلطانية ، غير أن أفرادها تابعون مباشرة لأمرائهم ، ومنهم تتكون الوحدات الحربية التي يذهب بها الأمراء مع السلطان في حروبه . هذا ولم يكن في هذه الجيوش من العناصر المصرية أو الشامية سوى ما يلحق الحملات الحربية عادة من الفقهاء والمقرئين والصناع والأتباع وزعر الصامة . (G. - Demombynes : Op. cit. Pref. p. XXX et seq.)

وفي رابع شعبان دُقت البشائر بالقاهرة^(١)، فرجاً بالصلح بين الأولاد الناصرية، وزُينت الأسواق . وفيه انحط السعر . وقدم السلطان الملك العزيز إلى القاهرة سلخ شعبان .
وفي سابع رمضان وصل الملك المعظم توران شاه وإخوته وعبائهم من دمشق، والديوان في ضائقة شديدة، فعجزوا عن إقامة وظائفهم ومطالبهم وجراياتهم، فنزلوا في الدار العزيزية .
ونزعت الأسعار في المأكولات كلها . وفي تاسع عشره وصل عز الدين أسامة^(٢) مفارقاً للأفضل .

♦ ♦ ♦

[سنة إحدى وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة إحدى وتسعين، والعزيز على عزم المسير إلى الشام . فاستشار الأفضل أصحابه، فمنهم من أشار [ب ٣٣ ب] عليه بمكاتبة العزيز واسترضائه . وأشار الوزير [ابن الأثير] عليه بالاعنصار بعمه العادل، واستنجاهه على العزيز، فأصغى إليه . وكثرت الإشاعة بقصد العزيز إقامة الخطبة في دمشق باسمه، وضرب السكة^(٣) له . فانزعج الأفضل، وخرج من دمشق في رابع عشر جمادى الأولى، وسار جريداً إلى عمه العادل، فلقبه بصفين . فلما نزل الحلف الأفضل في المسألة له أن ينزل عنده بدمشق، ليجيره من أخيه العزيز، فأجابه وأنزله بقلعة جعبر . ثم سار معه إلى دمشق أول جمادى الآخرة، فوصل إليها في تاسعه . ودخل الأفضل إلى حلب على البرية^(٤)، مستصرخاً بأخيه الملك الظاهر، فتلقاه وحلف له على مساعدته . ثم رحل عنه إلى حماة، فتلقاه ابن عمه الملك المنصور محمد بن المظفر، وحلف له . ثم سار عنه إلى دمشق، فدخلها في ثالث عشره وبها العادل؛ فأفضى إليه بأسراره . وعلم العادل اختلال أحوال الأفضل، وسوء تدبيره وقبيح سيرته، فأنحرف

(١) كثيراً ما يذكر المؤرخون هذه العبارة بعد إيراد حادث سار، وكان يقوم بإعلان البشائر فرقة موسيقية بالقلعة، ولعلها فرقة الكوسية، المذكورة في القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣٠٩؛ والبشائر أيضاً الرسائل التي كان السلاطين يعنون بها إلى البلاد والأعمال، في الأعياد والمواسم والحوادث السارة، وكانوا يخلقونها عادة بالطيب . (نفس المرجع، ج ٣، ص ٥٠٩) . انظر أيضاً (Dozy: Supp. Dict. Ar. & Lane: Lexicon)؛ وكذلك (Enc. Isl. Art. Bashīr) . (٢) في س سامة . (٣) في س الصكة، وهي بالسين أفصح . (محيط المحيط) . (٤) بغير ضبط في س، وهي الصحراء الواقعة بين أراضي الفرات والشام . (Blochet: Op. cit. p. 230. N. 1)

عنه ونهاه فلم ينته، إلا أنه مبالغ في كرامة عمه، حتى أنه ترك له السنجق^(١)؛ وصار العادل يركب بالسنجق السلطاني في كل يوم، ويركب الأفضل في خدمته.

فما هو إلا أن استقر ذلك إذ حدث بين الظاهر صاحب حلب وبين أخيه الأفضل وعمه العادل وحشة، من أجل ميل الملك المنصور صاحب حماة إلى العادل. فسير [الظاهر] إلى أخيه العزيز يحرضه على قصد الشام، ووعده بالمساعدة له على الأفضل، فوافق ذلك غرضه، وخرج من القاهرة^(٢) بعساكره في^(٣)

فلما قارب [العزيز] دمشق كاتب الملك العادل الأمراء سرا واستمالهم، وكان الأمراء الصلاحية قد وقع بينهم وبين الأمراء الأسيديّة تنافس، لتقديم العزيز الصلاحية على الأسيديّة. فعملت حيل العادل حتى وقعت الوحشة بين الطائفتين، ونفرت الأسيديّة من الملك العزيز. وكاتب [العادل] العزيز سرا يخوفه من الأسيديّة، ويحثه على إبعادهم عنه؛ وكاتب الأسيديّة، يخوفهم من العزيز ويستميلهم إليه. فحاق ما مكره وتم له ما دبره، وعزموا على مفارقة العزيز، وحسبوا

(١) لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح، والمراد به هنا الراية التي تربط به، والجمع سناجق. وهي رايات صفر صفار، يحملها السنجقدار. ويظهر أن العادة كانت أن يركب السلطان في المواكب زمن السلم بالسناجق فقط، أما مواكب الحرب، فكان مسير السلطان فيها بالأعلام، ومنها السناجق، ثم راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب، عليها ألقابه واسمه وتسمى العصاية، ثم راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش. ويتولى أمر هذه الأعلام كلها الأمير علم. (القلشندبي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨؛ ج ٥، ص ٤٥٦، ٤٥٨). هذا وفي ركوب الأفضل في خدمة العادل إشارة إلى استعداده للاعتراف بعمه. لكا بدلا من العزيز. (Blochet: Op. cit. p. 230. N. 2).

(٢) يعزوا ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٧٩) ما حدث تلك السنة من الوحشة إلى عدم وثوق الظاهر صاحب حلب بحسن نية عمه العادل نحو أولاد أخيه. وابن الأثير معاصر لا يستهان بقوله، وهذه عبارته: "وكان أبلغ الأسباب في ذلك وثوق الأفضل بالعادل، وأنه بلغ من وثوقه أنه أدخله بلده وهو غائب عنه. ولقد أرسل إليه أخوه الظاهر غازي صاحب حلب يقول له: أخرج عمنا من بيننا فإنه لا يجيئ علينا منه خير، ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد. وأنا أعرف به منك وأقرب إليه، فإنه عمي مثل ما هو عمك، وأنا زوج ابنته. ولو علمت أنه يريد لنا خيرا لكنت أنا أولى به منك. فقال له الأفضل: أنت سبي الظن في كل أحد. أي مصلحة لعمنا في أن يؤذينا؟ وهذا كان أبلغ الأسباب، ولا يعطها كل أحد". (٣) بياض في ص بقدر خمس كلمات، وليس في ب

(١٤١) أي إشارة إليه.

للأكراد والمهرانية موافقتهم، فانقادوا إليهم . وكان مقدم أمراء الأكراد الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين، فاجتمع بالأكراد مع الأسدية . واتفقوا بأجمعهم على مفارقة العزيز (١٢٤) ، والانضمام إلى العادل والأفضل، ومضايقة العزيز. و [عقدوا النية على] مكاتبة من بقي منهم بمصر، أن يستقبلوا العزيز ويحولوا بينه وبين القاهرة، فيصير [بذلك] بين الفريقين، ويؤخذ باليد .

فلما كان في عشية الرابع من شوال رحل الأمير أبو الهيجاء بالأكراد والمهرانية والأسدية، وهم لا يسون لامة الحرب، ولحقوا بالعادل فسر بهم، لأنهم معظم الجيش . فلما أصبح نهار الخامس من شوال رحل العزيز يريد مصر، وهو متخوف من الأسدية المقيمين بالقاهرة . وكان نائبه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، فلم يتغير على العزيز، ووصل إلى القاهرة في فاستقر بها . (٢)

ثم إن العادل خرج بالأفضل من دمشق، ومعه العساكر يريد أخذ القاهرة، لما داخله من الطمع في العزيز . واتفق مع الأفضل على أن يكون للعادل ثلث البلاد المصرية، ويكون ثلثاها للأفضل . فاجابه إلى ذلك ورحلا من دمشق، وخرج [معهم] أيضا [المنصور] صاحب حماة، وعز الدين بن المقدم، وسابق الدين [عثمان] بن الداية صاحب شيزر . واستخلف [الأفضل] بدمشق [أخاه] الملك الظافر خضر [صاحب

(١) في س ابا . (٢) بياض في س وليس في ب (٤١ ب) إشارة ما إليه . (٣) في س سابق . انظر بعض أخباره بالحاشية التالية . (٤) بغير ضبط في س ، وهي قلعة تشتمل على كورة بالشام ، على حد قول ياقوت (معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٥٣) . وتقع قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأرنط (Orontes) . وقلعة شيزر شهرة كبرى في التاريخ، فقد كانت مقر إمارة بني منقذ الكنانيين، منذ ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) حتى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) . وبها ولد أسامة بن منقذ الشاعر، صاحب كتاب الاعتبار، في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ٤٨٨ هـ (٤ يولييه ١٠٩٥ م) ، أي قبل ابتداء الحروب الصليبية ببضع سنين . وقد خب أسامة في تلك الحروب ووضع، وكتابه الاعتبار المذكور ثبت لمذكرات طلبة ضافية عنها، وقد وصف فيها ابن منقذ تجاربه وأعماله . هذا وملاحظاته عن عادات الفرنج وأز يائهم زمن الحروب الصليبية فريدة في بابها . (Hitti : Usamah Ibn Munqidh) وقد انتهى ملك المناقذة لقلعة شيزر سنة ٥٥٢ هـ، بوفاة آخر أمرائها تاج الدولة ناصر الدين محمد، من جراء زلزال عنيف حاق بشيزر، ففي فيه معظم أهل بيته أيضا . وفي نفس العام استولت الإسماعيلية على شيزر، ثم أخذها منهم =

(١) . وانضم إليهم عز الدين جرديك للنورى نائب القدس . فلما وصلوا تل العجول^(٢) ،
 أخلع [الأفضل] على جميع الأسدية ، وعلى الأكراد الأفضلية ، وأعطاهم الكوسات^(٣) . وسار
 الأفضل إلى القدس ، وتسلمه من جرديك ، وأعطاهم بيسان وكوكب^(٤) والجولان^(٥) والمنيحة . ثم سار
 العسكر حتى نزل على بلبيس ، وبها جموع الصلاحية والعزيرية ، ومقدمهم نجر الدين جهار كس
 على الصلاحية ، والأمير هكدرى بن يعلى الحميدى على طائفة الأكراد ، فنازلهم العادل والأفضل .
 وكانت أيام زيادة ماء النيل ، والأسعار غالية والعلف متعذر . فبلغ العسكر الواصل الجهد ،
 وندم أكابره على ما كان منهم : هذا والعزير يمد أهل بلبيس بالمراكب المشحونة بالرجال
 والعدد . فبلغ ذلك الأسدية ، فركبوا إلى المراكب ، وأخذوا بعضها وغرقوا بعضها . وأسروا
 خلقاً ، وسلم ثمانية مراكب عادت إلى القاهرة . واشتد الحصار على بلبيس حتى كادت تؤخذ ،
 وضاق العزير بالقاهرة ، وقلت الأموال عنده . وكان محبباً إلى الرعية ، لما فيه من حسن
 السيرة ، وكثرة الكرم والرفق . فلما نازل العادل والأفضل (٣٤ ب) بلبيس احتاج إلى استخدام
 الرجال ، فلم يجد عنده مالا ، فبذل له الأغنياء جملة أموال ، فلم يقبلها .

= السلطان نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٤ هـ ، وأقام عليها مجد الدين أبابكر بن الداية ، وهو أخوه من الرضاع ،
 ولهذا سمى بابن الداية . ومات مجد الدين سنة ٥٦٥ هـ ، وخلفه على شجر أخوه شمس الدين على بن الداية ، ثم سابق
 الدين عثمان المذكور باليمن . انظر (Enc. Isl. Art. Shaizar) ، وكذلك أباشامة : كتاب الروضتين ، ص ٩٥ ،
 ١٤٩ — ١٥٠ ، في Rec. Hist. Or. IV ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٠ .

(١) راجع (Lane-Poole: Saladin. Table II, in pocket) . (٢) جهة بين عكا والعائدية
 (ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ١٥٣ ، حاشية ٤١ ، في Rec. Hist. Or. III) .

(٣) الكوسات من رسوم السلطات وآلاته ، "وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على
 الآخر بإيقاع مخصوص" ، ويتولى ذلك الكوسى . (القلشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٣٩) . أما إعطاء
 الكوسات لهؤلاء الأمراء ، بعد خلع الأفضل عليهم ، فالراجح أن معناه أنه منح كلا منهم رتبة أمير طبلخاناه ، فيصبح
 من حق الواحد منهم أن يكون له طبلخاناه خاصة تدق كوساتها على بابها . (انظر خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ،
 ص ١١٣ ، وأيضاً Quatremère : Maml. II. pp. 147) . (٤) بغير ضبط في س ، وهي قرية —

وقبل جبل — من نواحي دمشق ، ثم من عمل الأردن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٩) .

(٥) بغير ضبط في س ، وهي قرية من قرى دمشق بالنوطة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٧٣) .

وكان القاضي الفاضل قد تنزه عن ملبسة الدولة ومخالطة أهلها، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال .

وكان عبد الكريم بن علي البيساني يتولى الحكم والإشراف^(١) في البحيرة مدة طويلة، فحصل من ذلك مالا جماً . ثم حدثت بينه وبين أخيه القاضي الفاضل مشاجرة اقتضت انفضاح حاله عند الناس بعد احترامهم إياه، فصرف عن عمله . وكان متزوجاً بامرأة موسرة من بني ميسر^(٢)، فسكن بها في ثغر الإسكندرية، وأساء عشرتها، لسوء خلق كان فيه . فسار أبوها إلى الإسكندرية، وأثبت عند قاضيا ضرر ابنته . فمضى القاضي بنفسه إلى الدار، فلم يقدر على فتح الباب الذي من داخله المرأة . فأمر بنقب الدار، وأخرج المرأة وسلمها لأبيها، وأعاد بناء النقب . فغضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة، وبذل للأمير نجر الدين جهاركس خمسة آلاف دينار مصرية، ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية، وحمل ذلك بأجمعه إلى نجر الدين جهاركس . فأحضره جهاركس إلى العزيز، وهو حينئذ في غاية الضرورة إلى المال، وقال : "هذه خزانة مال قد أتيتك بها من غير طلب ولا تعب"، وعرفه الخبر . فأطرق [العزيز] ملياً، ثم رفع رأسه وقال : "أعد المال إلى صاحبه، وقل له إياك والعود إلى مثلها، فما كل ملك يكون عادلاً، وعرفه أنى إذا قبلت هذا منه أكون قد بعث به أهل الإسكندرية، وهذا لا أفعله أبداً". فلما سمع هذا جهاركس وجم، وظهر في وجهه التغير . فقال له العزيز : "أراك واجماً، أظنك أخذت على الوساطة شيئاً". قال : "نعم ! خمسة آلاف دينار". فأطرق العزيز، ثم قال : "أعطاك مالا تنتفع به، وأنا أعطيك في قبالتك

(١) اختصاص، وظيفة الإشراف المقصود هنا مراقبة الأمور المالية عامة في جهة معينة، من قبل سلطان أو أمير، ويسمى متولياً المشرف . (والقلقشندى : صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٥، ٢٧، ٣٥، ٦٤ - ٦٦) . انظر أيضاً (Dozy : Supp. Diet. Ar. & Blochet : Op. cit. p. 233. N. I.) . وبالقلقشندى (نفس المرجع، ج ٥، ص ٤٥٤) وظيفة أخرى، يسمى صاحبها المشرف أيضاً، وإنما عمله الإشراف على المطبخ السلطاني، ومراقبة الأطبحة به .

(٢) لعلها سليلة البيت الذي منه ابن ميسر، صاحب كتاب تاريخ مصر، الذي نشره (Henri Massé) . (انظر فهرس الكتب العربية بدار الكتب الملكية المصرية، ج ٥، ص ١٧) .

ما تنتفع به مرآت عديدة“ ، ثم وقع له بخطه إطلاق جهة طنبذة^(١) ، ومنلها في السنة سبعة آلاف دينار . فلامه أصحابه ، وألحوا عليه في الاقتراض من القاضي الفاضل ، فاستدعاه إلى مجلسه ، بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق . فعند ما عين القاضي الفاضل استجيا منه ، ومضى إلى دار الحرم ، احتراماً له من مخاطبته في القرض . فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من (١٣٥) عند الحرم . فلما اجتمع بالفاضل قال له ، بعد أن أطنب في الثناء عليه : ”قد علمت أن الأمور قد ضاقت على ، وقلت الأموال عندي ، وليس لي إلا حسن نظرك ، وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك“ . فقال [القاضي الفاضل] : ”جميع ما أنا فيه من نعمتكم ، ونحن نقدم أولاً الرأي والحيلة ، ومتى احتيج إلى المال فهو في يديك“ .

واتفق أن العادل — لما اشتد على أصحابه الغلاء والضيق — استدعى القاضي الفاضل برسول قدم منه على العزيز، فسيره إليه . وقد قبل ابن العزيز لما جرى على المراكب التي جهزها إلى بلبس ما جرى ، خاف على الملك أن يخرج من يده ، فسير إلى عمه في السر يعرفه أنه قد أخطأ ، وأنه قد عزم على اللحاق ببلاد المغرب ، ويسأله الاحتفاظ بجرمه وأولاده . فرق له العادل ، وأستدعى [القاضي] الفاضل . فلما قوب منه ركب إلى لقائه وأكرمه ، وما زالوا حتى تقرر الأمر على أن الأسدية والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز ، من غير أن يؤاخذهم بشيء ، ويرد عليهم إقطاعاتهم ، ويحلف العزيز لهم ويعطفون له ؛ وأن يكون العادل مقياً بمصر عند العزيز ، ليقدر قواعد ملكه ؛ وأن العزيز والأفضل يصطلحان ، ويستقر كل منهما على ما بيده . فعاد [القاضي] الفاضل ، وقد تقرر الأمر على ما ذكر ، وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء .

وخرج العزيز من القاهرة إلى بلبس ، فالتقاء عمه العادل وأخوه الأفضل ، ووقع الصلح التام في الظاهر . ورحل الأفضل يريد الشام ، ومعه الأمير أبو الهيجاء السمين ،

(١) في س طنبدي . (٢) في س بالفاضل فقط .

وصار الساحل جميعه مع الأفضل . وعاد العزيز إلى القاهرة ، وصحبته عمه العادل ،
فأنزله في القصر من القاهرة . وأخذ [العادل] في إصلاح أمور مصر ، والتنظر في ضياعها
ورباعها ، وأظهر من محبة العزيز شيئاً زائداً ، وصار إليه الأمر والنهي ، والحكم والتصرف ،
في سائر أمور الدولة ، جليلها وحقيرها . وصرف القاضي محي الدين محمد بن أبي عصرون عن
قضاء مصر ، وولّى زين الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن بندار ^(١) ^(٢) دمشق .

وفيها جدد العزيز الصلح بينه وبين الفرنج . وفيها ورد كتاب ملك الروم ، ^(٣) يتضمن أن كلمة
الروم اجتمعت عليه ، وأنه أحسن إلى المسلمين وأمرهم بإنامة الجامع ، فأقيمت الصلاة فيه
يوم الجمعة الصلاة مع الخطبة ، و[أنه] عمر جانباً منه كان انهدم من ماله ، فتمكن من
في القسطنطينية من المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة بها . والتمس [ملك الروم] الوصية بالبطرك
والنصارى ، وأن يُمكنوا من إخراج موتاهم بالشمع الموقد ، وإظهار شعائرهم بكنائسهم ، وأن
يُفرج عن أسارى الروم بمصر . وفيها عزل زين الدين علي بن يوسف [بن بندار] عن القضاء ،
في حادي عشر جمادى الأولى ، بمحيي الدين أبي حامد محمد بن عبد الله بن هبة الله بن عصرون .

♦ ♦ ♦

[سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة] . وأهلت سنة اثنتين وتسعين ، ففي أولها وصل الملك
الأفضل إلى دمشق ، وتفرقت العساكر إلى بلادها . ولزم الأفضل الزهد ، وأقبل على العبادة ،
وصارت أمور الدولة بأسرها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين ابن الأثير ، فاختلفت به الأحوال
غاية الاختلال ، وكثر شاكوه . وضبط العادل أمور مملكة مصر ، وغير الإقطاعات ، ووفر
الإرتفاعات وعمال (٣٥ ب) الأعمال ، وثمر الأموال ، وقرب إلى العزيز الأمير عز الدين أسامة ،
فصار صاحب بهره وحاجبه ، والواسطة بينه وبين عمه . واختص الأمير صارم الدين قايمآز
النجمي بالعادل ، وصار صفوته .

(١) في س ابى . (٢) مضبوط على سمية في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٦ ، فهرس الأعلام ،

ص ٣٥٢) ، وكذلك ضبط في القاموس المحيط للفيروز ابادى . (٣) دأب الأمبراطور إسحاق الثانى على مخالفة

المسلمين حتى آخر حكمه سنة ١١٩٥ م . (انظر ص ١٢٠ ، حاشية ١) . (٤) في س سامة .

[وفي] يوم السبت ثانی عشر^(١) [المحرم] رفعت يد ابن أبي عصرون وأيدي نوابه من الحكم،
وامر أن يعتزل في بيته، وأن يخرج عن مصر، فأغلق بابه، وشرع في تجهيز نفسه^(٢)، وتوسل
في إقامته. وفي سابع عشره خلع على زين الدين علي بن يوسف [بن بندار]، وأعيد إلى
القضاء، عوضاً عن ابن أبي عصرون.

وفي أول صفر حبس الملك العزيز ناحية الحربية^(٣) من المنوفية على زاوية الإمام الشافعي
بالجامع العتيق بمصر، وفوض تدريبها إلى البهاء بن الجميزي.

وفي صفر وشهر ربيع [الأول] كثرت الطرْحَى من الأموات على الطرقات، وزادت عدتهم
بمصر والقاهرة في كل يوم عن مائتي نفس، وبقي بمصر من لم يوجد من يكفنه، وأكثرهم
يموت جوعاً. وانتهى القمح إلى مائة وثمانين ديناراً المائة أردب، والخبز إلى ثلاثة أرطال
بدرهم. وعمد الضعفاء إلى شراء الجرار، وغدوا إلى البحر وترددوا إليه، ليستقوا منه في الجرار،
ويبيعوها بثمان درهم الجرة. وقد لا يجدون من يشتريها منهم، فيصيحون: "من يتصدق علينا
بثمان هذه الجرة، ومن يشتريها منا بكسرة؟". وزاد السعر، وضاق الخناق، وهلك الضعفاء،
وفشا الموت، وأكثره في الجياع. وصارت الأقفاص التي يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات،
ولا يقدر على النهوش إلا بالنوبة. وامتدت الأيدي إلى خطف ألواح الخبز، - ويضرب
من يهب، ويُسج رأسه، ويسال دمه، ولا ينتهي ولا يرمى ما في يده مما خطفه. وعدم القمح
إلا من جهة الشريف ابن ثعلب^(٤)، فإن مراكبه تتواصل وتبيع بشونه^(٥).

(١) في م عشره . (٢) في م تجهيره . (٣) بغير ضبط في م ، واسمها أيضا العامرة .
(P. Omar Toussoun : Op. cit. T. I. 2. p. 267.)

(٤) كان ابن ثعلب من أغنياء الصعيد ، وكان محل إقامته غالبا بلدة دروت (ديروط ؟) سر بام بالصعيد ،
وهي قرية كثيرة البساتين والنخل ، أنشأ فيها الشريف المذكور جامعا على فم ترعة المنهي ، وهي بحري يوسف الحالي .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٧٠) . انظر أيضا المقرزي : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٧١ ،
٢٠٥ ، و (P. Omar Toussoun: Anc. Branches Du Nil. P. 71) . (٥) العبارة الآتية
واردة في ورقة منفصلة بين الصفحتين ٣٥ ب ، ٣٦ أ ، وليست لها علاقة بالمتن ، وقد أوردت هنا لوقوعها =

(١) وورد الخبر في تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نُقل في يوم عاشوراء ، من قلعة دمشق إلى تربة عملت له ، فكان يوما مشهودا . وفي تاسع عشره قدم الملك الزاهر داود [مجير الدين] صاحب البيرة ، وسابق الدين عثمان صاحب شيرز ، وبهاء الدين بن شداد قاضي حلب ، ونخرج العادل لتلقيهم ببركة الحب ، وقدم العماد الكاتب [أيضا] .

وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلى البحيرة ، واشتروا القمح كل وبيّة بدينار ، وأن بلاد الغرب قد عدت فيها الأقوات في السنة الخالية ، وانقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة . وزاد الجراد بالشام ، وعظم خطبه . وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحميات المحرقة ، وزادت ، وأفرطت . وغلت الأشربة والسكر وعقاقير العطار ، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما . وصار الفروج لا يقدر عليه ، وانتهى سعر القمح إلى مائتي دينار كل مائة أردب . وغلظ الأمر في الغلاء ، وعدم القوت ، وكثرت السُّؤال ، وكثرت الموتى بالجوع .

= قبالة الكلام السابق . ونصها : "قال القاضي الفاضل في مياوماته : وفي يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر ، يعني ستة اثنين وتسعين وخمسة ، ورد خبر من عدة السنة ، وتضمنته كتب ، واستبعده كل سامع ، وبجه كل فهم ، فذكرناه بتخيير الشراء (كذا) . وهو أنه حضر إلى ديوان الخليفة ببغداد جماعة من حجاج خراسان ، وأخبروا بتواطى الأخبار على السنة السفار ، بأن مولودا ولد في بلغار ، كما يولد غيره من البشر ، وأنه ساعة وقوعه على الأرض ربا ونما نمو خارقا للعادة . وبعد ثلاثة أيام من ولادته تكلم بكلام محصل ، وخاطب كل قوم بلغتهم مدة ثلاثة أيام أخرى . وقال لمسائل عن كلامه قبل أوامه ، وقيل إنه ما تكلم في المهد إلا عيسى المسيح ، فقال في أسوة به ، ولا تتعجبوا مني ولا من خلق ، فأنى الذى يجي . بعدى يملك الدنيا وأقاليمها السبعة . وهذا آخر ما سمع منه ، ثم سكت . واستمر نموه إلى ثلاث سنين ، وبقى على حاله وصورته ، وهى صورة جميلة مرضية ، لا تقابله عين إلا ارتدت عنه ، وقد ستر وجهه عن العيون . وشعره أبيض كأنه شريط الفضة ، ولا يحمله حمل ولا فيل . وقيل له وقت كلامه : ما مركوبك ؟ ، فقال يخلق الله لى دابة تحملنى . وياكل لحوم الخيل والغنم ذبيحة ، ولا يحل ميتة ، ويشرب لبن الخيل ، وإذا قعد كان قاعدا في طول الرجل الطويل ."

هذا ولعل مياومات القاضي الفاضل هى المسماة بالمتجددات فى (Enc. Isl. Art. Al-Kādi al-Fādil) .

(١ و ٣) هذه العبارة الواردة بين الرقين فى المتن موجودة بهامش الصفحة فى س ، غير أن المؤلف لم يشر كعادته إلى الموضع المناسب لها بالمتن ، على أنها واردة على هذا الترتيب فى ب (١٤٢) . (٢) آخر أولاد صلاح الدين ، حسبما جاء فى (Lane Poole : Saladin. Table II. in pocket) ومولده سنة ٥٧٤ هـ . انظر أيضا أباشامة (كتاب الروضين ، ص ١٠٦ ، فى Rec. Hist. Ar. V.) . (٣) انظر حاشية ٣

وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب، ومن يأكل الزبل. وازدحم الناس على الطير الذي يرمى من مطابخ السكر. وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرحي بها على الطرقات. و^(١)عدمت المواساة، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال. وشوهد من يبحث المزابل القديمة على قشور الترمس، وعلى نقاضات الموائد وكاسات الآدر^(٢)، ومن يقفل بابه ويموت، ومن عمى من الجوع (٢٦١) ويقف على الحوانيت ويقول: "أشموني رائحة الخبز".

واستخدم رجل في ديوان الزكاة، وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار، لسنة واحدة من مال الزكاة. وجعل الطواشي [بهاء الدين] قراقوش الشاذ في هذا المال، وألا يتصرف فيه، وأن يكون في صندوق مودعا للهمات التي يؤمر بها. ووقع لابن ثعلب [الشريف] الجعفرى بحجر مبلغه في السنة ستون ألف دينار، ودفع له كوس وعلم. وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار العزيزية [عليه] من لحم وخبز، وإلى أن يتمحل في بعض الأوقات لاكلها، لبعض ما يتبلغ به [أهلها] من خبز، وكثر ضجيجهم وشكواهم، فلم يسمع. وفي شهر ربيع الآخر صرف صارم الدين خطلج الغزى عن شد الأموال بالدواوين، وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش، مضافا إلى شد الزكوات، فكل شد المال له. وفيه كثير الموت، بحيث لم تبقى دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض. واشتد الأمر، وغلت العقاقير، وعدم الطبيب، وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام. وسار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضى يوم إلا عن عدة جناز من كل حارة. وعدم من يحفر، وإذا وجد لم يعمق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة. واصارت الجبانات لا يستطيع مقابلتها، ولا زيارة قبورها. وأخذت الأسعار في الانحلال.

(١) في س عدم. (٢) في س الإدر بغير ضبط، وهو بالمد جمع دار. (القاموس المحيط للفيروزابادى).
 (٣) في س يقول لبايه. (٤) في س فراغش. (٥) في س بحر. (٦) انظر ص ١٢٦،
 حاشية ٣.

(٧) أضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة (Blochet: Op. cit. P. 239). (٨) في س فراغش.

وفي جمادى الأولى تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق ، فوقع العزم على المسير إلى الشام . ووقع الشروع في الإنفاق في الحاشية ، فقبضوا شهراً واحداً . وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهراً ، فإذا المادة قصرت عن نفقة ذلك لهم ، فأحيل بعضهم على الجهات .^(١) وامتنع الجاندارية من قبض شهر ، وانتهى ذلك إلى العزيز ، فكتب إلى خطبائهم بإخراجهم إلى الخيم ، ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشي قراقوش^(٢) ، واستخدمه في السور . فخرجوا بأنفسهم غير طيبة ، وألسنة بالشكوى معلنة . وكان المال الذي أنفق في الحاشية قد اقترض من الأمراء ، وأحيل به على الجوالي لسنة ثلاث وتسعين . وخرج العزيز إلى الخيم ، وحرك الأمراء تحريكاً قوياً ، وسير الحجاب^(٣) إلى البلاد تحت الأجناد ، فتتابع خروج الناس . ووقع الرحيل من بركة (٣٦ ب) الحب في ثامنه ، فرحل السلطان العادل والعزيز ، وجميع الأسدية والماليك .

١٠ وفشت الأمراض الحادة ، فما ينقضى وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز . وغلت الأدوية ، وبلغ الفروج إلى ثلاثين درهماً ، والبطيخة إلى مائة درهم . وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية ، وأموات لا تتلاحق . وكثر الوباء والموت بالإسكندرية . وفي آخره انحلت الأسعار ، ونزلت الغلة إلى ثمانين ديناراً كل مائة أردب ، وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم . وقل السؤال ، وارتفع الموتان ، بعد أن جلب من قوص فراريج أبيع كل

(١) الجاندارية فئة من عمال السلطان أو الأمير ، ومثلها الخاصكية . وهي مركبة من لفظين فارسيين أحدهما جان ومعناه سلاح ، والثاني دار ومعناه ممسك . أما الجدار بالميم فوظف آخره وهو "الذي يتصدى للإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأصله جاما دار ... من لفظين فارسيين ، أحدهما جاما ومعناه الثوب ، والثاني دار ومعناه ممسك" . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٥٩٤) . هذا وموضوع وظيفة أمير جاندار السلطان "أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم إلى الديوان ... " (نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ٢٠) . انظر أيضاً (Enc. Isl. Art. 1) jāndār ، وما هنالك من المراجع .

(٢) في س فراغش . (٣) مر ذكر وظيفة الحاجب أكثر من مرة ، غير أنه أرجح ، شرحها إلى هنا ، وعمل صاحبها أن "ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه ، وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم من يعرض ومن برد ، وعرض الجند وما ناسب ذلك ... " (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٠) . انظر أيضاً . (Enc. Isl. Art. Hādijib) ، وما بذيلها من المراجع .

عشرة فراريج بسبعة دنانير ، وهذا لم يسمع بمثله في مصر قبل ذلك . وفيه نودى في القاهرة
ومصر بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج ، فليتجهز أرباب النيات .^(١)

وفي جمادى الآخرة وقف الحال فيما ينفق في دار السلطان ، وفيما يصرف إلى عياله ، وفيما
يقتات به أولاده . وأفضى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق مالا يوزن له ثمن ، وما يُغصب
من أربابه . وأفضى هذا إلى غلاء أسعار المأكولات ، فإن المتعيشين من أرباب الدكاكين
يزيدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان . فاقضى ذلك النظر في المكاسب
الخبیثة : وضمن باب الميزر والخمر باثني عشر ألف دينار ، وفُسخ في إظهاره وبيعه في القاعات
والخوانيت ، ولم يقدر أحد على إنكار ذلك . وصار ما يؤخذ من هذا السحت ينفق في طعام
السلطان وما يحتاج إليه ، وصار مال الثغور والجوالي إلى من لا يبالي من أين أخذ المال .

وفيه وصل العادل والعزير إلى الداروم ، وأمر بانزاع حصنها ، فقُسم على الأمراء
والجنادرية ، فشق على الناس تخريبه ، لما كان به من الرفق للسافرين . وانهى الملكان إلى
دمشق — وقد استعد الأفضل للحرب في أول شهر رجب — فحاصرها إلى أن ملكها

في العشرين منه ، بعد عدة حروب ، خان الأفضل فيها أمراؤه . فلما أخذ المدينة نزل الأفضل
من القلعة إليهما ، فاستحيا العادل منه ، لأنه [هو] الذي حمل العزيز على ذلك ، ليوطئ لنفسه ،
كما يأتي . وأمره [العادل] أن يعود إلى القلعة ، فلم يزل بها أربعة أيام ، حتى بعث إليه العزيز

أيك فطيس^(٤) أمير جاندار ، وصارم الدين خطلج الأستاذار ، فأخرجاه وأخرجوا (١٣٧) عياله وعيال
أبيه . وأنزل [الأفضل] في مكان ، وأوفى ما كان عليه من دين ، وما للخواشي من الجوامك .
فبلغ ذلك نيفا وعشرين ألف دينار ، بيع فيها برثك^(٦) وجماله وبغاله ، وكتبه ومماليكه وسائر

(١) في س مقدما . (٢) راجع تفصيلات تلك الحياة في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ج ١١ ،

ص ٨٠) . (٣) انظر نفس المرجع والجزء والصفحة المذكورة بالحاوية السابقة . (٤) مضبوط على منظومه

في (Blochet : Op. cit. P. 241) . (٥) في س ابيه ، وإذا صح هذا فقد اشترك العزيز في إخراج أخوته ،

والراجح أنهم من أم أخرى . (٦) البرك المتاع الخاص من ثياب وقماش ، وفي (Quatremère : Maml. I. I. p. 253.)

أمثلة عديدة لاستعمال هذا اللفظ ، منها "أخذ ما تخلف ... من مال ودواب وبرك" . انظر

أيضا (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

ماله ، فلم توف بما عليه ، وقسا عليه أخوه وعمه لسوء حظه . ثم بعث إليه عمه العادل بأمره أن يسير إلى صرخد ، فلم يجد عنده من يسير بأهله ، حتى بعث إليه جمال الدين محاسن عشرة أوصلوه إلى صرخد^(١) . وأخذت من الملك الظاهر مظنسر الدين خضر بصرى ، وأعطيت للملك العادل ، وأمر [الظاهر] أن يسير إلى حلب ، فلحق بأخيه الظاهر [صاحبها] .

ويقال إن العادل كان قد قرر مع الملك العزيز - وهو بالقاهرة - أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ، ويعود العادل إلى مصر نائباً عن العزيز . فلما ملك العزيز دمشق ، وأخرج أخاه الأفضل منها ، انكشفت له مستورات مكائد عمه . فندم على ما قتره معه ، وبعث إلى أخيه الأفضل سرا يعتذر إليه ، ويقول له : "لا تنزل عن ملك دمشق" . فظن الأفضل هذا من أخيه خديعة ، وأعلم عمه العادل به ، فقامت قيامته ، وعتب [على] العزيز وأنبه . فانكر [العزيز] أن يكون صدر هذا منه ، وحقق على أخيه الأفضل ، وأخرجته إلى صرخد على أقبح صورة^(٢) . واختفى الوزير ضياء الدين [ابن الأثير] الخزري خوفاً^(٣) من القتل ، ثم لحق بالموصل .

واستقر الأمر بدمشق للعزيز في رابع عشر شعبان : فأظهر العدل ، وأبطل عدة مكوس ، ومنع من استخدام أهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية ، وألزموا لبس الغيار . ثم رحل عنها ليلة التاسع منه يريد القاهرة ، واستخلف عمه [العادل] على دمشق ، وسار إلى القدس ،

(١) في س واخذ .

(٢) لابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢ ، ص ٨٠) رواية أخرى في هذا الصدد ، ونصها : " ... بفلس [العزيز] يوماً في مجلس شرايه ، فلما أخذت منه الخمر ، جرى على لسانه أنه يعيد البلد إلى الأفضل . فنقل ذلك إلى العادل في وقته ، فخصر المجلس في ساعته ، والعزيز سكران . فلم يزل به حتى سلم البلد إليه ، وخرج منه ، وعاد إلى مصر . وسار الأفضل إلى صرخد . وكان العادل يذكر أن الأفضل سعى في قتله ، فلهذا أخذ البلد منه ، وكان الأفضل يكر ذلك ويتبرأ منه ، والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون " . (٣) في س الخزري بغير ضبط ،

والنسبة إلى بلدة جزيرة ابن عمر ، على الفرات ، وهي موطن آل الأثير . (Enc. Isl. Art. Ibn al-Athir) .

(٤ و ٥) العبارة التي بين الرقنين واردة في س ، ب (٤٥ أ) ، غير أنها لا توجد في ترجمة : (Blochet)

Op. cit. P. 242) أما الغيار فهو الملبوس الذي تميز به أهل الذمة عن المسلمين في القرون الوسطى ، ومثله الزنار .

محيط المحيط ، و (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

فلجها من أبي الهيجا [السمين] ، وسلمها إلى الأمير شمس الدين سنقر الكبير ، وسار أبو الهيجا إلى بغداد .

ووصل العزيز إلى القاهرة يوم الخميس رابع شهر رمضان ، فصارت دمشق وأعمالها إقطاعاً للملك العادل ، وليس للعزيز بها سوى الخطبة والسكة فقط . وفي ثامن عشره ركب العزيز إلى مقياس مصر وخلفه ، ونودي فيه بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع السابعة عشرة . وفي العشرين منه فُتح سدّ الخليج ، فركب العزيز لذلك ، وكثر المتفرجون وازدحم الغوغاء ، وحملوا العصي وتراجحوا بالحجارة ، وقلعت أعين ، وخطفت مناديل . وكانت (٣٧ ب) العادة جارية بأن يوقر شهر رمضان من اعتصار الخمر ، وألا يجهر بشراء العنب والجرار ، ولا يتحدث نفسه أحد بفسخ الحرمة وهتك الستر . وفي هذا الشهر غلا سعر الأعناب لكثرة العصير منها ، وتظاهر به أربابه لتحكير تضمينه السلطاني ، واستيفاء رسمه بأيدي مستخدميهم . وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف دينار ، وحصل منه شيء حمل إلى العزيز فصنع به آلات الشرب . وفيه كثر اجتماع النساء والرجال على الخليج — لما فتح — ، وعلى ساحل مصر ، وتلوث النيل بمعاصي قبيحة . واستمر جلوس العزيز للظالم في يومي الإثنين والخميس .

وفي ثاني شوال كان النوروز^(٤) ، فخرى الأمر فيه على العادة من رش الماء ،

(١) يقول (Blochet : Op. cit. p. 235 . N. 1.) ، نقلاً عن كتاب النجوم الزاهرة لأبي المحاسن بن تغري

بردي ، إن أبا الهيجا هذا كان مفرط السمن . فلما ذهب إلى بغداد لقت صمته أنظار الخرافين هناك ، وصنعوا قدورا تشبه في ضخامتها ، وأسموها أبا الهيجا . وقد رآها أبو الهيجا في أسواق بغداد ، فضحك منها . (٢) في س

عشر . (٣) في س وتلقب . (٤) يقول المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٩٣)

— (٤٩٤) عن النوروز ما نصه : ” وكان النوروز القبطي ... من جملة المواسم [بمصر] ، فتشغل فيه الأسواق ،

ويقل فيه سعى الناس في الطرقات ، وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم ، ... وقال القاضي

الفاضل في تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسة ، يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي ، وهو مستهل

توت ، وتوت أول سنتهم . وقد كان بمصر في الأيام الماضية والدولة الحالية ، يعني دولة الخلفاء الفاطميين ، من مواسم

بطالاتهم ... فكانت المنكرات ظاهرة فيه ، والفواحش صريحة في يومه . ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ،

ومعه جمع كثير ، ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبته على دور الأكارب بالجل الجار ، ... ويقنع بالميسور

من الهبات . ويجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدن الخليفة ، وبأيديهم الملامى . وترتفع =

(١١) واستجد فيه التراجيم بالبيض والتصافع بالأنطاع^(٢). وتوالت زيادة النيل، فأفحش الناس في إظهار المنكرات، ولم ينهم أحد. وفيه وقفت وجوه المال، وانقطعت جباية الديوان بمصر، وأحيل على الجهات بأضعاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها. وانتهى العاملون^(٣) إلى من حماهم، فلم يجسر صاحب الديوان على ذكر من يحميمهم، فضلا عن أخذ الحق منهم، ورفع يده عن حماية من حماه. وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طواري السطان وراتب داره من ضمان الخمر والمزر. وكانت هذه سنة ما تقدمها أفحش منها، ولا علم أن همة من المهم القاصرة انحطت إلى مثلها.

وفي رابع عشرة حرج الشريف ابن ثعلب سائراً بالحاج، وخيم على سقاية ريذان^(١٦). وكثر = الأصوات، وتشرب الخمر والمزشر باظها^(١٧) بينهم، وفي الطرقات. ويراش الناس بالماء، وبالماء والخمر، وبالماء مزوجاً بالأقدار. فإن غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه، يفسد ثيابه، ويستخف بجرمته. فإما فدى نفسه، وإما فضح. ولم يجز (ص ٤٩٤) الحال في هذا النوروز على هذا، ولكن قد رش الماء في الحارات، وأحيا المنكر في الدور أرباب الخسارات. وقال [القاضي الفاضل] في سنة اثنين وتسعين وخمسة: وجرى الأمر في النوروز على العادة من رش الماء، واستجد فيه هذا العام التراجيم بالبيض والتصافع بالأنطاع، وانقطع الناس عن التصرف، ومن ظفر به في الطريق رش بمياه نجسة، وخرق به. قال مؤلفه (المقريري) رحمه الله تعالى، إن أول من اتخذ النوروز جمشيد، ويقال في اسمه أيضا جمشاد، أحد ملوك الفرس الأول، ومعناه اليوم الجديد، وللفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم، غير أنه لا يقع في هذا اليوم، الذي اتخذ القبط في مصر عيداً لهم، بل يقع يوم الاعتدال الربيعي، أي ٢١ مارس من كل سنة. انظر (Blochet : Op. cit. p. 243. N. I.).

(١ و ٢) العبارة التي بين الرقين موجودة في ص، ب (ص ١٤٥)، لكنها غير واردة في ترجمة (Blochet : Op. cit. p. 243). (٣) في ص امتت. (٤) جمع عامل، وهو من يتولى تنظيم الحسابات الديوانية وكتاباتها. (القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٦). وكان هذا اللقب يطلق في الأصل على أمير العمل أو الجهة، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب، وخصه به دون غيره. ويسمى المقريري (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٠٥) القائمين بتلك الوظيفة بالمعاملين. (٥) حلت هذه التسمية محل لقب "متولى الديوان". (انظر ص ٥٣ حاشية ٤؛ وكذلك القلقشندي نفس المرجع والجزء والصفحة المذكورة بالحاشية السابقة؛ و (G. - Demombynes. Pref. P. LXXII. N. I.). (٦) جهة قرب العباسية الحالية بالقاهرة، وقد ذكر باقوت (معجم البلدان ج ٣، ص ١٠٠) أنها بين القاهرة وبلبيس. وكانت في الأصل بستاناً لريذان الصقلي، أحد خدام الخليفة العزيز بالله الفاطمي. (المقريري : المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٣٩). وعرفت فيما بعد بالريذانية، وعندها انهزم آخر جيوش المماليك الجبلية سنة ٩٢٢ هـ، أمام الجيش العثماني، بقيادة السلطان سليم الأول، وصارت مصر بعد ذلك ولاية عثمانية.

القتل بالقاهرة بأيدي السكارى، وأعلن للمكربها، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين
المعربدين، وكثر ذلك حتى خطفت الأمتعة والمآكل من الأسواق، نهاراً نادراً وليلاً راتباً.
واستقرت المظالم للطواشي قراقوش^(١)، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية، وحماية الديوان وشد
الأموال لفخر الدين جهاركس، مع انقباضه عنها، وأستادارية الدار لصارم الدين خطلج.

وفي تاسع عشره كسر بحر أبي المنجا، وباشر العزيز كسره. وزاد النيل فيه أصبعا، وهي
الأصبع الثامنة عشرة^(٢)، من ثمانى عشرة ذراعا، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر الحجمة الكبرى.

وفي ثاني عشره رحل الحاج. وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسى حكمه في (١٣٨)
مصر، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله، من سنة أربعين وخمسمائة، من الرفايح التي كان
القبط يخلقونها، ويتوصلون بها إلى المصادرات، وخراب البيوت، وعمارة الحبوس، وإساءة
السمعة عن سلطان الوقت. فأجمع ابن وهيب وكاتب نصراني وغيرهما على أوراق عملت،
واتدب الأسعد بن مماتي والشاذ للكشف والرفع إلى نخر الدين جهاركس.

وفي ذى القعدة كثرت ثوب السكارى بمن يلقونه ليلاً، وضربهم إياه بالسكاكين، فلا تخلو
ليلة من قتل أو قتيلين. ولم يؤخذ لأحد بثأر، ولا وقع كشف عن مقتول منهم، ولا تمكن
والى القاهرة من منعهم. ووجد في الخليج ستة نفر قتل مرتبطين، فلم يسأل عنهم، ولا وقع
إنكار لأمرهم.

وفي ذى الحجمة عزم العزيز على نقض الأهرام، ونقل حجارتها إلى سور دمياط. فقيل له
إن المؤونة تعظم في هدمها، والفائدة تقل من حجرها. فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم
الصغير - وهو مبنى بالججارة الصوان - فشرع في هدمه^(٥). وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية،
واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش، ونخر الدين جهاركس.

(١) في س قراغش. (٢) في س عشر. (٣) جمع ربيعة، وهي الرقعة ترفع إلى السلطان

لتبلغ ظلامه أو غيرها. (محيط المحيط، و Dozy : Supp. Diet. Ar.) (٤) في س المؤنة.

(٥) اقتدى السلطان العزيز عثمان بأبيه صلاح الدين في هدم الأهرام، واستخدم أبحارها في بناء الأسوار. ففي أيام =

وتوفى في هذه السنة القاضي الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضي الإسكندرية . وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن ابن سلامة في سابع عشر شوال . ومولد ابن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة . وكان كريم النفس صحيح المودة ، وطالت مدته في الحكم بالإسكندرية ، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها في ثالث جمادى الآخرة . وفي خامس ذى الحجة مات القاضي الرشيد ... (١) ... ابن سنه الملك . قال القاضي الفاضل فيه : "ونعم الصاحب الذي لا تخلفه الأيام ، ولا يعرف له نظير من الأقباط : أمانة سميحة ، وعقيدة ود متينة ، ومحاسن ليست بواحدة ، ومساع في نفع المعارف جاهدة . وكان حافظا لكتاب الله ، مشتغلا بالعلوم الأدبية ، كثير الصدقات ، نفعه الله ، والأعمال الصالحات ، عرفه الله بركاتها" .

وفيها حج بالناس الشريف ابن ثعلب . ونحرت المراكب الحربية من مصر ، فظفروا ببطس للفرنج ، وفيها أموال فغنموها . وفيها بنى الأمير نجر الدين جهاركس قيساريته بالقاهرة . وفيها زلزلت مصر . ومات العلم عبد الله بن علي بن عثمان بن يوسف الخزومي ، يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى ، ومولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، [وقد] قرأ على ابن برى ، وله شعر .

= صلاح الدين هدمت بعض أهرام الجيزة ، على يد بناء الدين قراقوش ، وبنيت بأججارها قلعة الجبل ، والدور المحيط بالقاهرة ومصر . وكذلك عمل العزيز لبناء سور دمياط ، كما في المتن . غير أن المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١١٤ و ١٢١) يقو، إن العزيز أراد نقض الهرم الصغير لإخراج ما تحته من كنوز ، وأقام عماله على ذلك شهورا ، ثم تركوه عن عجز . هذا وليس بالفصل الوارد بالمواعظ والاعتبار عن الأهرام إشارة إلى أن العزيز أراد بناء سور دمياط من أججارها . (نفس المرجع، ج ١، ص ١١١ - ١٢٢) .

(١) بياض في ص . (٢) يذكر المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٧) هذه القيسارية ، ويقول : "رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نرى شيئا من البلاد مثلها ، في حسنها وعظمتها ، وإحكام بنائها . [وقد] بنى [نجر الدين] بأعلاها مسجدا كبيرا ، وربما معلقا" .

+ + +

[سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة ثلاث وتسعين، وفيها أقيمت الخطبة للعزيز بحلب، وضربت السكة باسمه، بصلح وقع بين العزيز وبين أخيه الظاهر . [وقد] تولاه القاضي بهاء الدين [أبو المحاسن] بن شداد، وغرس الدين قلعج، قدما من حلب إلى العزيز بالقاهرة بهدايا، فانعقد الصلح بين الأخوين على ذلك. وعادا إلى الظاهر، فخطب للعزيز في شهر ربيع الأول، (٣٨ ب) وضربت السكة باسمه . وفيه تحرك الفرنج على بلاد الإسلام، فخرج العادل من دمشق، وسير جيشا إلى بيروت لهدم ربضها .

وفيها مات الملك العزيز ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب ملك اليمن في شوال، وقام من بعده بمملكة اليمن ابنه الملك المعز فتح الدين أبو الفداء إسماعيل . وفيها فتح الملك العادل صاحب دمشق ياقا عنوة، وغنم وأهركثيرا، يقال إنهم سبعة آلاف نفس، ما بين ذكر وأنثى . وفيها سار [العادل] من ياقا إلى صيدا وبيروت فأخرجهما، ونهب بيروت، وفر من كان بها . وبعث [العادل] إلى الملك العزيز يستنجده، فسير إليه عسكريا خرج من القاهرة أول شوال، وسار إلى بلبس . ثم بدا للعزيز [أمر]، ففرق العسكري ولم يسر .

+ + +

[سنة أربع وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة أربع وتسعين، فانتشر من وصل في البحر من الفرنج ببلاد الساحل، وملكوا قلعة بيروت، وقتلوا عدة من المسلمين ١٥

(١) موضع ما بين القوسين بياض في م . واسم القاضي وألقابه : " الإمام العالم بهاء الدين قاضي قضاة المسلمين، مرتضى أمير المؤمنين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد، قاضي حلب المحروسة " . وهو مؤلف كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، المذكور بجواشي هذا الجزء . انظر (Rec. Hist. III. P. 3) .

(٢) في م وضرب . (٣) عبارة المقرري عن هذه الحوادث مختصرة إلى حد محل، فراجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٨٤) .

(٤) يوجد في (Blochet : Op. cit. P. 246. N 1) ترجمة لنبذة من كتاب سير الآباء البطارقة عن وصول تلك المراكب الفرنجية إلى الشام، وحوادث الملك العادل مع جيوشها .

في أطراف بلاد القدس، وأسروا وغنموا شيئاً كثيراً. فبعث الملك العادل إلى القاهرة يطلب من العزيز نجدة، فسارت إليه العساكر من مصر، ومن القدس وغيرها. ثم نخرج الملك العزيز بنفسه، ومعه ٢٠ ألفاً من عساكر مصر لقتال الفرنج، فذلل على الرملة في سادس عشرى صفر، وقدم الصلاحية والأسدية، وعليهم الأمير شمس الدين سنقر الدوادار، وسرا سنقر وعلاء الدين شقير، وعدة من الأكراد، فلحقوا العادل وهو على تبينين^(١). وسار العزيز في أثرهم، فكانت بينهم وبين الفرنج وقائع شهيرة، آلت إلى رحيل الفرنج إلى صور. وركب العادل والعزيز أقتيتهم. فقتلوا منهم. وترك العزيز العساكر عند العادل، ورجع إلى القاهرة في ثامن جمادى الآخرة، قبل انفصال الحال مع الفرنج، من أجل أن ميمون القصرى، وأسامة وسرا سنقر، والحجاف، وابن المشطوب، كانوا قد عزموا على قتله فلما بلغه ذلك رحل إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقائه، وكان يوماً مشهوداً. ووقعت الهدنة بين العادل وبين الفرنج لمدة ثلاث سنين، وعاد العادل إلى دمشق.

وفي رجب تجدد للعادل والعزيز رأى في تخريب عسقلان، وتعفية جدرانها وهدم بنيانها. فنذب من القدس جماعة لتغليقها وخط أبرجة سورها، فتلقت مدينة لا مثل لها، وثر لا نظير

(١) الدوادار اسم فارسي مركب من لفظين، أحدهما عربي وهو الدواة، والثاني دار ومعناه ممسك، وصاحب وظيفة الدوادارية هو الذي يحمل دواة السلطان [أو الأمير] أو غيرهما، ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات، نحو "تبلغ الرسائل عن السلطان أو الأمير وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف، وتقديم البريد، ...". (القلقشندي: أصبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩؛ ج ٥، ص ٤٦٢؛ والمقرزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٢٢). انظر أيضاً (Enc. Isl. Art. Dawatdār).
(٢) ضبطت هذه الأسماء على منطوقها في (Blochet: Op. cit. P. 247؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص ٨٩، في (Rec. Hist. Or. II. ١).

(٣) بغير ضبط في س، وهي بلدة في جبال بني عامر المطللة على بانياس، بين دمشق وصور. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢٤).
(٤) في س سامة، وبقية الأسماء مضبوطة عن المرجعين المذكورين بحاشية ٣.
(٥) اعتمد المقرزي في حوادث هذه المؤامرة على ابن الأثير مع تعديل طفيف. (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٨٤).
(٦) في س "لعلقها وخط أبرجة سورها فلف مدنه..." وفي محيط المحيط: الغلق عند البنائين تجر يجعل في وسط المدماك بسكره، فعمل المقصود هنا أن المندوبين هدموا الأسوار بشدة أغلقها.

له في الثغور، وعمارة لا تخلف الأيام ما تلف بها، لعجز الملوك عن ممانعة الفرنج بالسلاح، واضطرارهم إلى هدم المدن وتعفية رسومها .

وفي شعبان ركب قاضي القضاة صدر الدين بن درباش لُرُقبة الهلال ، (١٢٩) وكلف الشهود ما بين شمعتين كل شاهد إلى شمعة . فخرجوا بالشموع ، وقد كثر الجمع والشمع ، واحتفل الموكب ، وثقلت على الشهود الوطأة . وفيه أمر الملك العزيز بمنع البناء في المواضع التي كان الأمراء قد شرعوا في بنائها على النيل ، واستولوا فيها على الساحل ، فخرج الجاندارية وألزموا كل من حفر أساسا بدمه ، فامثل الأمر .

وفي شهر رمضان أمر العزيز بقطع أشجار بستان البغدادية تجاه [قصر] اللؤلؤة ، وجعله ميدانا . وفيه كثر التظاهر بعصير العنب واستباحة الحرمات ، وعدم المنكر لهذا الأمر ، فغلا العنب حتى بلغ أربعة أرطال بدرهم . وفيه قصر مد النيل ، وارتفعت الأسعار ، وعدمت الأرزاق من جانب الديوان ، وتعذرت وجوه المال حتى عم المرتزقة الحرمان . واستبيح ما كان محظورا من فتح أبواب التاويلات ، وأخذ ما بأيدي الناس بالمصادرات : فأخذ خط شخص يعرف بابن خالد بمبلغ ألف دينار ، وصودر جماعة [آخرون] ، وصار الإنفاق في السماط السلطاني في هذه الوجوه .

وفي يوم عيد الفطر أقيمت سنة العيد بظاهر البلد ، وحضر العزيز الصلاة والخطبة ، وعمّ الأمراء وأرباب العمام بجلعه ، وقدم سماط توسعت المهمة فيه . وفي ثالث عشره وفي النيل ستة عشر ذراعا ، فركب العزيز في سادس عشرة لتخليق المقياس ، وفتح الخليج في ثامن عشره ، وتظاهر الناس في هذه الأيام بالمنكرات من غير منكر . وفي ثالث عشره كان النوروز ، بخرى الرسم في لعبه على العادة .

(١) أحد مباني الفاطميين ، واسمه أيضا منظره اللؤلؤة ، وموقعه على الخليج بالقرب من القنطرة ، ويشرف من شرقه على البستان الكافوري ، ويطل من غربيه على الخليج والبساتين إلى نهر النيل . ومع أن البستان البغدادى من هذه البساتين ، على سبيل الترجيح ، فإن المقرئ لم يذكره في باب بساتين القاهرة (المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٦٧ ، ٤٨٧ ؛ ج ٢ ، ص ٤٢٧) .

وفي يوم السبت سابع عشر ذى القعدة قُتل ابن مرزوق بالقاهرة، قتله ابن المنوفى قاضى بلبيس غيلة، بدار سكنها بالفهادين، وحفر له فيها ودفنه، ومملوكا صغيرا معه، وبلط فوقه، وجعل عليه شعرا . فشنى ابن المنوفى، بعد ما طين به على جمل مصر والقاهرة .

وفي هذه السنة توجه العادل من دمشق إلى مدينة ماردين، ونازلها وأخذ ربضها . وفيها خرج الملك الكامل محمد بن العادل من حران، وقاتل عسكر الموصلية . وفيها غار الفرنج، ونهبوا وأسروا خلقا، واتفوا إلى عكا . فعاد العادل إلى دمشق في رمضان؛ ثم خرج بعد شهر إلى الشرق يريد ماردين . وفيها ادعى [معز الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين] ملك اليمن الإلهية نصف نهار، وكتب كتابا وأرّخه من مقر الإلهية . ثم رجع عن ذلك، وادعى الخلافة، وزعم أنه من بنى أمية، ودعا لنفسه في سائر مملكته بالخلافة، وقطع الدعاء من الخطبة لبني العباس، ولبس ثيابا خضرا وعمائم خضرا مذهبة . وأكره من كان في مملكته من [أهل] الذمة على الإسلام، وخطب بنفسه، وعزم (٣٩ ب) على قصد مكة، وجهاز من بنى له بها دارا، فأسرهم الشريف أبو عزيز قتادة .

[سنة خمس وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة، والعادل مضايق مدينة ماردين، والمعز صاحب اليمن قد تجهز يريد مكة، والعزير صاحب مصر قد سار إلى الاسكندرية، من آخر ذى الحجة . فتصيد [العزير] إلى سابع المحرم، وركض خلف ذئب فسقط عن فرسه، ثم ركب وقد حم، فدخل القاهرة يوم عاشوراء فلم يزل لما

(١) يقع خط الفهاين بالقاهرة فيما بين الجوانية والمناخ (كذا) . (المقريزى : المواعظ والاعتبار، ج ٢ ،

ص ٣٦٩) .

(٢) في نس "وفيها ادعى المعز بن العزيز" . ويظهر أن المقريزى خلط في هذه التسمية، فليس في ملوك اليمن،

حسبما جاء في القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٥ ، ص ٣٠) بهذا الاسم، وقد يرجع هذا الخلط إلى أن المعز هذا كان يسمى بالعزير إسماعيل . (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 79, 98) . وقد تولى المعز هذا ملك اليمن بعد

وفاة أبيه يزيد، سنة ٥٩٣ هـ . (٣) توجد في (Blochet : Op. cit. p. 249. N. 1) عدة روايات من

مراجع مختلفة عن سبب موت العزيز .

به حتى مات ، متصفا ليلة السابع والعشرين منه ، ودفن بجوار قبر الشافعي ، رحمة الله عليه .
 وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا ، ومدة ملكه ست سنين تنقص شهرا وستة أيام .
 وكان ملكا كريما ، عادلا رحيفا ، حسن الأخلاق شجاعا ، سريع الانقياد مفرط السخاء . سمع
 الحديث من السلفي ، وابن عوف ، وابن بري ، وحدث . وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة ، وكان
 يعطي العشرة آلاف دينار ، ويعمل سماطا عظيما يجمع الناس لأكله ، فإذا جلسوا للأكل كره
 منهم أكله ، ولا يطيب له ذلك ، وهذا من غرائب الأخلاق^(١) .

وفيها عظمت الفتنة في عسكرو غياث الدين محمد [بن بهاء الدين سام] ملك الغورية ، وسببها^(٢)
 أن الإمام نغر الدين محمد بن عمر الرازي [الفقيه الشافعي المشهور] ، كان قد بالغ غياث الدين
 في إكرامه ، وبني له مدرسة بقرب جامع هراة ، ومعظم أهلها كرامية . فأجمعوا على مناظرته ،

(١) يوجد في (Blochet: Op. cit. pp 250. N. 2) تعليق لطيف لتلك الناحية من خلق العزيز ، وهو
 أنه كان يكره بعثرة الأموال العامة في أغراض خاصة . (٢) بقية الأخبار الواردة هنا تحت هذه السنة منقولة
 بتصرف طفيف عن ابن الأثير . (الكامل في التاريخ، ج ١٢ ، ص ٩٩ - ١٠١) أو عن مرجع آخر مصدره ابن
 الأثير . (٣) انظر ص ٨٠ ؛ تقع بلاد الغور الجبلية بأفغانستان بين هراة وغزنة ، وعاصمتها فيروزكوه . وكانت
 مملكة إسلامية ، مستقلة بشؤونها منذ أوائل القرن الخامس الهجري ، ثم فتحها محمود الغزنوي سنة ٤١١ هـ ، واستمرت
 تابعة للدولة الغزنوية ، وصاهر ملوكها سلاطينهم حتى سنة ٥٣٦ هـ حين قضى الغزاترکان على الدولتين الغزنوية
 والغورية معا . ثم جاء غياث الدين بن سام المذكور ، فأسس ملكا جديدا على أنقاض الدولتين ، من سنة ٥٦٩ هـ ،
 وعاونه في ذلك أخوه معز الدين . ومات غياث الدين سنة ٥٩٩ هـ ، خلفه معز الدين ، حتى قتل غيلة سنة ٦٠٢ هـ .
 ولم يطل عمر الدولة الغورية بعده ، بل دالت أجزاءها للأمراء والقواد ، حتى أزالها السلطان خوارزم شاه .
 (Lane-Pole: Muh. Dyns. pp. 176, 289-294) وكذلك (Enc. Isl. Art. Ghōrids)

(٤) الكرامية إحدى الفرق الدينية في الإسلام . ويذكر المقرئزي (المواعظ والاعتبار ج ٢ ، ص ٣٤٩)
 في باب ذكر الفرق ، عنها ما نصه : " الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني ، وهم طوائف : الهيصمية والإسحاقية
 والجنديية ، وغير ذلك . إلا أنهم يعدون فرقة واحدة ، لأن بعضهم لا يكفر بعضا . وكلهم مجسمة ، إلا أن فهم من قال
 هو (الله) قائم بنفسه ؛ ومنهم من قال هو أجزاء ، مؤتلفة ، وله جهات ونهايات . ومن قول الكرامية إن الإيمان هو
 قول مفرد ، وهو قول لا إله إلا الله ، وسواء اعتقد أولا . وزعموا أن الله جسم ، وله حد ونهاية ، من جهة السفلى ،
 وتجاوز عليه ملافاة الأجسام التي تحته . وأنه على العرش ، والعرش مماس له . وأنه محل الحوادث ، من القول والإرادة ،
 والإدراكات والمرئيات والمسموعات . وأن الله لو لم أحدا من عباده لا يؤمن به ، لكان خلقه إياهم عبثا . وأنه يجوز =

وتجمعوا عند غياث الدين معه، وكبيرهم القاضي [مجد الدين] عبد المجيد بن عمر بن القدوة. فتكلم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة، واستطال عليه وبالغ في شتمه، وهو لا يزيد على أن يقول: "لا يفعل مولانا! لا أخذك الله! [استغفر الله!]"^(٢). فغضب الملك ضياء الدين له، ونسب الإمام [الرازي] إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة. وقام من الغد ابن عمر بن القدوة بالجامع، وقال في خطبته: "ربنا آمنا بما أنزلت وآتبعنا الرسول، فأكتبنا مع الشاهدين. أيها الناس! إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله، وأما علم أرسطو، وكهفريات ابن سينا، وفلسفة الفارابي، فلا نعلمها. فلائى حال يُشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام، يذب عن دين الله وسنة نبيه؟ وبكى وأبكى، فثار الناس من كل جانب، وامتلات البلد فتنة. فسكتهم السلطان غياث الدين، وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالعود إلى هرة، فخرج إليها. ثم فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية، وتقلد الشافعي رحمه الله.

السلطان الملك المنصور ناصر الدين

محمد بن الملك العزيز عماد الدين عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة في جمادى الأولى، سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ومات أبوه وعمره تسع

= أن يعزل نبيا من الأنبياء والرسل، ويجوز عندهم على الأنبياء كل ذنب لا يوجب حدا، ولا يسقط عدالة. وأنه يجب على الله تعالى تواتر الرسل، وأنه يجوز أن يكون إمامان في وقت واحد. وأن عليا ومعاوية كانا إمامين في وقت واحد، إلا أن عليا كان على السنة، ومعاوية على خلافها. وانفرد ابن كرام في الفقه بأشياء، منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان. وأجاز الصلاة في ثوب مستنرق في النجاسة. وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج، وسائر العبادات، تصح بغير نية، وتكفي نية الإسلام، وأن النية تجب في النوافل. وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالأكل والشرب والجماع عمدا، ثم البناء عليها. وزعم بعض الكرامية أن الله علمين، أحدهما يعلم به جميع المعلومات، والآخر يعلم به العلم الأول. انظر أيضا (الشهرستاني: الملل والنحل ص ٧٩ - ٨٥؛ والسماعاني: كتاب الأنساب، ص ٤٧٧).

- (١) أضيف ما بين القوسين، وكذلك بقية الإضافات في هذه الفقرة، من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٩٩). (٢) في س لا وأخذك، وفي ابن الأثير (نفس المرجع والجزء والصفحة) الا وأخذك. (٣) ابن عم الملك غياث الدين وزوج ابنته، وكان أشد الناس كراهة للفخر الرازي. انظر نفس المرجع. (٤) بعض حروف هذا اللفظ ضائع في س. (٥) بياض في س.

سنين وأشهر . وقد أوصى له أبوه بالملك من بعده ، وأن يكون مدبر أمره الأمير بهاء الدين قراقوش الأَسَدِي . فأجلس على سرير الملك في غد وفاة أبيه ، يوم الإثنين حادى عشرى المحرم ، وجُعل قراقوش ^(١) أتابكا . وحلف له الأمراء كلهم ، ما خلا عماء الملك المؤيد نجم الدين مسعود والملك المعز ، فانهما أرادا أن تكون الأتابكية لهما ، وجرت منهما منازعة ، ثم حلفا . ووقع الخلف بين أمراء الدولة ، فطعن عدّة منهم في قراقوش ، بأنه مضطرب الرأى ضيق العطن ، ولا يصلح لهذا الأمر . وتعصب جماعة معه ، ورأوا أنه أطوع من غيره . وكثر النزاع في ذلك ، وصاروا إلى القاضي الفاضل ، لياخذوا رأيه ، فامتنع من المشورة عليهم ، فتركوه . وأقاموا ثلاثة أيام يحصون الرأى ، حتى استقرت على مكتبة الملك الأفضل ، ليحضر أتابكا عوض قراقوش ، بشرط ألا يرفع فوق رأسه السنجق ، ولا يذكر له اسم في خطبة (١٤٠) ولا سكة ، وأن يدبر أمر الملك المنصور مدة سبع سنين ، فإذا تم هذا الأجل سلم إليه الأمر والتدبير ، وسيروا إليه القصاد بذلك . وأقيم الملك الظافر مظفر الدين خضر بن السلطان صلاح الدين مباشر نيابة السلطنة ، حتى يقدم الأفضل . فخرج الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر ، في تسعة عشرة نفسا ، متنكرا ، خوفا من العادل .

وكان الأمير نخر الدين جهار كس — لما قرأ أمراء مصر أمر الأفضل ، وكتبوا إليه بالحضور — كره ذلك ، وكتب إلى الأمير فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس ، ينهاه عن الموافقة على إقامه الأفضل . فوقع الأفضل على القاصد ، وأخذ منه الكتاب ، وعلم ما فيه ، وقال له :

(١) في من أملك بغير ضبط . ويتألف هذا اللقب من لفظين تركيبين ، وهما أطابمعى أب ، وبك بمعنى أمير . وأصله أنب السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) كانوا يطلقون لفظ أطابك على كبير من أمرائهم ، بولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير . وكثيرا ما تزوج الأطابك من أم الموصى به ، فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبوية . ثم أطلق هذا اللقب ، في أيام المماليك بمصر ، على مقدم العساكر أو القائد العام ، على اعتبار أنه أبو العساكر والأمراء جميعا ، وكان يسمى أتابك العساكر . انظر (Gibb : Damascus Chronicle. pp. 23-24) ، وكذلك (G. Demombynes : Op. cit. Pref. pp. XXVII, LVI.) ، والقلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ ، وابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ (Glossary) ؛ وأيضا (Enc. Isl. Art. Ata) . (٢) في من تسعة عشر .

”ارجع فقد قضيت الحاجة“ . وسار الأفضل، ومعه ذلك القاصد، حتى وصل بلبس، وقد خرج الأمراء إلى لقائه، في خامس شهر ربيع الآخر. فنزل في خيمة أخيه الملك المؤيد [مسعود]. وكان نحر الدين جهاركش يؤمل أنه يتزل في خيمته، فشق ذلك عليه من فعل الأفضل، ولم يجد بدا من المجيء إلى عنده، فأكرمه الأفضل. ثم لما فرغ [الأفضل] من طعام أخيه، صار إلى خيمة نحر الدين وأكل طعامه، فحانت من نحر الدين التفاتة، فرأى القاصد الذي بعثه إلى نابلس، فدهش وخاف من الأفضل، وأخذ يستأذنه في التوجه إلى العرب المخالفين ليصلح أمرهم، فأذن له. وللحال قام [نحر الدين] واجتمع بزین الدين قراجا وأسد الدين سراسنقر، وسار بهما مجدا إلى القدس، فإذا بشجاع الدين طغرل السلاح دار سائر إلى مصر. فألفتوه عن الأفضل، وساروا به إلى القدس، فاتفق معهم الأمير صارم الدين صالح نائب القدس، ووافقهم أيضا الأمير عز الدين أسامة وميمون القصرى، وقدموا إلى القدس، ومع ميمون سبعمائة فارس متخبة. وكتبوا الملك العادل، يستدعونه لأتابكية الملك المنصور.

وأما الأفضل فإنه سار من بلبس إلى القاهرة، فخرج المنصور وتلقاه، في سابع ربيع الآخر، وكانت مدته شهرين و... وتحكم الأفضل. ولما استقروا بالقاهرة كتب الأفضل إلى عمه الملك العادل، يخبره بوصوله إلى مصر، حفظا لدولة ابن أخيه، وأنه لا يخرج عما يأمره به. فورد جوابه بأن العزيز إن كان مات عن وصية فلا يعدل عنها، وإن كان مات عن غير وصية، فيكتب الأعيان خطوطهم لك بذلك، حتى نرى الرأي. فاستولى الأفضل على أمر مصر كله، (٤٠ب) ولم يبق للمنصور غير مجزء الاسم فقط. وعزم [الأفضل] على قبض من بقي من الأمراء الصلاحية [بمصر]، ففتر منهم جماعة، ولحقوا بفخر الدين جهاركس بالقدس. وقبض الأفضل على جماعة منهم الأمير علاء الدين شقير، والأمير

(١) في س سامة . (٢) بياض في س . (٣) النصف الثاني من هذا الاسم محبوب بورقة

ملصقة في س، ولكنه في ب (٤٨ب)

عن الدين البكي الفارس ، والأمير عز الدين أيك فطيس ، وخطباً ، ونهب أموالهم . ثم برز إلى بركة الجرب ، فأقام أربعة أشهر ، وحلف بها الأمراء والأجناد . فبلغه عن أخيه الملك المؤيد [مسعود] أنه يريد الوثوب عليه ، فقبضه وسجنه .

وبعث الملك الظاهر [غازي صاحب حلب] إلى أخيه الأفضل يحثه على سرعة ^(١)القدوم من مصر إلى دمشق ، واغتنام الفرصة في أمرها ، [والملك العادل غائب عنها في حصار ماردین] . فقبض الصلاحية [بالشام ؟] على القاصد ، وأهانوه ثم أطلقوه ، فسار إلى الأفضل ، وبلغه رساله أخيه الظاهر . فرحل [الأفضل] من بركة الجرب ثالث شهر رجب ، ومعه الملك المنصور ، فأقام بالعباسة خمسة أيام . واستخلف على القاهرة [سيف الدين] يازكج [الأسدي] ، ثم سار ^(٢)إلى دمشق ، فنزل عليها في ثالث عشر شعبان . وقد بلغ العادل نروجه من مصر ، وهو على حصار ماردین ، فرتب ابنه الكامل محمداً على حصارها ، وسار في مائتي فارس إلى دمشق ^(٣)فقدمها في ثمانية أنفس ، لكثرة ما أسرع في السير ، قبل منازلة الأفضل لها [بيومين] ، وتلاحق به أصحابه . وقدم الأفضل فنزل الشريفين والميئدان الأخضر ، وهجم بعض أصحابه [على] البلد وأحرقوا ، وصاحوا : " يا أفضل يا منصور ! " . فصاحت العامة معهم بذلك ، لميلهم إلى الأفضل . فبرز إليهم العادل ، وأخرجهم من البلد ، وامتنع بها . ففر من أمراء

(١) أرسل أسد الدين شيركوه ابن عم الأفضل إلى مصر رسلاً تحت الأفضل أيضاً على الإسراع إلى دمشق . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٩٤) . (٢) انظر نفس المرجع والجزء ، ص ٩٣ - ٩٤ (٣) قرية بين بليس والصلاحية ، وهي (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٩٩ - ٦٠٠) أول ما يلق القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ، وسميت باسم العباسة بنت أحمد بن طولون ، فانها خرجت إلى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى ، بنت نهارويه بن أحمد بن طولون ، لما حلت إلى الخليفة المعتضد العباسي ، وضربت هناك فساططها ، ثم بنيت هناك قرية ، فسميت باسمها . راجع المقرئ : (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ، P. Omar Tausoun. Op. cit. l. 1. P. 58 ، و Blochet: Op. cit. p. 254. N I.) . (٤) في س أيازكوج ، وقد تقدم ذكره أكثر من مرة .

(٥) في س محمد . (٦) راجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٩٤) . (٧) كذا في س وبغير ضبط . أنظر ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ ، حيث ورد في وفاة صاحب الوزير أبي علي المزدقاني ، أن من أعماله بناء المسجد على الشرف شمال دمشق ، ويسمى مسجد الوزير .

الأفضل عدة، فتأخر حينئذ عن دمشق إلى نحو العسوة . فدرس العادل إلى جماعة ممن في صحبة
الأفضل [بكلام منه] : "إني أريد الرجوع إلى الشرق، وأترك الشام ومصر لأولاد أخي"،
فقدوا الأفضل عن الحرب . وبذل [العادل] لهم مالا، فمضى ذلك من مكره عليهم . وخذلوا
الأفضل، بأن أشاروا عليه بترك القتال حتى يقدم [أخوه] الظاهر من حلب . فأمسك
[الأفضل] عن الحرب مدة، والعادل يكتب الأمراء ويستميلهم شيئا بعد شيء، وهم يأتونه
فيبذل لهم المال، ويوسع عليهم، إلى أن قدم الظاهر من حلب في آخر شعبان . فقوى به الأفضل،
ورحلا إلى مسجد القدم، وحاربا العادل وحاصراه، حتى غلبت الأقوات بدمشق أشد
الحصار . فقدمت الصلاحية من القدس نصرة للعادل، فاشتد عضد العادل بقدمهم، (١٤١) (١)
وجهاز إلى القدس من يمنة الميرة الواصلة من مصر إلى الأفضل، فوجدوا يازكج قد أخرج
سبعائة من عسكر مصر نجدة للأفضل، فقاتلوهم وكسروهم وغنموا مامعهم . وصارت أهل
دمشق في جهد من الغلاء، واحتاج العادل إلى القرض، فأخذ مالا من التجار . وقوى
الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ، وهم العادل بالتسليم، فاتفق وقوع الخلف بين
الظاهر وبين أخيه الأفضل .

[سنة ست وتسعين وخمسمائة] . وأهلت سنة ست وتسعين، والأخوان على
حصار عمهما العادل بدمشق، وقد خربت البساتين والدور، وقطعت الأنهار، وأحرقت
الغلال، وقلت الأقوات . وعزم العادل على تسليم دمشق، لكثرة من فارقه وخرج عنه إلى
الأفضل، فكتب إلى ابنه الكامل يستدعيه، وكتب إلى نائب قلعة جعبر أن يسلمه ما يستدعيه
من المال، وكانت أموال العادل بها . فسار إليه الكامل في العسكر الذي معه، وأخذ

(١) في س فقدوا . والمشهور أن فعل فند لا يتعدى بعن، وإنما يتعدى بعلى وفي محيط المحيط فنده على الأمر بمعنى
أراده منه ولعل المقريزي استباح لنفسه استعمال هذا الفعل مقرونا بعن، ليؤدى عكس المعنى المعروف . على أن فند
تستعمل بدون حرف جر بمعنى عجز .

(٢) مسجد بدمشق وبه دفن صلاح الدين . (أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص ٩٥ - ٩٦ ، ١٢٣ ،

في Rec. Hist. Or. V. (٣) في س اباركوح .

من قلعة جبرأر بمائة ألف دينار، وقدم على أبيه فقوى بقومه قوة عظيمة، ووقع الوهن في عسكر الأفضل والظاهر، لكثرة من خامر منهم. ودس العادل مكيدة بين الأخوين، وهي أن الظاهر كان له مملوك يقال له أيبك^(١)، وقد شغفه حباً، ففقدته وظن أنه دخل دمشق فعلق^(٢). وبلغ ذلك العادل، فبعث إليه [بكلام فيه] : " أن محمود بن الشكري أفتد مملوكك، وحمله إلى الأفضل " . فقبض [الظاهر] حينئذ على ابن الشكري، وظهر المملوك عنده، فاشك في صدق ما قاله عمه، ونفر من أخيه وامتنع من لقائه . وكان البرد قد اشتد، فرحلا إلى الكسوة، وسارا إلى مرج الصفر، ثم سارا إلى رأس الماء . فغلت الأسعار، وقوى البرد، فرحل الظاهر على القريتين . ورحل الأفضل [بعساكره] يريد مصر، وتركوا من أثقالهم ما عجزوا عن محله فأحرقوه، وهلك لهم عدة ممالك ودواب . ودخل الأفضل إلى بليس في خامس عشر شهر ربيع الأول، فأشير عليه بالإقامة بها .

وورد الخبر بأن العادل نرج من دمشق، ونزل تل العجول، وأنه كتب الإقامات^(٣) للعربان، واستدعى الكنانية . فجمع الأفضل الأمراء، وركب ودار على سور بليس، وأمر قراقوش (٤١ ب) بحفظ قلعة الجبل، وأن يهتم بحفر ما بقي من سور مصر والقاهرة، وأنه يعمق الحفر حتى يصل إلى الصخر، ويجعل التراب داخل المدينة على حافة الحفر، ليكون مثل الباشورة^(٤)، ويستعمل الأبقار فيه، ويعمل ذلك فيما بين البحر وقلعة المقس، حتى لا يبقى إلى البلد طريق إلا من أبوابها .

(١) في س ايبك بغير ضبط . (٢) في س السكري بغير ضبط . (انظر أبا الفداء: المختصر في أخبار البشر،

ص ٧٦، في (Rec Hist. Or. I. (٣) جمع إقامة، وهو ما يلزم المساكن من المؤونة والعلف . انظر

(Quatremere : Maml. I. 1. P. 22)، حيث توجد أمثلة عدة لاستعمال هذا اللفظ، وأوضحها " وخرجت

الإقامات من الشمير والدقيق ... " . راجع أيضا (Dozy. Supp. Dict. Ar.) .

(٤) الباشورة الحائط الظاهري، أو ما يرى منه . (محيط المحيط) . ونجم على بواسير، ويقابلها في الفرنسية

كلمة (Bastion) أو (Guérite) . راجع أيضا (Dozy : Supp Dict. Ar.) .

وفي ثاني ربيع الآخر نزل العادل قَطِيَّةَ^(١) . فهمَّ الأفضل بتحريق بلبس ، فنفرت القلوب منه ، وقطع أرزاق المرتزقة من جانب السلطان ، ومن الأحباس على مكة والمديثة والفقهاء وأرباب العائم ، لِيُغَلِّقَ الذي للجنود . فمَّا سَدَّ الماخوذ ، ولا انقطع الطلب من الأجناد ، وثار الضجيج من المساكين . ووصل العادل فواقعه الأفضل ، فانكسر منه وانهمز . فتبعهم العادل إلى بركة الحب ، نعيم بها وأقام ثمانية أيام . ولحق الأفضل بالقاهرة ، فدخلها يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر ، وخامر جماعة عليه ، وصاروا إلى العادل . وأجأت الضرورة الأفضل إلى مراسلة العادل ، فطلب [منه] أن يعوضه عن ديار مصر بدمشق ، فامتنع [العادل] ، وقال : "لا تحوجني أن أحرق ناموس القاهرة ، وأخذها بالسيف . اذهب إلى صرخد ، وأنت آمن على نفسك" . فلم يجد [الأفضل] بدا من التسليم ، لتخاذل أصحابه عنه . فتسلم العادل القاهرة ، ودخلها يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ، وخرج منها الأفضل منهزما في ذلك اليوم . وكان الوزير ضياء الدين بن الأثير قد قدم إلى مصر ، وتمكن من الأفضل ؛ فلما تسلم العادل القاهرة فر ولحق بصرخد . وكانت مدة استيلاء الأفضل على ديار مصر سنة واحدة وثمانية وثلاثين يوما ، وخرج إلى بلاد الشرق فأقام بِسُمَيْسَاطِ^(٢) . وكان مدة إقامته بالقاهرة لا يقدر أن يخلو بنفسه في ليل ولا نهار ، وكان الأمراء قد حجروا عليه أن يخلو بأحد ، وكانت الضرورة ملجئة إلى موافقتهم .

١٥

وأقام العادل بالقاهرة على أتابكية الملك المنصور ، وحناف له الأمراء على مساعدته ، ليقوم بأتابكية المنصور إلى أن يتأهل للاستقلال بالقيام بأموار المملكة ، فلم يستمر ذلك^(٤)

(١) في س فتلها بغير ضبط ، وهي قصرية في طريق مصر إلى الشام ، في وسط الرمل ، قرب الفرما . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٤٤) . (٢) في تلك الليلة توفي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٢) . (٣) بغير ضبط في س ، وهي مدينة في طرف بلاد الروم ، على الشاطئ الغربي للفرات . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥١) . أنظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 260. N. I.) . (٤) بياص في س ، يشغل سطرين تقريبا ربه آثار كتابه محقوة .

فانتقض الأمر في الحادى والعشرين من شوال ، وذلك أن الملك العادل أحضر جماعة من الأمراء وقال لهم: "إنه قبيح بى أن أكون أتاك صبي ، مع الشيخوخة والتقدم . والملك ليس هو بالإرث ، وإنما هو لمن غلب . وإنه كان يجب أن أكون بعد أخى الملك الناصر (١٤٢) (١) صلاح الدين ، غير أنى تركت ذلك إكراما لأخى ، ورعاية لحقه . فلما كان من الاختلاف ما قد علمتم ، خفت أن يخرج الملك عن يدي ويد أولاد أخى . فسست الأمر إلى آخره ، فما رأيت الحال ينصلح إلا بقيامى فيه ، ونهوضى بأعبائه . فلما ملكت هذه البلاد ، وطنت نفسى على أتاكبة هذا الصبي ، حتى يبلغ أشده . فرأيت العصبية باقية ، والفتن غير زائلة ، فلم آمن أن يطرأ على ما طرأ على الملك الأفضل ، ولا آمن أن يجتمع جماعة ويطلبون إقامة إنسان آخر ، وما يعلم ما يكون عاقبة ذلك . والرأى أن يمضى هذا الصبي إلى الكُتاب ، وأقيم له من يؤدبه ويعلمه . فإذا تأهل وبلغ أشده نظرتُ فى أمره ، ووقت بمصالحه . هذا والأسدية كلهم مع العادل على هذا الرأى ، فلم يجد من عداهم بدأ من موافقته ، فحلفوا له ، وخلصوا المنصور فى يوم الخميس . وخطب للعادل من الغد يوم الجمعة حادى عشرى شوال ، فكانت سلطنة المنصور سنة واحدة وثمانية أشهر وعشرين يوما .

السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب

ولما حلف له الأمراء استولى على سلطنة مصر ، فى حادى عشرى شوال ، وخطب له بديار مصر وأرض الشام وحران والرها وميافارقين ، واستحلف الناس بهذه البلاد ، وضربت السكة باسمه . واستدعى [العادل] ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً ، فحضر إلى القاهرة (١) فى يوم [الخميس] لثمان بقين من رمضان ، ونصبه نائباً عنه بديار مصر ، وجعل الأعمال الشرقية إقطاعه ، كما كانت إقطاعاً للعادل فى أيام السلطان صلاح الدين ، وجعله ولى عهده ، وحلف له الأمراء .

(١) فى سنن محمد . (٢) بياض فى س . ويقع أول رمضان سنة ٥٩٦ هـ يوم الخميس ١٥ يونيه

سنة ١٢٠٠ م ، ووافق الثانى والعشرين منه الخميس أيضا . (Wüstenfeld-Mahler'sche: Tabellen).

وفيها أقيمت الخطبة للعادل بحماة و حلب ، وضربت السكة باسمه . وفيها توقفت زيادة النيل ، فلم يجز إلا ثلاثة عشر ذراعا تنقص^(١) ثلاثة أصابع . وشرق معظم أرض مصر ، فأرتفعت الأسعار . وفيها استناب العادل بدمشق ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى ، واستناب ببلاد الشرق ابنه الملك الفائز ، وأقر بحلب ابن أخيه الملك الظاهر [غازي بن صلاح الدين] ، وبحماة الملك المنصور [بن تقي الدين عمر]^(٢) .

• وفيها أخرج الملك العادل ابن ابن أخيه الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر ، ومعه إخوته وأخواته [ووالدته]^(٣) ، فساروا إلى الشام . ثم سيرهم إلى الرها ، فهربوا منها إلى حلب ، وبقى الملك المنصور بمدينة الرها ، حتى مات سنة عشرين وستمائة ، وكان [قد أصبح] أميرا عند الظاهر صاحب حلب .

١٠ ومات في هذه السنة إبراهيم بن منصور بن المسلم أبو اسحاق المعروف بالعراق ، خطيب الجامع العتيق بمصر ، في حادي عشر جمادى الأولى ، عن ست (٤٢ ب) وثمانين سنة . و[مات] القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي ، العسقلاني مولدا ، البيساني^(٤) ، أبو علي محيي الدين ، في سابع ربيع الآخر . و[مات] اللخمي ،

(١) في س إلا .

(٢) راجع أبا الفداء (المختصر في تاريخ البشر ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ، في (Rec. Hist. Or. I.)).

(٣) نفس المرجع ، ص ٨١ . (٤) معظم هذا اللفظ مطبوس ببقعة من المداد في س . (٥) يقول أبو الفداء (المختصر في تاريخ البشر ، ص ٨١ ، في (Rec. Hist. Or. I.)) إن المنصور هذا " أقام بحلب عند عمه الظاهر " . (٦) كان والد القاضي الفاضل يتقصد القضاء بمدينة بيسان ، فلهاذا نسبوا إليها . (المقريري : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٦٦) . هذا وبنفس المرجع والجزء والصفحة ترجمة طيبة للقاضي الفاضل منها : " قال ابن خلكان : وزير [القاضي الفاضل] للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمكن منه غاية التمكن . وبرز في صناعة الإنشاء ، وفاق المتقدمين ، (ص ٣٦٧) وله فيه الغرائب مع الإكثار . أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره ، أن مسودات رسائله — في المجلدات والتعليقات في الأوراق — إذا جمعت ما تقصر عن مائة ، وهو مجيد في أكثرها . وقال عبد اللطيف البغدادي : دخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا ، كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويعمل على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات ، لقوة حرصه في إخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه . وكان له غرام في الكتابة وتحصيل الكتب ، وكان له الدين والعفاف والتقى ، والمواظبة على أوراد الليل ، والصيام وقراءة القرآن . وكان قليل اللذات ، كثير الحسنات ، دائم التهجيد ، ويشغل بعلوم الأدب وتفسير القرآن . غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ، ولكن قوة الدراية توجب له قلة اللحن . وكان لا يكاد يضيع من زمانه شيئا إلا في طاعة ، وكتب في الإنشاء ما لم يكتبه غيره " راجع أيضا (Enc. Isl. Art. Al-Kādī al-Fādīl) . (٧) اعتبر : (Blochet Op. cit. p. 264) هذا تاريخ مولده ببيسان ، والمقرر أنه ولد بعسقلان في ١٥ جمادى الثانية سنة ٥٢٩ هـ (٣ أبريل سنة ١١٣٥ م) ، انظر المرجعين المذكورين بالحاشية السابقة .

الأمير ذو الرياستين أبو الطاهر محمد بن ذي الرياستين أبي الفضل محمد بن محمد بن بنان الأنباري^(١) في ليلة الثالث من ربيع الآخر، ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسمائة .

وفي هذه السنة ولد بالقاهرة مولود له جسد واحد، ورأس فيه وجهان، في كل وجه عينان، وأذنان وأنف وحاجب. وولد أيضا بها مولود له غرة كثرة الفرس، ويدها ورجلاه محبتان، وألته ملمعة. وولد بها أيضا مولود أشيب الرأس، ونعجة لها أربع أيادي، وأربع أرجل^(٢). ووُجد في بطن نعجة ذبحت خروفاً، صدره ووجهه صورة إنسان، وله أظافر الآدمي .

♦ ♦ ♦

سنة سبع وتسعين وخمسمائة^(٣) فيها قبض الملك العادل على أولاد أخيه [صلاح الدين، وهما الملك [المؤيد مسعودو [الملك [المعز إسماعق ، ومجنهما في دار بهاء الدين قراقوش بالقاهرة . [و [تسلم الأمير نجر الدين جهار كس بانياس من الأمير حسام الدين إشارة ، بعد حصار وقتال . وفيها حدثت الوحشة بين الملك العادل وبين الصلاحية ، من أجل أنه خلع المنصور بن العزيز . وكتب الأمير فارس الدين ميمون القصرى من نابلس إلى العادل بإنكار خلع المنصور، فأجابه العادل جواباً خشناً، وتكررت المكاتبة بينهما غير مرة . فكتب ميمون إلى الصلاحية يفرئهم بالعادل، فلم يجد فيهم نهضة للقيام .

وفي أثناء ذلك حدثت وحشة بين الظاهر صاحب حلب وبين عمه العادل، وسير إليه وزيره علم الدين قيصر ونظام الدين^(٥)، فمنعهما العادل أن يعبرا إلى القاهرة، و [أمرهما]

(١) انظر ابن الأثير : تاريخ الدولة الأتابكية ، ص ٨٥ ، ٨٩ ، في (Rec. Hist. Or. II.) .

(٢) في م أربعة أيادي وأربعة أرجل . (٣) وقع خطأ في عنوان هذه السنة في ترجمة (Blochet : Op. cit.)

(٤) 265 p. حيث كتب سنة ست وتسعين وخمسمائة ، والصواب ما هنا . (انظر أبا شامة : كتاب الروضتين ، ص ١٤٦ ،

في (Rec. Hist. Or. V.) . وقد جز هذا إلى اضطراب ترتيب الحوادث حتى أول سنة ٥٩٨ هـ . أما من منشا

هذا الخطأ فانظر ص حاشية . (٤) انظر أبا شامة (نفس المرجع والجزء والصفحة المذكورة

بالحاشية السابقة) . (٥) لم يشر ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٦) إلى ذلك الرسول الثاني ،

وكل ما ورد به أن "الظاهر أرسل أميراً كبيراً من أمرائه إلى عمه العادل ..." .

أن يقيا بلبس، ويحمل قاضي بلبس ما منهما من الرسالة . فعادا مغضبين ، واجتمعا بميمون القصرى فى نابلس ، وما زال به حتى مال إلى الأفضل وإلى أخيه الظاهر . فلما وصلا إلى حلب شق على الظاهر ما كان من عمه ، وكاتب الصلاحية ورجبهم ، وكاتب ميمون القصرى . وشرع الأفضل أيضا فى مكابتهم وهو بصرخد ، وانضوى إلى الأفضل الأمير عز الدين أسامة^(١) ، صاحب عجلون وكوكب ، وحلف له . فبلغ ذلك العادل فتبسط لنفسه ، وكتب إلى ابنه المعظم صاحب دمشق بمحاصرة الأفضل فى صرخد ، فجمع وخرج من دمشق . فاستخلف الأفضل على صرخد أخاه الملك الظافر خضر ، وسار إلى أخيه الظاهر بحلب فى عاشور جمادى الأولى . فنزل المعظم على بصرى ، وكاتب نجر الدين جهار كس وميمون القصرى ، يمرهما بالمسير إليه لحصار صرخد . فلم يجيبا ، وجمعا من يوافقهما ، وصارا إلى الظافر بصرخد . وكتبوا إلى الظاهر بحلب يحثونه على الحركة وأخذ دمشق ، فوافته الكتب وعنده الأفضل ، فجمع الناس وعزم على المسير . ثم سار [الظاهر] ، فلم يوافق المنصور صاحب حماة ، فحاصره مدة ، ثم رحل عنه بغير (١٤٣) طائل ، فنازل دمشق ومعه الأفضل ، وأتته الصلاحية [هناك]^(٢) .

فخرج العادل من القاهرة بعساكره ، واستخلف على القاهرة ابنه الملك الكامل مجدا^(٤) ، وسار حتى نازل نابلس . وقدم [العادل] طائفة من العسكر ، فساروا إلى دمشق ، واستولوا عليها ، قبل نزول الأفضل والظاهر عليها . فقدموا بعد ذلك ، وضايقا دمشق ، فى رابع عشر ذى القعدة ، واشتد القتال حتى كادا يأخذان البلد . فوقع بينهما الاختلاف ، بمكيدة دبرها العادل ، فقترت الهمة عن القتال . وذلك أن العادل كتب إلى [كل من] الأفضل وإلى الظاهر سرا ، بأن : "أخاك لا يريد دمشق إلا لنفسه ، وقد اتفق معه العسكر فى الباطن على

(١) فى س ساه .

(٢) فى س محتوه .

(٣) راجع ابن الأثير (الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ١٠٥ - ١٠٧) ،

لننع هذه الحوادث بتفصيل . والراجح أن المقرئى اقتبس الوارد هنا باختصار من ابن الأثير أو من مصدر

آخر مرجعه ابن الأثير . (٤) فى س محمد .

ذلك“ . فانفعلا لهذا الخبر، وطلب كل منهما من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع . فبعث العادل في السر إلى الأفضل بعده بالبلاد التي عينت له بالشرق، وهي رأس عين، والخابور، وميافارقين، وغير ذلك . وبذل له مع ذلك مالا من مصر في كل سنة، بمبلغ خمسين ألف دينار . فانخدع [الأفضل] وقال للأمرء الصلاحية ومن قدم إليه من الأجناد : ” إن كنتم جئتم إلى فقد أذنت لكم في العود إلى الملك العادل، وإن كنتم جئتم إلى أخي فاتم به أخبر“ . وكانوا يحبون الأفضل من أجل أنه لين العريكة، فقالوا كلهم : ” لا نريد سواك، والعادل أحب إلينا من أخيك“ . فأذن لهم في العود إلى العادل، فسار إليه الأمير نحر الدين جهار كس، والأمير زين الدين قراجا، وعلاء الدين شقير، والحجاف، وسعد الدين بن علم الدين قيصر . فوقع الوهن والتقصير في القتال، بعد ما كانوا قد أشفوا على أخذ دمشق .

وانقضت هذه السنة والأفضل والظاهر على منازلة دمشق . وفيها تعذرت الأقوات بديار مصر، وتزايدت الأسعار، وعظم الغلاء حتى أكل الناس الميتات، وأكل بعضهم بعضا، وتبع ذلك فناء عظيم . وابتدأ الغلاء من أول العام، فبلغ كل أردب قمح خمسة دنانير . وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية، لا يمد النيل فيها إلا متدا يسيرا، حتى عدت الأقوات . وخرج من مصر عالم كبير بأهاليهم وأولادهم إلى الشام، فماتوا في الطرقات جوعا . وشنع الموت في الأغنياء والفقراء، فبلغ من كفته العادل من الأموات - في مدة يسيرة - نحو من مائتي ألف إنسان، وعشرين ألف إنسان . وأكلت الكلاب بأسرها، وأكل (٤٣ ب) من الأطفال خلق كثير، فكان الصغير يشويه أبواه ويأكلانه بعد موته، وصار هذا الفعل لكثرتة بحيث لا ينكر . ثم صار الناس يحتال بعضهم على بعض، ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل، وإذا غلب القوى ضعيفا ذبحه وأكله . وفقد كثير الأطباء، لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى، فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله، واتفق أن شخصا استدعى طبيا، فثافه الطبيب وسار معه على تخوف . فصار ذلك الشخص يكثر في طريقه من ذكر الله تعالى، ولا يكاد يمر بفقر

(١) في س وياخذ .

إلا ويتصدق عليه، حتى وصل إلى الدار، فإذا هي خربة . فارتاب الطبيب مما رأى ، وبينما هو يريد الدخول إليها إذ خرج رجل من الخربة ، وقال للشخص الذي قد أحضر الطبيب :
 "مع هذا البطء جئنا لنا بصيد واحد؟". فارتاع الطبيب ، وقر على وجهه هاربا . فلولا عناية الله به ، وسرعة عدوه ، لقبض عليه .^(٢)

وخلت مدينة القاهرة ومصر من أكثر أهلها ، وصار من يموت لا يجد من يواريه ، فيصير عدة أشهر حتى يؤكل أو يبلى .^(٣) واتفق أن النيل توقف عن الزيادة في سنة ست وتسعين ، فخاف الناس ، وقدم إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير ، فلما حلت الشمس برج الحمل تحرك هواء أعقبه وباء . وكثر الجوع ، وعدم القوت ، حتى أكلت صغار بني آدم : فكان الأب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا ، وكذلك الأم . وظفر الحكام منهم بجماعة ، فعاقبهم حتى أعيام ذلك . وفشا الأمر ؛ فكانت المرأة توجد وقد خبأت في عبا كتف الصغير أو نخذه ، وكذلك الرجل . وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار ، فينتظرها حتى تنزل لياكل منها ، فإذا فيها لحم الأطفال ؛ وأكثر ما كان يوجد ذلك في أكابر البيوت . ويوجد النساء والرجال في الأسواق والطرقات ، [و] معهم لحوم الأطفال . وأحرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة ، وجد معهن لحوم الأطفال . ثم فشا ذلك حتى اتخذه الناس غذاء وعشاء وأفوه ، وقل منهم منه ، فإنهم لم يجدوا شيئا من القوت ، لا الحبوب ولا الخضروات .

فلما كان قبل أيام زيادة النيل — في سنة ست وتسعين [هذه] — احترق الماء في برمودة ، حتى صار فيما بين المقياس والحيزة بغير ماء ، وتغير طعم الماء وريحه . وكان القاع ذراعين ،

(١) في س ومر . (٢) في س والاقبض عليه . (٣) الموضع المناسب للعبارة التالية

إلى سطر ١٦ ، ص ١٥٨ — وقد وردت في س على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٤٣ ب ، ٤٤ أ — هو تحت سنة ست وتسعين وخمسة . غير أن المؤلف أشار بعلامة عند لفظ "بيلي" ، وكتب "واتفق ان النيل" بهامش الصفحة ، في اتجاه الورقة المذكورة ، ثم بدأ الكتابة كما هنا ، مكررا الجملة الافتاحية المشار إليها . والراجع أن المؤلف قصد بإيراد هذه الأخبار، التابعة لسنة ست وتسعين ، استقصاء أمر الوباء والمجاعة في سنة سبع وتسعين من أوله في العام السابق . وقد أدى هذا إلى تضليل (Blochet : Op. cit. pp. 265-271) في ترتيب السنين . انظر ص ١٥٤ حاشية ٣ .

وأخذ يزيد زيادة ضعيفة إلى سادس عشر مسرى، فزاد إصبعا، ثم وقف . ثم زاد زيادة قوية، أكثرها ذراع، حتى بلغ خمسة عشر ذراعا وست عشرة إصبعا . ثم انحط من يومه، فلم ينتفع به . وكان الناس قد فنوا، بحيث بقي من أهل القرية الذين كانوا خمسمائة نفر إما نفران أو ثلاثة . فلم تجد الحسور من يقوم بها، ولا القرى من يعمل مصالحها . وهدمت الأبقار، بحيث أبيع الرأس بسبعين دينارا، والهزبل بستين دينارا . وجافت الطرقات بمصر والقاهرة وقراها . ثم أكلت الدودة ما زرع، فلم يوجد من التقاوى ولا من العقر ما يمكن به رده ؛

ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة والناس تأكل الأطفال، وقد صار أكلهم طبعاً وعادة، وضجر الحكام من تأديبهم . وأبيع القمح^(١) - إن وجد - بثمانية دنانير [الأردب]، والشعير والفول بستة دنانير . وعدم الدجاج من أرض مصر، بخلبه رجل من الشام، وباع كل فروج بمائة درهم، وكل بيضتين بدرهم . وهذا وجميع الأفران إنما تقدر بأخشاب المساكن، حتى دخلت سنة ثمان وتسعين . وكان كثير من المساتير يخرجون ليلاً، ويأخذون أخشاب الدور الخالية، ويبيعونها^(٢) نهاراً . وكانت أزقة القاهرة ومصر لا يوجد بها إلا مساكن قليلة، ولم يبق بمصر عامر إلا شط النيل . وكانت أهل القرى تخرج للحرث فيموت الرجل وهو ماسك المحراث . وفي هذه السنة قدم غلام سنه نحو عشر سنين ع من عرب الحوف بالشرقية - إلى القاهرة، أسمر حلو السمرة، على بطنه خطوط بيض ناصعة البياض، متساوية القسمة، من أعلاه إلى أسفله، كأحسن ما يكون من الخطوط . وفيها مات [الأمير بهاء الدين] قراقوش الأسدي، في غرة شهر رجب بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم^(٣) .

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . في أول المحرم رحل الأفضل والظاهر عن دمشق . فصار الظاهر إلى حلب، ومعه جماعة من الأمراء الصلاحية، منهم فارس الدين ميمون القصرى، وسرا سنقر، والفارس البكى، فأقطعهم الإقطاعات وأكرمهم . وتوجه

(١) في م بلع . (٢) في م وبيعونه . (٣) في م عره، وقد أثبت هذا الرسم لاحتمال قراءته "عشرة".

الأفضل إلى حمص، وبها أمه وأهله عند الملك المجاهد. وقدم العادل إلى دمشق، ونزل بالقلعة، ثم سار منها إلى حماة، ونزل عليها بعساكره. فقام له الملك المنصور بجميع كلفه ونفقاته، وأظهر أنه يريد حبيب. فخافه الظاهر واستعد للقائه، ورأسل العادل وبعث إليه بهدايا جلية ولاطفه. فانتظم الصلح بينهما: على أن يكون للعادل مصر ودمشق، والسواحل وبيت المقدس، وجميع ما هو في يده ويد أولاده من بلاد الشرق. وأن يكون للظاهر حلب وما معها، وللمنصور حماة وأعمالها، وللمجاهد حمص والرحبة وتدصر^(١)، وللأمجد بعلبك وأعمالها، وللأفضل سميساط وبلادها لا غير؛ وأن يكون الملك العادل سلطان البلاد [جميعها]. وحلفوا على ذلك. فخطب للعادل بحلب، في يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة. وأقطع الأفضل قلعة النجم مع سروج وسميساط. وجهز العادل ابنه الأشرف مظفر الدين موسى إلى [الجزيرة]، ليتسلم حران والرها وما معها، ويستقر بالجزيرة [ويستقر] الأوحده أيوب أخوه في ميفارقين. وترتب بقلعة جعبر ابنه المحافظ نور الدين أرسلان. وأقر [العادل] ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى بدمشق. وعاد العادل من (١٤٤) حماة إلى دمشق، وقد اتفقت كلمة بني أيوب.

وفيها قتل المغز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب : وذلك أنه لما ملك اليمن - بعد أبيه - خرج عليه الشريف عبد الله الحسني . ثم خرج عليه

(١) بغير ضبط في س، وهي التي تعرف برحبة مالك بن طوق، بينها وبين دمشق ثمانية أيام، وبين حلب خمسة أيام، وبين بغداد مائة فرسخ، وبين الرقة نيف وعشرون فرسخا. وهي بين الرقة وبغداد، على شاطئ الفرات، جنوبي قرقيسيا. (ياقوت : معجم البلدان : ج ٢، ص ٧٦٤). (٢) بغير ضبط في س، وهي مدينة قديمة مشهورة في بركة الهام، بينها وبين حلب ستة أيام. (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢٨)؛ انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 272. N. 2.) (٣) في س قلعة نجم، بلا تعريف، وبغير ضبط. وهي قلعة جبلية مغلقة على الفرات، وعندها جسر تعبر عليه القوافل من حران إلى الشام. وكانت تعرف قبلا بقلعة منبج، وعرفت كذلك بجسر منبج، فإنها تبعد عنها خمسة وعشرين ميلا فقط. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥). انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 273. N. 1.) (٤) بغير ضبط في س، وهي بلدة قريصة من حران. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٨٥). راجع أيضا (Blochet : Op. cit. p. 372. N. 2.) (٥) ضمير الها. عائد على الأشرف موسى. (٦) الها. هنا عائدة على الملك العادل.

نحو ثمانمائة من مماليكه ، و حاربوه و امتنعوا منه بصنعاء ، فكسروهم و جلاهم عنها . فادعى الربوبية ،
 و أمر أن يُكعب عنه و يُكاتب بذلك ، و كُتب : "صدرت هذه المكتابة من مقر الإلهية" .
 ثم خاف [انغز إسماعيل] من الناس ، فادعى الخلافة ، و انتسب إلى بنى أمية ، و جعل شعاره
 الخضرية . و لبس ثياب الخلافة ، و عمل طول كل كُتم خمسة و عشرين شبرا في سعة ستة
 أشبار . و قطع من الخطبة الدعاء لبنى العباس ، و خطب لنفسه على منابر اليمن ، و خطب
 هو بنفسه يوم الجمعة . فلما بلغ ذلك عمه العادل سير بالإنكار عليه ، فلم يلتفت إلى قوله ،
 و أضاف إلى ذلك سوء السيرة . و قبح العقيدة . فثار عليه مماليك أبيه ، لهوجه و سفكه
 الدماء ، و حاربوه و قتلوه . و نصبوا رأسه على رمح ، و داروا به بلاد اليمن ، و نهبوا زبيد تسعة
 أيام . و كان قتله في رابع عشر رجب ، من سنة ثمان و تسعين . و قام من بعده أخوه الناصر
 أيوب - و قيل محمد ، و ترتب سيف الدين سنقر أتابك العساكر ، ثم استقل سنقر بالسلطنة .
 و فيها كان الغلاء بمصر ، فلما طلع النيل رويت البلاد ، و انحل السعر .

سنة تسع و تسعين و خمسمائة . فيها وصل الفرنج إلى عكا ، و تحرك أهل صقلية لقصد
 ديار مصر . فقدم من حلب خمسمائة فارس و مائة راجل ، نجدة إلى العادل وهو بدمشق .
 فورد كتاب ناصر الدين منكورس بن نَحَارَتِيكِين ، صاحب صهيون ،^(١) يخبر بتزول صاحب
 الأرمن على جسر الحديد^(٢) لحرب أنطاكية ، و أن أكثر الفرنج عادوا من عكا إلى البحر ،
 و لم يبق بها إلا من عجز عن السفر ، و أن بها غلاء عظيما^(٤) .

(١) مضبوط على منطوقه في أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ٣٦٧ ، في Rec. Hist. Or. IV) ، و قد
 ضبطه (Blochet: Op. cit. p. 275) بضم الحاء . (٢) صاحب الأرمن في تلك السنة (Leon II) ،
 أى ابن لاون الذى تقدم ذكره . راجع أيضا (Enc. Isl. Art. Armenia) . (٣) بلدة على نهر حماة
 أو العاصى ، يم بها النهر في مجراه من حماة إلى شيزر ، ثم إلى بحيرة أفامية ، فدركوش بجسر الحديد ، ومنها إلى أنطاكية
 (G.-Demombynes : Op. cit. p. 171) . (٤) في س عظيم .

وفيها نازل الأشرف موسى بن العادل ماردين مدة^(١)، ومعه الأفضل. ثم تقرر الصلح على أن يحمل [ناصر الدين أرسلان الأرتقي صاحب ماردين^(٢)] للعادل مائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، ويخطب له بها، ويضرب السبكة باسمه. فعاد الأشرف إلى حران. وفيها جهز العادل الملك المنصور بن العزيز [عثمان] من مصر إلى الرها بأمه وإخوته، خوفا من شيعته. وفيها شرع العادل في بناء قصيل دائر على سور دمشق بالحجر والحير (٤٤ب)، و [في] تعميق الخندق وإجراء الماء إليه. وقدم من عند العادل إلى القاهرة خلق لحفظ دمياط من الفرنج.

وفيها قصد الفرنج من طرابلس، ومن حصن الأكراد وغيرها، مدينة حماة. فركب إليهم المنصور في ثالث رمضان، وقتلهم فهزمهم، وأسر منهم وخنم، وعاد مظفرا. فورد الخبر بوصول الفرنج إلى عكا من البحر في نحو سبعين ألفا، وأنهم يريدون الصلح مع الأرمن على حرب المسلمين. وخرج جمع من الإستانار^(٤) من حصن الأكراد والمرقب، في شهر رمضان أيضا. فخرج إليهم المنصور، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جماعة، وانهمز من بقي.

وفيها بلغ العادل أن الملك الأفضل علي ابن أخيه كاتب الأمراء، فأمر ابنه الأشرف [موسى] أن يتترع منه رأس عين وسروج، وكتب إلى الظاهر أن يأخذ منه قلعة نجم، ففعلا ذلك، ولم يبق معه سوى سميساط لا غير. فسير [الأفضل] أمه إلى العادل لتشفع فيه، فقدمت عليه إلى دمشق، فلم يقبل شفاعتها، وأعادها خائبة. وكان هذا عبرة، فإن

(١) في س ومعه الأفضل مده. (٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١١٧؛ وكذلك Lane - Poole : Muh. Dyns. p. 168). (٣) الفصيل حائط قصير دون الحصن، أو دون سور البلد. (محيط المحيط). ويقال له في الفرنسية (Avant - Mur)، وفي الإنجليزية (Barbecan) أو (Screen-wall)، راجع (Dozy : Supp. Dict. Ar.). (٤) في س الاستبار بناء ثم باء، وتحريف الاسم هكذا شائع في هذا الجزء من السلوك، ولعله النطق الذي تواتر في اللغة العربية، خلفته على اللسان. ويصحح إلى الرسم الوارد بالمتن بالباء أولا، بغير تنبيه، لقربه من أصل منطوقة في اللغات الأوربية.

صلاح الدين لما نازل الموصل خرجت إليه الأتابكات^(١)، ومنهن ابنة نور الدين محمود بن زنكي، يستغثن إليه في أن يبقى الموصل على عز الدين مسعود، فلم يجبهن وردهن خائبات . فعوقب [صلاح الدين] في ولده الأفضل عليّ بمثل ذلك، وعادت أمه خائبة من عند العادل . ولما بلغ الأفضل امتناع عمه عن إجابة سؤال أمه قطع خطبته، ودعا للسلطان ركن الدين سليمان ابن قلع أرسلان السلجوقي، صاحب الروم .

وفيها زاد ماء النيل زيادة كثيرة، ورخصت الأسعار . وفيها انقضت دولة الهواشم بمكة^(٢)، وقدم إليها حنظلة بن قتادة بن إدريس بن مطاعن من ينبع . فخرج منها مكث بن عيسى بن فليسة^(٣) إلى نخلة، فأقام بها ومات سنة ستمائة . ثم وصل محمد بن مكث إلى مكة، فخار بوه وهزموه . ثم قدم قتادة أبو عزيز بن إدريس، فاستمر بمكة هو وولده من بعده أمراء إلى أعوام كثيرة .

سنة ستمائة . فيها تقدر الصلح بين العادل وبين الفرنج، وانعقدت الهدنة بينهما، وتفترقت العساكر . وفيها نازل ابن لاون أنطاكية حتى هجم عليها، وحصر الإبرنس بقلعتها^(٤) .

(١) يقصد المؤلف آل بيت نور الدين محمود بن زنكي . وعبارة المقريري هنا أيضا تدل بوضوح على أنه اقتبس بحرية من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١١٩) . (٢) كان أمراء مكة، منذ سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦ م)، من بيت أبي محمد جعفر بن موسى الحسني الهاشمي . وكانوا تابعين للدولة الفاطمية، بشمال إفريقيا ومصر، حتى استقل أبو الفتح بن أبي محمد جعفر عنها لمدة قصيرة . ثم تغلب بنو فاتق على مكة، وانتزعوها من بني موسى . وتلامه في إمارتها بيت حسني هاشمي آخر سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م)، وبقيت في يد أمراء هذا البيت الأخير إلى سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م)، حين جاء قتادة بن إدريس المذكور في المتن، وهو السبط العاشر من ولد موسى الحسني الهاشمي المتقدم ذكره، والسادس عشر من علي بن أبي طالب . هذا وقد بقيت مكة في يد أمراء بني قتادة حتى مجي الوهابيين . (الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٦٧ - ٢٧٥)؛ و (Hogarth: A Hist. of Arabia, pp. 82 et seq.) . انظر أيضا (Enc. Isl. Arts. Mecca, Katāda) .

(٣) ضبط في م بفتح الفاء فقط . انظر (الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧١) . (٤) في م الإبرنس . ويقصد المؤلف الأمير بيمتد الرابع (Bohemond IV of Antioch)، وهو الذي حالف الظاهر صاحب حلب، كما فعل أبوه (Bohemond III) من قبله، ضد (Leon I) صاحب أرمينية . انظر (Stevenson: Crusaders In The East. PP. 298-300) .

نخرج الظاهر من حلب نجدة له ، ففتر ابن لاون . وفيها أوقع الأشرف [موسى بن العادل]
بعسكر الموصل ، وهزمهم ونازلها ، ^(١) وبها السلطان نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود
ابن عماد الدين زكي أتابك بن آقسنقر . ونهب [الأشرف] البلاد منها قبيحا ، وبعث إلى أبيه
العادل بالبشارة ، فاستعظم ذلك وما صدقه ، وسر به سرورا كثيرا .

وفيها ملك الإفرنج مدينة القسطنطينية من الروم ^(٢) . وفيها تجمع الإفرنج بعكا من كل جهة
(١٤٥) يريدون أخذ بيت المقدس . نخرج العادل من دمشق ، وكتب إلى سائر الممالك
يطلب النجدة ، فنزل قريبا من [جبل] ^(٣) الطور على مسافة يسيرة من عكا . وعسكر الفرنج
بمروج عكا ، وأغاروا على كفر ^(٤) ، وأسروا من كان هناك ، وسبوا ونهبوا . وانقضت هذه
السنة والأمر على ذلك .

وفيها مات ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان بن سليمان بن
قطلومش بن بيغو أرسلان بن سلجوق صاحب الروم ، في سادس ذى القعدة . وقام من بعده
ابنه عز الدين قلع أرسلان ، وكان صغيرا ، فلم يستتب أمره . وفيها عاد الأشرف [موسى]
ابن العادل إلى حران بأمر أبيه . وهم العادل برحيله إلى مصر ، فقدم عليه ابنه الأشرف ، ثم
عاد إلى حران .

وفيها خرج أسطول الفرنج إلى مصر ، وعبر النيل من جهة رشيد . فوصل إلى فوة ، وأقام
خمسة أيام ينهب ، والعسكر تجاهاه ليس له إليه وصول ، لعدم [وجود] الأسطولى [العادلى] . وفيها

(١) في س وفيها . وقد صححت حتى لا يحدث لبس مثل الذى وقع فيه كاتب نسخة ب (٣٥ ب) ، وأدى
إلى اضطراب (Blochet: Op. cit P. 282. N. 2) في ترجمته . (٢) لم يعن المقرئى بذكر تفاصيل

هذا الحادث التاريخي العظيم ، كما فعل ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١٢٤ - ١٢٦) .

(٣) بغير ضبط في س ، ويسمى أيضا جبل طابور ، وهو أقرب إلى طبرية وحطين منه إلى عكا . (انظر ياقوت :

معجم البلدان ج ٣ ص ٥٥٧ ؛ و (G.-Demombynes: Op. cit. p. 124. N. 4) (٤) بغير ضبط

في س ، وهي بلد بين طبرية والناصرية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٠) ؛ وكذلك (G.-Demombynes:

Op. cit. pp. 123, 124) (٥) في س قلع في الموضعين . (٦) عبارة المقرئى هنا ، وفيما يلي عن

الززال (سطر ٢ بالصفحة التالية) منقولة بنصها تقريبا عن ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١٣٠) .

أوقع الأمير شرف الدين قراقوش [التقوى] المظفرى ببلاد المغرب ، فقبض عليه وحمل إلى ابن عبد المؤمن . وفيها كانت زلزلة عظيمة ، عمت أكثر أرض مصر والشام ، والجزيرة وبلاد الروم ، وصقلية وقبرس ، والموصل والعراق ، وبلغت إلى سبته بلاد المغرب ، وفيها ملك الفرنج قسطنطينية من أيدي الروم ، فلم يزالوا بها حتى استعادها الروم منهم ، في سنة ستين وستمائة .

♦ ♦ ♦

سنة إحدى وستمائة . فيها تم الصلح بين الملك العادل وبين الفرنج ، وتقررت الهدنة مدة ، وشرطوا أن تكون يافا لهم ، مع مناصفات لد والرملة ، فأجابهم [العادل] إلى ذلك . وتفترقت العساكر ، وسار العادل إلى القاهرة ، فنزل بدار الوزارة ، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل ، وشرع في ترتيب أمور مصر . وفيها مات الأمير عز الدين إبراهيم بن الجويني ، وإلى القاهرة ، في سلخ جمادى الأولى . وفيها ورد الخبر بأن الفرنج أخذوا القسطنطينية من الروم . [وفيها] غارت الفرنج الإسطارية على حماة في جمع كبير ، لأن هدتهم انقضت ، فقتلوا ونهبوا ، ثم عادوا . وفيها قدم الملك المنصور صاحب حماة على عمه الملك العادل بالقاهرة ، فسربه وأكرمه ، ثم رجع بعد أيام . وفيها أغار الفرنج على حمص ، وقتلوا وأسروا . فخرج العادل من القاهرة إلى بركة الحب ، ثم عاد . وفيها أغار فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية ، وقتلوا عدة من المسلمين ، وغنموا وسبوا شيئا كثيرا .

وفيها أخذ البصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر يفرى الملك العادل بأبي محمد مختار ابن أبي محمد بن مختار ، المعروف بابن قاضي دارا ، وزير الملك الكامل ، حتى نقم عليه وطلبه . فخاف عليه الكامل ، وأخرجه (٤٥ ب) من مصر — ومعه ابنه نجر الدين وشهاب الدين — إلى حلب ، فأكرمهم الملك الظاهر . ثم ورد عليه من الكامل كتاب يستدعيه إلى مصر ،

(١) في س بها الدين . (٢) بغير ضبط في س ، والجويني نسبة إلى بلدة جوين ، وهي إحدى ثلاث بلاد بهذا الاسم . انظر (Enc. Isl. Arts. Djuwain & Djuwaini) . (٣) في س قسطنطينية ، ويوجد في (Blochet: Op. cit. p. 84. N. 1.) ترجمة من الفارسية لما جاء في كتاب جامع التواريخ (شيد الدين عن فتح الفرنج اللاتين للقسطنطينية .

نخرج وتزل بعين المباركة ظاهر حلب ، فلما كان في ليلة الرابع والعشرين من ذي القعدة ،^(١)
أحاط به نحو الخمسين فارسا في أثناء الليل ، وأيقظوه وقتلوه . ثم قالوا لغمائمه : ” احفظوا
أموالكم ، فما كافي لنا غرض سواه “ . فبلغ ذلك الظاهر فارتاع له ، وركب بنفسه حتى
شاهده ، وبعث الرجال في سائر الطرقات ، فلم يقف لقتله على خبر ، فكانت هذه القضية^(٢)
من أعجب ما سمع .

سنة اثنتين وستمائة^(٣) . فيها قبض على الأسعد أبي المكارم بن مهدي بن ممتي صاحب
الديوان ، في جمادى الآخرة ، وعلق برجليه . وفيها قبض على الأمير عبد الكريم ، أنحى القاضي^(٤)
الفاضل ، وأخذ خطه بعشرين ألف دينار وأداها . وأخذ من [شرف الدين إبراهيم بن^(٥)

(١) في س الرابع عشرين ، (٢) في ٣ ، لقتله . (٣) أخبار هذه السنة كلها مكتوبة على
هامش الصفحة ، ويسبقها هامش مشطوب نصه : ” وفيها مات ركن الدين سليمان بن قلع ارسلان بن مسعود صاحب
قونية ، وملك بعده ابنه قلع ارسلان بن سليمان “ . وقد تقدمت هذه الوفاة في ص ١٦٣ (٤) في س الاثير .
(٥) موضع ما بين القوسين بياض في س . وكان ابن قريش هذا كاتب ديوان الانشاء ، ويغلب أنه كان مومرا ،
فقد ابنتي بالقاهرة فندقا عرف باسمه ، وعن هذا الفندق وبانيه كتب المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٣)
في باب ذكر الخانات والفنادق ، مانصه : ” فندق ابن قريش ، استجده القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش ، كاتب
الإنشاء ... [واسمه] إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش ، أبو إسحاق القرشي المخزومي المصري ،
الكاتب شرف الدين ، أحد الكتاب المجيدين خطا وإنشاء . خدم في دولة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وفي دولة
ابنه الملك الكامل ، بديوان الإنشاء . وسمع الحديث بمكة ومصر ، وحدث . وكانت ولادته بالقاهرة ، في أول يوم
من ذي القعدة ، سنة اثنتين وسبعين وخمسة . وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المذهب في الفقه ، على مذهب
الإمام الشافعي . وبرع في الأدب ، وكتب بخطه ما يزيد على أربعمئة مجلد . ومات في الخامس والعشرين من جمادى
الأولى ، سنة ثلاث وأربعين وستمائة “ .

هذا وقد تم ذكر والد شرف الدين هذا في ص ٨٥ ، واسمه القاضي المرتضى عبد الرحمن بن قريش ، وهو الذي
تولى قراءة العهد الذي أوصى به السلطان صلاح الدين يوسف في حياته لآل بيته ، سنة ٥٧٩ هـ . وكان للقاضي المرتضى
قيسارية بالقاهرة ، عرفت باسمه ، كما عرف الفندق الذي بناه ابنه من بعده بفندق ابن قريش . وقد وصف المقرئ
(المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٨٦) تلك القيسارية ، في باب ذكر القياسر ، وترجم أيضا لصاحبها ، ما نصه : ” هذه
القيسارية في صدر سوق الجملة الكبير ، بجوار باب سوق الوراقين . ويسلك إليها من الجملة ومن سوق الأخفافين ،
المسلوك إليه من البندقانيين . وبعضها الآن سكن الأرمنيين (كذا) ، وبعضها سكن البزازين . قال ابن عبد الظاهر : =

عبد الرحمن] بن قريش خمسة آلاف دينار . وفيها باشر التاج ^(١) بن الكهكي ديوان الجيش .
وفيها ضرب صاحب صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر الفقيه نصرا في وجهه بالدواة ،
فأدماه ^(٢) .

♦ ♦ ♦

سنة ثلاث وسمائة . فيها كثرت الغارات من الفرنج على البلاد ، فخرج الملك
العادل إلى العباسية ، ثم أغد ^(٣) السير إلى دمشق . ثم برز منها إلى حمص ، فأتته العساكر من
كل ناحية ، فاجتمع عنده عشرات آلاف . وأشاع أنه يريد طرابلس ، فلما انقضى شهر
رمضان توجه إلى ناحية حصن الأكراد فنازله ، وأسر خمسمائة رجل وغنم . وافتتح قلعة
أخرى . ثم نازل طرابلس ، وعاشت العساكر في قراها ، ولم يزل على ذلك إلى أيام من
ذى الحجة . ثم عاد إلى حمص - وقد ضجرت العساكر - فبعث صاحب طرابلس يلتمس
الصلح ، وسير مالا وثلاثمائة أسير وعدة هدايا ، فانهقد الصلح في آخر ذى الحجة .

وفيها حدثت وحشة بين العادل وبين ابن أخيه الملك الظاهر ، صاحب حلب . فترددت
بينهما الرسل حتى زالت ، وحلف كل منهما لصاحبه . وكثر في هذه [السنة] تخريب العادل
لقلاع الفرنج وحصونهم . وفيها عزل صاحب ابن شكر البدر ابن الأبيض قاضي العسكر ،
وقرر مكانه نجم الدين خليل بن المصمودي الحموي . وفيها قدم مانع بن سلمان شيخ آل دعيج ^(٤)
من غزيرة ^(٥) ، التي فيما بين بغداد ومكة ^(٦) .

= استجدها القاضي المرتضى بن قريش ، في الأيام الناصرية الصلاحية ، وكان مكانها إسطبلًا (...) . وهو القاضي
المرتضى صفى الدين أبو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش المخزومي ، أحد كتاب الانشاء في أيام
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . قتل شهيدا على عكا ، في يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى ، سنة ست وثمانين
وخمسمائة . ودفن بالقدس ، ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة . وسمع السلفي وغيره . (١) ريباض في س .
(٢) يظهر أن قلة أخبار هذه السنة في السلوك راجع إلى وقوع معظم حوادثها بحلب ، فراجع في تاريخ حلب لابن العديم .
انظر (Blochet : Op. cit. p. 286. N. 1.) . (٣) أغد السير ، وفي السير : أسرع . (محيط المحيط) .
(٤) و (٥) العبارة الواردة بين الرقين موجودة بهامش الصفحة في س ، وهي في ب (١٥٥) آخر أخبار السنة خطأ ،
وليست في (Blochet : Op. cit. P. 287) بناتا . (٥) بغير ضبط في س ، انظر قاموس المحيط .
(٦) بغير ضبط في س ، وهي في الطريق بين مكة والكوفة . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٠٠ ، ٩٢٧) .
(٧) انظر حاشية ٤ .

ومات [في هذه السنة] عبد الرحمن بن سلامة قاضي الإسكندرية بها، يوم الأربعاء ثامن صفر. وفيها نفى الأشرف...^(١) بن عثمان الأعمور، واعتقل أخوه علم الملك. و [فيها] ماتت أم الملك المعظم بن العادل بدمشق، في يوم الجمعة عشرين ربيع الأول، ودفنت بسفح قاسيون.

- سنة أربع وستائة . فيها عاد الملك العادل إلى دمشق، بعد انعقاد الصلح بينه وبين ملك الفرنج بطرابلس. و [فيها] بعث [العادل] أستاذه الأمير المذكور العادلي، وقاضي العسكر نجم الدين خليل المصمودي، إلى الخليفة في طلب التشريف والتقليد، بولاية مصر والشام والشرق وخلاط. فلما وصلا إلى بغداد أكرمهما الخليفة الناصر لدين الله، وأحسن إليهما وأجابهما، وسير الشيخ شهاب الدين أبا عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويہ الشهروردی، ومعه التشريف الخلفي والتقليد، وخلعة للصاحب صفى الدين بن شكر، وخلع لأولاد العادل: وهم الملك (٦؛ ١) المعظم، والملك الأشرف، والملك الكامل. فعندما قارب [الشيخ أبو حفص] حلب خرج الملك الظاهر بعساكره إلى لقائه، وأكرم نزله. وفي ثالث يوم من قدومه أمر بكرسي فنصب له، وجلس عليه للوعظ. وجلس الظاهر ومعه الأعيان، فصعد بالوعظ حتى وجلت القلوت ودمعت العيون. وأخبر [الشيخ] في وعظه بأن الخليفة أطلق - في بغداد وغيرها - من المؤن والضرائب، ما يبلغه ثلاثة آلاف ألف دينار. ثم سار من حلب، ومعه

(١) بياض في س . (٢) مضبوطة هكذا في س .

(٣) نسبة إلى سهرورد، وهو بلد بأرض الجبال، جنوبي السلطانية، على الطريق بين همدان وزنجان. وقد خرج من هذا البلد جماعة من العلماء والصلحين، ومنهم أبو حفص عمر المذكور هنا، وكنيته في ياقوت (معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٣ - ٢٠٤) أبو نصر. وهو صوفي شافعي المذهب، وكان إمام وقته لسانا وحالا. وقد تقدم عند المؤمنين الناصر لدين الله، حتى جعله مقدما على شيوخ بغداد، وأرسله في الرسائل العظيمة. وقد صنف الشهروردى هذا كتابا سماه عوارف المعارف. انظر (Enc. Isl. Arts. Suhraward & Suhrawardi). (٤) اصطلاح عامة المؤرخين على هذه النسبة رغم خطئها. (٥) في س وخلعا. (٦) توجد بين ملتصق الصفحتين ٤٥ ب، ٤٦ أ ورقة، بها نبذة طويلة، يرجح أنها من أخبار حصار الفرنج دمياط سنة ٦١٥ هـ، وقد لصقت بين هاتين الصفحتين خطأ، فأرجح إيراد ما بها إلى موضعه المناسب.

القاضي بهاء الدين بن شداد ، وقد دفع إليه الظاهر ثلاثة آلاف دينار، برسم النثار ^(١) إذا لبس
 عمه العادل خلعة الخليفة . وبعث الملك المنصور من حماة أيضا مبلغا للثار . وخرج العسكر
 من دمشق إلى لقائه ، ثم خرج العادل بابنيه الأشرف موسى والمعظم عيسى ، وبرز سائر
 الناس لمشاهدة ذلك ، فكان يوما مشهودا . ولما دخل [الشيخ أبو حفص دمشق] جلس
 العادل في دار رضوان ، وأبيضت عليه الخلع ، وهي جبة أطاس أسود واسعة الكم بطراز
 مذهب ، وعمامة سوداء بطراز ذهب ، وطوق ذهب بجوهر ثقيل . وقُد [العادل أيضا]
 بسيف محلي ، جميع قرابه من ذهب . وركب حصانا أشهب بركب ذهب ، ونشر على رأسه
 علم أسود ، مكتوب فيه بالبياض ألقاب الخليفة ، مركب في قصبة ذهب . وتقدم القاضي
 ابن شداد فنثر الذهب ، وقدم له خمسين خلعة ، ونثرت رسل الملوك بعده . ثم لبس الأشرف
 والمعظم خلعتيهما ، وهما عمامة سوداء ، وثوب أسود واسع الكم . ثم خلع على الصاحب
 صفى الدين بن شكر الوزير كذلك . وركب العادل - ومعه ابنه ووزيره - بالخلع الخليفية ،
 وقد زينت البلد . ثم عادوا إلى القلعة ، واستمرت زينة البلد ثمانية أيام . وقرأ التقليد الصاحب
 صفى الدين على كرسي ، وخوطف العادل فيه بشاهنشاه ، ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين .
 وكان الوزير في حال قراءته قائما على الكرسي ، والعادل وسائر الناس أيضا قيام ، إجلالا
 للخليفة . ثم سار الشهاب السهروردي إلى مصر ، فأفاض على الملك الكامل الخلعة الخليفية ،
 وجرى من الرسم كما وقع بدمشق ، ثم عاد إلى بغداد .

وفيهما أمر العادل بعمارة قلعة دمشق ، وفرق أبراجها على الملوك ، فعمروها من أموالهم .
 وفيها اتسعت مملكة العادل ، فلما تمهدت له الأمور قسم مملكته بين أولاده . فأعطى ابنه
 الملك الكامل ناصر الدين (٤٦ ب) محمدا مملكة مصر ، ورتب عنده القاضي الأعز نحر الدين
 مقدام بن شكر . وأعطى ابنه المعظم شرف الدين عيسى من العريش إلى حصص ، وأدخل

(١) النثار، بكسر النون ، ما ينثر في العرس للماضرين ، وبضم النون ، ما ينثر من المائدة فيؤكل للنواب . (المحيط) .

(٢) في س محمد .

في ولايته بلاد الساحل الإسلامية، وبلاد الغور وأرض فلسطين، والقدس والكرك، والشوبك
 وصرخد . وأعطى ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية، وهي الرها وما معها
 من حران وغيرها . وأعطى ابنه الملك الأوحدهنجم الدين أيوب خلاط وميافارقين وتلك
 النواحي . وكان الأوحده قد بعث إليه أهل خلاط ليملكها، فسار من ميافارقين ومملكها .
 وفيها تكلّم الملك الكامل محمد بناء قلعة الجبل، وتحوّل إليها من دار الوزارة بالقاهرة،
 فكان أول من سكنها من ملوك مصر . ونقل إليها أولاده [الخليفة] العاضد [الفاطمي]
 وأقاربه، في بيت [على] صورة حبس، فأقاموا به إلى أن حولوا منه، في سنة إحدى وسبعين وستمائة^(١).
 وفيها توفي الأمير داود بن العاضد في محبسه، وكانت الإسماعيلية تزعم أن العاضد عهد^(٢)
 إليه، وأنه الإمام من بعده . فاستأذن أصحابه [الملك] الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه،
 فأذن لهم . فبرزت النساء حاسرات، والرجال في ثياب الصوف والشعر . وأخذوا في ندبه^(٣)
 والنياحة عليه، واجتمع معهم من كان في الاستتار من دعواتهم . فلما تكامل جمعهم أرسل
 الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم، وقبضوا على المعروفين منهم . فملا بهم
 السجون، واستصغى أموال ذوى اليسار منهم . ففر من بقي، وزال من حينئذ أمر الإسماعيلية
 من ديار مصر، ولم يجسر أحد بعدها [أن] يتظاهر بمذهبهم .

سنة خمس وستمائة^(٤) . فيها سار الكرج ونهبوا أعمال خلاط، وأسروا وغنموا، فلم يجسر
 الأوحده أن يخرج إليهم من مدينة خلاط . فلما بلغ ذلك الملك العادل أخذ في التجهيز لحرب

(١) قبالة هذه الفقرة، بهامش الصفحة في س، ما نصه: "انظر أول من سكن قلعة الجبل من الملوك، ومدة
 اعتقال [بقايا] الفاطميين،" وهو بخط مخالف . (٢) بقية أخبار هذه السنة واردة بورقة منفصلة بين ملصق
 الصفحتين ٤٦ ب، ٤٧ أ تحت عنوان نصه: "سنة أربع وستمائة" . (٣) في س فبرز .

(٤) في س الكرج، بغير ضبط . والكرج أمة من المسيحيين، مساكنها بجبال القوقاز (جبال قفق)، المجاورة
 لتفليس . وكانت بجهة أبخاز مقلهم، ثم استولوا على تفليس من المسلمين سنة ٥١٥ هـ، حسبما جاء في ياقوت (معجم
 البلدان، ج ١، ص ٧٨، ٨٥٨) . ولم يزالوا متمكنين على تفليس، وأبخاز مقلهم، حتى أغار عليهم خوارزم شاه
 جلال الدين، سنة ٦٢١ هـ، فاستولى على تفليس منهم .

الكرج، وسار الأشرف من دمشق يريد بلاده بالشرق . وفيها قتل الملك معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي، صاحب الجزيرة . قتله ابنه محمود، وقام في الملك من بعده . وفيها بعث الأمير سيف الدين سنقر، أتابك اليمن، عشرة آلاف دينار مصرية إلى الملك العادل، عليها اسمه .

وفيها مات القاضي مكين الدين مطهر بن حمدان، بقلعة بصرى في شهر رجب . ومات هلال الدولة وشاب بن رزين^(١)، والى القاهرة . وعُزل الأمير سيف الدين علي بن كهْدان^(٢) عن ولاية مصر، وعُزل الأسعد بن حمدان عن الشرقية، وباشرها خشخاش الوراق . وفيها توفي قاضي القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، يوم الأربعاء خامس رجب . و [كان قد] قدم مصر في رابع رجب، سنة خمس وستين وخمسمائة، فتكون مدة مقامه بديار مصر أربعين سنة .

+ + +

سنة ست وستمائة . فيها خرج العادل من دمشق يريد محاربة الكرج، ومعه الملوك [من بني أيوب : وهم الملك المنصور صاحب حماة، والملك المجاهد صاحب حمص، والملك الأجد صاحب بعلبك^(٣) . وأرسل إليه الملك الظاهر غازي صاحب حلب جيشاً] . فنزل [العادل] حران، وأتته النجدات [مع ولديه الملك الأوحده صاحب خلاط وميفارقين، والملك الأشرف موسى، وغيرهما] . فاستولى على نصيبين، ونازل سنجار، وبها الملك قطب الدين محمد بن زنكي . فكانت بينهما عدة وقائع، بعث في أثنائها صاحب سنجار إلى الخليفة الناصر [لدين الله]، وإلى الملك [الظاهر غازي صاحب حلب، وإلى كيخسرو بن قلع أرسلان صاحب الروم، وغيرهما] يستنجد بهم على العادل . فقال إليه عدة من الملوك، عوناً له على العادل، ففارقه

(١) مضبوط على سمي له في باقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥) . (٢) مضبوط على منطوقه في أبي شامة (كتاب الروضتين، ص ١٢٤، ١٦٦، في Rec. Hist. Or. V.) .

(٣) راجع (Blochet: Op. cit. p. 292. N. I.) ؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢،

ص ١٨٧-١٨٩) . (٥) في س الملوك . وقد أضيف ما بين القوسين من المرجع المذكورين بالحاوية السابقة .

عدة ممن كان معه علي جصار سنجار ، ودرنوا إلى جماعة من أصحابه الدسائس ، ففسدت أحواله . وقدم عليه رسول الخليفة ، ^(١) [وهو هبة الله بن المبارك بن الضحاك] يأمره بالرحيل ، فقال له عن الإمام [الخليفة] الناصر : " قال لك بحياتي يا خليلي ارحل " . فعاد [العادل] إلى حران ، وتفرقت العساكر عنه .

• و [فيها] حصلت بين العادل وبين [وزيره] صاحب ابن شكر منافرة ، أوجبت غنبيه وسفره في البرية . فركب المنصور صاحب حماة ، ونخر الدين جهار كس صاحب بانياس ، حتى لحقاه في رأس عين ، وقدموا به على العادل فرضى عنه ، ومن حينئذ انحطت منزلته . وفيها مات الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب برأس عين . وقيل إنه سُمِّ ، فحمل إلى حلب ليدفن بها . وفيها عاد الملك العادل إلى دمشق . وفيها ولي الأمير المكرم بن اللطى قوص ، في ذى القعدة .

♦ ♦ ♦

سنة سبع وثمانية . فيها ظفر الملك الأوحده بن العادل بملك الكرج ، (١٤٧) ففدى نفسه منه بمائة ألف دينار ، وخمسة آلاف أسير من المسلمين . وأن يلتزم الصلح ثلاثين سنة ، وأن يزوجه ابنته بشرط ألا تفارق دينها . فأطلقه [الأوحده] ، ^(٢) وردت على المسلمين عدة قلاع . وفيها مات الأوحده ، ومَلَكَ خلاط بعده أخوه الأشرف . وفيها تحرك الفرنج إلى الساحل ، واجتمعوا في عكا . فخرج الملك العادل من دمشق ، فوقع بينه وبينهم صلح . وأخذ العادل في عمارة قلعة الطور بالقرب من عكا ، وسار إلى الكرك ، فأقام بها أياما . ثم رحل إلى مصر ، فدخل القاهرة ، ونزل بدار الوزارة .

وفيها مات الأمير نخر الدين جهار كس . وفيها تحرك الفرنج [ثانيا] ، فتجهز العادل للسفر إلى الشام . وفيها كُفِّت يد صاحب صفى الدين بن شكر عن العمل . وفيها مات السلطان

(١) رافق ابن المبارك إلى الملك العادل رسول ثان ، أتى معه من بغداد ، وهو الأمير آق باش ، أحد خواص مماليك

الخليفة الناصر لدين الله . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٨٩) . (٢) في س ورد .

نور الدين أرسلان شاه بن السلطان مسعود الأتابكي صاحب الموصل ، في شهر رجب .
 وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا . وقام من بعده ابنه الملك القاهر
 عز الدين مسعود ، وقام بتدييره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، مملوك أبيه .
 ونبيها شرب ملوك الأطراف كأس الفتوة^(١) للخليفة الناصر ، ولبسوا سراويل الفتوة [أيضا] .
 فوردت عليهم الرسل بذلك ، ليكون انتمائهم له . وأمر كل ملك أن يسقى رعيته ويلبسهم ،
 لتنتمي كل رعية إلى ملكها ، ففعلوا ذلك . وأحضر كل ملك قضاة مملكته ، وفقهاءها
 وأمراءها وأكابرها ، وألبس كلا منهم له ، وسقاه كأس الفتوة . وكان الخليفة الناصر مغرما
 بهذا الأمر ، وأمر الملوك أيضا أن تنتسب إليه في رمي البندق ، وتجعله قدوتها فيه .^(٢)

(١) في س الفتوة بغير ضبط ، وتكررت بنقط الفاء فقط ، وبغير ضبط أيضا . وبهامش الصفحة العبارة الآتية :
 " انظر كأس الفتوة وسراويلها " ، بخط مخالف . وبالخاشية التالية شرح لذلك كله . (٢) يذكر زيدان (تاريخ
 التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٥٣ - ١٥٤) نبذة عن البندق ، في باب ألعاب الخلفاء وملاهيهم ، وقد أشار إلى أنه اقتبسها
 من عدة مراجع موثوق بها ، كالمقريزي وابن الأثير وابن خلدون وأبو الفداء وأبي الفرج صاحب الأغاني ، ونصه : " البندق
 كرات تصنع من الطين ، أو الحجارة أو الرصاص ، أو غيرها ، وهي فارسية بلفظها واستعمالها ، ويسمونها أيضا الجلاهقات ، جمع
 جلاهي ... واقتبس العرب هذه اللعبة في أواخر أيام [الخليفة] عثمان بن عفان ، وعدوا ظهورها في المدينة منكرا ، ثم ألغوها
 حتى شكوا فرقا من الخند ترمى بها ... وكان رماة البندق في العصر العباسي طائفة كبيرة ، يخرجون إلى ضواحي
 المدن ، يتسابقون في رميه على الطير ونحوه ، ويمدون ذلك من قبيل الفتوة . ويقلب في رماة البندق أن يشتغلوا بتطير
 الحمام ، وهم زى خاص ، يمتاز سراويل كانوا يلبسونها ، ويسمونها سراويل الفتوة . وكان العيارون من أهل بغداد
 يلبسونها في أول أمر الدولة ، حتى إذا أفضت الخلافة إلى الناصر لدين الله العباسي ، المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، جعل لرمي
 البندق شأنا ، لأنه كان ولما به ، وباللعب بالحمام المناسب . وكان يلبس سراويل الفتوة ، وقد بلغ من رغبته في ذلك ،
 حتى جعل رمي البندق فنا ، لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها ، على أن يكون بينهم روابط
 وثيقة ، نحو ما عند بعض الجمعيات السرية . وجعل [الخليفة] نفسه رئيس هذه الطائفة ، يدخل فيها من شاء ، ويحرم
 من شاء . وكتب [الناصر] سنة ٦٠٧ هـ إلى ملوك الأطراف ، الذين يعترفون بخلافته ، أن يشربوا له كأس الفتوة ،
 ويلبسون سراويلها ، وأن ينتسبوا إليه برمي البندق ، ويحملوه قدوتهم فيه ، فأجابوه إلى ذلك . فن أراد الانتظام
 في سلك هذه الطائفة يأتي بغداد ، فلبسه الخليفة السراويل بنفسه . فبطلت الفتوة في البلاد جميعها ، إلا من لبس
 سراويلها منه ؛ ومنع الرمي بالبندق ، إلا من ينتسب إليه . فأجابه الناس في العراق وغيره ، إلا إنسانا [واحدا] اسمه
 ابن السفت من بغداد ، [فإنه] هرب إلى الشام . فأرسل الخليفة إليه يرغبه ببذل المال ، ليرمي عنه وينتسب في الرمي
 إليه ، فلم يفعل . فلأمله بعضهم على ذلك ، فقال : يكفيني نفرا أنه ليس في الدنيا أحد لا يرمي للخليفة إلا أنا . =

وفيها قدم إلى القاهرة ككليم الفرنجى الجنوى تاجرا، فاتصل بالملك العادل، وأهدى إليه نفائس . فأعجب [العادل] به، وأمره بملازمته . وكان [كليم] فى باطن الأمر عينا للفرنج، يطالعههم بالأحوال، فقبل هذا للعادل، فلم يلتفت إلى ما قبل عنه .

ومات فيها يوسف بن الأسعد بن ممتى، فى رابع بن جمادى الأولى، بالقاهرة . . ومات
(٢) الأمير سياروخ، فى خامس عشر رجب .

وفيها قتل غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان [السلجوقى] صاحب قونية، [وقد حدث ذلك فى أوائل السنة، وهو يواقع الأرمن حلفاء الروم، عند بلدة خونامن أعمال آذربيجان] . وكان قد [غلبه أخوه ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان على قونية، وألجأه إلى الفرار منها سنة اثنتين وتسعين وخمسة مائة . ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة، وقام بعده فى قونية ابنه قلع أرسلان بن ركن الدين . وعند ذلك] عاد كيخسرو [إلى بلاده]، بعد فراره إلى حلب [وغيرها] . وملك [كيخسرو] قونية ثانيا، بعد خطوب جرت له، وقد قبض أهلها على

= وكان لرى البندق شأن كبير فى العصور الإسلامية الوسطى، بالعراق والشام ومصر وفارس وغيرها . وخط البندقانيين بالقاهرة ينسب إلى صناعة أقواس البندق . ثم تفتنوا فى رى البندق بالمزاريق أو الأنايب، بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب، بما يشبه (١٥٤) أنابيب البنادق . فلما اخترعوا البارود، صاروا يرمون البندق به من تلك الأنايب، وسما هذه الآلة بندقية، نسبة إليه . ومن قبيل رى البندق رى النشاب فى البرجاس، وهو غرض فى الهواء، أو على رأس رخ أو نحوه، يطلبون إصابته بالنشاب . وهى لعبة فارسية، أول من لعبها من الخلفاء الرشيد . راجع أيضا ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ١٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧؛ والمقرزى : المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣١ - ٣٢؛ و (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . هذا ويرى (Blochet : Op. cit. P. 297. N. 1) أن النظام الذى ابتدعه الخليفة الناصر العباسى أصل هيات وجمعيات الفروسية الأوربية فى القرون الوسطى .

(١) كذا فى من غير ضبط، والراجع أن هذا الرسم تعريب اسم (Guillaume)، على أنه يوجد فى أبى القداء (المختصر فى أخبار البشر، ص ١٥، فى Rec. Hist. Or. I.)، تحت سنة ٥١٨ هـ، أى فى أوائل أيام الحروب الصليبية بالشام، أن جوسلين كورتنيه، صاحب تل باشر والرها فيما بعد، وقع أسيرا فى يد المسلمين، "وأمر معه ابن خاله كليم"، واسمه الصحيح (Galeran) . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) . (٢) كذا فى من غير ضبط، وترجمه (Blochet : Op. cit. p. 297) إلى (Shéhrokh) . (٣) أضيف ما بين الأقواس فى هذه الفقرة لتوضيح العبارة، وذلك بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Kaikhusraw I.) .

قلج أرسلان بن ركن الدين . ثم قُتل كيخسرو بعد ما استفحل أمره ، وولى ابنه [عز الدين] كيكائوس بن غياث الدين .

وفيهما كانت وقعة بين حاج العراق وبين أهل مكة بمكة ، قُتل فيها عبد للشريف قتادة اسمه بلال ، فقبل لها سنة بلال .

♦ ♦ ♦

سنة ثمان وثمانمائة . فيها قبض الملك العادل على الأمير عز الدين أسامة^(١)

الصلاحى ، نائب كوكب وعجلون ، واعتقله وأخذ جميع ماله ، وسيره إلى الكرك ، فاعتقل فيها هو وولده . وتسلم الملك المعظم قلعة كوكب وعجلون ، وهدم قلعة كوكب ، وعفى أثرها . وفيها

توجه الملك العادل إلى الإسكندرية ، لكشف أحوالها . وفيها قدم بهاء الدين بن (٤٧ ب) شداد من حلب إلى القاهرة ، يخطب صافية [خاتون] ابنة العادل شقيقة الكامل ، لابن عمها الظاهر .^(٢)

فأجيب إلى ذلك ، وعاد مكرما . وفيها ماتت أم الملك الكامل ، يوم الأحد خامس عشرى صفر ، فدفنت عند قبر الإمام الشافعى . ورتب ابنها عند قبرها القراء والصدقات ، وأجرى

الماء من بركة الحبش إلى قبة الشافعى ، ولم يكن قبل ذلك . فنقل الناس أبنية القرافة الكبرى إلى هذه القرافة من حينئذ ، وعمروها .^(٣)

(١) فى س سامة .

(٢) كان ابن شداد وزير الظاهر صاحب حلب منذ سنة ٥٩١ هـ ، وهو القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع المشهور ، صاحب كتاب النوارى السلطانية والمحاسن اليوسفية . ويوجد ابن شداد آخر ، وهو مؤرخ أيضا ، واسمه عز الدين أبو عبد الله محمد ، توفى سنة ٦٨٤ هـ ، وله كتاب العلائق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة . (Enc. Isl. Art. Ibn Shaddād) . (٣) كانت هذه البركة تعرف أولا ببركة المغافر وبركة حمير ،

وعرفت أيضا بإصطبل فرقة . وهى من أشهر برك مصر فى القرون الوسطى ، وموقعها بظاهر مدينة القسطنطينية من قبلها ، فيما بين الجبل والنيل . وكانت أرضها مواتا ، فزرعها قرزة بن شريك العيسى أمير مصر (٩١ - ٩٦ هـ) من قبل الأمويين ، وأحياها وغرستها قسبا ، ولهذا عرفت بإصطبل فرقة ، كما عرفت بإصطبل قماش أيضا . ثم تغيرت عليها الأسماء ، حتى صارت تعرف ببركة الحبش ، وجعلت وفقا على الطالبين ، بنى على بن أبى طالب ، فاشتهرت ببركة الأشراف . وكانت بركة الحبش من أكبر منزهات مصر ، يهرع إليها الناس فى أعياد النوروز والفتاس بالميلاد والمهرجان وعيد الشعانين . وقد بنى عندها الخليفة الأمر الفاطمى منظره ، سميت بمنظره بركة الحبش . وكان ماء النيل يدخل إلى هذه البركة من خليج بنى وائل ، مما يلي باب مصر من الجهة القبلية ، وهو الذى عرف أيام المقرزى بباب القنطرة . (المقرزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٨٦ ؛ ج ٢ ، ص ١٥٢ - ١٥٧) .

وفيها خرج العادل من القاهرة، فسار إلى دمشق، وبرز منها يريد الجزيرة، فوصل إليها ورتب أحوالها، وعاد إلى دمشق، ومعه كليام الفرنجي .

وفيها انقضى أمر الطائفة الصلاحية، بانقضاء الأمير قراجا، والأمير [عز الدين] أسامة، والأمير [نجر الدين] جهار كس، وصفت حصونهم للعادل وابنه المعظم . وفيها نقل أولاد العاضد [الفاطمي] وأقاربه إلى قلعة الجبل، في يوم الخميس ثاني عشر رمضان . وتولى وضع القيود في أرجلهم الأمير نجر الدين الطونبا أبو شعرة بن الدويك، والى القاهرة . و [كانت] عدتهم ثلاثة وستون نفساً .

وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة، هدمت عدة دور بالقاهرة ومصر . وزلزلت الكرك والشوبك، فمات تحت الهدم خلق كثير، وسقط عدة من أبراج قلعتها . ورؤى بدمشق دخان نازل من السماء إلى الأرض، فيما بين المغرب والعشاء، عند أرض قصر عاتكة .

وفيها مات الموفق بن أبي الكرم التنيسي، في يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول . ومات ظافر بن الأرسوف بمصر، في سلخ رجب . وفيها اجتمع بالإسكندرية ثلاثة آلاف تاجر، وملكان من الفرنج . فسار العادل وقبض [على] التجار، وأخذ أموالهم، وسجن الملكين .

وفيها، أعنى سنة ثمان وستمائة، كانت فتنة بين حاج العراق وبين أهل مكة، سببها أن حشيشيا جاء لقتل الشريف قتادة، فقتل شريفا اسمه أبو هارون عزيز، ظناً منه أنه قتادة . فثارت الفتنة، وانهزم أمير الحاج، ونهب الحاج عن آخره . وفر من مكة من بمكة

(١) في س عمامه بفتح السين والميم . (٢) كذا في س، وبغير ضبط . وليس بالمراجع المتداولة

بالحواشي ما يشيئ بشئ. يذكر إلى هذا الأمير، على أنه يوجد في ابن شداد (النوادر السلطانية، ص ٣٠٦ .

في Rec. Hist. Or. III.) من اسمه الطنبا، وقد صححه الناشر إلى التونبغا مع التشكك، وعرفه بأنه كان عتيقاً

للك العادل . (٣) بلى هذه الكلمة العبارة الآتية، وهي شطوية، لتدارك المؤلف ذكرها قبل ذلك (ص ١٧٤)،

ونصها: "ماتت أم الملك الكامل بالقلعة في يوم الأحد خامس عشر صفر" . (٤) في س سكدوره .

(٥) العبارة التالية، إلى آخر حوادث السنة، موجودة على ورقة منفصلة، بين الصفحتين (٤٨ ب، ٤٩ أ).

وواضح أن هذه الورقة لصقت هناك خطأ، إذ بالعبارة الدليل الكافي لبرهنة ذلك .

من نواب الخليفة، ومن المجاورين . فبعث الشريف قتادة ولده راجح بن قتادة إلى الخليفة
يعتذره عما جرى، فقبل عذره، وعفى عنه .

سنة تسع وستمائة . فيها نزل العادل بعساكره حول قلعة الطور، وأحضر الصناع
من كل بلد، واستعمل جميع أمراء العسكر في البناء ونقل الحجارة . فكان في البناء خمسمائة بناء،
سوى الفعلة والنحاتين . وما زال مقيا حتى تلت . وفيها قدم ابن شتاد من حلب إلى دمشق
بمال كثير وخلع، برسم عقد نكاح صافية [خاتون] ابنة العادل، على ابن عمها الظاهر صاحب
حلب، فخرج إلى لقائه عامة الأمراء والأعيان . وعقد النكاح في المحرم، على مبلغ خمسين
ألف دينار . وتبر الثار على من حضر بقلعة دمشق، وذلك في المحرم . ثم جهزت إليه
بجلب في تجمل عظيم، من جملة قماش وآلات ومصاغ، يجمه خمسون بغلا، ومائة بختي^(٢)،
وثلاثمائة حمل، وجواري في المحامل، على مائة حمل، منهن مائة مغنية يلعبن بأنواع
الملهى، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة . فكان دخولها إلى حلب يوما عظيما .
وقدم لها الظاهر تقادم : منها خمسة عقود جواهر بمائة وخمسين ألف درهم، وعصابة^(٣)
جواهر لا نظير لها، وعشر قلائد عنبر مذهب، وخمس قلائد بغير ذهب، ومائة وسبعون^(٤)
قطعة من ذهب وفضة، وعشرون تخنا من ثياب، وعشرون جارية، وعشرة خدام^(٥) .

وفيها عزل المهام بن هلال الدولة من ولاية القاهرة، وولى نحر الدين الطونبا أبو شعرة^(٦)
مملوك المهراني في ... [وفيها] تغيير الملك العادل على الوزير صفي الدين بن شكر، ووقع يده^(٧)
من الوزارة، وأبقى عليه ماله وأخرجه إلى آمد، فلم يزل بها حتى مات العادل . وفيها فوض
العادل تدبير مصر، والنظر في أموالها ومصالحها، إلى ولده الملك الكامل، فرتب [الكامل]

(١) في س حله . (٢) البختي الواحد من الإبل الخراسانية، وهي جمال ضخمة، ذات سنابين ووبر أسود،
تستعمل في أسفار الشتاء، والجمع بخاتي وبخت . (محيط المحيط؛ Lane : Lexicon) . (٣) في س
حس . (٤) في س وسبعين . (٥) في س وعشرين، في الموضوعين . أما التخت فقماش يسان فيه
الثياب . (محيط المحيط) . (٦) انظر ص ١٧٥، حاشية ٢ . (٧) بياض في س .

القاضي الأعز نجر الدين مقدم بن شكر، ناظر الدولتين . وفيها خرج العادل من الشام يريد خلاط، (١٤٨) فسار إليها ودخلها، وفيها ابنه الأشرف، [و] قد استولى على ما به من الأموال^(١).

سنة عشر وثمانئة . فيها تخوف الظاهر صاحب حلب من عمه العادل، وأخذ في الاستعداد، ثم ترأسلا حتى سكن الحال . وفيها ولدت صفية ابنة العادل لابن عمها الظاهر مولودا، سمّاه محمدا، ولقبه بالملك العزيز غياث الدين، وذلك في خامس ذي الحجة . فزينت حلب، واحتفل الظاهر احتفالا زائدا، وأمر فصيح له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وزن بالقناطير، وصاغ [له] عشرة مهود من ذهب وفضة، سوى ما عمل من الأبنوس والصندل والعود وغيره . ونسج للنسبي ثلاث فرجيات من لؤلؤ، في كل فرجية أربعون حبة ياقوت ولؤلؤ وزمرد، ودرعان وخوذتان وبركستوان، كل ذلك من لؤلؤ، وثلاثة سروج مجوهرة، في كل سرج عدة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد، وثلاثة سيوف، علائقها وقبضاتها من ذهب مرصع بأنواع الجواهر، وعدة رماح من ذهب، أسنتها جوهر .

وفيها حج الظاهر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب، فلما قارب مكة صدّه قصاد الملك الكامل محمد بن العادل عن الحج، وقالوا: "إنما جئت لأخذ بلاد اليمن"،

(١) توجد قبالة هذا اللفظ، بهامش الصفحة في س، العبارة التالية: "وفيها مات شهاب الدين بن ظهير الدين... ابن المطار بالقاهرة في رجب . ومات الملك الاوحد [أيوب] بخلاط" . ويظهر أن المقرري أخطأ مكان هاتين الوفايتين، لأن الأوحد نجم الدين أيوب بن العادل، وصاحب خلاط، توفي سنة ٦٠٧ هـ . (راجع أبا الفداء: المختصر في أخبار البشر، ص ٨٦، في Rec. Hist. Or. I، و Lane-Poole: Saladin. Table II, in pocket) . (٢) في س أربعين . (٣) اللؤلؤ هو البلخش، حسبما جاء في القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٢، ص ٩٩ - ١٠٠) . انظر ص ٥٠، حاشية ٨، وكذلك (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . (٤) في س وذرعين وخوذتين . (٥) في س وبرك اسطوان، بفتحة على الواو فقط . والبركستوان غاشية الحصان المزركشة، وتكون لغير الخيول، كالقبيلة . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . ويقابل هذا في الإنجليزية (Caparison)، وفي الفرنسية (Caparaçon)، وأصلهما من اللفظ الإسباني (Caparazon)، كما جاء في المعاجم الإنجليزية والفرنسية . (٦) في س ثلث . (٧) في س ثلاث .

فقال [الظاهر خضر] : "يا قوم! قيدوني، ودعوني أفضى مناسك الحج". فقالوا: "ليس معنا مرهسوم، إلا بزدك". فرد إلى الشام، من غير أن يحج، فتألم الناس لذلك .

وفيها مات الأمير نجر الدين إسماعيل والى مصر بها . وفيها دخل بنو مَرِين إحدى قبائل زناة من القفر، ونهبوا أعمال المغرب، وحاربوا الموحدين وهزموهم، وكان أمير بني مَرِين إذ ذاك عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورصيص بن فُكوس بن كوماط بن مَرِين .

[تمة^(٢)] سنة عشر وثمانمائة . فيها حفر خندق مدينة حلب، فوجد فيه بلاطة صَوَان، عليها أحرف مكتوبة بالقلم السرياني، فترجموه بالعربية، فإذا هو: "لما كان العالم محدثا دل أن له محدثا، لا كهُو"^(٣)، وكتب [تحت هذه الأحرف]: "لخمسة آلاف من السنين خلون من الأسطوان الصغير"^(٤) . فقلعت البلاطة، فوجد تحتها سبع عشرة قطعة من ذهب وفضة وصورى، على هيئة اللين، فاعتبرت فكان الحاصل منها ذهبا ثلاثة وستين رطلا بالحلي، وكان منها فضة أربعة وعشرين رطلا، وحلقة ذهب وزنها رطلان ونصف رطل، وصورى عشرة أرطال ونصف، فكان الجميع زنته قنطار واحد بالحلي^(٥) .

(١) كذا في س .

(٢) العبارة الآتية إلى آخر السنة، واردة في ورقة منفصلة في س، بين الصفحتين (٤٧ ب، ٤٨ أ) . وقد حذف كاتب النسخة ب (٥٨ ب) العنوان كما دته، واكتفى بكتابة "وفيها حفر خندق ...". (٣) في س : محدث . (٤) أشكلت هذه الكلمة على المقرئ، فكتب فوقها "كذا"، وضبط كلمة الصغير بفتح الصاد، ولم يستطع الناشر أن يصل إلى توضيحها من المراجع والوسائل التي تبسرت له . هذا وقد ترجم (Blochet: Op. cit. p. 304) العبارة كلها إلى : "Ces inscriptions étaient datées de cinq mille ans a très peu de chose près". (٥) كذا في س، وقد كتب المقرئ فوق هذا اللفظ أيضا "كذا" .

(٦) في س وستون . (٧) في س وعشرون . (٨) توجد "كذا" فوق هذا اللفظ أيضا . (٩) وردت أخبار هذا الحفر، وظهور البلاطة، وما تحتها من معدن، في العيني (عقد الجمان، ج ١، قسم ٢، ص ٣٤٣)؛ وفي ابن العماد (شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٩) دون أية إشارة إلى لفظي "الأسطوان" و"صورى"، ولا إلى الكتابة السريانية .

* * *

سنة إحدى عشرة وستمائة . فيها فتر الملك المنصور بن العزيز [عثمان بن صلاح الدين يوسف] من اعتقال عم أبيه الملك العادل، ولحق بالظاهر صاحب حلب، [ولأذبه] هو وإخوته، فأكرمهم [الظاهر] . وفيها تجمع فرنج قبرس وعكا وطرابلس وأنطاكية، و[انضم إليهم] عسكر ابن لاون ملك الأرمن، لقصد بلاد المسلمين، فخافهم المسلمون . وكان أول ما بدأوا به بلاد الإسماعيلية، فنازلوا [قلعة] الخواي^(١)، ثم ساروا عنها إلى أنطاكية . وفيها ظفر السلطان عز الدين كيكافوس بن كيخسرو بن قلعج أرسلان السلجوقي، صاحب بلاد الروم، بالأشكري ملك الروم . وفيها خرج الملك العادل من الشام يريد مصره، فنزل في القاهرة بدار

(١) بغير ضبط في س، ويقع هذا الحصن الجبلي على خمسة عشر ميلا من أنطارسوس .

(Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 485, & Index).

(٢) يطلق المتأخرون من مؤرخي المسلمين هذا الاسم على أباطرة الدولة البيزنطية، منذ أوائل القرن السابع الهجري . ذلك أنه لما استولت جيوش الفرنج اللاتين، الذين عرفتهم بالحرب الصليبية الرابعة، على القسطنطينية سنة ٦٠٠ هـ (انظر ص ١٦٣)، خلعوا إمبراطورها (Alexius III)، وأقاموا بدله واحدا منهم، واسمه (Baldwin, Count of Flanders) . ثم ما لبث الوطنيون من البيزنطيين أن وجدوا في (Theodore Lascaris I)، زوج ابنة الإمبراطور المخلوع، زعيما لهم في حركة إخراج اللاتين، فتوجه إمبراطورا بمدينة نيقية سنة ١٢٠٦ م . وحكم "الأشكري" (Lascaris) هذا إمبراطورية الروم بنيقية، حتى وفاته سنة ١٢٢٢ م . (Camb. Med. Hist. IV. pp. 423, 425, 427). وهذا الإمبراطور هو الذي قتل السلطان غياث الدين كيخسرو السلجوقي، سنة ١٢١٠ م . (انظر ص ١٧٣). ثم ظفر به عز الدين كيكافوس بن كيخسرو، كما في المتن، وكان قد وقع في يد التركان، فأسلوه إليه . (أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ص ٨٦، ٨٧، في Rec. Hist. Or. I.) . وخلف الأشكري هذا في إمبراطورية نيقية زوج ابنته، واسمه (John III.)، حتى توفي سنة ١٢٥٤ م . ثم حكم الإمبراطورية بعد هذا الإمبراطور ولده الوحيد (Theodore Lascaris II.)، حتى توفي سنة ١٢٥٨ م . وقد ترك هذا الإمبراطور الثالث ولدا فاصرا على عرش نيقية، واسمه (John IV.)، نقله وصيه (Michael Paleologus)، وأعلن نفسه إمبراطورا سنة ١٢٥٩ م، باسم (Michael VIII)، وهو الذي وصفه القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٠٢) بأنه "بطريق من بطارقة الروم، شهرته لشكري، واسمه ميخائيل"، يقصد بذلك أنه كان (Patricius)، أي من الأشراف، وليس من رجال الدين . (انظر محيط المحيط؛ و Camb. Med. Hist. IV. pp. 503, 504.) . ولطان الدولة البيزنطية عليها، كما كان من قبل . (Op. Cit. IV. pp. 509-516). ويلاحظ أن ميخائيل هذا ليس من بيت الأشكري الأول، بل هو سليل أسرة أخرى بالقسطنطينية، غير أن اسم الأشكري غلب على أباطرة الدولة البيزنطية عامة . (القلقشندي: نفس المرجع والجزء والصفحة) . انظر أيضا ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١٢٦) .

الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل . و [أمر العادل أن يقيم] معه كليا^(١)م [الفرنجي الجنوي] بدار الوزارة ؛ وفيها ورد الخبر بموت سنقر أتابك اليمن ، واستقر بعده الملك الناصر أيوب [صاحب اليمن في ملكه] ، وقام بأتابكته غازي ؛
 وفيها شرع الملك العادل في تبليط جامع بني أمية [بدمشق] ، وكانت أرضه حفراً وجوراً^(٢) ، وتولى العمل الوزير صفى الدين بن شكر . وفيها تعامل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس السود العادلية ، ثم بطات بعد ذلك ، وقنيت . وفيها تولى سهم الدين عيسى القاهرة في شوال ، وتولى جمال الدين ابن أبي المنصور وكالة بيت المال [بها] . ومات سعد بن سعد الدين بن كوجيا في عشري ربيع الآخر .

وفيها حج الملك المعظم عيسى بن العادل من دمشق ، وحج معه الشريف سائم بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة النبوية . فعزم الشريف قتادة أمير مكة على مسكه ، فلم يتمكن منه ، فعاد [الشريف سالم] صحبة الملك المعظم إلى دمشق . فبعثه المعظم على عسكر إلى مكة ، فمات في الطريق قبل وصوله مكة ، فقام حماز بن قاسم - وهو ابن أخيه - بتدبير الجيش . فجمع قتادة ، وسار إلى ينبع ولقيه ، فهزم قتادة .

سنة اثنتي عشرة وسمائة . فيها نازل الفرنج [قلعة] الخوابي ، وحاربوا الباطنية ، ثم صالحوهم . وفيها سير الخليفة الناصر [لدين الله] كتابه الذي ألفه وسماه روح العارفين ، إلى الشام ومصر وغيرها ، ليُسَمَّع . وفيها ملك الفرنج أنطالية^(٦) ، وقتلوا من بها من المسلمين .

(١) في س "رمعه كلنام (كذا) بدار الوزارة" وقد أضيف ما بين القوسين لتوضيح العبارة . (انظر ص ١٧٣) .

(٢) ضبط المقرئ الحرف الأول من الكلمتين بالضم . وفي محيط المحيط : الجورة هي الحفرة ، وما انخفض من

الأرض ، والجمع جور . (٣) معنى القراطيس هنا القضبان من الفضة ، (Dozy : Supp. Diet. Ar.) ،

غير أن وصفها بالسواد يدل على أنها من نحاس . (انظر ص ٩٩ ، حاشية ١) . (٤) كذا في س ، وبغير ضبط ،

وهو مترجم في (Blochet : Op. cit. p. 306) إلى (Kōūkiā) .

(٥) كتاب في الحديث . انظر (Blochet : Op. cit. p. 306 . N. 3) . (٦) في س انطاكية ،

وبغير ضبط . ورنطاً المقرئ واضح من بية العبارة ، بالصفحة التالية . وأنطالية نمر حصين ، بأصيا الصغرى ، على شاطئ

البحر الأبيض المتوسط . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٨٨) .

(١) وكانت بيد الملك [غياث الدين كيخسرو، منذ فتحها سنة اثنتين وستمئة، إلى أن أجلاه الفرنج عنها سنة سبع وستمئة. ثم استردها منهم الملك] الغالب عز الدين كيكائوس [سنة ثلاث عشرة وستمئة، بعد أن بقيت بأيدي الفرنج تلك المدة. وفي هذه السنة أيضا سار عز الدين إلى بلاد الأرمن، وحاصر قلعة جابان، وهزم عندها جيوش الأرمن، ورجع إلى قيصرية قبل أن يستولى على قلعة جابان. ثم طلب الأرمن الصلح، وأجابهم إليه عز الدين]، (٨؛ ب) فأخذ [في مقابل الصلح] من بلاد الأرمن قلعة لؤلؤة [ولو زاد].

(٢) وفيها مات الملك المعظم أبو الحسن علي بن الخليفة الناصر [لدين الله، وهو أصغر أولاده]، فلما قدم نعيه على ملوك الأطراف جلسوا في العزاء، لابسين شعار الحزن، خدمة للخليفة.

وفيها سير الملك الكامل ابنه الملك المسعود صلاح الدين يوسف إلى اليمن، فخرج في جيش كثيف من مصر، وسار إلى بلاد اليمن، فاستولى على معانها، وظفر بصاحبها الملك سليمان شاه ابن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب. فسيره تحت الحوطة إلى مصر، فأقام بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستمئة، فخرج إلى المنصورة غازيا، فقتل شهيدا. ودانت بلاد اليمن للملك المسعود.

وفيها عاد الملك العادل من الشام إلى القاهرة، فلما قرئ عليه ما أنفق على الملك المسعود في خروجه إلى اليمن استكثره. وأنكر [العادل] خروجه، فإنه كان بغير أمره. وأمر [العادل] بالقاضي الأعز فُضرب وقيد، واعتقل بقلعة الجزيرة، ثم حمله إلى قلعة بصرى، فسجنه بها. وفيها

(١) أضيف ما بين الأقواس للتوضيح، وهذا بعد مراجعة (Enc. Isl. Arts. Kaikaus I. & Kaikhusraw. I.).

وقد ضبطت الأعلام، التي استلزمها العبارة، على منطوقها في هاتين المقتاتين.

(٢) أفرد ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٠١-٢٠٢) فصلا وفاة أبي الحسن هذا، قال فيه إن

”الخليفة حزن عليه حزنا لم يسمع بمثله، حتى أنه أرسل إلى أصحاب الأطراف يتهاهم عن إنقاذ رسول إليه يعزيه بولده، ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة، وانقطع وخلا بهومه وأحزانه، ورؤى عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله... وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة، فقيل إن ذلك صوت الخليفة...“ (٣) في س معانها.

نقل العادل أمواله وذخائره وأولاده إلى الكرك^(١). وفيها وعك بدنه. وفيها أ بطل الملك العادل ضمان
الخمر والقيان^(٢).

وفيها مات تقي الدين اللر، شيخ الخانقاه [الصلاحية، دار] سعيد السعداء، في المحرم. وفيها

(١ و ٢) ما بين الرقين جزء من هامش بالصفحة في س، وبقيته تكرر لما سبق وروده عما حدث بين الشريف
قتادة أمير مكة، والشريف سالم أمير المدينة النبوية، بمخاضه (انظر ص ١٨٠). على أن هذا التكرار لم يخل من المنفعة له
فقد قولت العبارة السابقة عليه، وهذا نصه: "وفيها حاصر الشريف قتادة أمير مكة المدينة النبوية، وقطع نخلا كثيرا.
وكان أمير المدينة النبوية عند الملك العادل بالشام، فبعث معه جيشا، وسارقات في الطريق. فقام بأمر الجيش ابن أخيه
جهاز بن قاسم، وسار إلى مكة، وقاتل أهلها، وهزم قتادة إلى البنيح، وغنم شيئا كثيرا، وتبع قتادة، وحصره بينبع".
(٣) بغير ضبط في س، وهو اسم يطلق على شعبة من الأكراد، ويسمون اللورية. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ
ج ٩، ص ٢٧٣، ٣٥٦؛ ج ١١، ص ١٥٧).

(٤) في س شيخ خانكاه. والخانقاه والرباط والزاوية، وجمعها خوانق ورباطات وزوايا، معاهد دينية إسلامية،
للرجال والنساء. وهي كالأديرة في المسيحية، ويطلق الرباط أحيانا على الدير المسيحي، كما يقال للراهب المسيحي رابط.
غير أن تلك المعاهد الإسلامية لم تكن يوما للرهبة، وإنما أنشئت لإيواء المنقطعين للعلم، والزهاد والعباد. وكان غرض
منشئها، والمتصدقين عليها، فعل الخير واكتساب الثواب. ولفظ الرباط والزاوية عربيان، فأصل الرباط مكان إقامة
الحامية المرابطة عند ثغور العدو، كما أن الزاوية في الأصل الركن من الدار، أو المكان عامة. (محيط المحيط). أما الخانقاه
ففارسية، ومعناها البيت، وهي حديثة في الإسلام، — في حدود الأربعمئة — وجعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة
والتصوف. وأول من أحدث الخوانق في مصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكانت الخانقاه التي أسأها دارا تعرف
أولا بدار سعيد السعداء، نسبة إلى الأستاذ قنبر سعيد السعداء، عتيق الخليفة المستنصر الفاطمي. "وكانت هذه
الدار مقابل دار الوزارة، فلها كانت وزارة العادل رزبك بن الصالح طلائع بن رزبك سكنها، وفتح من دار الوزارة إليها
سردابا تحت الأرض، ليرفيه. ثم سكنها الوزير شاور بن مجير في أيام وزارته، ثم ابنه الكامل. فلها استبد الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب بن شادي ملك مصر، بعد موت الخليفة العاضد، وغير رسوم الدولة الفاطمية، ووضع من قصر الخلافة،
وأسكن فيه أمراء دوله الأكراد، عمل هذه الدار برسم القهه الصوفية، الواردين من البلاد الشاسعة. ووقفها عليهم
في سنة تسع وستين وخمسمئة، وولى عليهم شيخا، ووقف عليهم بستان الحباينة، بجوار بركة الفيصل خارج القاهرة،
وقيساوية الشراب بالقاهرة، وناحية دهمرو (كذا) من البنسأوية. وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين
دينارا فما دوما، كات للمقراء، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني؛ ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره. ورتب
لصوفية في كل يوم طعاما ولحما وخبزا، وبنى لهم جواما بجوارهم، فكانت أول خانكاه (كذا) عملت بديار بمصر. وعرفت
بدورية الصوفية، ونمت شيخها بشيخ الشيوخ، واستمر ذلك بعده... (المقرزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢،
ص ٤١٤ — ٤١٦؛ و ٣٤٠، p. 34 et seq., G.-Démombynes: Op. cit. Pref. pp. LXXVIII et seq.).

مات ابن سوروس^(١) بن أبي غالب بطريق أيعاقبة^(٢) ، في يوم الخميس عيد الغطاس ، سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة للشهداء - وهو الرابع عشر من رمضان - وله في البطركية مدة ست وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً . وكان أولاً يتجر إلى بلاد اليمن ، فغرق [مرة] ، وجاء الخبر بأن لم يسلم سوى بحشاشته . وكان لأولاد الجباب^(٣) معه مال ، فأيسوا منه . فلما اجتمع بهم أعلمهم أن ما لهم سليم ، فإنه كان قد عمله في مقابر من خشب ، وسمرها في المركب ، وأحضره إليهم . فتميز عندهم بذلك ، حتى مات البترک مرقص بن زرعة^(٤) . فتحدث ابن سوروس في البترکة للقس أبي ياسر ، وكان مقياً بالعدوية^(٥) . فحسن له بنو الجباب^(٦) أن يقوم هو بأمر البترکة ، فتحدث في ذلك ، وزكوه فتولى . وكان معه يومئذ سبعة عشر ألف دينار مصرية ، فزرقها في مدة بطركيته على الفقراء ، وأبطل الديارية^(٧) ، ومنع الشرطونية^(٨) ، ولم يأكل في ولايته كلها لأحد من النصارى خبزا ، ولا قبل لصغير ولا لكبير منهم هدية . وكان القس داود بن يوحنا - المعروف بابن لقلق^(٩) ، من أهل الفيوم - ملازما للدميخ نشء^(١٠) الخلافة أبي الفتوح بن الميقاط ، كاتب الجيوش

(١) في س اساسوس ، وبغير ضبط ، واسمه أبو الماجد بن أبي غالب بن سوروس ، واتخذ اسم حنا السادس

لما تولى البطركية ، سنة ٥٨٥ هـ .

(Butcher : Church of Egypt. II. pp.115, 120, 123; Blochet : Op. cit. p. 308. N. 1.)

(٢) كذا في س ، ويلاحظ أنها واردة ، وكذلك لفظ البطركية المشتق منها ، بالتاء بدل الطاء ، في نفس

الصفحة في س . (انظر سطر ٦ ، ٧ هنا) .

(٣) بغير ضبط في س ، انظر (Blochet: Op. cit. p. 308. N. 1.) . (٤) بغير ضبط في س .

انظر بعض أخباره في (Butcher: Op. cit. II. pp.87-89 et seq.) . (٥) في س اساسوس .

(٦) قرية جنوبي القسوط ، على شاطئ النيل ، بها دير اسمه دير الطين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ،

ص ٢٨٦ ؛ ج ٣ ، ص ٦٢٤) . (٧) في س الجباب . (٨) نسبة إلى الديار ، وهو رئيس

الدير ، ويظهر أن الطريق كان يفرض على الأديرة ضريبة بهذا الاسم . (المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٣ ،

ص ٥٠١) . (٩) بغير ضبط في س ، وفي محيط المحيط ، "شرطن الأسقف الراهب ، أي رسمه قسا ،

بوضع يده عليه . وهو مأخوذ من الشرطونية ، عبرت نرتونيا باليونانية ، ومعناها وضع اليد ... " . ويتضح من

قول المقريزي أن الشرطونية كانت ما يدفعه القس للكنيسة عند ترسيمه . (Dozy Supp. Dict. Ar.) .

(١٠) بغير ضبط في س . انظر (Butcher : Op. cit. II. p. 124) . (١١) في س نشو .

(١) العادلية ، و [كان] يسافر معه ويصلي به . فلما (١٤٩) مات ابن سوروس سأل أبو الفتوح الملك العادل أن يولى القس داود البطريركية ، فأجابه وكتب له توقيعا بذلك ، من غير أن يعلم الملك الكامل . فلم يعجب بعض النصارى ولاية داود ، وقام منهم رجل يعرف بالأسعد ابن صدقة ، كاتب دار التُّفَّاح بمصر ، وجمع كثيرا من النصارى العصارين بمصر ، وطلع في الليلة التي وقع الاتفاق على تقديم القس داود في صبيحتها ، ومعه الجمع إلى تحت قلعة الجبل . واستغاثوا بالملك الكامل ، وقالوا : " إن هذا الذي يريد أبو الفتوح عمله بطركا بغير أمرك ما يصلح . ونحن في شريعتنا لا يقدم البطريرك إلا باتفاق الجمهور عليه " . فخرج إليهم الأمر [من عند الكامل] بتطيب قلوبهم . وفي سحر النهار ركب القس داود ، ومعه الأساقفة - وعالم كبير من النصارى - ليقدموه بكنيسة المعلقة بمصر ، وكان ذلك يوم الأحد عيد الزيتونة . فركب الملك الكامل إلى أبيه ، وعرفه أن النصارى لم يتفقوا على بطريركية داود ، ولا يجوز عندهم تقدمته إلا باتفاق جمهورهم ، فسير الملك العادل إلى الأساقفة ليحضرهم حتى يتحقق الأمر ، فوافقهم الرسل مع القس داود ، عند زقاق كنيسة الحمراء . فاحضرت الأساقفة إلى الملك العادل ، ودخل داود إلى كنيسة الحمراء ، وانحل أمره ، وخلا الكرسى من بطريق ، تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما .

(١) في س أنانوس . (٢) لم يترجم . (Blochet: Op. cit. p. 309) ما يلي هذا من أخبار تلك الأزمنة في الكنيسة القبطية ، على أنها موجودة في ب (١٥٩) . (٣) في س الفاح بغير ضبط ، وكانت دار التفاح فندقا تجاه باب زويلة ، يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها ، مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة . (المقريري : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٣) . وكان بدمشق أيضا دار مشابهة لها ، اسمها دار البطيخ والفاكهة (G. Demombynes : Op. cit. p. 151).

(٤) موضع هذه الكنيسة بخط فناطر السباع ، فيما بين القاهرة ومصر ، وقد بنيت سنة ١١٧ هـ ، وكانت تعرف أولا بكنيسة بومنا (يوحنا؟) . وكانت معظمة عند النصارى ، لانقطاع كثير من المتعبدين بها ، ويحمل إليها نصارى مصر سائر ما يحتاج إليه ، ويبعثون إليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة . (المقريري : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٢) . (٥) وافق الملك الكامل أخيرا على اعتلاء القس داود كرسى البطريركية ، وتسمى باسم كيرلس الثالث (Cyril III) . انظر (Butcher : Op. cit. II. pp. 123-126, 131-132, 135-138, 139 et seq).

وفي جمادى الأولى صرف الملك العادل زكى الدين الطاهر بن محيى الدين محمد بن على القرشى عن قضاء دمشق ؛ وألزم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الحرستانى بولاية القضاء [بها]؛ وله [من العمر] اثنتان وتسعون سنة . وفيها قدم إلى القاهرة من الشرق رجل معه حمار، له سنام كسنام الجمل، يرقص ويدور، ويستجيب له إذا دعاه ..

سنة ثلاث عشرة وستمائة . فيها ولى بهاء الدين^(٢) بن الجميزى خطابة القاهرة، فى ثالث عشر المحرم . وولى أبو الطاهر المحلى خطابة مصر، فى ثانى صفر . [وفيها] سار الملك العادل من القاهرة إلى الإسكندرية، فرتب أمورها وعاد . وفيها قدم البهاء بن شداد برسالة الظاهر من حلب إلى العادل، وهو بالقاهرة . فرض الظاهر فى خامس عشرى جمادى الأولى، ومات فى ليلة الثلاثاء، العشرين من جمادى الآخرة، عن أربع وأربعين سنة وأشهر، ومدة تملكه بحلب إحدى وثلاثون سنة . وكان قد سمع الحديث وأسمعه بحلب، وكان سفاكا للدماء، شهما يقظا صاحب سياسة، وله شعر حسن . وقام من بعده ابنه الملك العزيز غياث الدين محمد، وعمره يومئذ سنتان وأشهر، بعهد [من] أبيه . وكان الملك العادل - عند ما مرض الظاهر - رتب بريدا من مصر إلى حلب يطالعه بنجبره، فأتاه نعيه قبل كل أحد . فأحضر [الملك العادل] ابن شداد، وقال له : "يا قاضى ! صاحبك قد مات فى ساعة كذا من يوم كذا" . فعاد ابن شداد إلى (٤٩ ب) حلب .

وفيها كان ابتداء خروج التتر من بلادهم الجوانية إلى بلاد العجم . وفيها قدم الشريف قاسم من المدينة النبوية، فأغار على جدة، فخرج إليه الشريف قتادة أمير مكة، وكسره يوم عيد النحر .

(١) نسبة إلى حرستا، وهى قرية كبيرة، فى وسط بساتين دمشق، على مسافة فرسخ منها، فى الطريق إلى حمص . وكان الشيخ عبد الصمد "تقة محتاطا، وكان فيه عسر وسل، فى الحديث والحكومة، ومولده سنة ٥٢٠ هـ" . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤١) . انظر ص ١٨٨ . (٢) بياض فى مس . (٣) فى مس ثلاثين . (٤) فى مس واشهرا .

* * *

سنة أربع عشرة وستمائة . فيها وصل الشيخ صدر الدين بن حمويه من بغداد،
بجواب رسالة الملك العادل إلى الخليفة الناصر [لدين الله] .

وفيها نتابعت أمداد الفرنج في البحر من روما وغيرها إلى عكا، وفيهم عدة من ملوكهم -
وقد تقضوا الصلح، وعزموا على أخذ القدس، وسائر بلاد الساحل وغيرها - فعظم جمعهم .
فخرج العادل من مصر بعساكره ، وسار إلى لد . فبرز الفرنج من عكا في خلق عظيم ، فرحل
العادل على نابلس ، ونزل في بيسان . فقال له ابنه المعظم لما رحل : " إلى أين يابيه ؟ " . فسبه
[العادل بالعجمية] ، وقال : " [بمن أقاتل ؟] أقطعت الشام ممالكك ، وتركت من ينفعني من
أبناء الناس [الذين يرجعون إلى الأصول] ، وذكر كلاما في هذا المعنى (٣) .

فقصده الفرنج ، فلم يطق لقاءهم ، لقلعة من معه . فاندفع من بين أيديهم على عقبه فيق ، وكتب
بتحصين دمشق ، ونقل الغلات من داريا إلى القلعة ، وإرسال الماء على أراضي داريا وقصر حجاج
والشاعور . ففزع الناس وابتهلوا إلى الله ، وكثر ضجيجهم بالجامع . فزحف الفرنج على بيسان -
وقد اطمأن أهلها بنزول العادل عليهم - فاتهبوها وسائر أعمالها ، وبدلوا في أهلها السيف ، وأسروا

(١) في م ص د . انظر أبا النداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ٩٥ ، ١١٢ في Rec. Hist. Or. I ،
وكذلك (Blochet : Op. cit. p. 311. N. 2.) .

(٢) يوجد في (Blochet : Op. cit. p. 311. N. 3.) تفصيلات من كتاب مفرج الكروب لابن واصل ،
عن تلك الحملة الصليبية ، وهي المعروفة في التاريخ بالخمسة . (٣) أضيف ما بين الأقواس من أبي شامة
(كتاب الروضتين ، ص ١٦٢ ، في Rec. Hist. Or. V.) . (٤) بغير ضبط في م ، وفي بلد ،
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٣٢) بين دمشق وطبرية ، ويقال لها أفيق أيضا . (Blochet : Op. cit. p. 312. N. 3.)
(٥) بغير ضبط في م ، وهي قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، والنسبة إليها داريا ،
على غير قياس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٣٦) . (٦) يطلق لفظ قصر ، مضافا لاسم آخر ،
وعلى كثير من المواضع حول دمشق ، مثل قصر أم الجلمح ، وقصر بني عامر . ويقع قصر حجاج ، وهو بغير ضبط في م ،
عند ظاهر باب الجابية ، وهو محلة كبيرة ، ترجع في نسبتها إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان . (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٤ ، ص ١١٠) . انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 312. N. 3.) . (٧) بغير ضبط في م ، وهي
محلة بالبواب الصغير ، ظاهر مدينة دمشق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٣٦) .

وغنموا ما يجمل وصفه . وانبتت سراياهم فيما هنالك ، حتى وصلت إلى نوي^(١) . ونازلوا بانياس ثلاثة أيام ، ثم عادوا إلى مرج عكا ، وقد أنكروا في المسلمين أعظم نكايه . وامتألت أيديهم بالأسرى ، والسبي والغنائم ، وأتلفوا بالقتل والتحريق ما يتجاوز الوصف . فلم يمكثوا بالمرج سوى قليل^(٢) ، ثم أغاروا ثانيا ، ونهبوا صيدا والشقيف ، ورجعوا . وذلك كله من نصف شهر رمضان إلى يوم عيد الفطر .

ونزل العادل بمرج الصفر ، ورأى في طريقه رجلا يحمل شيئا ، وهو يمشى تارة ويقعد أخرى ، فقال له : "يا شيخ ! لا تعجل ، ارفق بنفسك" . فقال له : "يا سلطان المسلمين ! أنت لا تعجل ، أو أنا ؟ إذا رأيناك قد سرت من بلادك ، وتركتنا مع الأعداء ، كيف لا نعجل ؟" .

وعند ما استقر العادل بمرج الصفر ، كتب إلى ملوك الشرق ليقدموا عليه : فأول من قدم عليه أسد الدين شيركوه ، صاحب حمص ، [وهو ابن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين يوسف^(٣)] . ثم إن العادل جهز ابنه المعظم عيسى [صاحب دمشق] ، بطائفة من العسكر إلى نابلس ، كي يمنع الفرنج من بيت المقدس . فنازل الفرنج قلعة الطور ، التي أنشأها العادل ، وجدوا في قتال أهلها ، حتى تمكنوا من سورها ، وأشرفوا على أخذها . فقدر الله أن بعض ملوكهم قُتل ، فانصرفوا عنها إلى عكا ، بعد ما أقاموا عليها سبعة عشر يوما . واتفقت السنة والحال على ذلك ، من إقامة الفرنج بمرج عكا ، والعادل بمرج الصفر .

(١) بغير ضبط في س ، وهي بلدة من أعمال حوران ، وقيل هي قصبها ، بينها وبين دمشق منزلتان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨١٥) .

(٢) في س قليلا . (٣) انظر (Lane-Poole : Saladin, Table II, in pocket) .

(٤) كان قائد الصليبيين في تلك الواقعة "ملك الهنكر" ، وهو (André II. Roi de Hongrie) ، وقد انصرف بعساكره كما في المتن ، أما "بعض ملوكهم" ، الذي قتل في تلك الملحمة ، فاسمه غير موجود في المراجع المتداولة في هذه الخواشي ، وغاية ما هنالك أنه "كند كبير" ، أي (grand comte) . وقد حاول ابن أخت ملك المجر ، بعد انفصال الفرنج عن الطور ، أن يستولى على جبل صيدا ، ففاجأه المسلمون هناك وأسرروه ، بعد أن قتلوا معظم عساكره . (أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص ١٦٢ - ١٦٥ ، في Rec. Hist. Or. V.)

وفيها مات القاضي الأجل قاضي قضاة الشام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي الشافعي جمال الدين بن الحرستاني، في رابع ذي الحجة، ومولده بدمشق في أحد الربيعين، سنة عشرين وخمسمائة. و [مات] الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري، قتله الفرنج على حصن الطور، فنقل إلى القدس، ودفن بتربته. و [مات] الشجاع محمود بن الدباغ، مضحك الملك العادل، وترك مالا جزيلا.

♦ ♦ ♦

سنة خمس عشرة وثمانمائة. فيها اجتمع رأي الفرنج على الرحيل من عكا إلى مصر، والاجتهاد في تملكها. فأقلعوا في البحر، وأرسوا على دمياط، في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول — الموافق لثامن حزيران — على برجيزة^(٢) (١٥٠) دمياط، فصار النيل بينهم وبين البلد. وكان إذ ذاك على النيل برج منيع، في غاية القوة والامتناع، فيه سلاسل من حديد، عظام القدر والغلظ، تمتد في النيل لتمنع المراكب الواصلة في بحر الملح من عبور أرض مصر. وتمتد هذه السلاسل في برج آخر يقابله، وكانا مشحونين بالمقاتلة، ويعرف اليوم مكانهما في دمياط بين البرجين.

(١) مضبوط في س بضم العين فقط. (٢) البريزة في اللغة الناحية وجانب الوادي، (محيط المحيط، والمقرزي: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٢٠٥)، ونقل تلك التسمية راجعة إلى وقوع الجهات المسماة بهذا الاسم عند مجاز النهر.

(٣) تقدم ذكر اهتمام السلطان صلاح الدين يوسف بهذين البرجين، وسلاسلهما (انظر ص ٧٢، حاشية ٣)، وقد أفاض معظم المؤرخين في وصفهما، لمناسبة استيلاء الصليبيين على أحد البرجين، كما سيأتي فيقول أبو شامة (كتاب الروضتين، ص ١٦٧ — ١٦٨، في Rec. Hist. Or. V.) : "قلت وأذكر وأنا بدمشق، حين بلغ الناس أخذ [الفرنج] برج السلسلة. وقد شق [ذلك] على من يعرفه مشقة شديدة، منهم شيخنا أبو الحسن السخاوي، ورأيت يضرب بدا على يد، ويعظم أمر ذلك. وسمعت الفقيه عز الدين بن عبد السلام يسأله عنه، فقال: هو قفل الديار المصرية، وصدق. فإني لما رأيت في سنة ثمان وعشرين [وثمانمائة]... بان لي صحة ما أشار الشيخ إليه. وذلك أنه برج عال، مبني في وسط النيل، ودمياط بجذائه على حافة النيل من غربه، وفي ناحيته سلطان، تمتد إحداها على النيل إلى دمياط، والأخرى على النيل إلى البحيرة، فيمنع (كذا) كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها، إذا أريد ذلك، حين قتال العدو. فهو قفل البلاد بالديار المصرية، إذا أوتقت السلسلة امتنع على المراكب العبور (١٦٨) إليها، ومتى لم يكن (كذا) السلسلة عبرت المراكب، وبلغت إلى القاهرة ومصر، وإلى قوص وأسوان، والله المستعان". انظر أيضا ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٠٨ — ٢١٧، والمقرزي: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٢١٣ — وما بعدها). هذا وقد اعتمد المقرزي في رواية هذه الحوادث، في كتابه هنا، وفي المواعظ والاعتبار، على ابن الأثير، اعتمادا كلياً، وحرافياً تقريباً.

وصار الفرنج في غربى النيل ، فأحاطوا على معسكرهم خندقاً ، وبنوا بدائره سوراً .
وأخذوا في محاربة أهل دمياط ، وعملوا آلات وصرمات^(١) ، وأبراجاً^(٢) متحركة [متحركة] ، يزحفون بها
في المراكب إلى برج السلسلة ليملكوه ، حتى يتمكنوا من البلد . فخرج الكامل بن بلى عنده
من العسكر ، في ثالث يوم من سقوط الطائر ، فجلس خلون من ربيع الأول . وتقدم إلى وإلى
الغربية بجمع سائر العربان ، وسار في جمع كثير . وخرج الأسطول ، فأقام تحت دمياط .
فدزل السلطان [الكامل] بناحية العادلية ، قريباً من دمياط ، وسير البعوث ليمنع الفرنج من
العبور ، وصار يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية إلى دمياط ، لتسيير الأمور وإعمال
الحيلة في مكيدة الفرنج .

وأخ الفرنج في مقاتلة أهل البرج ، فلم يظفروا بشيء ، وكسرت صرمااتهم وآلاتهم ، وتمادى
الأمر على ذلك أربعة أشهر . وهذا [الملك] انعادل يجهز عساكر الشام شيئاً بعد شيء إلى
دمياط ، حتى صار عند الكامل من المقاتلة ما لا يكاد ينحصر عدده .

وفي أثناء ذلك ورد الخبر بحركة الملك [الغالب عز الدين] كيكائوس السلجوقى ، سلطان
الروم ، إلى البلاد الشامية ، بموافقة الملك الصالح صاحب آمد وغيره من ملوك الشام ، وأنه وصل
إلى منبج ، وأخذ تلى بأشهر . واتفق [كيكائوس] مع الملك الأفضل على بن صلاح الدين^(٥)

(١) جمع مرمة ، وهي نوع من السفن الكبار . (انظر ما بلى ، وكذلك Blochet : Op. cit. p. 315) ، حيث

ترجمت إلى (gros navires) . وفي المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٦) أن الصليبيين هاجموا برج دمياط

بعد أن "عملوا برجاً من الصواري على بسطة (كذا ، ولعل المقصود بطسة) كبيرة ، وأقلعوا بها حتى أسندوها إليه ،

وقاتلوا من به" . (٢) في س وأبراج . (٣) يسمى المقرئى (نفس المرجع والجزء والصفحة)

هذا الموضوع بالمنزلة العادلية ، والمنزلة فقط ، وواضح أنه لا علاقة بين هذه الناحية وبين بلدة المنزلة الحالية ، الواقعة على

بحيرة المنزلة . انظر (P. Omar Toussoun : Op. Cit. I. 2. Pl. II. h.) . (٤) في س كسر .

(٥) في س منبج ، وبغير ضبط . ومنبج مدينة قديمة ، تقع على مسافة ثلاثة فراسخ من الفرات ، وعشرة فراسخ من

حلب ؛ ومنها البحرئى وأبو فراس الحمدانى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ - ٦٥٦) .

(٦) بغير ضبط في س ، وهو قلعة حصينة ، وكورة أيضاً ، في شمالى حلب ، بينها وبين حلب يومان . (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦٤) .

[صاحب سميساط] أنه يسلمه ما يفتحه من البلاد ، فلم يف [كيكائوس^(١)] بما وعد ، وسلم ما فتحه لنوابه . فتأعد عنه كثير من الناس ، وأوقع العرب بطائفة من عسكرة ، فقتلوا وأسروا منهم كثيرا ، ونهبوا لهم شيئا له قدر ، فرجع إلى بلاده بغير طائل .

هذا والعادل بمرج الصفر ، فبينا هو في الاهتمام بأمر الفرنج ، إذ ورد عليه الخبر بأخذ الفرنج برج السلسلة بدمياط ، فتأوه تأوها شديدا ، ودق بيده على صدره أسفا وحزنا ، ومرض من ساعته . فرحل من المرج إلى عاليقين ، وقد اشتد مرضه ، فمات في سابع جمادى الآخرة يوم الخميس . فكم أصحابه موته ، وقالوا قد أشار الطبيب بعبور دمشق ليتداوى . فحمل في محفة ، وعنده خادم ، والطبيب راكب بجانب المحفة ، والشربدار يصلح الأشرطة ، ويحملها إلى الخادم ليشرها السلطان ، يوهم الناس بذلك أنه حي ، إلى أن دخل قلعة دمشق ، وصارت بها الخزائن والحرم وجميع البيوتات . فأعلم بموته ، بعد ما استولى ابنه الملك المعظم على جميع أمواله ، التي كانت معه ، وسائر رخته وثقله ، ودفنه (هـ ب) بالقلعة . فاخبط الناس حتى ركب المعظم ، وسكن

(١) أضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Kaikaus. I.) .

(٢) بغير ضبط في س ، وهي قرية بظاهر دمشق . (Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 391.) .

(٣) تقدم أشباه هذا الاسم المركب ، عند الكلام على الأستادار والدوادار ، والسلحدار والجدار ، وغيرها . ومدلول وظيفة الشربدار ظاهر ، وهو الخدمة بشرابجنازه السلطان ، أو الأمير . غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن تلك الوظيفة كانت من وظائف الخدم ، أو الحرف الصناعية . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩) . أما الأمير الذي يتولى نسق السلطان على الموائد ، ويهيمن على مد السباط وتقطيع اللحم ، وسق المشروب بعد رفع السباط فاسمه الساق (نفس المرجع والجزء ، ص ٤٥٤) . وكانت هناك وظيفة أخرى تتعلق بطعام السلطان ، أو الأمير ، وهي وظيفة الجاشنكير ، ويقوم صاحبها بذوق المأكول والمشروب ، قبل السلطان أو الأمير ، خوفا من أن يفسد عليه فيه سم أو نحوه . وتتركب هذه الكلمة من لفظين فارسيين ، أحدهما جاشنا ومعناه الذوق ، والثاني كبير وهو بمعنى المتعاطى . (نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦٠) .

(٤) بغير ضبط في س ، وهو لفظ فارسي معناه المتاع . وفي (Quatremère : Maml. I. I. p. 253) أمثلة لتوضيح

استعمال هذا اللفظ ، منها أن أميرة حجت "بجميل زايد ورخت عظيم و برك هايل" . والرختوانية هم الذين يتولون العناية بمتاع السلطان ، أو الأمير ، في الأسفار . هذا ورخت الخادم الحصان ، ألبسه الرخت ، وهو — في الغالب — البركتوان المتقدم ذكره (انظر ص ١٧٧) . والحصان المرخت ، الذي عليه رخت جميل . (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

أمر الناس ، ونادى في البلد : "ترحموا على السلطان الملك العادل ، وادعوا لسلطانكم الملك المعظم . أبقاه الله" . فبكى الناس بكاء كثيرا ، واشتد حزنهم لفقده .

- وكان مولده في المحرم سنة أربعين - وقيل سنة ثمان وثلاثين - وخمسمائة بدمشق .
وسمع من السلفى وابن عوف ، وعُرفت مواقفه في جهاد العدو بثغر دمياط ، في سنة خمس وستين وخمسمائة ، في أيام الخليفة العاضد ، وفي مدينة عكا . وملك دمشق في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة ، وكانت مدة ملكه لها ثلاثا وعشرين سنة . وملك مصر ، في سنة ست وتسعين ، فكانت مدة ملكه لها تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما . ورُزق في أولاده سعادة قلما يتفق مثلها لملك ، فبلغوا تسعة عشر ولدا ذكرا ، سوى البنات . وهم : الملك الأوحدهنجم الدين أيوب ، صاحب خلاط ، وكان قصيرا في الغاية ، شهما مقداما ، سفاكا للدماء ، مات في حياة أبيه ، والمملك الفائز إبراهيم ، والمملك المغيث عمر - و [قد] توفيا أيضا في حياته - وترك عمر ابنا سمى بالملك المغيث شهاب الدين محمود ، رباه عمه الملك المعظم عيسى ، والمملك الجواد شمس الدين مودود ، ومات في حياته [أيضا] - وترك الملك الجواد [ولدا اسمه] مظفر الدين يونس بن مودود ، بقى عند عمه الملك الكامل بمصر ، ثم ملك دمشق وغيرها ، وكان جوادا شجاعا ، والمملك الكامل ناصر الدين محمد ، صاحب مصر ، والمملك المعظم شرف الدين أبو العزائم عيسى ، صاحب دمشق ، وشقيقاه الملك العزيز عماد الدين عثمان ، صاحب بانياس - وكان جوادا شهما - والمملك الأجد مجد الدين حسن ، ومات في حياة أبيه بالقدس ، ودفن في مدرسة بنيت له ، ثم نقل إلى الكرك ، والمملك الأشرف مظفر الدين موسى ، صاحب الشرق وخلاط ، بعد أخيه الملك الأوحدهن ، والمملك مظفر شهاب الدين غازي ، صاحب ميافارقين ، وشقيقاه الملك المعز مجير الدين يعقوب ، والمملك القاهر بهاء الدين تاج الملوك إسحاق ، والمملك الصالح عماد الدين اسماعيل ، صاحب بصرى ، ثم دمشق ، والمملك^(٢) المفضل قطب الدين أحمد ، ومات بمصر في أيام أخيه الكامل بالقيوم ، ووصل في تابوت

(٢) في س "ثم ملك دمشق"

(١) في س . لملكها لها .

إلى القاهرة ، في نصف رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ، والملك الأجدد تقي الدين عباس ، وهو أصغرهم ، ولد في سنة ثلاث وستمائة ، ومات آخرهم ، بدمشق ، في سنة تسع وستين (١٥١) وستمائة ، في أيام الملك الظاهر بيبرس ، والملك الحافظ نور الدين أرسلان ، صاحب قلعة جعبر ، والملك الظاهر بهاء الدين خضر ، والملك المغيث شهاب الدين محمود ، والملك الناصر صلاح الدين خليل .

ووزر [الملك العادل] صديقه الملك أبو سعيد بن أبي اليمن بن النحال مدة يسيرة ، وكان نصرانيا فأسلم على يده ، بعد عوده مع الأفضل علي بن صلاح الدين إلى مصر ، في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . فلما مات [ابن النحال] استوزر [العادل] الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى ، فتجبر وسطا ، وتمكن من السلطان ، وأستولى عليه ، وعظم قدره . وأوقع [ابن شكر] بعتة من الأكابر ، وصادر أكابر كتاب الدولة ، واستصغى أموالهم . ففر منه القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل إلى بغداد ، واستشفع بالخليفة الناصر [لدين الله] ، وأحضر كتاب شفاعته إلى العادل . وفر منه علم الدين بن أبي الحجاج ، صاحب ديوان الجيش ، والأسعد بن مماتي صاحب ديوان المال ، إلى حلب ، فأكرمهما الملك الظاهر ، حتى ماتا عنده . وصادر بنى حمدان وبني الجباب وبني الجليس ، وأعيان الكتاب المستوفيين^(٢) ، والعادل لا يعارضه في شيء . هذا

(١) في س "ووزر له صديقه الملك ابو ..."

(٢) جمع مستوفى ، بكسر الفاء ، وهو حسبما جاء في القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٦) من كتاب الأموال بالدواوين ، وعمله ضبط الديوان التابع له ، والتنبيه على ما فيه مصلحته ، من استخراج أمواله ونحو ذلك . وقد تقدم أنه لما تضاءل منصب الوزارة منذ الأيوبيين ، تحول كثير من أعماله إلى النظار (انظر ص ٥٣ ، خشبة ٤) وأول هؤلاء ناظر الدولة ، أو ناظر الدواوين ، وكان أولا يعاون الوزير في تصرفاته العامة ، وهذه تشمل سائر شؤون الدولة بمصر والشام . وبأق بعده مستوفى الصحة ، وهو يشارك الوزير ويعاونه أيضا في الأمور العامة ، مثل كتابة المراسم وتسجيلها . وبلبه في المرتبة مستوفى الدولة ، وهو كمستوفى الصحة في النفوذ ، وربما اندمجت الوظيفتان أحيانا . ويلاحظ أن هؤلاء الكتاب كانوا يهيئون على عامة الدواوين ، على أنه كان لكل ديوان ناظر ، وتحت إشرافه المستوفى والشاد ، فمستوفى الخاص في ديوان الخاص ، ومستوفى المرتجعات في ديوان المرتجعات . وقد غلبت وظيفة هذا الأخير على وظيفة ناظر المرتجعات التي أقيمت ، وأصبح المستوفى بدوانها هو المتصرف . (G.-Demombynes : Op. cit. Index III). هذا وقد بنى اسم المستوفى في بلاد فارس إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان يطلق على كبار آباء المالبة . (Morier : Hajji Baba In England, pp. 17, 210.)

وهو يتغضب على السلطان، [واستمر على هذا الحال] إلى أن غضب [على السلطان مرة]، في سنة تسع وستمئة، وحلف أنه ما بقي يخدمه . فأخرجه السلطان [العادل] من مصر، بجميع أمواله وحرمه، فكان ثقله على ثلاثين جملا . وحسن أعداؤه للسلطان أن يأخذ ماله، فامتنع [واكتفى^(١) بإخراجه إلى آمد] . وسار [صفي الدين] إلى آمد، فأقام عند الصالح بن أرتق . فأقام العادل من بعده القاضي الأعز نجر الدين مقدم بن شكر، ثم نقم عليه في سنة اثنتي عشرة وستمئة، وضربه وقيده، وأخرجه من مصر، ولم يستوزر بعده أحدا .

ومن أعجب الاتفاقات أن الملك الأفضل علي بن صالح المذني يوسف لم يملك مملكة إلا وأخذها عمه العادل منه : فأول ذلك أن أباه أقطع حران والرها وميافارقين ، في سنة ست وثمانين وخمسائة، فسار إليها، حتى [إذا] بلغ حلب رده أبوه ، وبعث الملك العادل إليه . ثم ملك الأفضل بعد أبيه دمشق ، فأخذها العادل منه . ثم ملك مصر بعد ذلك، فأخذها منه العادل . ثم ملك صرخد، فأخذها منه العادل، وعوضه قلعة نجم وسروج ، ثم استرجعها منه بعد ذلك .

فلما تمهدت [للك العادل^(٢)] الممالك قسمها بين أولاده ، فملك هو وأولاده من خلاط إلى اليمن . ورأى [العادل] في أولاده ما يحب، من اتساع الممالك وكثرة الظفر بالأعداء، بحيث لم يسمع عن ملك أنه رأى في أولاده (١٥ب) ما رآه العادل ، فإنه اجتمع في كل منهم من النجابة والنبيل، والكفاية والمعرفة، والفضيلة وعلو الهمة، ما لا مزيد عليه . ودانت لهم العباد، وملكوا خيار البلاد . وكان كثيرا ما يتردد [العادل] في ممالك أولاده، وأكثر أوقاته يصيف بدمشق، ويشقى بمصر. وكان أכולا نهما، يأكل خروفا مشويا بمفرده، وله اقتدار زائد على النكاح، ومُتّع في دنياه بأرغد عيش، وتمكن من السعادة في سائر أحواله . وكان حميد السيرة، حسن العقيدة، كثير السياسة، صاحب معرفة بدقائق الأمور، قد حنكته التجارب، فسعدت آراؤه، ونجحت تدبيراته . وكان لا يرى محاربة أعدائه، ويستعمل في مقاصده

(١) انظر ص ١٧٦ . (٢) في س "فلما تمهدت له ..."

المكائد والخذع . فهادنته الفرنج لقوة حزمه وشدة تيقظه ، وغزارة عقله وقوة كيده ، ومكره ومدامته على المخادعة والمخاتلة ، وكثرة صبره وحلمه وأناة ، بحيث إنه كان إذا سمع ما يكره يغمض عنه تجاوزا وصفحا ، كأنه لم يبلغه . و [كان] لا يُخْرِجُ المال إلا عند الاحتياج إلى إخراجهِ ، فيسمح حينئذ ببذل الكثير منه ، ولا يتوقف فيما ينفق ، فإذا لم يحتاج إلى إخراج المال ضمن به وأمسكه . فتأبَّتْ له بذلك أغراضه كما يجب ، وانقادت له الأمور مثل ما يختار . وكان يحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها ، ويحب السنة ، ويكرم العلماء ، مع العظمة وقوة المهابة المتمكنة في القلوب . وله صنف الإمام نجر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس ، وبعث به إليه من بلاد خراسان .

ومات [الملك العادل] عن خمس وسبعين - وقيل ثلاث وسبعين - سنة . وترك مالا كثيرا ، منه في خزائنه - التي استولى عليها ابنه المعظم - سبعمائة ألف دينار مصرية ، سوى ما كان له في الكرك ، فاحتوى عليه أيضا الملك المعظم . وكتب [المعظم] إلى أخوته بموت أبيه ، فجلس الملك [الكامل] للجزاء ، في معسكره بظاهر دمياط ، وارتاع لموت أبيه خوفا من الفرنج .

السلطان الملك الكامل ناصر الدين

أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، سادس ملوك مصر [من الأيوبيين] . استقل بمملكة مصر بعد موت أبيه ، بعهدته إليه في حياته ، [وكانت سلطته بعد السابع من جمادى] الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ، (١٥٢) عند ما وصل إليه نعي أبيه ، وهو بالمتزلة العادلية على محاربة الفرنج - وقد ملكوا البر الغربي ، واستولوا على برج السلسلة ، وقطعوا السلاسل المتصلة به ، لتعبر مراكبهم في بحر النيل ، ويتمكنوا من أرض مصر . فنصب الملك الكامل عوضا من السلاسل جسرا عظيما ، يمنع الفرنج من عبور النيل . فقاتل الفرنج عليه قتالا كثيرا حتى قطبوه ، وكان قد أنفق على هذا البرج والجسر ما ينيف

(١) في س فئات . (٢) ما بين القوسين بياض في س ، ما خلا عبارة " من جمادى " ، فإنها محجوبة بورقة ملصقة فوقها ، ولكنها في ب (٦٢ ب) .

على سبعين ألف دينار . فأمر الكامل بتفريق عدة من المراكب في النيل ، منعت الفرنج من سلوكه ، فعدل الفرنج إلى خليج هناك يعرف بالأزرق^(١) ، كان النيل يجرى فيه قديماً . فحفروه حفراً عميقاً وأجروا فيه الماء إلى البحر الملح ، فحرت سفنهم فيه إلى ناحية بورة^(٢) ، على أرض جيزة دمياط ، تجاه المنزلة التي فيها الكامل ، ليقاتلوه من هناك . فلما استقروا في بورة حاذوه ، وقتلوه في الماء ، وزحفوا إليه غير مرة ، فلم ينالوا منه غرضاً طائلاً . ولم يضر أهل دمياط ذلك ، لتواصل الأمداد والميرة إليهم ، وكون النيل يحجز بينهم وبين الفرنج ، بحيث كانت أبواب المدينة مفتحة ، وليس عليها حصر ولا ضيق البتة .

هذا والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة ، بحيث منعهم ذلك من الرقاد ، خوفاً من غاراتهم . فتكالب العرب عليهم حتى صاروا يختطفونهم نهاراً ، يأخذون الخيم بمن فيها . فآمن لهم الفرنج عدة كبناء ، وكتبوا منهم خلقاً كثيراً . وأدرك الناس الشتاء ، فهاج البحر على معسكر المسلمين ، وغرق الخيم ، فعظم البلاء ، واشتد الكرب . وألح الفرنج في القتال ، ولم يبق إلا أن يملكوا البلاد . فأرسل الله سبحانه ريحاً قطعت مراسي مرممة كانت للفرنج من عجائب الدنيا ، فمزت تلك المرممة إلى البر الذي فيه المسلمون فملكوها ، فإذا هي مصفحة بالحديد ، لا تعمل فيها النار ، ومساحتها خمسمائة ذراع ، وفيها من المسامير مازنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلاً . وبعث السلطان إلى الآفاق سبعين رسولا ، يستنجد أهل الإسلام على قتال الفرنج ، ويستحثهم على إنقاذ المسلمين منهم وإغايتهم ، ويخوفهم من تغلب الفرنج على مصر ، فإنه متى ملكوها لا يمتنع عليهم شيء من الممالك بعدها . فسارت الرسل في شوال ، فقدمت النجدات من حماة وحلب^(٤) .

(١) انظر الحاشية التالية . (٢) مضبوطة هكذا في س ، وهو الضبط الصحيح ، وهي بلدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، في الشمال الغربي من دمياط ، ومنها السمك البوري المعروف بمصر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٥٥ ؛ و Blochet: Op. cit. P. 320. N. 2.) ومن هذا يتعين أن مجرى الخليج الأزرق بين بورة وشمال المنزلة العادية . وفي جنوبي المنزلة العادية موضع اسمه بستان بورة . انظر (P. Omar Toussoun: Op. cit. I. 2. Pl. II. b.)

(٣ و ٤) ما بين الرقين وارد بورة منفصلة بين الصفحتين (٥٤ ب ، ١٤٦) من س ، (انظر ص ١٦٧ ، حاشية ٦) ، وليس بالمتن إشارة ، كهادة المزلف ، إلى موضع هذا الهامش . على أنه لاشك في مناسبتة هنا ، فإنه موجود بنصه ، وعلى ترتيبه كما هنا ، ضمن حوادث حصار دمياط ، بالمقريري (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٦) .

إلا أنه لما قدم على المعسكر موت العبادل وقع الطمع في الملك الكامل، وثار العرب بنواحي أرض مصر، وكثر خلافهم واشتد ضررهم. واتفق مع ذلك قيام الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين علي بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب، وكان أجل الأمراء الأكارب، وله لفيف من الأكراد الهكارية، يتقادون إليه ويطيعونه، مع أنه كان وافر الحرمة عند الملوك، معدودا بينهم كواحد منهم، معروفا بعلو الهمة وكثرة الجود، وسعة الكرم والشجاعة، تهابه الملوك، وله وقائع مشهورة في القيام عليهم. ولما مات أبوه، وكانت نابلس إقطاعا له، أُرصد بثلاثها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لمصالح القدس، وأقطع ابنه عماد الدين هذا بقيتها، فلم يزل قائم الجاه من الأيام الصلاحية. فاتفق [عماد الدين] مع جماعة من الأكراد والجند على خلع الملك الكامل، وتمليك أخيه الفائز إبراهيم، ليصير لهم التحكم في المملكة. ووافق على ذلك الأمير عز الدين الحميدى، والأمير أسد الدين الهكاري، والأمير مجاهد الدين، وعدة من الأمراء.

فلما بلغ الكامل ذلك دخل عليهم، فإذا هم مجتمعون وبين أيديهم المصحف، وهم يحلفون لأخيه الفائز. فعند ما رأوه تفرقوا، فخشى على نفسه منهم، وخرج. فاتفق قدوم (١) صاحب صفى الدين بن شكر من آمد، فإنه كان قد استدعاه [الكامل] بعد موت أبيه. فتلقاه [الكامل] وأكرمه، وأوقفه على ما فيه جماعة الأمراء، فشجعه وضمن له تحصيل المال وتدبير الأمور. فلما كان في الليل ركب [الكامل] من المنزلة العادية، في الليل جريدة، وسار إلى أشموم طناح^(٢)، فنزل بها. وأصبح العسكر وقد فقدوا السلطان، فركب إكل أحد هواه، ولم يعرج واحد منهم على آخر. وتركوا أثقالهم وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم، ولم يأخذ كل (٥٢ ب) أحد إلا [ما] خف حمله. فبادر الفرنج عند ذلك، وعبروا بردمياط وهم آمنون، من غير منازع ولا مدافع، وأخذوا كل ما كان في معسكر المسلمين، وكان شيئا

(١) بعض حروف هذه العبارة متأكل في س، ولكنه في ب (٦٣ ب). (٢) بنير ضبط في س، وكانت

عاصمة الدهلية والمرتاحة، وتقع شرق المنصورة، وجنوبي دكرنس الحالية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٢٨٢)

و (P. Omar Toussoun : Op. cit. I. 2. Pl. I, & P. 244)

لا يقدر قدره ، وذلك لبضع عشرة ليسة خلت من ذى القعدة . فكان نزول الفرينج قبالة دمياط في يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة [وستمائة] ، ونزولهم في البر الشرقى - حيث مدينة دمياط - يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة سنة ست عشرة .

فتزلزل الملك الكامل ، وهم بمفارقة أرض مصر ، ثم تثبت ^(١) ، فتلاحق به العسكر . وبعد يومين وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق - وهو بأشموم - في ثامن عشر ذى القعدة . فقويت به شوكته ، وأعلمه بما كان من أمر ابن المشطوب ، فوعده بأزالته عنه . ثم ركب المعظم إلى خيمة ابن المشطوب ، واستدعاه للركوب معه للسايرة ، فاستمهله حتى يلبس خفيه وثيابه ، فلم يمهله وأعجله . فركب معه وهو آمن ، وسايره حتى خرج به من المعسكر وبعد عنه . فالتفت إليه [المعظم] ، وقال : "يا عماد الدين ! هذه البلاد لك ، أشتى أن تهبها لنا" . وأعطاه نفقة ، وأسلمه إلى جماعة من أصحابه يثق بهم ، كان قد أعدم لهذا الأمر ، وأمرهم أن يلازموه إلى أن يخرج من الرمل ^(٢) ، ويحتفظوا به إلى أن يدخل إلى الشام . فما وجد [ابن المشطوب] سبيلا إلى الامتناع ، ولا قدر على المدافعة ، لأنه بمفرده بينهم ، فساروا به على تلك الحالة إلى الشام ، فنزل بحماة عند [الملك] المنصور ، ومعه أربعة من خدمه . ولما سار ابن المشطوب رجع المعظم إلى أخيه الكامل ، وتقدم إلى أخيه الفائزبان يمضى إلى الملوك الأيوبية بالشام والشرق رسولا عن الملك الكامل ، بسبب إرسال عساكر الإسلام ، لاستنقاذ دمياط وأرض مصر من الفرينج . وكتب الكامل إلى [أخيه] الأشرف [موسى] شاه أرمن ، يستحثه على سرعة الحضور ، وصدر المكاتبه بهذه الأبيات :

يا مسعدى ! إن كنت حقا مسعفى * فانهض بنير تلبث وتوقف

(١) في س ثبت .

(٢) بنير ضبط في س ، ويعرف برمل الغرابي أيضا ، ويطلق هذا الاسم على الأراضي الصحراوية بين العباسية والعريش . (المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨٢ - ١٨٣) . (٣) في س شاهارمن ، ويقصد المؤلف به الأشرف موسى الأيوبي ، صاحب مملكة خلاط ، وكانت هذه الإمارة الأرمينية الصغيرة قد آلت إلى الأيوبيين بعد زوال أسرة سيف الدين بكنمر ، سنة ٥٦٠ هـ . انظر (Enc. Isl. Arts. Armenia & Begtimur) .

وَاحْتِثْ قَلُوصَكَ مُرْقِلًا أَوْ مَوْجِفًا * بِتَجَشُّمٍ فِي سَيْرِهَا وَتَعَسُفٍ
 «وَاطْوِ الْمَنَازِلَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تُنِخْ * إِلَّا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ
 وَاقْبِرِ السَّلَامَ عَلَيْهِ مِنْ تَبْدِيلِهِ * بِتَرْقُعٍ لِقُدُومِهِ بِتَشْوِيفٍ
 وَإِذَا وَصَّاتَ إِلَى حِمَاةٍ فَقُلْ [لَهُ * عَنَى بِحَسَنِ] تَوْصِلُ وَتَلَطِّفُ
 (١٥٣) إِنْ تَأْتِ عِبْدَكَ عَنْ قَلِيلٍ تَلْقَهُ * مَا بَيْنَ كُلِّ مَهْنَدٍ وَمَثْقَفٍ
 أَوْ تَبِطِ عَنْ إِنْجَادِهِ فَلِقَاؤُهُ * بَلْ فِي الْقِيَامَةِ فِي عَرَاصِ الْمَوْقِفِ
 فَسَارَ الْفَائِزُ - وَكَانَ الْغَرَضُ إِحْرَاجَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ - فَمَضَى إِلَى دِمَشْقَ ، وَرَحَلَ
 إِلَى حِمَاةٍ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الشَّرْقِ . فَانْتَضَمَ أَمْرُ الْكَامِلِ ، وَقَوِيَ سَاعِدُهُ ، وَتَرْتَبَتْ قَوَاعِدُ مَلِكِهِ ،
 وَسَارَ عَنْهُ الْمَعْظَمُ .

١٠ هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط من البحر والبر ، وأحْدَقُوا بِهَا وَحَصَرُوهَا ، وَضَيَّقُوا
 عَلَى أَهْلِهَا ، وَمَنَعُوا الْأَقْوَاتَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ . وَحَفَرُوا عَلَى مَعْسِكِهِمُ الْمَحِيطَ بِدَمِيَاطَ خَنْدَقًا ،
 وَبَنَوْا عَلَيْهِ سُورًا . وَأَهْلُ دَمِيَاطَ يُقَاتِلُونَهُمْ أَشَدَّ قِتَالًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ ، فَثَبَّتُوا مَعَ
 قَلَّةِ الْأَقْوَاتِ عِنْدَهُمْ وَشِدَّةِ غَلَاءِ الْأَسْعَارِ . وَأَخَذَ الْكَامِلُ فِي مَحَارِبَةِ الْفَرَنْجِ ، وَهُمْ قَدْ حَالُوا
 بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ سِوَى رَجُلٍ مِنَ الْجَانْدَارِيَّةِ . [وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ
 ١٥ قَدْ] قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ مِنْ بَعْضِ قُرَى حِمَاةٍ ، [و] يُسَمَّى شَمَائِلَ ، فَتَوَصَّلَ حَتَّى صَارَ يَخْدُمُ
 فِي الرِّكَابِ السُّلْطَانِي جَانْدَارًا . وَكَانَ يَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ ، وَيَسْبَحُ فِي النِّيلِ - وَمَرَاكِبُ الْفَرَنْجِ بِهِ
 مَحِيطَةٌ ، [وَالنِّيلُ] قَدْ امْتَلَأَتْ بِهِ شِوَانِي الْفَرَنْجِ - فَبَدَخَلَ إِلَى مَدِينَةِ دَمِيَاطَ ، وَيَأْتِي السُّلْطَانُ
 بِأَخْبَارِ أَهْلِهَا . فَإِذَا دَخَلَ إِلَيْهَا قَوِيَ قُلُوبُ أَهْلِهَا ، وَوَعَدَهُمْ بِقُرْبِ وَصُولِ النُّجُودَاتِ . فَحَفِظُوا بِذَلِكَ
 عِنْدَ الْكَامِلِ ، وَتَقَدَّمَ تَقَدُّمًا كَثِيرًا ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ جَانْدَارِهِ وَسَيْفَ نَقْمَتِهِ ، وَوَلَاهُ الْقَاهِرَةَ ،
 ٢٠ وَإِلَيْهِ تَنَسَّبَ خِزَانَةُ شَمَائِلَ . وَكَانَ فِي دَمِيَاطَ مِنْ أَهْلِهَا الْأَمِيرَ جَمَالَ الدِّينِ الْكِنَانِي ، فَكَتَبَ
 هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَأَلْقَاهَا إِلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ فِي سَهْمِ نَشَابٍ ، وَهِيَ :

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مَحْجُوبٌ بِوَرَقَةٍ مَلْصَقَةٍ فَوْقَهُ فِي سِ ، وَلَكِنَّهُ فِي ب (١٦٤) . (٢) فِي سِ فَيَتَوَا .

(٣) مَضْبُوطَةٌ هَكَذَا فِي سِ .

يا مالكي! دُمياط ثغر هُدِّمت * شرفاته كادت تجث أصوله
 يقريك من أركى السلام تحية * كالمسك طاب دقيقه وجليله
 ويقول غن بعد وإنك سامع * حتى كأنك جاره ونزيله
 يأبها الملك الذي ما إن يرى * بين الملوك شبيهه وعديله
 هذا كتاب موضح من حالي * ما ليس يمكنني لديك أقوله
 أشكو إليك عدوسوء أهدقت * بجميعة فرسانه وخيوله
 فالبر قد منعت إليه طريقه * والبحر عز لنصره أمسطوله
 فخصوعه باد على أبراجه * وحنينه وبكاؤه وعويله
 ولو استطاع لآتم بابك لائذا * ^(١) لكانه سدت عليه سبيله
 (ب ٥٣) ورسوله في أن تجيب دعاءه * دين الإله وخلقه ورسوله ^(٢)
 فقد انتهت أدواؤه وتحكمت * علاته ونحا عليه نحوه
 وبقي له رمق يسير يرتجى * أن يشتفى لما دعاك عليه
 فاحرس حماك بعزيمة تشفى بها * داء لثلك يرتجى تعيله
 فالله أعطاك الكثير بفضله * ورضاه من هذا الكثير قليله
 فالعذر في نصر الإله ودينه * ما ساغ عند المسلمين قبوله
 والثغر ناظره إليك محقق * ما إن يمل من الدموع هموله
 ولئن قعدت عن القيام بنصره * جفت نضارته وبان ذبوله
 ووهت قوى القرآن فيه ورفعت * صلبانه وتلى به إنجيله
 وعلا صدى الناقوس في أرجائه * وخفى على سمع الورى تهليله
 هذا وحقق وصف صورة حاله * حقا وجمته وذا تفصيله
 وطفكفك يابن الأكرمين بأنه * أضفى عليك من الورى تعويله

(١) هذا اللفظ غير واضح في س، ولكنه في ب (٦٤ ب) . (٢) كذا ورد البيت في س، ب .

حَقَّق رَجَاءَ فَيْك يَأْمَن لَمْ يَنْجِب . * أَبَدًا لِرَاجِي جُودِهِ تَأْمِينُهُ
وَإِذْ خَرَّ لِيَوْمِ الْبَعْثِ فَعَلَا صَالِحًا * اللَّهُ ضَامِنٌ أَجْرَهُ وَكُفَيْلُهُ

فلما وقف السلطان على هذه الأبيات أمر أهل القاهرة ومصر بالنفي للجهاد، وخرجت

السنة والحال على ذلك .

وفيها استدعى الملكُ الغالبُ كيكائوس بن كيكسرو بن قلعج أرسلان، ملك الروم، بالملك

الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف - وكان بسميساط، ويخطب للملك الغالب .

فلما قدم عليه أكرمه، ومجمل إليه شيئًا كثيرًا من المال والخيل والسلاح وغيره، وتحالفًا على

المسير إلى المملكة الحلبية وأخذها، بشرط أن يدفعها الملك الغالب، هي وسائر ما يفتحه، إلى

الملك الأفضل، ليقم له فيها الخطبة والسكة، وبصير في طاعته. فإذا تم ذلك سارا إلى الشرق،

وأخذًا حران والرها وغيرها . فسارا بالعساكر وأخذوا قلعة رعبان^(١)، فسلمها الأفضل، ومال إليه

الناس، واجتمعوا على الملك الغالب، لمحبتهم في الأفضل . ثم سارا إلى قلعة تل باشر، فحصرها

حتى ملكها، فلم يسلمها الملك الغالب للأفضل، وأقام فيها نائبًا من قبله . فنفر منه الأفضل

[وفترت^(٢)] همته، وعلم أن هذا أول الغدر . وأعرض أهل البلاد أيضًا عن [الملك الغالب]^(٣)،

واستعد أهل حلب، واستدعوا (١٥٤) الملك الأشرف من بحيرة قدس، وكان نازلاً عليها تجاه

الفرنج . فقدم إليهم بعساكره، وحضرت عرب طى وغيرها، إلى ظاهر حلب . فحسن

الأفضل للملك الغالب التوجه إلى منبج، فسارا إليها . فواقع العرب مقدمة الملك الغالب،

فانهزمت، وأسّر العربُ وأصحاب الأشرف كثيرًا منهم . فرجع عند ذلك الملك الغالب إلى بلاده،

وسار الأشرف، فاستولى على رعبان وتل باشر .

وفيها مات الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن

عماد الدين زنكي بن آقسنقر، صاحب الموصل، لثلاث بقين من ربيع الأول، وكانت مدة

(١) بغير ضبط في س، وهي بلدة بين حلب وسميساط، قرب الفرات . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٧٩١) .

(٢ و ٣) ما بين الأقواس محبوب بورقة ملصقة فوقه في س، ولكنه في ب (١٦٥) .

ملكه سبع سنين وتسعة أشهر . وقام من بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه ، وعمره عشر سنين ، فدبر أمره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، فأقرهما الخليفة الناصر .

سنة ست عشرة وثمانمائة . فيها قدم الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب - صاحب حماة - إلى الملك الكامل ، نجدة في عسكر كثيف ، ومعه الطواشي مرشد المنصوري . فتلقاه السلطان وأعظم قدره ، وأنزله على ميمته ، وهي المنزلة التي كانت لأبيه وجده ، عند السلطان صلاح الدين يوسف . ووصل الفائز إبراهيم بن العادل إلى أخيه الأشرف موسى ، برسالة أخيهما الكامل للاستنجاد على الفرنج ، فأكرمه وأمسكه عنده ، فإن الغرض إنما كان إخراجهم من أرض مصر .

وفيها اشتد قتال الفرنج ، وعظمت نكباتهم ، لأهل دمياط ، وكان فيها نحو العشرين ألف مقاتل . فمكثت الأمراض ، وغلت عندهم الأوباع ، حتى أبيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بعدة دنانير . وامتلاأت الطرقات من الأوباع ، وعمت الأقوات ، وصار السكر في عزة الياقوت ، وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه ، وآلت بالناس الحال إلى أن لم يبق عندهم غير شيء يعمير من القمح والشعير فقط . فتسور الفرنج السور ، وملكوا منه البلد يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ، فكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما . وعند ما أخذوا دمياط وضعوا السيف في الناس ، فلم يعرف عدد من قتل لكثرتهم .

وهرحل السلطان بعد ذلك بيومين ، ونزل قبالة طلخا ، على رأس بحر أشموم [ورأس بحر] دمياط ، وخيم بالمنزلة التي (هـ ب) عرفت بالمنصورة . وحصن الفرنج أسوار دمياط ، وجعلوا جامعها كنيسة ، وبثوا سراياهم في القرى يقتلون ويأسرون ، فعظم الخطب واشتد البلاء . وتدب السلطان الناس وفرقهم في الأرض ، فخرجوا إلى الآفاق يستصرخون الناس لاستنقاذ أرض مصر من أيدي الفرنج . وشرع السلطان في بناء الدور والفنادق ، والحمامات والأسواق ،

(١) ما بين القوسين محبوب في س بورقة ملصقة فوقه ، ولكنه في ب (٦٥ ب) .

بمنزلة المنصورة . وجهاز الفرنج من حصل في أيديهم من أسارى المسلمين في البحر إلى عكا ،
وبرزوا من مدينة دمياط يريدون أخذ مصر والقاهرة . فنازلوا السلطان تجاه المنصورة ،
وصار بينهم وبين العسكر بحر أشموم و بحر دمياط ، وكان الفرنج في مائتي ألف رجل
وعشرة آلاف فارس . فقدم السلطان الشوانى تجاه المنصورة ، وهى مائة قطعة . واجتمع
الناس من أهل القاهرة ومصر وسائر النواحي ، ما بين أسوان إلى القاهرة . ووصل الأمير
حسام الدين يونس ، والفقيه تقي الدين طاهر المحلى ، فأخرجوا الناس من القاهرة ومصر به
ونودى بالنفير العام ، وألا يبقى أحد ، وذكروا أن ملك الفرنج قد أقطع ديار مصر لأصحابه .
فقال [؟] :

” يهددونا بأهل عكا أن يملكونا وأهل يافا
ومن لنا أن يلوا علينا . فالروم خير من الريافا “

يعنى أهل الريف ، فإنه كان قد كثرتساظهم ، وطمعوا في أمر السلطان ، واستخفوا به ،
لشغله بالفرنج عنهم . وخرج الأمير علاء الدين جلدك ، والأمير جمال الدين بن صيرم ، لجمع
الناس مما بين القاهرة إلى آخر الحوف الشرقى ، فاجتمع من المسلمين عالم لا يقع عليه حصر .

(١) لم يذكر المؤلف صاحب هذين البيتين ، وليس بالمقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٣ وما بعدها)
ذكر لها بتاتا ، في باب حصار دمياط .

(٢) قسم العرب ، بعد فتحهم مصر ، أرض دلتا النيل إداريا إلى قسمين ، وهما الحوف والريف . وكان الحوف
يشمل جميع الأراضى الواقعة شرق فرع دمياط ، من عين شمس إلى دمياط والفرما . وكان الريف عبارة عن بقية أراضى
الدلتا إلى الإسكندرية . ثم عدل ذلك التقسيم في القرن الثالث الهجرى ، وصارت أراضى دلتا النيل ثلاثة أقسام ،
وهى الحوف الشرقى ، والحوف الغربى ، و بطن الريف . وكان الحوف الشرقى عبارة عن الحوف القديم ، ما خلا الأراضى
الواقعة شمالى بحر أبى صير ، والحوف الغربى هو الأراضى الواقعة غربى فرع رشيد ، ويشمل أيضا أراضى رشيد
وشبابل وصا ، الواقعة شرق هذا الفرع . أما بقية الأراضى الواقعة بين فرعى النيل ، وكذلك الأراضى الواقعة شمالى بحر
أبى صير ، فسميت بطن الريف . وقد بقى هذا التقسيم إلى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ثم تغير ذلك كله ،
سنة ٦٩٧ هـ ، إلى ما يشبه الأقسام الإدارية الحالية . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛
و P. Omar Toussoun : Op. cit. I. 1. pp. 1-4, I. 2. p. 217.)

وأَنْزَلَ السُّلْطَانَ عَلَى نَاحِيَةِ شَارِمَسَاحِ^(١) الْفَرَسِ، فِي آلاَفٍ مِنَ الْعَرَبَانِ، لِيُحَوِّا بَيْنَ الْفَرَنْجِ وَبَيْنَ دِمِيَاطَ . وَسَارَتْ الشَّوَانِي - وَمَعَهَا حَرَاقَةٌ كَبِيرَةٌ - إِلَى زَأْسِ بَحْرِ الْمَحَلَّةِ^(٢)، وَعَلَيْهَا الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ بْنِ حَسُونٍ، فَانْقَطَعَتْ الْمِيْرَةُ عَنِ الْفَرَنْجِ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .

وَقَدِمَتِ النَّجْدَاتُ [لِلْمَلِكِ الْكَامِلِ] مِنْ بِلَادِ الشَّامِ . وَنَحَرَجَتْ أُمَّمُ الْفَرَنْجِ مِنْ دَاخِلِ الْبَحْرِ تَرِيدٌ مَدَدَ الْفَرَنْجِ عَلَى دِمِيَاطَ ، فَوَاقَى دِمِيَاطَ مِنْهُمْ طَوَائِفَ لَا يَحْصِي لَهَا عَدَدٌ . فَلَمَّا تَكَامَلَتْ جَمْعُهُمْ بِدِمِيَاطَ خَرَجُوا مِنْهَا، فِي حَدَثِهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، وَقَدْ زِينُ لَهُمْ سُوءَ عَمَلِهِمْ أَنْ يَمْلِكُوا أَرْضَ مِصْرَ، وَيَسْتَوْلُوا مِنْهَا عَلَى مَمَالِكِ الْبَسِيطَةِ كُلِّهَا . فَلَمَّا قَدِمَتِ النَّجْدَاتُ كَانَ أَوْلَاهَا قَدُومًا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ، وَآخَرُهَا عَلَى السَّاقَةِ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ عَيْسَى، وَفِيَا بَيْنَهُمَا بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ : وَهُمْ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حِمَاةَ، وَالنَّاصِرُ صَاحِبُ الْفَرَنْجِ أَرْسَلَانَ، وَالْمُجَاهِدُ صَاحِبُ حَمَصَ، وَالْأَمْجَدُ بَهْرَامُ شَاهِ صَاحِبُ بَعْلَبَكَ، وَغَيْرُهُمْ . فَهَالِ الْفَرَنْجِ مَارَأُوا . وَكَانَ قَدُومُ هَذِهِ النَّجْدَاتِ فِي (١٥٥) ثَالِثَ عَشْرَى جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ، وَتَتَابَعَ قَدُومُ النَّجْدَاتِ حَتَّى بَلَغَ عَدَدُ فَرَسَانِ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ أَلْفًا . فَخَارِبُوا الْفَرَنْجَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ سِتَّ شَوَانِي وَجَلَّاسَةٍ وَبَطْسَةَ^(٣)، وَأَسْرَوْا مِنْهُمْ أَلْفَيْنِ وَمِائَتِي رَجُلٍ . ثُمَّ ظَفَرُوا أَيْضًا بِثَلَاثِ قَطَائِعَ، فَتَضَعَضَعُ الْفَرَنْجَ لَذَلِكَ، وَضَاقَ بِهِمُ الْمَقَامَ، وَبَعَثُوا يَسْأَلُونَ فِي الصَّلْحِ، كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) بغير ضبط في س ، وهي قرية بالدقهلية الحالية ، وتقع على فرع دمياط ، شمالي شربين ، وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ ؛ و P. Omar Toussoun: Op. cit. I. P. 175. Pl. I. b.) انظر أيضا الحاشية التالية . (٢) بحر المحلة ترعة متفرعة من بحر مليح ، الذي يخرج من فرع دمياط ، عند بلدة مبيت عطار ، قرب بنا الحالية . وكان يخرج بحر المحلة جنوبي بلدة طنت ، ثم يسير نحو الشمال الغربي ، مارا بالهياتم وبلقينة ، حتى يصب في فرع دمياط ، قبالة شارمساح على الشاطئ الآخر : P. Omar. Toussoun: Mem. Anc. Branches Du Nil. p. 98

(٣) واضح أن هذا اللفظ معرب كلمة (galeasse) الفرنسية . والجلاسة نوع من السفن الحربية الكبيرة ، كان شائع الاستعمال في البحر الأبيض المتوسط ؛ وبقابلها في الإيطالية (galeazza) ، ومرادفها في الإنجليزية قريب من هذا أيضا . (٤) في س ومائتين رجلا . (٥) جمع قطيعة ، وهي الفئمة من الجنود ، وفي (D zy: Supp. Diet. Ar.) مثل من استعمال هذا اللفظ ، نعه : "فبعث إليه الناصر بالقطائع والجيوش لقتاله" .

وفيها مات قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود، صاحب سنجان . وقام
من بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه، ثم قتله أخوه الأجد عمر . ومات نور الدين أرسلان شاه،
صاحب الموصل . فقام من بعده الأمير بدر الدين لؤلؤ، بأمر أخيه ناصر الدين محمود بن القاهر
عز الدين، وعمره ثلاث سنين .

وفيها أمر الملك المعظم عيسى بتخريب القدس، خوفا من استيلاء الفرنج عليها، فخربت
أسوار المدينة وأبراجها كلها، إلا برج داود — وكان من غربي البلد — فإنه أبقاه . وخرج
معظم من كان في القدس من الناس، ولم يبق فيه إلا نفر يسير . ونقل المعظم ما كان في القدس
من الأسلحة وآلات القتال، فشق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط . وفيها هدم
المعظم أيضا قلعة الطور، التي بناها أبوه العادل، وعفى آثارها . وفيها خرجت كتب الخليفة
الناصر [لدين الله] إلى سائر الممالك، بإنجاد الملك الكامل بدمياط .

وفيها مات عز الدين كيكاباد بن غياث الدين كيكاباد بن أرسلان بن مسعود بن قلعج
أرسلان، ملك قونية، بعد ما ملك أرزن الروم من عمه طغرل شاه بن قلعج أرسلان، وملك
أنكورية من أخيه كيقباد، فصار سلطان الروم . وقام من بعده أخوه علاء الدين كيقباد .

وفيها ابتدأ ظهور التتار — ومساكنهم جبال طمناج من أرض الصين، بينها وبين بلاد
التركستان ما يزيد على ستة أشهر — واستولوا على كثير من بلاد الإسلام . وكانوا لا يدينون بدين،

(١) في س شاهنشاه .

(٢) بغير ضبط في س، وهي بلدة بأرمينية، في الشمال الشرقي من خلاط . واسمها الأصلي في القديم
(Theodosiopolis)، ثم سماها العرب قالقالا، أيام الفتوح الإسلامية الأولى، وأطلقوا هذا الاسم أيضا على الأراضي
المحيطة بها . أما اسم أرزن الروم فيرجع إلى سنة ٤٤١ هـ، حين هدم السلاجقة بلدة أرزن، وهي قرب خلاط أيضا،
فخرج أهلها الأرمين إلى قالقالا، وأطلقوا عليها أرزن الروم . (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٥ — ٢٠٦؛
و Enc. Isl. Art. Erzerum) . (٣) بغير ضبط في س، وهي أنقرة الحالية . (ياقوت: معجم

البلدان، ج ١، ص ٣٩٠ — ٣٩١) . (٤) في س كيقباد . انظر (Enc. Isl. Art. Kaikobad) .

(٥) في س كيقباد . (٦) مضبوطة هكذا في س، وهي اسم أطلقه الترك على شمال الصين، وقد أخذوه

من اليونانية، ثم استعاره العرب من الترك . انظر (Blochet: Op. cit. p. 330. N. 3.)

إلا أنهم يعترفون بالله تعالى، من غير اعتقاد شريعة . فملكوا الصين - وكان ملكهم يقال له جنكزخان^(١) - ثم ساروا إلى تركستان وكاشغر، فملكوا تلك البلاد، وأغاروا على أطراف بلاد السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان محمد بن جغرى بك داود ابن ميكائيل بن سلجوق . ثم استولوا على بخارى وغيرها من بلاد العجم .

سنة سبع عشرة وستمائة . أهلت وانقضت ، والحوب قائمة بين المسلمين وبين الفرنج على دمياط، في منزلة المنصورة . وفيها استولى التتار على سمرقند، وهزموا السلطان علاء الدين، وملكوا الري وهمدان وقزوين، وحاربوا الكرج، وملكوا فرغانة والترمد^(٢) وخوارزم، (ه ه ب) وخراسان ومرو ونيسابور، وطوس وهرات وغزنة .

وفيها ملك الأشرف موسى بن العادل ماردئين وسنجار . وفيها مات الملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى صاحب حماة - وكان إماما مفتيا^(٣) في عدة علوم، وله شعر جيد - في ذى القعدة، عن خمسين سنة، منها مدة ملكه ثلاثون سنة . وكان ابنه الأكبر الملك المظفر تقي الدين محمود في معسكر خاله الملك الكامل، بالمنصورة على مقاتلة الفرنج^(٤) . فقام بمملكة حماة الملك الناصر قلع أرسلان بن المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة . فشق ذلك على أخيه المظفر، واستأذن الملك الكامل في العود إلى حماة، ظنا منه أنه يملكها، فإنه كان ولى عهد أبيه . فأذن له [الملك الكامل]، وسار به فلقى الملك المعظم في الغمر، فخوفه من التعرض إلى أخيه، فأقام بدمشق . ثم رجع [المظفر] إلى الملك الكامل، فأقطعه إقطاعا، وأقام في خدمته .

وفيها كثرت مصادرة الصاحب صفى الدين بن شكر أرباب الأموال، بمصر والقاهرة، من التجار والكتاب : وقتر التبرع على الأملاك، وهو مال جبي من الناس . وأخذت [ابن شكر] حوادث كثيرة، وحصل مالا جما .

(١) في س جنكص خان . (٢) في س سلجوق .

(٣) في س الزمد . (٤) في س شاهنشاه . (٥) في س ملين . (٦) في س مقابلة .

وفيها قوى طمع الفرنج في ملك ديار مصر، وغزموها على التقدم إلى المسلمين، ليدفعوهم عن منزلتهم، ويستولوا على البلاد. فانقضت السنة وهم تجاه المسلمين على رأس بحر أشموم ودمياط. وفيها غلت الأسعار بأرض مصر، فبلغ القمح ثلاثة دنانير كل أردب، فكانت من أشق السنين وأشدّها على أهل مصر.

وفيها مات الشريف أبو عزيز قتادة بن أبي مالك إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سلطان مكة، في آخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة. وله شعر جيد، وقدم مصر غير مرة، ومعه أخوه أبو موسى عيسى، وكانت ولادته ومرباه بالينبع. وملك مكة بعده ابنه حسن بن قتادة، فسار راجح بن قتادة مغاضبا له، وقطع الطريق في الموسم بين مكة وعرفة، فقبض عليه أقباش^(١) أمير الحاج العراقي. فبعث الشريف حسن لأقباش بعده بمال يسلمه راجحا، فوعده راجح بأكثر من ذلك، فعزم [أقباش] على أن يسلمه مكة، [وتقدم لمقاتلة أميرها]، فقتل [أقباش]، وفر راجح إلى الملك المسعود باليمن.

+++

سنة ثمان عشرة وستمائة. فيها اشتدت قوة الفرنج، بكثرة من قدم إليهم في البحر. فتابع الملك الكامل الرسل في طلب النجديات، فقدمت عليه الملوك كما تقدم. واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا، وقد اجتمع من الفرنج والمسلمين ما لا يعلم عدداهم إلا الله. وكانت العامة تكرر على الفرنج أكثر ما يكر عليهم العسكر، وتقدم جماعة (١٥٦) من العسكر إلى خليج من النيل في البر الغربي، يعرف ببحر المحلة، وقاتلوا الفرنج منه. وتقدمت الشواني الإسلامية في بحر النيل، لتقاتل شواني الفرنج، فأخذوا منها ثلاث قطع بريالها وأسلحتها.

(١) مضبوط على منظوقه في (Blochet : Op. cit. p. 336). (٢) عبارة المقرئ هنا عن حوادث

مكة مقتضبة، وقد أضيف ما بين الأقواس من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٦١ - ٢٦٣)

حيث توجد تفاصيل كثيرة. (٣) في ص ببر.

[هذا] والرسيل تتردد من عند الفرنج في طلب الصلح بشروط: منها أخذ القدس وعسقلان وطبرية، وجبله واللاذقية، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من بلاد الساحل. فأجابهم الملوك إلى ذلك، مبخلا الكرك والشوبك. فأبى الفرنج، وقالوا: "لا نسلم دمياط حتى تسلموا ذلك كله"، فرضى الكامل. فامتنع الفرنج، وقالوا: "لا بد أن تعطونا خمسمائة ألف دينار، لتعمر بها ما خربتم من أسوار القدس، مع أخذ ما ذكر من البلاد، وأخذ الكرك والشوبك أيضا".

فاضطرت المسلمون إلى قتالهم ومصابرتهم، وعبر جماعة من المسلمين في ببحر المحلة إلى الأرض التي عليها معسكر الفرنج، وفتحوا مكانا عظيما في النيل. وكان الوقت في قوة الزيادة، فإنه كان أول ليلة من توت، والفرنج لا معرفة لهم بحال أرض مصر، ولا بأمر النيل. فلم يشعر الفرنج إلا والماء قد غرق أكثر الأرض التي هم عليها، وصار حائلا بينهم وبين دمياط، وأصبحو ١٠ وليس لهم جهة يسلكونها، سوى جهة واحدة ضيقة. فأمر السلطان في الحال بنصب الجسور عند بحر أشموم طناح، فتهيا الفراغ منها، وعبرت العساكر الإسلامية عليها، وملك الطريق التي تسلكها الفرنج إلى دمياط، فانحصروا من سائر الجهات. وقد ر الله سبحانه بوصول مرمة عظيمة في البحر للفرنج، وحوطها عدة حراقات تحميها، وسائرها مشحونة بالميرة والسلاح، وسائر ما يحتاج إليه. فأوقع بها شوانى الإسلام، وكانت بينهما حرب، أنزل الله فيها نصره ١٥ على المسلمين، فظفروا بها وبما معها من الحراقات.

ففت ذلك في أعضاد الفرنج، وألقى في قلوبهم الرعب والذلة، بعد ما كانوا في غاية الاستظهار والعنت على المسلمين، وعلموا أنهم مأخوذون لا محالة. وعظمت نكاية المسلمين بهم، برميهم بإيهم بالسهام، وحملهم على أطرافهم^(٢). فأجمعوا أمرهم على مناهضة المسلمين، ظنا منهم أنهم يصلون إلى دمياط، فخرّبوا خيامهم ومجانيقهم، وعزموا على أن يحطموا حطمة واحدة.

(١) في س... في غاية الاستظهار على المسلمين والعنت". (٢) كذا في س، ب (٦٨ ١)، وبالعبارة

شيء من الغموض لكثرة الضمائر، ولذا أورد ما يقابلها في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢١٥) للتوضيح،

ونصه: "وعساكر المسلمين محيطة بهم، برمونهم بالنشاب، ويحملون على أطرافهم".

فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا، لكثرة (٥٦ ب) الوحل والمياه التي قد ركبت الأرض من حولهم .
 فعجزوا عن الإقامة لقلة الأزواد عندهم ، ولأذوا إلى طلب الصلح ، وبعثوا يسألون الملك
 الكامل - وأخوته الأشرف والمعظم - الأمان لأنفسهم ، وأنهم يسلمون دمياط بغير عوض .
 فاقضى رأى الملك الكامل إجابتهم ، واقضى رأى غيره من إخوته مناهضتهم ، واجتثاث
 أصلهم ألبته . فخاف الملك الكامل إن فعل ذلك أن يمتنع من بقى منهم بدمياط أن يسلمها ،
 ويحتاج الحال إلى مهازلتها مدة ، فإنها كانت ذات أسوار منيعة ، وزاد الفرنج عند ما استولوا
 عليها في تحصينها ، ولا يؤمن في طول محاصرتها أن يفد ملوك الفرنج نجدة لمن فيها ، وطلبا لئلا
 من قتل من أكابره . هذا وقد ضجرت عساكر المسلمين ، وملت من طول الحرب ، فإنها
 مقيمة في محاربة الفرنج ثلاث سنين وأشهر^(١) .

وما زال الكامل قائما في تأمين الفرنج إلى أن وافقه بقية الملوك ، على أن يبعث
 الفرنج برهائن من ملوكهم - لا من أمراءهم - إلى أن يسلموا دمياط . فطلب الفرنج أن
 يكون ابن الملك الكامل عندهم رهينة ، إلى أن تعود إليهم رهائتهم . فتقرر الأمر على ذلك ،
 وحلف كل من ملوك المسلمين والفرنج ، في سابع شهر رجب . وبعث الفرنج بعشرين ملكا
 من ملوكهم رهنا ، منهم يوحنا صاحب عكا^(٢) ، ونائب البابا^(٣) . وبعث الملك الكامل إليهم بابنه
 الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وله من العمر يومئذ خمس عشرة سنة ، ومعه جماعة من
 خواصه . وعند ما قدم ملوك الفرنج جلس لهم الملك الكامل مجلسا عظيما ، ووقف الملوك من
 إخوته وأهل بيته بين يديه بظاهر البرمون^(٤) ، في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب ، فهال

(١) في س وأشهر .

(٢) يقصد المؤلف (Jean de Brienne, roi titulaire de Jérusalem) ، وهو قائد هذه الحملة

الصليبية في أوطا . (Rec. His. Or., II, 1. P. 124. N. 4.) . (٣) نائب البابا في تلك الحملة هو

(Cardinal Pélage) . نفس المرجع والجزء والصفحة (N. 5) . (٤) بغير ضبط من س ، و يوجد في

(P. Omar Toussoun : Op. cit. I. 1. Pl. II. b.) ذكر للبرمون البحرى والبرمون القبلى ، وكلاهما شمالي

بحر تيس ، بين المنصورة وشربين .

الفرنج ما شاهدوا من تلك العظمة وبهاء ذلك الناموس . وقدمت قسوس الفرنج ورهبانهم إلى دمياط ، ليسلموها إلى المسلمين ، فتسلمها المسلمون في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب . فلما تسلمها المسلمون ، قدم في ذلك اليوم من الفرنج نجدة عظيمة ، يقال إنها ألف فركب ، فعُدّ تأخرهم إلى [ما] بعد تسليمها من الفرنج صنعا جميلا من الله سبحانه . وشاهد المسلمون عند [ما] تسلموا دمياط من تحصين الفرنج لها ما لا يمكن أخذها بقوة ^(١) .

وبعث السلطان بمن كان عنده في الرهن من الفرنج ، وقدم الملك الصالح ومن كان معه . وقررت الهدنة بين الفرنج وبين المسلمين مدة ثمانى سنين ، على أن كلا من الفريقين يطلق ما عنده من (١٥٧) الأسرى . وحلف السلطان وأخوته ، وحلف ملوك الفرنج ، على ذلك . وتفرق من كان قد حضر للقتال ، فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما . ثم دخل الملك الكامل إلى دمياط بعساكره وأهله ، وكان لدخوله مسرة عظيمة وابتهاج زائد . ثم سار الفرنج إلى بلادهم . وعاد السلطان إلى قلعة الجبل ، في يوم الجمعة ثمانى عشر شهر رمضان . ودخل الوزير الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي ابن شكر في البحر ، وأطلق من كان بمصر من الأسرى ، وكان فيهم من أسر من الأيام الصلاحية . وأطلق الفرنج من كان في بلادهم من أسرى المسلمين .

وانفق أنه لما رحل الفرنج اجتمع في ليلة عند الملك الكامل أخواه المعظم عيسى والأشرف موسى على حالة أنس ، فأمر الأشرف جاريته ست الفخر ، فغنت على عودها : —

ولما طغى فرعون عكا بئغيه * وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض

أتى نحوهم موسى وفي يده العصا * فأغرقهم في اليم بعضا على بعض

(١) كان من شروط الصلح أن تكون هدنة بين المسلمين والصليبيين لمدة ثمانى سنين ، لا يستثنى منها سوى أصحاب التيجان من ملوك أوربا ، فإن لهم أن ينقضوها إذا شاموا . ولقد كانت الحملة التي وصلت دمياط ، بعد إمضاء شروط الصلح ، من عند فردريك الثاني (Frederic II) إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . وكان يحق لقائدها أن يكسر الهدنة ، دون أن يخجل بشروط الصلح ؛ غير أن وجود الرهائن لدى الكامل أخاف الصليبيين من عواقب ذلك ، فسلموا دمياط حسب الشروط . (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 224) .

(٢) قبالة هذا الخبر ، بهامش الصفحة في م ، لفظ "لطيفة" ، بخط مخالف .

فطرب الأشرف، وقال لها: "كُربى". فشق [ذلك] على الملك الكامل، وأمرها فسكتت، وقال بخاريته: "وَعَنَّ أَنْتِ؟". فغنت على العود: —

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا * لما قد جرى في وتتنا وتجددا
أعباد عيسى إن عيسى وقومه * وموسى جميعا ينصرون محمدا

فأعجب الكامل بها، وأمر لها بخمسمائة دينار، ولخارية أخيه الأشرف بخمسمائة دينار...
فنهض القاضي الأجل هبة الله بن محاسن، قاضي غزوة، وكان في جملتهم، وأنشد: —

حيانا إله الخلق فتحالنا بدا * مينا وإنعاما وعزا مجددا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الـ^(١) * طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سأل عزمه * صقيلا كما سأل الحسام مجزدا
فلم تر إلا كل شلو مجدل^(٢) * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعا * عقيرته في الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى إن عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران^(٤) محمدا

ويقال إن هذا المجلس كان بالمنصورة. ولما استقر الملك الكامل على تخت ملكه سارت الملوك إلى ممالكها، ونعمت بشارة أخذ (٥٧ ب) المسلمين دمياط آفاق الأرض. فإن التار كانوا قد دمروا ممالك الشرق، وكادت مصر مع الشام يستاصل شافة أهلها الفرنج، حتى من الله بجيبل صنعه وخفى لطفه، ونصر عباده المؤمنين، وأيدهم بجنده، بعد ما ابتلى المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا.

وقدمت على الملك الكامل تهاني الشعراء بهذا الفتح، فكان أولهم إرسالاً شرف الدين

ابن عنين، بكلمته التي أولها: —

(١) في بن باهليه. (٢) الشلو، والشلا، الحمد أو العضو من أعضائه. (محيط المحيط).
(٣) في س مجدل. (٤) كذا في س، وقد تقدمت بصورة الجمع، في البيت عينه، سطر ٤.

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا * إذا جهت آياتنا والقنا اللدنا
 غداة التقينا دون دمياط جحفلا * من الروم لا يحصى يقينا ولا ظمنا
 قد اجتمعوا رأيا ودينا وهمة * وعزنا وإن كانوا قد اختلفوا سنا
 تداعوا بأنصار الصليب وأقبلت * جموع كأن الموج كان لهم سفنا
 وأطمعهم فينا غرور فأرقلوا * إلينا سِراعا بالجهاد وأرقلنا
 فما برحت سمر الرماح تتوشهم * بأطرافها حتى استجاروا بنا منا
 سقيناهم كأسا نفت عنهم الكرى * وكيف ينام الليل من عدم الأمانا
 لقد صبروا صبرا جميلا ودافعوا * طويلا فما أجدى دفاع ولا أغنى
 بدا الموت من زرق الأسنه أحمرنا * فآلقوا بأيديهم إلينا فأحسننا
 وما برح الإحسان منا سجية * نورثها من صيد آبائنا الإبننا
 وقد جرّبونا قبلها في وقائع * تعلم غمر القوم منا بها الطعنا
 أسود وغى لولا وقائع سمرنا * لما لبسوا قيادا ولا سكنوا سجننا
 وكم يوم حرّ ما وقينا هجره * وكم يوم قر ما طلبنا له رنا
 فإن نعم الملك في وسطه الشقا * ينال وحلو العيش من مره يجنى
 يسير بنا من آل أيوب ماجد * أبي عزمه أن يستقر بنا مغنى
 كريم الثنا عار عن العار بأسل * جميل المجيا كامل الحسن والحسنى
 سرعى نحو دمياط بكل سُميدع * إمام يرى حسن الثنا المغنم الأسنى
 مآثر مجد خدرتها سيوفه * طوال المدى يفنى الزمان ولا تقنى
 وقد عرفت أسيافنا ورقابهم * مواقعها منا فإن عاودوا عدنا
 منحناهم منا حياة جديدة * فعاشوا بأعناق مقلدة منا
 ولو ملكونا لاستباحوا دماءنا * ولو غا ولكنا ملكنا فاسبحنا

وقال :

ففيها بما ضمت أباطح مكة * وبمن حواه من المجمع الموقف
(١٥٨) اولم يقم موسى بنصر محمد * لرق على درج الخطيب الأسقف
لولا ما ذل الصليب وأهله * في ثغردمياط وعز المصحف

ووردت أيضا قصيدة القاضي الأجل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي القوصي ، وغيره

من الشعراء .

وفيها ملك التمر مراغة وهمذان وآذربيجان وتبريز^(١) . وفيها مات الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق الأرتقي ، صاحب حصن كيفا ، وقام من بعده ابنه الملك المسعود داود . وفيها ركب الملك الكامل من قلعة الجبل إلى منظره صاحب صفى الدين بن شكر - التي على الخليج بمصر - في ذى القعدة ، وتحدث معه في نفي الأمراء الذين وافقوا الفائر . وكانوا في جيزة دمياط لعمارتها ، فكتب لهم بالتوجه من أرض مصر إلى حيث شاءوا ، فمضوا بأجمعهم من الجيزة إلى الشام ، ولم يتعرض [الملك الكامل] لشيء من موجودهم ، وفترق أخبازهم على مماليكه . وفيها مات أمين الدين مرتفع بن الشعار ، وإلى مصر ، في يوم الجمعة ثالث محرم . ومات متولى تونس وبلاد إفريقية الأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى بن أبي حفص عمر بن ونودين الهنتاتي ، في يوم الخميس أول المحرم ، و [كان] قد ولي [تونس] من قبل الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف العسيري بن عبد المؤمن ، ملك الموحدين ، في سنة اثنتين وستمئة . و [كان أبو محمد قد] قدم أكبر بنيه ، الشيخ أبا زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد ، فقام بأمر تونس ، حتى قدم أخوه أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد ، متوليا إفريقية من قبل العادل عبد الله بن

(١) في س توريز ، وبغير ضبط ، وإبدال الباء واوا هو النطق "الجاري على السنة العامة" . (القلقشندي : صبح

الأعشى ، ج ٤ ، ٣٥٧) (٢) في س فرارسلان .

(٣) مضبوطة هكذا في س (انظر ص ٦٢ ، حاشية ١) . (٤) بغير ضبط في س . انظر

(٥) مضبوطة هكذا في س . (Enc. Isl. Art. Hafside)

المنصور يعقوب، [ملك الموحدين]، في خامس رمضان منها، فاستمر [أبو محمد عبد الله] حتى قام أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد . [هذا] . والأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص هو أول من قام من الحفصيين بإمرة تونس، وهو جد ملوك تونس الحفصيين .

♦ ♦ ♦

سنة تسع عشرة وثمانية . فيها قدم الأشرف موسى إلى مصر، فأقام بها عند [أخيه] الساطان [الملك الكامل] مدة، ثم عاد في رمضان . وفيها أوقع التتر بالكرج . وفيها قدم المظفر موسى على أخيه الكامل بمصر . و [فيها] قدم الملك المسعود يوسف بن الكامل من اليمن إلى مكة في ربيع الأول، وقد رحل عنها الشريف حسن بن قتادة، وقدم معه راجح ابن قتادة [إلى] مكة . فرد الملك المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم، وما أخذ لهم من الدور بمكة والوادي، ثم عاد إلى اليمن بعد ما حج، ومنع أعلام الخليفة من التقدم، وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة . وبدا منه بمكة ما لا يُحمد، من رمي حمام الحرم بالبندق من فوق زمزم، ونحو ذلك . فهم أهل العراق بقتاله، فلم يقدروا على ذلك عجزاً عنه . واستتاب [الملك المسعود] بمكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس — وكان الشريف حسن بن قتادة قد نزل ينبع . وولى [الملك المسعود] أيضاً راجح بن قتادة السرين وحلى ونصف الخلاف . فجمع الشريف حسن وسار إلى مكة، وكسر ابن رسول، وملك منه مكة .

(١) تولى الملك المسعود، واسمه صلاح الدين يوسف، بلاد اليمن سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م)، بعد المظفر سليمان. (Lane-Poole: Muh. Dyns. pp. 79, 98-99.)
 (٢) انظر ص ٢٠٦ .
 (٣) المعروف أن الملك المسعود أسند ولاية مكة، في تلك السنة، إلى علي بن رسول، والد نور الدين عمر بن علي ابن رسول، المذكور هنا . (Lane - Poole: Muh. Dyns. p. 99.) (٤) بغير ضبط في س، وهي بلد قريب من مكة، على ساحل البحر، قرب جدة . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٨٩) .
 (٥) مضبوطة هكذا في س، ويسمى ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٧) الحال، وهي بلدة على الحدود، بين اليمن والحجاز، وبقرها جبل حلي، وبقالتها مرسي حلي . (Enc. Isl. Art. Hali.) (٦) كذا في س، بغير ضبط، ولعل المقرئ قصد الخلفة، وهي موضع أسفل مكة . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٣) .
 أما الخلاف فهو مرادف الكورة، وتسمى كورات اليمن الخاليف، وقد ذكرها ياقوت (نفس المرجع والجزء، ص ٤٣٤ — ٤٤٠؛ ج ٦، فهرس)، وعدتها تسعة وعشرون ومائة .

وفيه مات الأمير عماد الدين أبو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب، أحد الأمراء الصلاحية، في الاعتقال بحران، في ربيع الآخر.

سنة عشرين وثمانمائة . فيها أخذ المعظم عيسى المعرة وسامية، ونازل حماة .
 فشق ذلك على أخيه الأشرف - وكان بمصر - وتحدث مع الكامل في إنكار ذلك . فبعث
 [السلطان الكامل] إلى المعظم يسأله في الرحيل عن حماة، فتركها وهو حنق . وفيها حج الملك
 الجواد والملك الفائز من القاهرة، وقدمَا علم الخليفة على علم السلطان الملك الكامل في طلوع
 عرفة . وفيها خرج الأشرف من مصر إلى بلاده، ومعه خلع الملك الكامل والتقليد بسطنة
 حلب للعزيز ناصر الدين محمد بن الظاهر غازي . فوصل إلى حاب في شوال، وتلقاه العزيز -
 وعمره عشرين سنين - فأفاض عليه الخلع الكاملية، وحمل الغاشية بين يديه، وأقام عنده أياما،
 ثم (٥٨ ب) سار إلى حران .

وفيهما عم الجراد بلاد العراق والجزيرة، وديار بكر والشام . وفيها أوقع التتر بالروس .
 وفيها شق سهم الدين عيسى وإلى القاهرة نفسه - وهو معتقل بدار الوزارة - ليلة الخميس
 سادس شوال .

(١) بغير ضبط في س، وهي بليدة من ناحية البرية، من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين، "ولا يعرفها أهل الشام إلا بسليمة". (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٣) . (٢) يوجد فوق هذين اللفظين في س كلمة "حد". (٣) اسمه يونس، وهو ابن مودود بن العادل بن أيوب . (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ص ١١٤، في Rec. Hist. Or. I.) . (٤) يلى هذا في س بياض، قدر سطر تقريبا، فيه آثار كتابة محوّة محوّا تاما . (٥) أصل الغاشية السرج أو الغطاء المزركش، الذي يوضع على ظهر الفرس، فوق البرذعة . وكان سلاطين الأيوبيين - والمماليك بعدهم - يخرجون في المواكب وبين أيديهم غاشية، وفيها يقول القلقشندي (صبيح الأعشى، ج ٤، ص ٧) ما نصه: "وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب، يحاها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب، تحمل بين يديه (السلطان) عند الركوب في المواكب الحفلة، كالليادين والأعياد ونحوها، يحملها الركاب دارية، رافعا لها على يديه، يلفتها يمينا وشمالا، وهي من خواص هذه الملكة". انظر أيضا (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

* * *

سنة إحدى وعشرين وستمائة . فيها ملك التتر^(١) قم ، وقاشان^(٢) ، وهذان .
 وفيها اختلف الحال بين المظفر غازي ، صاحب إربل ، وبين أخيه الأشرف . فخرج المعظم من
 دمشق يريد محاربة الأشرف ، فبعث إليه الكامل يقول له : "إن تحركت من بلدك سرت
 وأخذته منك" . فخاف وعاد إلى دمشق . وفيها مات الوزير الأعظم أبو العباس أحمد ،
 المعروف بفخر الدين مقدم بن شكر ، في آخر شعبان بالقاهرة . وفيها أخذ عسكر مصرينبع
 من بني حسن ، وكانوا قد اشتروها بأربعة آلاف مثقال ، فلم تزل بيد المصريين إلى سنة ثلاثين .

* * *

سنة اثنتين وعشرين وستمائة . فيها فر الملك الجواد مظفر الدين يونس بن
 مودود من مصر في البحر ، خوفاً من عمه الملك الكامل ، ولحق بعمه المعظم . وفيها تخوف
 الكامل من أمرائه ، لميلهم إلى أخيه الملك المعظم . فقبض على جماعة ، وبعث إلى الطرقات
 من يحفظها ، وبعث عدة رسل إلى الملوك الذين في خدمة أخيه الأشرف يأمرهم بالاتفاق
 وألا يخالفوه .

وفيها عاد السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه [علاء الدين محمد بن تكش] إلى بلاده ؛
 وقوى أمره على التتر ، واستولى على عراق العجم ، وسار إلى ماردين وأخذها ، وسار إلى
 خوزستان . وشاقق [جلال الدين] الخليفة الناصر [لدين الله] ، وسار حتى وصل بعقوبا^(٥) ،
 وبينها وبين بغداد سبعة فراسخ ، فاستمد الخليفة للحصار . ونهب جلال الدين البلاد ، وأخذ

(١) بغير ضبط في س ، وهي من بلاد الفرس ، بالعراق العجمي ، بين إصفهان وسارة . وكان اسمها في الأصل
 كُندان ، فأسقط بعض حروفها ، وعربت إلى قم . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٥ — ١٧٧ ؛
 و Enc. Isl. Art. Kūmm) . (٢) بغير ضبط في س ، وهي بالعراق العجمي أيضا ، على مسيرة
 ثلاثة أيام من إصفهان ، وتذكر عادة مع قم ، التي تبعد عنها اثني عشر فرسخا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٥ ؛
 و Enc. Isl. Art. Kashān) . (٣) في س ممدود . (انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٣) .

(٤) في س جلا الدين ، بسائر الصفحة في س ، وقد صححت بغير تنبيه بعد هذه المرة . انظر ابن الأثير (الكامل
 في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٠٦ وغيرها) . (٥) بغير ضبط في س ، ويقال لها بعقوبا أيضا ، وهي من أعمال
 طريق خراسان ، وتبعد عن بغداد عشرة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٧٢) .

منها ما لا يقع عليه حصر، وفعل أشنع ما يفعله التتر. فكاتبه الملك المعظم، واتفق معه معاندة لأخيه الكامل، ولأخيه الملك الأشرف، صاحب البلاد الشرقية. فسفر السلطان جلال الدين ابن القاضي مجد الدين - قاضي الممالك - في الرسالة إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى الملك الكامل، فتظاهر بأنواع الفسوق. وسار جلال الدين إلى عراق العجم، فملك همدان، وتبريز^(١)، وأوقع بالكرج.

وفيها مات الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف، صاحب سيمساط، بفاة^(٢) بسيمساط في صفر، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس - وقيل ست - وستين وخمسمائة. وهو أكبر أولاد أبيه، وإليه كانت ولاية عهده. وسمع [الأفضل] من ابن عوف وابن برى. واستقل بمملكة دمشق بعد موت أبيه، فلم ينتظم له أمر لقلّة حظه، وأخذها منه أخوه العزيز عثمان، صاحب مصر. ثم صار [الأفضل] أتابكا لئنصور بن العزيز (١٥٩) بمصر، وحصر دمشق، وبها عمه [العاقل]، وأشرف على أخذها منه، فقطع عليه سوء الحظ، وعاد إلى مصر، وفي أثره عمه العادل، فاتترع منه مصر، ولم يبق معه سوى صرخد. ثم قصد [الأفضل] دمشق ثانيا، مع أخيه الظاهر غازي صاحب حلب، فلم يتم أمرهما لاختلافهما، وصار بيده سيمساط لا غير. فلما مات أخوه الظاهر طمع في حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكائوس السلجوقي ملك الروم، فلم يتم لها أمر. وعاد [الأفضل] إلى سيمساط، فلم يزل بها يتجرع الفصص حتى مات كندا. وكان فاضلا أديبا حلما، حسن السيرة متجاوزا، يكتب الخط المليح، جامعا لعدة مناقب، إلا أنه كان قليل الحظ. وشعره جيد: كتب إلى الخليفة الناصر [لدين الله] - لما اتترع منه دمشق أخوه العزيز عثمان وعمه العادل أبو بكر -

في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، كتابا يشكو إليه اغتصابها ميراثه من أبيه، وأوله:

مولاي! إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد أخذوا بالسيف إرث علي

فانظر إلى حظ هذا الإسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

(١) في س توريز. (٢) هذا اللفظ مطبوس بمداد في س، ولكنه في ب (٧٠ ب).

(٣) ولد الأفضل علي سنة ٥٦٦ هـ. (Lane-Poole: Saladin. Table II, in pocket).

وله أيضا في معناه :

أما أن للسعد الذي أنا طالب
تري [هل] أيريني الدهر أيدي شيعتي

لإدراكه يوما يرى وهو طالب
تمكّن يوما من نواصي النواصب

فأجابه الخليفة بقوله :

وإني كتابك يا بن يوسف معلنا
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن
فأبشر فإن غدا يكون حسابهم

بالودّ يخبر أن أصلك طاهر
بعد النبي له يثرب ناصر
واصبر فناصرك الإمام الناصر

ومن شعره :

أيامن يسود شعره بخضابه
ها فاختضب بسوام حظي مرة

لعساء من أهل الشيبية يحصل
ولك الأمان^(١) بأنه لا ينصل

وقام من بعده بسمياط أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى شقيقه ، فاختلف عليه
أولاد الأفضل .

وفيها مات الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد
بالله يوسف ، في ثاني شهر شوال ، ومولده في العاشر من شهر رجب سنة ثلاث
ونمسين وخمسمائة . وله في الخلافة سبع وأربعون سنة ، غير ستة وثلاثين يوما . وكانت
أمه أم ولد ، يقال لها زمرد ، وقيل زرجس . وكان شهما أبي النفس ، حازما متيقظا ،
صاحب فكر صائب ، ودهاء ومكر . وكان مهيبا^(٢) ، ولده أصحاب (٥٩ ب) أخبار - بالعراق
وفي الأطراف - يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها . فكان لا يخفى عليه أكثر أحوال رعيته ،
حتى أن أهل العراق يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع امرأته ، لما يظن أن ذلك يطلع عليه

(١) العبارة الآتية مكتوبة بهامش الصفحة في س ، بخط مخالف ، ونصها : " هذان البيتان ...
الأفضل " ؛ والياض مكان ألفاظ تعذرت قراءتها . ويلاحظ أن خط هذه العبارة يشبه كثيرا خط كاتب الجملة
" ملكة محمد المقرئزي " ، الواردة بصفحة العنوان . (انظر ص ٥ ، حاشية ٥) . (٢) لم يترجم
(Blochet : Op. cit. P. 351) بعد هذا اللفظ شيئا مما هنا من أخبار الناصر لدين الله ، مع وروده بخطوط
السلوك التي ترجم منها . وقد نعد (Blochet) هذا الحذف ، لوجود ترجمة ذلك الخليفة في وفيات الأعيان ،
لابن خلكان . (٣) في س مهايا .

الخليفة، فيعاقب عليه . وعمل شخص دعوة ببغداد، وغسل يده قبل أضيافه ، فعلم الخليفة بذلك من أصحاب أخباره ، فكتب في الجواب : ” سوء أدب من صاحب البلد ، وفضول من كاتب المطالعة “ . وكان ردىء السيرة في رعيته ، ظالما عسوفان : حرب العراق في أيامه ، وتفترق أهله في البلاد ، فأخذ أملاكهم وأموالهم . وكان يحب جمع المال ، ويباشر الأمور بنفسه ، ويركب بين الناس ويجتمع بهم ، مع سفكه للدماء ، وفعله للأشياء المتضادة : فيغتصب الأموال ويتصدق . وشغف برمي الطير بالبندق ، ولبس سراويلات الفتوة ، وحمل أهل الأمصار على ذلك^(٢) ، وعمل سالم بن نصر الله بن واصل الحموي في ذلك رسالة بديعة . وصنف الناصر [لدين الله] كتابا في مروياته ، سماه روح العارفين ، وأسمعه [للفقهاء بمصر والشام]^(٣) ، وله شعر . وفي خلافته حرب التتر بلاد المشرق ، حتى وصلوا إلى همدان ، وكان هو السبب في ذلك : فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد ، خوفا من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه ، لما هم بالاستيلاء على بغداد ، وأن يجعلها دار ملكه ، كما كانت السلجوقية . ولم يمت [الخليفة الناصر لدين الله] حتى عمى ، وقيل كان يبصر بإحدى عينيه . وقام من بعده في الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله^(٤) أبو نصر محمد^(٥) — بعهد من أبيه — يوم مات أبوه ، وعمره ما ينيف على خمسين سنة . وكان يقول ” من يفتح دكانه العصر متى يستفتح؟ “ . ولما ولى^(٦)

(١) في هامش الصفحة في س العبارة الآتية : ” انظر اذا تقدم الشخص اضيافه لفسل يديه “ ، وهي بخط مخالف .
(٢) انظر ص ١٧٢ ، سطر ٤ . . . (٣) انظر ص ١٨٠ ، سطر ١٥ . . . (٤) لهذه التسمية سبب ، وهو — كما جاء في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٨٧) — أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد خلع ولده أبا نصر محمد ، وهو أكبر ابنه ، من ولاية العهد ، وولى بدله ولده الصغير عليا ، لشدة حبه له . ثم حدث أن عليا توفي سنة ٦١٢ هـ ، (انظر ص ١٨١ ، سطر ٧) ، فاضطر الخليفة إلى إعادة أبي نصر محمد إلى ولاية العهد . فلما توفي الناصر ، وأصبح أبو نصر خليفة ، لقب نفسه بالظاهر بأمر الله ، وقصد بذلك أن أباه أراد صرف الأمر عنه ، فظهر وولى الخلافة بأمر الله . (٥) في س ابى . . . (٦) أفاض ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٨٧ — ٢٨٩) في ذكر أعمال الخليفة الجديد ، وبما قال : ” ولما ولى [الظاهر بأمر الله] الخلافة ، أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به عهد العمرين ، فلوقيل إنه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القابل (كذا) صادقا : فإنه أعاد من الأموال المنصوبة ، في أيام أبيه وقبله ، شيئا كثيرا . . . (٢٨٩) . . . ومن حسن نيته للناس أن الأسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية ، فرخصت الأسعار . وأطلق حمل الأطعمة إليها ، وأن يبيع كل من أراد البيع للقلة . . . وأمر أن يباع من الأهرام التي له طعام أرخص مما يبيع غيره ، ففعلوا ذلك ، فرخصت الأسعار ، وهم أيضا ، أكثر مما كانت أولا . . . ولقد سمعت عنه كلمة أعجبتني جدا ، وهي أنه قيل له في الذي يخرجوه ويطلقه من الأموال ، التي لا تسمح نفس ببعضها ، فقال لهم : ” أنا فتحت الدكان بعد العصر ، فأركوني أفضل الخير ! فكم أبيعش؟ “ .

وثوباً مطرزا بالذهب أيضاً؛ ثم ألبس المعظم عيسى، صاحب دمشق، بدمشق . وسار إلى القاهرة بالتقليد والخلع للملك الكامل، ولأولاده الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك المسعود، وللصاحب صفى الدين بن شكر . فبرز الملك الكامل إلى ظاهر القاهرة، ولبس الخلع الخليفية هو وولده^(٢) . وكان صاحب صفى الدين قدمات، فألبس [الكامل] الخلعة التي باسمه للقاضي نجر الدين سليمان بن محمود بن أبي غالب أبي الربيع الدمشقي، كاتب الإنشاء . وعبر [الكامل] من باب النصر، وشق القاهرة إلى أن صعد قلعة الجبل، فكان يوماً مشهوداً .

وفيها قبض الملك الكامل على أولاد الصاحب صفى الدين بن شكر، وأحاط بجميع موجوده، واعتقل ابنه تاج الدين يوسف، وعز الدين محمد، في قاعة سهم الدين، بدرب الأسواني من القاهرة . ولم يستوزر [الكامل] بعد ابن شكر أحداً .

وفيها سافر الملك المسعود من القاهرة إلى اليمن . وفيها كثروهم الملك الكامل من عسكره، فإن المعظم أرسل إليه في جملة كلام: "وإن قصدتني لا آخذك إلا بعسكرك" . فوقع في نفسه الخوف ممن معه، وهم أن يخرج من مصر، فلم يجسر . وخرج المعظم فنازل حمص، وخرّب قراها ومزارعها، ولم ينل من قلعتها شيئاً، لامتناعها هي والمدينة عليه . فلما طال مقامه على حمص رحل عنها، لما أصاب عسكره ودوابه من الموت . وقدم عليه أخوه الأشرف جريدة، فسربه سروراً عظيماً، وأكرمه إكراماً زائداً .

وفيها مات الخليفة الظاهر بأمر الله [أبو نصر] محمد بن الناصر، في رابع عشر شهر رجب، فكانت خلافته تسعة أشهر وتسعة أيام، وكان حسن السيرة كثير المعروف . واستقر في الخلافة من بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، وعمره عشرون سنة، فوردت عليه رسل ملوك الأطراف . وبعث الملك الكامل (٦٠ ب) في الرسالة معين الدين حسن بن

(١) في س : والثوب مطرز . (٢) في س : ولديه . (٣) يقول المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٧)، في باب ذكر الدروب والأزقة، إن درب الأسواني "ينسب إلى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الأسواني، المعروف بابن غناب"، غير أنه لم يذكر شيئاً عن قاعة سهم الدين .

شيخ الشيوخ [صدر الدين] بن حمويه^(١) ، فلما قدم بغداد قال نيابة عن الملك الكامل ، وهو بين يدي الوزير مؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد القمي : "عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل العتبات ، التي تستشفى بتقبيل ثراها ، ويستكفي بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها ، ويوالي شكر الله تعالى على إمامة ليل العزاء ، الذي عم مصابه ، بصبح الهناء الذي تم نصابه ، حتى ترحح عن شمس الهدى شفق الإشفاق ، بفعل كلمتها العليا ، وكلمة معاديا السفلى ، وزادها شرفا في الآخرة والأولى " . وفيها قدم رسول علاء الدين كيقباد ، ملك الروم ، بتقدمة جليلة إلى الملك الكامل .

♦ ♦ ♦

سنة أربع وعشرين وستمائة . فيها سافر الأشرف إلى بلاده من دمشق ، بعد ما حلف للعظم أنه يعاضده على أخيه الملك الكامل ، وعلى الملك المجاهد صاحب حمص ، والناصر صاحب حماة . وفيها سافر رسول [علاء الدين كيقباد] ، ملك الروم ، من مصر إلى مخدمه . وفيها تآكدت الوحشة بين الكامل وبين أخويه المعظم والأشرف ، وخاف [الكامل] من انتماء أخيه المعظم إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، فبعث الأمير نحر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ [صدر الدين بن حمويه^(٢)] إلى ملك الفرنج^(٣) ، يريد منه أن يقدم إلى عكا ،

(١) تقدم ذكر شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه ، في أخبار الملك العادل ، تحت سنة ٦١٤ هـ ، (انظر ص ١٨٦) . وقد توفي بالموصل سنة ٦١٧ هـ ، وترك من الأولاد أربعة ، عرف كل منهم بابن الشيخ ، وهم نحر الدين وعماد الدين وكال الدين ومعين الدين . وذكرهم المقرزي جميعا فيما يلي ، عند ذكر وفاة السلطان الكامل ، فرجم لهم ، وقال إن أهمهم — وهي ابنة القاضي شهاب الدين بن عسرون — أرضعت الملك الكامل ، فهم أخوته من الرضاة ، انظر أيضا أبا الفداء . (المختصر في أخبار البشر ، ص ٩٥ ، ١١٤ ، في Rec. Hist. Or. I.) .

(٢) انظر الحاشية السابقة . (٣) يقصد المقرزي بملك الفرنج فردريك الثاني (Frederic II.) ، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . وكان هذا الإمبراطور قد نذر يوم تنويجه ، سنة ١٢١٥ م (٦١٢ هـ) ، أن يرافق الحملة الصليبية ، المعروفة في التاريخ الأوروبي بالخماسة ، والتي كان غرضها الديار المصرية . غير أن أمورا داخلية عاقته ، فلم يستطع الوفاء ، وسارت الحملة بقيادة (Jean de Brienne) ، وحاصرت دمياط (انظر ص ١٨٨ ، وما بعدها) . على أن الإمبراطور لم يأل جهدا في بث الدعوة للعملة في أنحاء بلاده ، بل أرسل نجدة ألمانية سنة ١٢٢١ م (٦١٨ هـ) ، شاع أنه سيرافقها ، ولكنه لم يفعل . وهذه الحملة هي التي وصلت الشواطئ المصرية بعد إمضاء شروط الصلح بين الملك الكامل والصليبيين ، (انظر ص ٢٠٨ ، وما بعدها) . ولقد كان سلوك الإمبراطور مجلبة لغضب البابوات ، الذين تعاقبوا =

ووعده أن يعطيه بعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل ، ليشغل سر أخيه المعظم ، فتجهز الإمبراطور ملك الفرنج لقصد الساحل .

وبلغ ذلك المعظم ، فكتب إلى المملطان جلال الدين يسأله النجدة على أخيه الكامل ، ووعده أن يخطب له ، ويضرب السكة باسمه . فسير إليه [جلال الدين] خلعة لبسها ، وشق بها دمشق ، وقطع الخطبة للملك الكامل . فبلغ ذلك الكامل ، فخرج من القاهرة بعساكره ، ونزل بلبس في شهر رمضان . فبعث إليه المعظم : "إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها لقصدى أتصدق بألف دينار ، فإن جميع عسكرك معي ، وكتبهم عندي ، وأنا آخذك بعسكرك" . وكتب [المعظم مكاتبة] بهذا في السر ، ومعها مكاتبة في الظاهر [فيها] : "بأنى ملوكك ، وما خرجت عن محبتك وطاعتك ، وحاشاك أن تخرج وتقابلني ، وأنا أول من أنجدك ، وحضر إلى خدمتك ، من جميع ملوك الشام والشرق" . فأظهر للإكمال هذا بين الأمراء ، ورجع من العباسية إلى قلعة الجبل ، وقبض على عدة من الأمراء (١٦١) وممالك أبيه ، لمكاتبتهم المعظم : منهم نخر الدين الطنبا الحبشي^(٣) ، ونخر الدين الطن الفيومي^(٤) — وكان أمير جانداره ؛

= على كرسي البابوية بروما ، فأراد الإمبراطور ، سنة ١٢٢٧م (٥٦٢٤هـ) ، أن يستجلب رضا البابا القائم إذ ذاك ، وهو (Gregory IX) ، فأبحر من جنوبي إيطاليا ، على رأس حملة صليبية ضخمة . غير أنه اضطر إلى العود قبل أن تبرح سفه المياه الإيطالية ، بسبب حمى انتابته . فاعتبر البابا المرض تمارصاً ، وأعلن منعه على الإمبراطور ، وصب جام غضبه عليه ، بإعلان حرمانه من الكنيسة . (Excommunication) . بل إنه لما شفى الإمبراطور ، وعزم عزماً أيكدا على الذهاب إلى الشام ، منعه البابا من الرحيل منعا . ورغم ذلك أبحر الإمبراطور ، وعلى رأسه حرمان الكنيسة ، وحملته هي المعروفة في التاريخ الأوروبي بالسادسة . ووصل الإمبراطور عكا ، في سبتمبر سنة ١٢٢٧ ، (شوال سنة ٥٦٢٤هـ) . انظر (Stevenson : Crusaders In The East. pp. 307 - 310) . هناك جاءه نخر الدين بن حمويه ، رسولا من عند الكامل ، وستأق بقية أخبار السلطان والإمبراطور فيما يلي . (١) عبارة السلوك هنا مشابهة لما في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٠٢ ، في Rec. Hist. Or. I) ، وهذا يرجح الظن بأن المقرئ اقتبس هنا من أبي الفداء ، مباشرة أو عن طريق غير مباشر . (٢) في س الانبرطوز ، وهذه قراءة غريبة للفظ (Imperator) اللاتيني ، أو ما يرادفه في اللغات الأوروبية الحديثة ، ولعل التشويه مقصود . أما الصيغة الغالبة في كتب المؤرخين المسلمين لهذا اللفظ فهي "الانبرور" ، وهي قريبة من منطوقه في الفرنسية والإنجليزية . (٣) مضبوط في س ، بضم الحاء ، وكسر الباء ، فقط . واسمه في العيني (عقد الجمان ، ج ١٨ ، قسم ١ ، ص ٤١) نخر الدين الطنبا . (٤) كذا في س . واسمه في العيني (نفس المرجع والجزء والنسم والصفحة) نخر الدين الفيومي .

وقبض أيضا على عشرة أمراء من البحرية العادلية، واعتقلهم وأخذ سائر موجودهم، وانفق في العسكر ليسير إلى دمشق .

وفيها وصل رسول ملك الفرنج بهدية سنوية وتحف غريبة إلى الملك الكامل، [كان فيها] عدة خيول، منها فرس الملك، بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر. فتلقاه الكامل بالإقامة، من الإسكندرية إلى القاهرة؛ وتلقاه بالقرب من القاهرة بنفسه، وأكرمه إكراماً زائداً، وأنزله في دار الوزير صفى الدين بن شكر. واهتم الكامل بتجهيز هدية سنوية إلى ملك الفرنج: فيها من تحف الهند واليمن، والعراق والشام، ومصر والعجم، ما قيمته أضعاف ما سيره؛ وفيها سرج من ذهب، وفيها جوهر بعشرة آلاف دينار مصرية. وعين الكامل للسيرة هذه الهدية جمال الدين بن منقذ الشيزرى .

وفيها وصل رسول الأشكرى في البحر إلى الملك الكامل . فسار المعظم من دمشق لتخريب القدس، فخرّب قلاعا وعدة صهاريج بالقدس، لما بلغه من حركة ملك الفرنج .

وفيها جهز الملك الكامل كمال الدين ومعين الدين، ولدى شيخ الشيوخ ابن حمويه - ومعهما الشريف شمس الدين الأرموى، قاضي العسكر - إلى المعظم . و [أمر السلطان الكامل] أن يسير الكمال بجواب المعظم إلى [الملك] المجاهد [أسد الدين شيركوه] بمحس، ويعرفه الحال؛ و [أن] يتوجه المعين إلى بغداد، برسالة إلى الخليفة؛ فتوجهها في شعبان .

وفيها اتفق عيد الفطر يوم عيد اليهود وعيد النصراني . [وفيها] ختن الملك العادل أبو بكر ابن الملك الكامل في تاسع شوال .

(١) في س عشر . (٢) ورود لفظ "البحرية" هنا يوجب الالتفات، فالمعروف أنه لم يطلق على أجناد السلاطين الأيوبيين إلا بعد أن أسس الملك الصالح أيوب (٦٣٧ - ٦٤٧ هـ) جيشاً جديداً من المماليك، أسكنهم قلعة الروضة على بحر النيل، "وسماهم بهذا الاسم . " (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩؛ و Enc. Isl. Art. Bahri) (٣) انظر ص ١٢٥، حاشية ٤ . (٤) إمبراطور الدولة البيزنطية في نيقية، تلك السعنة هو (John III Ducas Vatatzes)، ١٢٢٢ - ١٣٥٤ م، ٦٧٩ - ٦٥٢ هـ (Camb. Med. Hist. IV. pp. 427 - 428). انظر أيضاً ص ١٧٩، حاشية ٢ . (٥) انظر مدى التخريب الذي أحدثه المعظم بالقدس في (Enc. Isl. Art. Al-Kuds).

وفيه مات الملك المعظم أبو الفتح عيسى بن الملك العادل، صاحب دمشق، يوم الجمعة
 سلخ ذي القعدة بدمشق، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى الصالحية . ومولده بدمشق، في سنة ثمان
 وسبعين وخمسمائة^(١) . وكان قد خافه الملك الكامل، فسُرِّ بموته . وكان كريماً شجاعاً، أديباً لبنياً،
 فقيهاً متغالياً في التعصب لمذهب أبي حنيفة - رحمه الله - ، وشارك في النحو وغيره . وقال له
 أبوه [مرة]: "كيف اخترت مذهب أبي حنيفة، وأهلك كلهم شافعية؟" فقال: "يا خوند!^(٢)
 أما ترغبون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم؟" وصنف كتاباً سماه السهم المصيب، في الرد
 على الخطيب [البغدادى]، أبي بكر أحمد بن ثابت، فيما تكلم به في حق أبي حنيفة، في تاريخ
 بغداد . وكان مقداماً، لا يفكر في عاقبة، جباراً مطرِحاً للملابس، وهو الذي أطعم الخوارزمي
 في البلاد . وكانت مدة ملكه - بعد أبيه - ثمانى (٦١ ب) سنين وسبعة أشهر غير ثمانية
 أيام . فقام من بعده ابنه الملك الناصر داود، وعمره إحدى وعشرون سنة . وسير^(٣) [الناصر]
 كتبه إلى عمه الملك الكامل، بفلس [الكامل] للعزاء، وسير إليه الأمير علاء الدين بن شجاع
 الدين جلدك المظفرى التقوى بالخلة وسنجد السلطنة، وكتب معه بما طيب قلبه . فلبس
 [الناصر] خلة الكامل، وركب بالسنجد . ثم أرسل إليه الكامل يريد منه أن يترك له قلعة
 الشوبك، ليجعلها خزانة له . فامتنع من ذلك، وبهذا وقعت الوحشة بينه وبين عمه الكامل .
 وفيها أمر الملك الكامل بتخريب مدينة تيس، فخربت أركانها الحصينة وعمارتها المكيئة،
 ولم يكن بديار محصر أحسن منها، واستمرت من حينئذ خراباً .
 وفي شهر رجب من هذه السنة دعا لنفسه بتونس الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد
 ابن أبي حفص، وتلقب بالسلطان السعيد . فلم ينازعه أحد في مملكة إفريقية، وكان قد
 ضعف أمر بني عبد المؤمن .

(١) العبارة الآتية واردة بهامش الصفحة في س، وهي بخط مخالف، ونصها: "مات الملك المعظم عيسى
 رحمه الله تعالى عليه" . (٢) لفظ تركى أو فارسى، وأصله خدائونند بضم الخاء، ومعناه السيد أو الأمير،
 ويخاطب به الذكور والإناث على السواء . والخوند في اصطلاح عشائر لبنان من كانت في الرتبة دون الأمير، وفوق
 الشيخ أو المقدم . (محيط المحيط؛ و Dozy: Supp. Dict. Ar.) . (٣) في س وكان .
 (٤) في س عشرين . (٥) في س فسير . (٦) في س طلب .

* * *

سنة خمس وعشرين وثمانئة . فيها سير الملك الكامل شيخ الشيوخ ابن حمويه

بالخلع، إلى ابن أخيه، الناصر داود بن العظم، بدمشق . فحمل الرسول الغاشية بين يديه، ثم حملها
عماه : [الملك] العزيز [عثمان صاحب بانياس]، و [الملك] الصالح [عماد الدين إسماعيل،
صاحب بصرى] . و [فيها] جهز [الملك الكامل] أيضا الخلع للجاهد، صاحب حمص .

وفيها استوحش الملك الكامل من ابن أخيه الناصر داود، وعزم على قصده، وأخذ
دمشق منه . وعهد [الكامل] إلى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بالسلطنة من بعده
[بديار مصر]، وأركبه بشعار السلطنة، - وشق [الصالح] القاهرة، وحملت الغاشية بين يديه،
تداول حملها الأمراء بالنوبة - وأنزله بدار الوزارة، وعمره يومئذ نحو اثنتين وعشرين سنة .
وفيها ظلم الأجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه - صاحب بعلبك - وتعدي، وأخذ
أموال أهل بعلبك وأولادهم . فقام عدة من جنده مع العزيز نجر الدين عثمان بن العادل
في تسليمه بعلبك، فسار [العزيز] إليها ونازلها . فقبض الأجد [علي] أولئك الذين قاموا معه، وقتل
بعضهم، واعتقل باقيهم . ثم إن الناصر داود، صاحب دمشق، بعث إليه من رحله عن
بعلبك قهرا، ففضب وسار إلى الملك الكامل، ملتجئا إليه . فسر به [الكامل]، ووعد
بإتراء بعلبك من الأجد وتسليمها إليه .

وفيها ظلم الناصر داود أهل دمشق، وأخذ أموالهم، واشتغل باللهو، وأعرض عن
مصالح الدولة . فشق ذلك على الكامل، وجعله سببا يؤاخذ به، وتجهز في شهر رجب للسير
لمحاربتة، واستناب على مصر ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأقام معه الأمير نجر الدين
يوسف بن شيخ الشيوخ، ليحصل الأموال ويدبر أمور المملكة . وخرج [الكامل] من
القاهرة يوم الأحد تاسع عشر شعبان - في عساكره المتوافرة - ومعه المظفر تقي الدين محمود

(١) يقصد المقرزي واحدا من أبناء شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه . (انظر ص ٢٢١ حاشية ١) .

(٢) في ص ١ عماده . (٣) أضيف ما بين الأقواس من العيني (عقد الجمان، ج ١٨، قسم ١، ص ٥٨) .

ابن المنصور، وقد وعده أن يسلمه حماة، [وكانت بيد أخيه قلع أرسلان]؛ والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل، وكان قد رباه عمه الملك الكامل بعد موت أبيه، وأقطعه البحيرة من ديار (١٦٢) مصر.

فلما بلغ الناصر خروج عمه لم يمل إلى استعطافه، والتجأ إلى عمه الأشرف . فسار الكامل بالأسكندر والعربان إلى تل العجول، وبعث منها إلى نابلس والقدس وأعمالها . وسير [الكامل] الأمير حسام الدين أبا علي بن محمد بن أبي علي الهذباني - أحد أصحاب المظفر تقي [الدين] محمود - إلى القاهرة، فاستخدمه الملك الصالح، وجعله أستاذه . فاستولت أصحاب الملك الكامل على نابلس والقدس .

وبلغ ذلك الناصر، خلف عسكره، واستعد للحرب . وقدم إليه عمه الصالح صاحب بصرى، والأمير عز الدين أيك من صرخد، [وأصله مملوك أبيه المعظم]، فقويت بهما نفسه . وسير [الناصر] يستدعي عمه الأشرف من البلاد الشرقية، مع الأمير عماد الدين بن موسك، ونفر القضاة نصر الله بن بصافة؛ وأرد فهما بالأشرف بن القاضي الفاضل . فأجاب [الأشرف] إلى معاونته، واستناب في بلاده الملك الحافظ بن العادل، وسار [إلى دمشق] . فتلقاه [قلع أرسلان] صاحب حماة، من سلمية، بأموال وخيول؛ وتلقاه [أسد الدين شيركوه]، صاحب حمص، وأولاده . وقدم [الأشرف] إلى دمشق، فتلقاه الناصر في أنحريات شهر رمضان، وزين دمشق لقدمه؛ فدخل القلعة وعليه شاش علم كبير، وهو مشدود الوسط بمنديل . وقد سر الناصر به سرورا كبيرا، وحكّمه في بلاده وأمواله . فأعجب الأشرف بدمشق، وعمل في الباطن على ابتزاعها لنفسه من الناصر . ثم قدم [إلى خدمة الأشرف بدمشق] المجاهد

(١) انظر ص ٢٠٥، سطر ٩، وما بعده .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣١٦) .

(٣) عبارة المقرئ هنا تشبه كثيرا ما يقابلها في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٠٣،

في (Rec. Hist. Or. I) . (٤) في ص فعب .

(٥) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٠٣، في (Rec. Hist. Or. I) .

أسد الدين شيركوه بن محمد، صاحب حمص . وسار العزيز بن العادل إلى خدمة الملك الكامل، وهو في الطريق، فسر بقدمه، وأعطاه شيئا كثيرا .

وسير الأشرف إلى الكامل الأمير سيف الدين علي بن قلع، يشفع في الناصر، ويطلب منه إبقاء دمشق عليه، ويقول: "إنا كلنا في طاعتك، ولم نخرج عن موافقتك"، فأكرم الملك الكامل الرسول. ثم سار الأشرف - ومعه الناصر - من دمشق، يريدان ملاقاته الملك الكامل والتراحم عليه، ليصلح الأشرف الأمر بينهما . فلما بلغ الكامل مسيرهما شق عليه، ورحل من نابلس يريد العود إلى القاهرة. فقتل الأشرف والناصر بن نابلس، فأقام بها الناصر، ومضى الأشرف والمجاهد إلى الكامل . فبلغه قدوم الأشرف وهو بتل العجول، فقام إلى لقائه، وقدم به إلى معسكره. وتزلا فكان الاتفاق بينهما على انتزاع دمشق من ابن أخيها الناصر داود، وأن تكون للملك الأشرف وما معها إلى عقبة لبيق، ويكون للكامل (٦٢ ب) ما بين عقبة فيق وغزة من البلاد والحصون، وهو الفتح الصلاحي بأسره؛ ويكون للناصر - عوضا من دمشق - حران والرقبة وسروج ورأس عين، وهي ما كان مع الأشرف؛ وأن تُتزع بعلبك من الأجد بهرام، وتعطى لأخيها العزيز عثمان؛ و[أن] تُتزع حماة من الملك الناصر قلع أرسلان بن المنصور، وتعطى للظفر تقي الدين محمود بن المنصور؛ وأن تؤخذ من المظفر سلمية، وتضاف إلى المجاهد صاحب حمص .

وفيها مات طاغية المغل والتر جنكرخان، بالقرب من جبار و ^(٢) باليق، وحمل ميتا إلى كرسي ^(١)

(١) في من ينكص فان . (٢) كذا في من بغير ضبط، وليس في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ما يخبر بشيء عن هذا البلد . على أنه ورد في (Enc. Isl. Art. Bālik) أن لفظ باليق تركي قديم، معناه بلد، وأنه كثيرا ما يضاف إلى اسم آخر، مثل خان باليق وبشبالق، وهذا الثاني اسم بلد في التركستان الصيني، ومعناه المدن الخمس (Pentapolis)، انظر (Ibid. Art. Bishbālik) . راجع أيضا القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٧٩ - ٤٨٠)، إذ يقول إن خان باليق عاصمة الصين، وإنها بأقصى الشرق عند بلاد الخطا، وإنها عبارة عن مدينتين، قديمة وجديدة، والجديدة منهما اسمها ديدو . ويقول القلقشندي أيضا (نفس المرجع والجزء، ص ٤٨١، ٤٨٤) إن ببلاد الصين بلدا اسمه جالوق، وإنه قاعدة بلاد الخطا . أما عن مكان وفاة جنكرخان =

ملك الخطا^(١) . ورث بعده ابنه الأصغر عوضه خانا كبيرا ، على كرسى مملكة الخطا ، وأخذ إخوته^(٢) الثلاثة بقية الأقاليم .

وفيها خرج التتار إلى بلاد الإسلام ، فكانت لهم عدة حروب مع السلطان جلال الدين [خوارزم شاه] ، كسرها غير مرة ، ثم ظفر أخيرا بهم ، وهزمهم . فلما خلا سره منهم سار إلى خلاط^(٣) — من بلاد الأشرف — فنهب وسي الحرير ، واسترق الأولاد ، وقتل الرجال ، ونهب القرى ، وفعل ما لا يفعله أهل الكفر . ثم عاد إلى بلاده ، وقد زلزل بلاد حران والرها وما هنالك ، ورحل أهل سروج إلى منبج . وكان [قد] عزم على قصد بلاد الشام ، لكن صرفه الله عنها .

وفيها قدم الإمبراطور ملك الفرنج إلى عكا ، باستدعاء الملك الكامل له ، كما تقدم ، ليشغل سرا أخيه المعظم ، فاتفق موت المعظم . ولما وصل ملك الفرنج إلى عكا بعث رسوله إلى الملك الكامل ، وأمره أن يقول له : " الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء ، ولا أجيء إليهم . والآن فقد كنتم بذلتهم لناجي — في زمن حصار دمياط — الساحل كله ، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية ، وما فعلنا . وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم ، وإعادتها إليكم . ومن ناخي؟ [إن] هو إلا أقل غلمانى ، فلا أقل من إعطائى ما كنتم

= فالمعروف أنه مات قرب بلدة (Tsin-tou) ، في أرض مملكة (Hsia) ، وهي مقاطعة (Kan-su) ،

بالصين الحالية (Lamb : Genghiz Khan ; pp. 192-194. & Enc. Isl. Art. Čingiz-Khan.)

(١) بغير ضبط في س ، والخطا اسم يطلق على بلاد مناخية للصين ، يسكنها جنس من الترك . (القلقشندي : صبح الأعشى ،

ج ٤ ، ص ٤٨٣) . و يطلق اسم الخطا أيضا على بلاد الصين جميعها في القرون الوسطى . (Enc. Isl. Art. Khitā) ،

وقد دفن جنكخان بالتركستان الصيني ، في بلدة برخان خلدون (Burkhan-Khaladun) ، عند منابع نهري

(Onon & Kerulen) ، وهي وطنه الأصلي . (Enc. Isl. Art. Čingiz-Khan ; Lamb : Op. cit. ،

pp. 243-244.) (٢) في س فان كبير . وقد ترك جنكخان إمبراطورية متباعدة الأطراف ، تمتد من بحر

قزوين إلى شواطئ الصين . وقسمها في حياته بين ثلاثة من أولاده ، وهم تولى وجوشى وشيغى . أما رابعهم

— وهو أصغرهم ، واسمه أوغى ، — فقد آلت إليه أملاك أبيه الأصلية ، وذلك حسب العرف المتولى ، وكانت عبارة

عن بلاد التركستان الصيني ، التي ورثها جنكخان عن أبيه بسوجان . (Enc. Isl. Art. Čingiz. Khan) .

(٣) في س وسار . (٤) في س الانبرطور . (٥) في س انسى .

بذلتوه له . فتحير الملك الكامل ، ولم يمكنه دفعه ولا محاربتة ، لما كان تقدم بينهما من الاتفاق ، فراسله ولاطفه ، وسفر بينهما الأمير نجر الدين بن الشيخ . وشرع الفرنج في عمارة صيداء - وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج ، وهدورها خراب - فعمروها وأزالوا من فيها من المسلمين . وخرجت السنة والكامل على تل العجول ، ومثلك الفرنج بعكا ، والرسول تردد بينهما .

سنة ست وعشرين وثمانئة . فيها غلت الأسعار بالساحل ودمشق ، ووصلت نجدة من حلب إلى الغور . و [فيها] قفز [الأمير عز الدين] ^(١) أي دمر المعظمي إلى الملك الكامل ، فأحسن إليه . فقارتى (١٦٣) الناصر داود من نابلس ، لما بلغه اتفاق الأشرف مع الكامل عليه ، وعاد إلى دمشق . فبلغ الأشرف وهو بتل العجول ذلك ، فسار ليدركه ، فوافاه بقصير ابن معين الدين من الغور ، تحت عقبة فيق . وأعلمه [الأشرف] - بحضور الملك الصالح إسماعيل ، والملك المغيث ، والأمير عز الدين أيك المعظمي - أنه اجتمع بالملك الكامل للإصلاح بينهما ، وأنه اجتهد وحرص "على أن يرجع عنك فامتنع ، وأبى إلا أن يأخذ دمشق ، وأنت تعلم أنه سلطان البيت وكبيرهم ، وصاحب الديار المصرية ، ولا يمكن الخروج عما يأمر به . وقد وقع الاتفاق على أن تسلم إليه دمشق ، وتعوّض عنها من الشرق كذا" ، وذكر ما وقع الاتفاق عليه .

فلما فرغ [الأشرف] من كلامه قام الأمير [عز الدين] أيك ، [وهو أكبر أمير مع الناصر داود] ، وقال : "لا كيد ولا كرامة ، ولا نسلم من البلاد حجرا واحدا ، ونحن قادرون على دفع الجميع ومقاومتهم ، ومعنا العساكر المتوافرة" . وأمر الملك الناصر بالركوب فركبا ، وقوّضت الخيام ، وسارا إلى دمشق ، وتخاف عن الناصر عمه الصالح ، وابن عمه المغيث .

(١) انظر ص ٢٣٤ ، سطر ٤ . (٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣١٦) . وعز الدين أيك هو أول سلاطين المماليك البحرية بمصر ، بعد شجر الدر (أبو شامة : كتاب الروضين ، ص ٢٠٠ ، في Rec. Hist. Or. V. (٣) في س ساروا .

ولما وصل الناصر إلى دمشق استعد للمحصار، وتقام معه أهل البلد، لمحبتهم في أبيه . وسار
الأشرف بمن معه ، وحاصر دمشق ، وقطع عنها أنهارها — باناس ، والقنوات ، [ويزيد
وثورا] — تخرج إليه العسكر وأهل البلد وحاربوه .

وفي أثناء ذلك كثر تردد الأمير نجر الدين بن شيخ الشيوخ، والشريف شمس الدين
الأرموي قاضي العسكر، بين الملك الكامل وبين الإمبراطور فردريك ملك الفرنج، إلى أن
وقع الاتفاق أن ملك الفرنج يأخذ القدس من المسلمين، ويبقيها على ما هي من الخراب،
ولا يحدد سورها، وأن يكون سائر قرى القدس للمسلمين، لاحكم فيها للفرنج، وأن الحرم
— بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى — يكون بأيدي المسلمين، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة
فقط، ويتولاه قوام من المسلمين، ويقومون فيه شعار الإسلام من الأذان والصلاة؛ وأن
تكون القرى التي فيما بين عكا وبين يافا، وبين لدة وبين القدس، بأيدي الفرنج، دون
ما عداها من قرى القدس . وذلك أن الكامل توطئ مع ملك الفرنج، وخاف من فائته،
عجزا عن مقاومته . فأرضاه بذلك، وصار يقول : " إنا لم نسمع للفرنج إلا بكائس وأدب
خراب ، والمسجد على حاله ، وشعار الإسلام قائم ، ووالي المسلمين متحكم في الأعمال
والضياع " . فلما اتفقا على ذلك عقدت الهدنة بينهما ، مدة عشرين وخمسة أشهر
وأربعين يوما، أولها ثامن (٦٢ ب) عشرين شهر ربيع الأول من هذه السنة . واعتذر ملك
الفرنج للأمير نجر الدين بأنه لولا يخاف انكسار جاهه ، ما كلف السلطان شيئا من ذلك، وأنه
ماله غرض في القدس ولا غيره ، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج .

(١) في س نهر . (انظر حاشية ٣) . (٢) نهر من نهيرات دمشق، وهو ثالث فروع نهر بردى السبعة،
(انظر حاشية ٣) ، ونخرجه منه عند بلدة دتر، وعلى ضفته إقليم باناس . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١ ،
ص ٤٨٢ ، ٤٧٦ ، ٥٥٦) . ويسمى هذا النهر أيضا نهر باناس . (Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 266).

(٣) رابع فروع بردى، ويسمى أيضا نهر القناة . أما فروع بردى الأخرى، فهي نهر يزيد، ونهر ثورا، ونهر مزه
— أو المنزه — ، ونهر داريا، ونهر بردى، وهو السابع . (Le Strange : Op. cit. pp. 265-267) .

(٤) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة أبي شامة (كتاب الروضتين، ص ١٨٦، في (Rec. Hist. Or. V.)) .

(٥) في س الانبرطوز .

وحلف الملك الكامل وملك الفرنج على ما تقرر؛ وبعث السلطان فنودي بالقدس بخروج المسلمين منه، وتسليمه إلى الفرنج. فاشتد البكاء، وعظم الصراخ والعيويل؛ وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذنوا على بابيه في غير وقت الأذان. فعز عليه ذلك، وأمر بأخذ ما كان معهم من السُّور والقناديل الفضة والآلات، وزجرهم. وقيل لهم: "امضوا إلى حيث شئتم". فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشناعات عليه في سائر الأقطار.

وبعث الإمبراطور^(١) بعد ذلك يطلب تبنين وأعمالها، فسلمها الكامل له. فبعث يستأذن في دخول القدس، فأجابه الكامل إلى ما طلبه، وسير القاضي شمس الدين قاضي نابلس في خدمته، فسار معه إلى المسجد بالقدس، وطاف معه ما فيه من المزارات^(٢). وأعجب [الإمبراطور] بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة؛ وصعد درج المنبر، فرأى قسيسا بيده الإنجيل، وقد قصد دخول المسجد الأقصى؛ فزجره وأنكر مجيئه، وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عيناه، "فإنما نحن ممالك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس، على سبيل الإنعام منه، فلا يتعدى أحد منكم طوره"، فانصرف القس وهو يردد خوفا منه. ثم نزل الملك في دار، وأمر [شمس الدين] قاضي نابلس المؤذنين ألا يؤذنوا تلك الليلة، فلم يؤذنوا ألبتة. فلما أصبح قال الملك للقاضي: "لم لم يؤذن المؤذنون على المنائر؟" فقال له [القاضي]: "منعهم المملوك؛ إعظاما للملك، واحتراما له". فقال له [الإمبراطور]: "أخطأت فيما فعلت، والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسييحهم في الليل"^(٣).

(١) في س الانبرطوز . (٢) يقول (Blochet : Op. cit. P. 373. N. I.) إن المقرئ نقل تفاصيل زيارة الإمبراطور لبيت المقدس من كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل ، وإن هذا الأخير، كتب تلك الأخبار من حديث له مع القاضي شمس الدين ، الذي رافق الإمبراطور .

(٣) نقل العيني (عقد الجمان ، ج ١٨ ، قسم ١ ، ص ٨٢ - ٨٣) من كتاب مرآة الزمان ، لسبط ابن الجوزي ، أخبارا طريفة عن زيارة الإمبراطور فردريك لبيت المقدس ، وهي على طرافتها مهمة أيضا ، لاختلاف الرواية =

ثم رحل [الإمبراطور] إلى عكا . وكان هذا الملك عالماً متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات^(١)، وبعث إلى الملك الكامل بعدة مسائل مشككة في الهندسة والحكمة والرياضة ، فعرضها على الشيخ علم الدين قيصر الحنفي - المعروف بتعاسيف - وغيره ، فكتب جوابها . وعاد الإمبراطور من عكا إلى بلاده في البحر ، أخرج جمادى الآخرة . وسير الكامل جمال الدين الكاتب الأشرفي إلى البلاد الشرقية وإلى الخليفة ، في (١٦٤) تسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ الفرج القدس .

وفي خامس جمادى الأولى - وهو يوم الأحد - وقعت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل ، وحملت خزائن الكتب جميعها إلى قلعة الجبل ، في سادس عشره ، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلدة . وحمل من داره - في ثالث جمادى الآخرة - خشب خزائن الكتب مفصلة ، [وحملها] تسعة وأربعون مجلداً . و [كانت] الجمال التي حملت الكتب تسعة وخمسون مجلداً ، ثلاث دفعات .

= بخصوص ما حدث من المؤذنين بالقدس . ونصها : — "وفي المرأة : يدجى للأبروز (كذا) عجائب ، منها أنه لما دخل [قبة] الصخرة رأى قسيساً قاعداً عند القدم ، يأخذ من الفرج (٨٢) قراطيس . فجاء إليه [الأبروز] ، كأنه يطلب منه الدعاء ، فلكمه فرماه إلى الأرض ، وقال يا خنزير ! السلطان تصدق علينا بزيارة هذا المكان ، [وأنتم] تفعلون فيه هذه الأفاعيل ؟ لن عاد [و] دخل واحد منكم على هذا الوجه لأقتله . قال السبط : وحكى لي صورة الحال قوام الصخرة ؛ [قال] ، ونظر [الأبروز] إلى الكتابة التي في القبة ، وهي : "طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين" ، فقال ومن هم المشركون ؟ وقال [الأبروز] للقوام : هذه الشباك التي على أبواب الصخرة من أجل أيش ؟ قالوا لتلا يدخلها المصافير ، فقال قد أتى الله إليكم بالخنازير . قالوا ولما دخل وقت الظهر ، وأذن المؤذنون ، قام جميع من كان معه من الفراشين والغلمان ، ومعه وكان من صقلية يقرأ عليه المنطق ، فصلوا وكانوا مسلمين . قالوا وكان الأبروز أشقر أعط ، في عينه ضعف ، لو كان عبداً ما يساوى مائتي درهم . قالوا والظاهر من كلامه أنه كان دهرياً ، وإنما كان يتلاعب بالنصرانية . قالوا وكان الكامل قد تقدم إلى القاضي شمس الدين ، قاضي نابلس ، أن يأمر المؤذنين مادام الأبروز في القدس [أن] لا يصعدوا المنائر ، ولا يؤذنوا في الحرم . فأبى القاضي أن يعلم المؤذنين ، فصعد عبد الكريم المؤذن في تلك الليلة وقت السحر ، والأبروز نازل في دار القاضي ، فجعل يقرأ الآيات التي تخص بالنصارى ، مثل قوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد) ، (ذلك عيسى بن مريم) ، ونحو هذا . فلما طلع الفجر ، استدعى القاضي عبد الكريم ، وقال له إيش عملت ؟ السلطان رسم بكذا وكذا . قال فما غرتني التوبة (كذا) . فلما كانت الليلة الثانية ، ما صعد عبد الكريم المأذنة . فلما طلع الفجر استدعى الأبروز القاضي ، وكان قد دخل القدس في خدمته ، وهو الذي سلم إليه القدس . فقال له يا قاضي ! أين ذاك الرجل الذي طلع بارحة أمس المنارة ، وذكر ذلك الكلام ؟ فعرّفه أن السلطان موصاه ، فقال الأبروز أخطأتم يا قاضي ! تمثرون أتم شعاركم وشرعكم ودينكم لأجل ؟ فلو كنتم عندي في بلادى ، هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم ؟ الله الله لا تفلحوا . هذا أول ما تنقصون عندنا . (١) في س الرياضى . (٢) في س الانبرطور . (٣) في س حملا بالحاء ، وقد وردت كلمة جهل ، التي تليها ، بالحاء أيضاً . (٤) في س بلاب دنعات .

وفي يوم السبت ثاني عشرى رجب، منها، حملت الكتب والخزائن^(١) من القلعة إلى دار
الفاضل، وقيل إن عدتها أحد عشر ألف كتاب وثمانمائة وثمانية كتب، ومن جملة الكتب
الماخوذة كتاب الأييك^(٢) والفصون، لأبي العلاء المعرى، في ستين مجلداً .

وفيها وصل ملك ملطية^(٣)، فكثرت غاراته وقتله وسببه . وفيها اشتد تشنيع الملك الناصر
[داود] بدمشق على عمه الملك الكامل تسليمه القدس للفرنج . فنفرت قلوب الرعية، وجلس
الحافظ شمس الدين سبط ابن الجوزى بجامع دمشق، وذكّر فضائل بيت المقدس، وحزن
الناس على استيلاء الفرنج عليه، وبسّع القول في هذا الفعل . فاجتمع في ذلك المجلس ما لا يحصى
عدده من الناس، وعلت أصواتهم بالصراخ، واشتد بكائهم، وأنشد الحافظ شمس الدين
قصيدة، أبياتها ثلثمائة بيت، منها :

على قبة المعراج والصخرة التي * تُفاخر ما في الأرض من صخرات

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومتمزل وحى مقفر العرصات^(٥)

فلم يُر بدمشق أكثر بكاء من ذلك اليوم .

وكان الأشرف على منازل دمشق، فبعث إلى الكامل يستحثه . فرحل [الكامل] من

تل العجول بعد طول مقامه بها، فلتقاه في قرية يُبنا^(٦) [أخوه] العزيز عثمان، صاحب بانياس،

(١) في س "حملت الكتب من القلعة إلى دار الفاضل والخزائن" . (٢) يقول ابن خلكان (وفيات الأعيان،
Wüstenfeld، ج ١، ص ٥٩) في ترجمة أبي العلاء، عن ذلك الكتاب، ما نصه: "وبلغني أن له كتاباً سماه الأييك
والفصون، وهو المعروف بالهمزة والردف، يقارب مائة جزء، و [هو] في الأدب أيضاً . وحكى لي من وقف على
المجلد الأول بعد المائة، من كتاب الهمزة والردف، وقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد..." .

(٣) ملك ملطية في تلك السنة هو علاء الدين أبو الفتح كيقباد بن غياث الدين كيكسرو، ٦١٦ - ٦٣٤ هـ .
(Enc. Isl. Arts. Kaikobad & Malatiya) . وملطية مدينة قديمة، شمالي أعالي الفرات، وينطقها العامة

بكسر الطاء وتشديد الياء، وهي بغير ضبط في س . (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٣٣ - ٦٣٥) .

(٤) هذه العبارة، من أول السطر هنا، غير مترجمة في (Blochet: Op. cit. p. 377)، على أنها واردة في ب
(٧٦ ب) . (٥) أخذ السبط هذا البيت الثاني من قصيدة لدعبل الخزاعي . (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،

ص ١٠٤، في (Rec. Hist. Or. I) . ويلاحظ أن (Blochet: Op. cit. p. 378) ترجم هذين البيتين،
وهذا على غير عادته، فإنه يحذف الشعر في ترجمته .

(٦) مضبوطة في س بفتح النون، وهي بلدة قرب الرملة، وبها قبر أحد الصحابة، بعضهم يقول هو قبر أبي هريرة،
وبعضهم يقول قبر عبد الله بن أبي سرح . (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٠٧) . (٧) انظر

أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ٨٦، في (Rec. Hist. Or. I) .

بابنه الظاهر غازى . فوصل [الكامل] العزيز بخمسين ألف دينار ، وابنه غازى بعشرة آلاف دينار ، وقماش نفيس وخلق سنية . وأمر [الكامل] فُضِرَت^(١) له خيمة عظيمة ، وحولها بيوتات ، وسائر ما يحتاج إليه من الألات والخيام ، برسم أصحابه وماليكه . ثم وصل إليه أيضا الأمير عز الدين أيضاً المعظمى ، فدفع إليه [الكامل] عشرة آلاف دينار - وقيل عشرين ألف دينار - وكتب له على الأعمال القوصية بعشرين ألف أردب غلة ، وأعطاه أملاك الصحاح صفي الدين بن شكر ، ورباعه وحمامه .

وسار [الكامل] إلى دمشق ، فنزل على ظاهرها في جمادى الأولى ، وجدّه هو والأشرف في حصارها ، حتى اشتد عطش الناس في دمشق ، لانقطاع الأنهار عنهم ؛ ومع ذلك فالحرب بينهم قائمة في كل يوم إلى آخر رجب . فغلت الأسعار ، ونفدت أموال الناصر ، وفارقه جماعة من أصحابه ، وصاروا إلى الكامل والأشرف . فأخذ الناصر في ضرب أوانيه من الذهب والفضة دنائير ودراهم ، وفرقها حتى نفذ أكثر ما كان عنده من الذخائر . وناصحته العامة مناصحة كبيرة ، وأبلوا في عسكر الكامل والأشرف بلاء عظيماً .

[وفي أثناء ذلك] قدم القاضي بهاء الدين بن شداد ، ومعه أكابر حلب وعدولها ، من عند الملك العزيز [محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين] ، صاحب حلب ، لترويج ابنة الملك الكامل بالملك العزيز . فخرج الملك الكامل من (٦٤ ب) مخيمه بمسجد القدم إلى لقائه ، وأنزله قريبا منه . ثم أحضره ، فقدم تقديماً كانت معه من الملك العزيز . وعقد العقد للملك العزيز على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ^(٤) ، على صداق مبلغه خمسون ألف دينار ، فقبل العقد ابن شداد في سادس عشر شهر رجب .

فضعف قلب الملك الناصر [داود] ، وقلت أمواله ، فخرج ليلاً من قلعة دمشق في آخر شهر رجب ، ومعه نفر يسير ، وألقى نفسه على باب مخيم الكامل . فخرج إليه [الكامل] ،

(١) في من ضرب . (٢) في من تقدم . (٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Halab) . وقد تولى العزيز حلب سنة ٥٦١ هـ ، وهو ابن بنت الملك العادل ، وخاله الملك الكامل . (٤) في من "وعقد العقد على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ لملك العزيز" .

وأكرمه إكراما زائدا، وبأسطه وطيب قلبه، بعد عتب كثير، وأمره أن يعود إلى القلعة، فعاد إليها . ثم بعد يومين بعث الكامل بالأمير نجر الدين بن شيخ الشيوخ إلى التلعة . وكان يوم الجمعة - فصلت بها الجمعة، وخرج معه الناصر داودا إلى الملك الكامل، فتحالفا، وعوضه [الكامل] عن دمشق بالكرك والشوبك وأعمالها، مع الصلت والبقاء والأغوار جميعها، ونابلس وأعمال القدس وبيت جبريل . ثم نزل الناصر عن الشوبك للكامل فقبلها، وصار للكامل مع الشوبك بلد الخليل عليه السلام، وطبرية وغزة، وعسقلان والرملة ولدا، وما بأيدي المسلمين من الساحل .

وقُتحت أبواب دمشق في أول يوم من شعبان، فشق ذلك على أهل دمشق، وتأسفوا على مفارقة الناصر، وكثرت بكائهم . ثم تسلمها الملك الأشرف . وبعث الكامل قواده لتسلم بلاد الأشرف، وهم الأمير نجر الدين بن شيخ الشيوخ، والحامد شمس الدين صواب، وجماعة . فتسلمها حران والرها وسروج، ورأس عين والرقعة، وغير ذلك .

وسافر الناصر داود بأهله إلى الكرك . وسار الكامل إلى حماة، [وبها الناصر صلاح الدين قلع أرسلان بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب] . وقدم [مع الكامل] المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن [تقي الدين] عمر بن شاهنشاه بن أيوب في جماعة،

(١) أضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣١٧ - ٣١٨) . وسبب تدخل الكامل بين الأخوين، حسبما جاء في نفس المرجع والجزء والصفحة، أن أباهما المنصور محمد صاحب حماة، كان قد حلف أكا بر دولته، قبل وفاته سنة ٥٦٧ هـ، على تولية ابنه الأكبر المظفر تقي الدين من بعده . فلما توفي المنصور كان المظفر عند خاله الملك الكامل، يعاونه في مقاتلة الصليبيين على دمياط (انظر ص ٢٠١، سطر ٣ - ٦، ص ٢٠٥، سطر ٩ - ١٣) . وكان أخوه الناصر صلاح الدين قلع أرسلان، عند خاله الملك المعظم، صاحب دمشق . فانهز قلع أرسلان فرصة غياب أخيه، وذهب إلى حماة، واستولى عليها وعلى قلعتها . ثم حاول المظفر أن يأخذها منه . ولم يفلح، فرجع إلى الكامل، وأقام في خدمته . (انظر ص ٢٥٠، سطر ١٣ - ١٧) . فلما سار الكامل لمحاربة الناصر داود، كان المظفر تقي الدين معه، وقد وعده الكامل أن يسلمه حماة . (انظر ص ٢٢٦، سطر ١) . فلما انتهى الملك الكامل من أمر الناصر، سار إلى أرسلان جيشا، حاصر حماة عدة أيام . ثم قرر قلع تسليمها، فنزل من القلعة، وذهب إلى الكامل، وهو في طريقه إلى حران والبلاد الشرقية، فاعتقله حتى سلمت حماة وقلعتها إلى المظفر تقي الدين . (راجع أيضا أبا الفداء: المختصر في أخبار البشر، ص ٩٥، في Rec. Hist. Or. I.)

فنازل حماة حتى سلم صاحبها الناصر قلعج أرسلان؛ وسبق إلى الملك الكامل وهو إسلامية، فأهانته واعتقله. وتسلم المظفر حماة، فكانت مدة الناصر بحماة تسع [سنين] تنقص شهرين. وبعث الكامل بالناصر صاحب حماة إلى مصر، فاعتقل بها.

ثم سار الملك الكامل يريد البلاد الشرقية، فقطع الفرات، ودخل قلعة جعبر. ثم توجه إلى الرقة، وخافه ملوك الشرق، فعيد بالركة عيد الفطر. وسار إلى حران والرها، واستخدم بها عسكريا [عدته] نحو ألفي فارس. فقدمت عليه رسل ماردین وآمد، والموصل وإربل؛ و[حضر إليه أيضا] عدة ملوك؛ وبعث [الكامل] نحر الدين بن (١٦٥) شيخ الشيوخ إلى الخليفة؛ وأطلق ابن أخيه الملك الناصر قلعج أرسلان من اعتقاله، وخلع عليه، وأعطاه بارين^(١)، وكتب له بها توقيعاً، وأمر أن يُحمل إليه ما كان في قلعة حماة - وهو أربعمائة ألف درهم - وكتب إلى المظفر تقي الدين بتسليم ذلك إليه. فوصل [الناصر] إلى بارين^(٢) وتسلمها.

ثم ورد الخبر على الكامل بأن [جلال الدين] خوارزم شاه نازل خلاط، ونصب عليها عشرين منجنيقاً، [وكان وصوله إليها] في نصف شوال. و[كانت خلاط للملك الأشرف، وبها عسكره، فأرسلوا إلى الملك الكامل] يسألون في نجدة، فلم يرسل الكامل إليهم أحداً. وورد الخبر بإقامة الخطبة في ماردین للملك الكامل، وضربت السكة باسمه [هناك]. ثم توالى الرسل من خلاط، وكلها تطلب إلى الكامل أن يبعث الأشرف لنجدة البلد. فبعث الكامل يطلب عساكر حاب وحماة وحمص، فخرجت عساكر حلب [إلى خلاط، ومعها الأشرف] ^(٦). ثم ورد الخبر بأن الفرنج قد أغارت على بارين، [وأنهم نهبوا ما بها، وأسروا وسبوا] ^(٨).

(١) في س نرين. انظر ص ٦٠، حاشية ٣. (٢) في س فوصل إليها وتسلمها. راجع ابن الأثير

(الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣١٨). (٣) في س فورد. (٤) في س الجوارزمي.

(٥) أضيف ما بين القوسين من نفس المرجع والجزء (ص ٣١٨ - ٣٢٠).

(٦) أضيف ما بين الأقواس من نفس المرجع والجزء (ص ٣٢٠).

(٧) في س فورد. (٨) أضيف ما بين القوسين من نفس المرجع والجزء (ص ٣١٩).

وفيها مات الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل بمكة، عن ست وعشرين سنة، منها مدة ملكه باليمن أربع عشرة سنة، [وهو آخر ملوك بني أيوب ببلاد اليمن^(١)] . وترك [المسعود] ابنا يقال له صلاح الدين يوسف، ولقب بالملك المسود، كلقب أبيه . [وبقي يوسف هذا حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر] . ثم ولي ابنه موسى^(٢) ابن يوسف بن يوسف [بن الكامل] مملكة مصر، ولقب بالأشرف، شركة مع المعز أيوب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

فاشتد حزن الملك الكامل على [ولده يوسف] ^(٤)، وتسلم بماليكه ونزائنه وأولاده، ولبس لشدة حزنه البياض . وكان المسعود قد استخلف على اليمن نور الدين علي بن رسول التركماني^(٥)، فتغلب عليها، وبعث إلى الملك الكامل عدة هدايا، وقال: "أنا نائب السلطان على البلاد"، فاستمر ملك اليمن في عقبه بعد ذلك .

* * *

سنة سبع وعشرين وستمائة . أهلت والملك الكامل بجران، والخوازمي على خلاط، والأشرف محاصر بعلبك . وفيها قدم الأمير نجر الدين بن شيخ الشيوخ من بغداد . و [فيها] ورد رسول الإمبراطور^(٦)، ملك الفرنج، بكتابه إلى الملك الكامل بجران، ومعه أيضا كتاب للأمير نجر الدين بن شيخ الشيوخ . وفيها سار الكامل من حران إلى الرقة .

وفيها استولى الأشرف بن العادل على بعلبك، بعد ما أقام على حصارها عشرة أشهر . ^(٧) وعوض الأجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي،

(١) كره الملك المسعود المقام باليمن، لما أصابه من المرض بها، وكان قد تولاه منذ سنة ٦١٢ هـ، أي في عهد جده العادل . (انظر ص ١٨١، سطر ٩ - ١٣) . ثم استدعاه أبوه الملك الكامل إليه، سنة ٦٢٦ هـ، ليوليه دمشق، وذلك بعد وفاة الملك المعظم عيسى . فسار المسعود عن اليمن قاصدا الشام، فتوفى بمكة، وهو آخر ملوك اليمن من الأيوبيين . (الخرزجى . العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣٠ - ٤٤؛ والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٠) . (٢) أضيف ما بين القوسين من العيني (عقد الجمان، ج ١٨، قسم ١، ص ٩٧ - ٩٨) . (٣) في من فولى، (٤) في من عليه . (٥) العبارة الآتية واردة بهامش الصفحة، بخط مخالف، ونصها: "أول مدة استيلاء اولاد رسول على مملكة بلاد اليمن" . (٦) في من الانبرطوز . (٧) في من شاهان شاه .

عوضاً من بعلبك وأعمالها، ^(١) قُصير دمشق والزبداني ^(٢)؛ فكانت مدة ملكه بعلبك تسعاً وأربعين سنة. فبعث الكامل الأمير نجر الدين عثمان الأستادار إلى الأشرف، في مهمات تتعلق به؛ وولى كمال الدين بن شيخ الشيوخ نائباً بجزيرة .

و [فيها] قدم رسول السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي، (٦٥ ب) صاحب الروم، على الملك الكامل؛ [وأخبره] بأنه جهز خمسة وعشرين ألفاً إلى أرزنجان، ^(٣) وعشرة آلاف إلى ملطية، "وأنا حيث تأمر". فطاب قلب السلطان [الكامل] بذلك، وكان مهتماً من أمر الخوارزمي .

وفيها سار الأشرف، صاحب دمشق، من الشام إلى جهة الشرق، فوصل إلى الكامل وهو بالرقه، ووصل أيضاً مانع بن حديثة أمير العرب . وفيها ملك الخوارزمي مدينة خلاط، بعد حصار طويل، وقتال شديد، في ثامن عشرى جمادى الأولى؛ فوضع السيف في الناس، وأسرف في القتل والنهب . فرحل الملك الكامل يريد مصر، لأمر منها أنه بلغه موت ولده [الملك] المسعود [صاحب اليمن]، فكتمه . و [كان قد] ورد عليه [أيضاً]، من أم ولده العادل، كتاب تشكو فيه من [ابنه] الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأنه قد عزم على التوثب على الملك، واشترى جماعة كبيرة من الممالك الأتراك؛ وأنه أخذ مالا جزيلاً من التجار، وأتلف جملة من مال بيت المال؛ "ومتى لم تتدارك البلاد، وإلا غلب عليها، وأخرجني أنا وابنتك الملك العادل منها". فانزعج [الكامل] لذلك، وغضب غضباً شديداً . ثم ورد عليه الخبر بأن ابنه الصالح اشترى ألف مملوك، [فعزم على الرحيل إلى مصر] . فرتب الطواشي شمس الدين

(١) بغير ضبط في س، وهي ضيعة شمالي دمشق، على الطريق بينها وبين حصص، وبها خان يدرف بالقصير، قبالة مجرى ماء . ويحترق الطريق من القصير إلى دمشق سلسلة من البساتين . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٠٣؛ و (Lo Strange : Palest. Under Moslems. P. 189) . (٢) بغير ضبط في س، وهي كورة بين دمشق وبعلبك، ومنها يخرج نهر بردى، وتنطق أحياناً زبدان، وبها بلدة أسماها الزبداني أيضاً . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٩١٣؛ و (Lo Strange : Op. cit. P. 553) . (٣) بغير ضبط في س، وهي من بلاد أرمينية، بين خلاط وأرزن الروم، وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٥) .

صواب العادلي نائبا في أعمال المشرق، وأعطاه إقطاع [أمير] مائة فارس، زيادة على ما بيده من الديار المصرية، وهي أعمال أنجم بكالها، وقاي والقايات ودجوة، بإمرة مائتين وخمسين فارسا، فصار أمير ثلاثمائة وخمسين فارسا. ورتب [الملك الكامل] كمال الدين بن شيخ الشيوخ وزيرا.

(١) تقدم ذكر رتبة أمير مائة عرضا (انظر ص ٧٥، سطر ٣)، وأرجى الكلام عنها إلى هنا. وهي مرتبة حربية، خاصة بأرباب السيف، وتقرن عادة بلقب مقدم ألف، فيقال أمير مائة مقدم ألف. والمقصود بتلك التسمية المركبة وظيفة واحدة، يكون في خدمة حاملها مائة مملوك (فارس؟)، وهو في نفس الوقت مقدم في الحروب على ألف جندي من أجناد الحلقة. وكانت أصحاب هذه المرتبة أعلى مراتب الأمراء، من عهد السلاجقة بالشرق إلى عهد المماليك بمصر. وربما زاد الواحد منهم العشرة أو العشرين مملوكا، أو أكثر من ذلك، فيكون أمير ثلاثمائة، كما ورد هنا (انظر سطر ٣)، والظاهر أن هذا كان غريبا نادرا. وكان بيد هؤلاء الأمراء، أيام المماليك بمصر، جميع المناصب العليا، فكان منهم نائب البلطة، ونائب الغيبة، ونائب الوجه البحري، والدوادار الكبير، والأستادار، ونائب دمشق، ونائب حلب، وما يساوي ذلك من الوظائف الكبرى.

وبلى هؤلاء الأمراء من يحمل رتبة أمير أربعين، ويسمون أمراء طبلخاناه، لأحقيتهم في دق الطبول على أبوابهم، كما يفعل السلطان وأمراء المئات، ولكن على صورة مصغرة. ويظهر أنهم كانوا يسمون بأمراء الطبلخاناه تمييزا لهم عن من هم أقل منهم من الرتبة، وليس لهم طبلخاناه. وقد تزيد رتبة أمير أربعين إلى امرأة سبعين أو ثمانين، أي أن يكون في خدمته ما يساوي أحد هذين العددين. ومن الوظائف التي جرى إسنادها إليهم وظيفة الدوادار الثاني، ووالي القاهرة، ووالي القلعة، ونائب الإسكندرية، ونائب طرابلس وحماة بالشام. ويأتي بعد هؤلاء أمراء العشرات، ومن هذه الطبقة صفار الولاية ونحوهم، مثل والي الفسطاط، وشاد الدواوين، ووالي القراة.

ثم تأتي أمراء الخمسات، وهؤلاء كانوا قليلين، وأكثرهم من أولاد الأمراء المتوفين، تعطى للواحد منهم هذا الرتبة رعاية لسلفه، وكانوا يعتبرون من أكابر الأجناد. (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤ — ٥٠٦، ٥١٠ — ٦٣، ٦٧؛ ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١١١ — ١٢٠؛ المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٥ — ٢٢٠). انظر أيضا (G.-Demombynes: Op. cit. Pref. PP. XXXIII et seq: P. 139). أما عن أصل هذا التقسيم العشري، فالظاهر أن السلاجقة والأيوبيين، والمماليك من بعدهما، نقلوه بتعديل من أوطانهم الأولى: ففي (Morier: Hajji Baba of Ispahan, p. 31) أن قبيلة من التركان بنهالي فارس كانت تستعد للغزو، فدعى رئيسها أصحاب العشرات وأصحاب المئات.

ومما تجب ملاحظته أن هذا التقسيم العشري مذکور في (Morier: Op. cit. pp. 187, 206) في وصف بعض رتب الجيش الفارسي في القرن التاسع عشر، مثل (Min Gashi) ومعناه مقدم ألف، و (On Bashi)، أي مقدم عشرة، و (Penja Bashi)، أي رئيس خمسين. وهذا التقسيم موجود أيضا في الجيش العثماني والجيش المصري الحالي. (٢) تقدم التعريف بقاي والقايات. (انظر ص ٨٢، حاشية ١؛ ص ٩١، حاشية ٣). أما دجوة — بغير ضبط في س — فعل الشاطي، الشرق لفرع دمياط، جنوبي بنها الحالية، أي أنها من مديرية القليوبية. انظر (P. Qamar Tousson: Op. cit. I. 1. Pl. II. a). وكانت دجوة في زمن ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٥٥) من أعمال كورة الشرقية، وذلك قبل أن تصبح القليوبية قسما إداريا منفصلا، (انظر ص ٢٠٢، حاشية ٢). لكن ياقوت يقول إنها على فرع رشيد، ويرجح أيضا نطقها بضم الدال.

وتوجه [الكامل] إلى مصر، فدخلها في رجب، وتغير على ابنه الملك الصالح تغيرا كثيرا، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنهم، وألزمهم إحضار الأموال التي فزط فيها الملك الصالح، وخلع الصالح من ولاية العهد^(١).
 وفيها وقع الملك علاء الدين كيقباد السلطان جلال الدين [خوارزم شاه]^(٢)، وكسره، وقتل كثيرا ممن كان معه. وخلص [جلال الدين] في عدة من أصحابه إلى تبريز^(٣)، وكان ذلك في سابع عشر رمضان. فملك الأشرف، صاحب دمشق، مدينة خلاط.
 وفيها بلغ قاع النيل بمقياس مصر ذراعين، وانتهت زيادة ماء النيل ثلاثة عشر ذراعا وثلاثة عشر أصبعا لا غير، فارتفعت الأسعار.
 وفيها قصد الفرنج حماة، فأوقع بهم المظفر تقي الدين، وقتل عدة منهم، وأسر كثيرا، وذلك في رمضان.

وفيها (١٦٦) مات الملك الأجدد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، صاحب بعلبك، ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال. وكانت مدة ملكه تسعا وأربعين سنة، وكان أديبا شاعرا. ومات الملك الظافر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يعرف بالمشمر^(٤).

سنة ثمان وعشرين وستمائة. فيها عاد الأشرف إلى دمشق. وفيها انفرد العزيز صاحب حلب بالملك، وقد بلغ ثمان عشرة سنة، وتسلم الخزائن من أتاكبه شهاب الدين

(١) العبارة الآتية واردة في س، ولكنها مشطوبة، وهي: "وعهد إلى ابنه الملك العادل أبي بكر، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، وكان الكامل يحبه ويحب أمه حبا كبيرا". وهذه العبارة واردة بالمتن (انظر ص ٦٣٠) ، فالراجح أن المقرئ قد تدارك ذلك التكرار، فشطبه هنا. (٢) في س جلال الله. (٣) في س توديز، وفي ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣٢٠) أن جلال الدين مضى منهزما إلى آذربيجان، فزل عند مدينة خوى، بضم الحاء وفتح الواو، انظر (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٠٢).
 (٤) يقول ابن خلكان (المختار من ترجمة السلطان صلاح الدين، ص ٤٢٧، في Rec. Hist. Qr. III) إن الظافر خضر عرف بهذا اللقب، ومعناه المستعد، "لأن أباه — رحمه الله تعالى — لما قسم البلاد بين أولاده الكبار، قال: وأنا مشمر، فغلب عليه هذا اللقب".

طغريل . فقام بتدبير الملك قياما مشكورا ، وسير القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الملك الكامل ، بسبب إحضار صفيّة خاتون ابنة الكامل - [وهي] زوجة العزيز - ، فأقام بالقاهرة [حتى^(١) سنة تسع وعشرين وثمانمائة] . وفيها قدم الأشرف من دمشق على الملك الكامل - ومعه الملك المعظم ، صاحب الجزيرة - في عاشر جمادى الأولى ، فسر السلطان بقدميهما .

وفيها سار الملك الكامل إلى الإسكندرية ، وترك الأشرف بالقاهرة ، واستصحب معه صاحب الجزيرة ، بعد ما أنعم عليه إنعاما موفورا .

وفيها تحرك التتر . و [فيها] قدم الملك مجير الدين بن العادل إلى القاهرة ، وكان مأسورا عند الخوارزمي . فسربه الكامل ، وأكرمه هو وأخوه تقي الدين عباس .

وفيها مات السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، بعد ما هزمه التتر ببعض قرى ميفارقين ، قتله بعض الأكراد^(٢) . و [فيها] وُضِل التتر إلى إربل ، وقتلوا من المسلمين ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم .

وفيها شرع الملك الكامل في حفر بحر النيل ، الذي فيما بين المقياس و بر مصر^(٣) ، وعمل فيه بنفسه ، واستعمل الملوك والأمراء والجنود . فلما فرغ [من الحفر] صار في أيام احتراق النيل يُمشى من المقياس والروضة إلى برج الحيزة ، واستمر الماء فيما بين مصر والروضة لا ينقطع في زمن الاحتراق ألبتة . وكان السلطان قد قسّط حفر هذا البحر على الدور التي بالقاهرة ، ومصر والروضة ، بالمقياس^(٤) . واستمر العمل فيه - من مستهل شعبان إلى آخر شوال - مدة ثلاثة أشهر .

(١) انظر ص ٢٤٣ (سطر ١٣) .

(٢) كان جلال الدين بن خوارزم شاه آخر بيته ، وكان تغلب المغول على بلاده نذير السوء والخطر على العالم الإسلامي ، إذ بدأ بعد ذلك يفترون على العراق . وقد خلف البيت الخوارزمي في كرمان ، جنوبي فارس ، أحد رجال جلال الدين ، واسمه براق حاجب ، واعترف بولايته عليها أرغطاي بن جنكز خان ، ومنحه لقب قتلغ خان . (Lane - Poole: Muh. Dyns. P. 179) .

(٣) بهامش الصفحة في من العبارة الآتية ، بخط مخالف : " انظر حفر النيل بين المقياس ومصر " .

(٤) كذا في من ، بغير ضبط . انظر المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٤٥) حيث ورد ، في هذا

الصدر : " وقسّط [الكامل] مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس " .

وفيها قدم رسول الخليفة [المستنصر بالله] بالخلع والتقليد للملك الكامل ؛ وميز بزيادات كثيرة ، لم تُفعل في حق غيره ، من السلجوقية وغيرهم . و [وردت] خلع للملك الأشرف أيضا . وفيها تسلطن عمر بن علي بن رسول باليمن ، ونشر دعوته .

سنة تسع وعشرين وثمانمائة . فيها تكلم استيلاء التتر على إقليم أرمينية و خلاط ، وسائر ما كان بيد الخوارزمي . فاهتم الخليفة [المستنصر بالله] ^(١) غاية الاهتمام ، (٦٦ ب) وسير عدة رسل يستنجد الأشرف من مصر ، ويستنجد العربان وغيرهم . وأخرج [الخليفة] الأموال ، فوقع الاستخدام في جميع البلاد لحركة التتر .

و [فيها] خرج الملك الكامل من القاهرة في جمادى الآخرة ، واستخلف على مصر ابنه الملك العادل أبا بكر ، وأسكنه قلعة الجبل مع أمه ؛ وأخرج الصالح أيوب معه ، وقدم الأشرف — والمعظم صاحب الجزيرة — بالعساكر . ودضى الكامل جريدة إلى الشوبك والكرك ، وسار إلى دمشق ، ومعه الناصر داود صاحب الكرك بعساكره ، وقد زوجه بابنته عاشوراء خاتون ، وعقد عقده عليها بمنزلة الجون ^(٢) . وأقام [الكامل] بدمشق يسرح العساكر ، وجعل في مقدمتها ابنه الملك الصالح أيوب .

وورد الخبر بدخول التتر بلاد خلاط ، فأسرع [الكامل] في الحركة ، وخرج من دمشق ، فنزل سلمية — وقد اجتمع بها عساكر يضيق بها الفضاء — ، وسار منها في أخريات رمضان على البرية . وتفرقت العساكر في عدة طرق لكثرتها ، فهلك منها عدة كثيرة من الناس والدواب ، لقلة الماء .

(١) يرجع اهتمام الخليفة المستنصر بأمر التتر إلى ثلاثة أمور : أولها أن غارات التتر ، التي ستؤدي إلى اجتياح الدولة العباسية من بغداد ، كانت قد وصلت أراضي العراق الأعلى ؛ وثانيها أن بعض البلاد التي استولى عليها التتر من جلال الدين خوارزم شاه ، كانت قبل ذلك من أملاك الخليفة ، مثل مدينة شستر و بلدة دقوفا ؛ وثالثها أن جلال الدين كان قد عزم على الاستنجد بالخليفة ، ولم يمنعه من ذلك سوى مطاردة التتر له ، واضطراره إلى الانسحاب ، حتى وفاته .

(ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٢٣ — ٣٣٠) .

(٢) بغير ضبط في س ، وهي بلدة بالأردن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥١) .

وأنته رسل ملوك الأطراف، وهم عز الدين بيقرأ^(١)، ونغر الدين بن الدامغانى، رسل الخليفة المستنصر بالله، وألبسوه خلعة السلطنة. فاستدعى [الكامل] عند ذلك رسل الخوارزمى^(٢)، ورسول الكرج، ورسول حماة وحمص^(٣)، ورسول الهندلا، ورسول الفرنج، ورسول أتابك سعد صاحب شيراز، ورسول صاحب الأندلس^(٤)؛ ولم تجتمع هذه الرسل عند ملك فى يوم واحد قط غيره. وقدم عليه بهاء الدين اليزدى - شيخ رباط الخلاطية - من بغداد، وجماعة من النخاس^(٥)، يحثونه على الغزاة.

فرحل الترعن خلاط، بعد منازلها عدة أيام. وجاء الخبر برحيلهم والكامل بجوان، فجهز عماد الدين بن شيخ الشيوخ رسولا إلى الخليفة. وسار إلى الرها، وقدم العساكر إلى آمد، وسار بعدهم. فزل على آمد، ونصب عليها عدة مجانيق. فبعث إليه صاحبها يستعطفه، ويبدل له مائة ألف دينار، وللأشرف عشرين ألف دينار، فلم يقبل. وما زال عايبها حتى أخذها، فى سادس عشرى ذى الحجة، وحضر صاحبها إليه بأمان، فوكل به حتى سلم جميع حصونها. فأعطى السلطان حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب. وفيها وردت هدية من ماردين. وفيها سار ابن شتاد من القاهرة بالستر العالى الصاحبة غازية خاتون، ابنة الكامل وزوجة الملك المظفر، صاحب حماة، والستر العالى الصاحبة فاطمة، ابنة الكامل وزوجة [الملك] العزيز، صاحب حلب. وخرج معهما أيضا الأمير نغر الدين البانياسى، والشريف شمس الدين قاضى العسكر.

(١) فى من اعرا. والرسم الوارد هنا منقول من (Blochet : Op. cit. P. 391).

(٢) تقدمت وفاة جلال الدين الخوارزمى، تحت سنة ٦٢٨ هـ (انظر ص ٢٤١)، ولعل المقرئ يقصد

بالخوارزمى هنا السلطان براق صاحب، الذى استقل بكرمان بعد وفاة جلال الدين. (انظر ص ٢٤١، حاشية ١).

(٣) كانت الهند الإسلامية (Hindustan) تابعة للدولة الغورية، منذ سنة ٥٨٦ هـ، حين فتحها عز الدين

محمد الغورى، وولى عليها مملوكه قطب الدين أيبك. ثم استقل قطب الدين هذا بالهند الإسلامية، سنة ٦٨٢ هـ،

بعد وفاة عز الدين وانقسام الدولة الغورية. وكذلك استقل ناصر الدين كجاشا بالهند، وهو مملوك غورى آخر.

(Lane - Poole : Muh. Dyns. pp. 293-299).

(٤) لعل المؤلف يقصد بنى نصر مملوك غرناطة، وأولهم محمد بن غالب بن يوسف بن نصر (٦٢٩ - ٦٧١ هـ).

(Lane - Poole : Muh Dyns. pp. 27-29). (٥) فى من النخاس.

وفيها مات الأمير نحر الدين عثمان بن قزق، أستاذ الملك الكامل، [١] صاحب المدرسة
الفخرية بالقاهرة، في ثامن عشر ذي الحجة، بجران .

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، صاحب اليمن، [عسكراً إلى مكة^(١)]، فيه
الشريف زاجح بن قتادة، فملكها من الأمير شجاع الدين طفتكين، نائب الملك الكامل،
في ربيع الآخر. وفتح [شجاع الدين] إلى نخلة^(٢)، ثم إلى ينبع، وكتب يعلم الملك الكامل بذلك .
فبعث إليه [الكامل] عسكراً سار بهم إلى مكة، فقدموها في شهر رمضان، وملكوها بعد ما قتلوا
جماعة، وكان مقدم العسكر الأمير نحر الدين يوسف بن الشيخ .

سنة ثلاثين وثمانمائة . فيها أنعم الكامل على ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب
بحصن كيفا، وسيره إليها^(٤) . وعاد [هو] إلى الديار المصرية، ومعه الملك المسعود، صاحب
آمد . فلما وصل قلعة الجبل أفرج عنه، وأحسن إليه، وأعطاه إمرة بديار مصر .

و [فيها] قبض [الكامل] على جماعة من الأمراء المصرية . وفيها استولى الملك المظفر،
صاحب حماة، على حصن بارين^(٥)، وانتزعه من أخيه (١٦٧) الناصر قلعج أرسلان . فسار
[قلعج أرسلان] إلى خاله الكامل، فقبض عليه، واعتقله في قلعة الجبل حتى مات .

وفيها جهز الملك الكامل عسكراً من الغز والعربان إلى ينبع، من أرض الحجاز — عليهم
علاء الدين آق سنقر الزاهدی في شوال، وعدتهم سبعمائة . وسبب ذلك ورود الخبر

(١) ما بين القوسين محبوب بورقة ملصقة في س، ولكنه وارد في ب (٧٩ ب) .

(٢) بغير ضبط في س، وهي المرحلة الأولى للصادر عن مكة، واسمها نخلة محمود، تميزا لها عن نخلة الشامية،
الواقعة على طريق اليمن، على مسافة ليلتين من مكة؛ وتميزا عن نخلة البمانية، التي تقع على الطريق بين مكة والبصرة .
(ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٦٩ - ٧٧٠) . (٣) في س فقدوا .

(٤) قصد الملك الكامل بهذا أن يبعد الصالح عن مصر، فيخلو بذلك الجزلة، ولولده العادل، ولي العهد من
بعده . انظر (Blochet: Op. cit. p. 393. No I.) .

(٥) في س بقرين . (٦) بياض في س .

بمسير الشريف راجح من اليمن بعسكر إلى مكة ، وأنه قدمها في صفر ، وأخرج من بها من المصريين بغير قتال . فقدم الزاهدى في الموسم ، وتسلم مكة ، ورجع بالناس ، وترك بمكة ابن محلى^(١) ، ومعه خمسون فارسا ، ورجع إلى مصر .

وفيهما توفي الفخر سليمان بن محمود بن أبي غالب الدمشقى ، كاتب الإنشاء^(٢) . فاستحضر

الملك الكامل ناسخا يقال له الأمين الحلبي ، كان عند الأمير عز الدين أيبك — أستاذار الملك

(١) في س مجلى ، وبغير ضبط ، وهو مترجم إلى (Ibn Mahalla) في (Blochet : Op. cit. P. 394) .
انظر الخزرجي (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٥٠) ؛ وكذلك الترجمة الإنجليزية للرجع نفسه ، (Vol. I. P. 97) .
(٢) يوجد في (Blochet : Op. cit. p. 395. N. I.) ثبت لأسماء أصحاب ديوان الإنشاء بمصر ، من عهد الخليفة العزيز بن المعز الفاطمي ، (٣٦٥ — ٥٣٨٦هـ) ، إلى حكم السلطان الأشرف إينال ، (٨٥٧ — ٨٦٥هـ) ، أحد سلاطين دولة المماليك البرجية . وقد كان لديوان الإنشاء النصب الأكبر من عناية الذين كتبوا في موضوع الأظمة الحكومية المصرية في القرون الوسطى ، وأهم الكتب التي ألفت فيه ، وأكثرها ذبوعا ، كتاب التعريف بالمصطلح الشريف ، لشهاب الدين بن يحيى الدين بن فضل الله العمري ، الذي تقلب في ديوان الإنشاء بمصر ، في عهد السلطان الناصر محمد ابن قلاوون (٦٩٣ — ٧٤١هـ) ، انظر (Enc. Isl. Art. Fādī Allah) ؛ وكتاب صبح الأعشى في كتابة الانشا ، ومؤلفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندى ، المتوفى بالقاهرة في عاشر جمادى الثانية سنة ٨٢١هـ ، راجع (Enc. Isl. Art. kalkashandi) ؛ وكتاب المقصد الرفيع المنشا الهادى لصناعة الانشا ، لبهاء الدين محمد بن لطف الله بن عبد الله بن عبيد الله العمري الخالدي ، وقد كتبه حوالي سنة ٨٣٦هـ ، انظر (G. - Demombynes : Op. cit. Pref. pp. V-VI) .

أفرد القلقشندى الجزئين الأول والثاني من كتابه في التعريف بهذا الديوان ، وتعدد الصفات والمؤهلات التي تلزم لصاحبه ، وفي بحث نشأته في الإسلام إلى زمنه ، وسيقتصر هنا على الموضوع الأخير . يقول القلقشندى (ج ١ ، ص ٩١ — ١٠٤ ؛ ج ٣ ، ص ٤٩٠ — ٤٩٢ ؛ ج ٥ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥) إن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام ؛ وذلك أن النبي عليه السلام ، كان يكتب أمراءه وأصحاب سراياه ، وقد كتب أيضا إلى من قرب من ملوك الأراض يدعوهم إلى الإسلام ؛ ومن استكتبه عليه السلام أبا بكر الصديق وعلى بن أبي طالب . وفي الدولة الأموية كان أمر الكتابة مفقوضا إلى كاتب ، وعرف متوليا بهذا الاسم . ومن اشتهر من كتاب الأمويين عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وكان في عهد مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين بدمشق . فلما جاءت الدولة العباسية كان ديوان الإنشاء يضاف تارة إلى الوزارة ، وتارة يعهد إلى كاتب يختص به . وفي الحالة الأولى أضيف لقب الكتابة إلى الوزارة ؛ أما في الثانية ، فحيث كان الديوان مشهورا بديوان الرسائل ، كما في العصر العباسي الأول ، لقب متوليه بصاحب ديوان الرسائل ، أو متولى ديوان الرسائل ؛ وربما قيل لصاحب ديوان المكاتب ، أو متولى ديوان المكاتب ؛ وحيث كان الديوان مشهورا بديوان الإنشاء ، لقب متوليه بصاحب ديوان الإنشاء ، وربما جمع لفظ الديوان تعظيما =

المعظم - في خدمته يكتب له . فلما حضر [الأمين] ليكتب بين يديه خلع عليه ، وأعادته إلى صاحبه ، فترهده استحياء من الناس . وبعث الكامل إلى ميا فارقين ، فأحضر الجلال بن نباتة ليستكتبه ، فلما حضر خلع عليه ، وأعززه ولم يستكتبه ، فاستكتبه الأشرف صاحب دمشق .

== لتوليه ، فيقال صاحب ديوان الإنشاء بالممالك الإسلامية . ومن اشهر من وزراء العباسيين وكتابهم يحيى بن خالد الهممكي ، وابن المقفع مترجم كتاب كلبلة ودمنة .

ولما كانت بلاد المغرب والأندلس الإسلامية بأيدي نواب الخلفاء ، لم يعن أولئك النواب بديوان الإنشاء في ولاياتهم ، فغلبت من البداوة ، ولغضرت غاية الولاة على الكتابة لديوان الخلافة . فلما هربت طائفة من بني أمية إلى الأندلس ، وتأسست على يدهم دولة مستقلة عن الدولة العباسية ، جرى أمرؤها على سنن ما كان عليه آباؤهم بالشام من القاب الخلافة ، مضاهين بني العباس ببغداد . فأقاموا شعار الخلافة ، واتخذوا ديوان الإنشاء ، واستخدموا بلقاء الكتاب . ومن اشهر عندهم من الكتاب أبو الوليد بن زيدون ، وابن الخطيب وزير ابن الأحمر ، صاحب غرناطة .

أما ديوان الإنشاء بمصر ، فله خمسة أدوار : الدور الأول ما كان عليه الأمر من الفتح إلى بداية الدولة الطولونية (٢٠ - ٢٥٤ هـ) ، وفيه لم يكن لنواب الخليفة عناية بديوان الإنشاء ، لاقتصار المكاتب على ما يلزم لأبواب الخلافة . والدور الثاني ما كان عليه الأمر في الدولتين الطولونية والإخشيدية (٢٤٥ - ٣٥٨ هـ) ، وفي خلال ذلك ترتب ديوان الإنشاء بمصر ، ومن اشهر من كتاب الطولونيين أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود بن عبدكان . والدور الثالث ما كان عليه الأمر زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨ - ٥٦٥ هـ) ، وفيه صرف الفاطميون مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء ، وكان يعرف صاحبه بكتاب الدست الشريف ، ووليه في زمنهم جماعة من أكابر الكتاب ، ما بين مسلم وذمي ، مثل الحافظ الشيخ الأجل أبي الحسن علي بن أسامة الحلبي ، وأبي المنصور بن سوردين النصراني ، وابن أبي الدم اليهودي . وقد تخرج القاضي الفاضل عبد الرحيم اليبساني في ديوان الإنشاء الفاطمي ، في عهد العاضد ، آخر خلفاء تلك الدولة . والدور الرابع من ابتداء الدولة الأيوبية إلى انقراضها (٤٦٥ - ٦٤٧ هـ) ، وفيه أسند السلطان صلاح الدين كتابة الإنشاء إلى القاضي الفاضل ، ومن تولاها أيضا في تلك الدولة بهاء الدين زهير ، في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب . والدور الخامس ما كان عليه الأمر في دولتي المماليك البحرية والجلبية (٦٤٧ - ٩٢٢ هـ) ، وفي أوائل هذا الدور كان صاحب ديوان الإنشاء يلقب تارة بلقبه أيام الدولة الفاطمية - وربما عبر عنه أحيانا بكتاب الدرج - وتارة ولية جماعة يعبر عنهم بكتاب الدست . وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولي الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ، في أيام السلطان المنصور قلاوون ، فلقب بكتاب الدر ، ونقل لقب كاتب الدست إلى طبقة دونه من كتاب الديوان ، واستمر ذلك إلى زمن القلقشندي . ومن مشاهير أصحاب ديوان الإنشاء إلى عهده يحيى الدين بن فضل الله العمري ، وهو والد شهاب الدين صاحب التعريف ، ومنهم شهاب الدين نفسه ، وأخوه بدر الدين . (انظر أيضا المقرزي : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٠٢ ؛ ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٩٣ - ١٠٢ ؛ و (G. Demombynes : Op. cit. Pref. pp. V, LXVI. و

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان بسطن الملك الكامل ولده الملك العادل سيف الدين
أبا بكر، وأركبه بشعار السلطنة، وشق به القاهرة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة . وكان
الكامل يحبه، ويحب أمه حبا زائدا.

وفي ذى القعدة وصل محي الدين يوسف بن الجوزي من بغداد، بالتقليد من [الخليفة]
المستنصر [بالله] للملك الكامل .

وفيها أبطل السلطان المعاملة بالفلوس^(٢)، في القاهرة ومصر، فتلّف مال كثير للناس .
وفيها مات الأمير حسام الدين مانع بن حديثه، أمير العربان من آل فضل، فأمر الأشرف
بعده ابنه مهنا^(٣) . وفيها قدم الناصر داود صاحب الكرك إلى مصر، فنزل بدار الوزارة من
القاهرة، وركب في خدمة عمه الملك الكامل .

وفيها مات العزيز نخر الدين عثمان بن العادل بدمشق، يوم الاثنين عاشر رمضان . و[فيها]
مات الملك المعظم مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك، ملك إربل، في تاسع عشر
شعبان، عن أربع وثمانين سنة، وكان يهتم بعمل المولد النبوي في كل سنة اهتماما زائدا . فقسّم
إربل من بعده نواب الخليفة، وصارت مضافة إلى مملكة بغداد .

سنة إحدى وثلاثين وستمائة . فيها قصد السلطان علاء الدين كيقباد بن كيقسرو
السلجوقي، صاحب بلاد الروم، مدينة خلاط . فخرج الملك الكامل من القاهرة بعسكره، ليلة
السبت خامس شعبان، واستتاب ابنه الملك العادل . فوصل إلى دمشق، وكتب إلى ملوك
بنى أيوب يأمرهم بالتجهيز، للسير بعساكرهم إلى بلاد الروم .

(١) انظر ص ٢١٩، حاشية ٢ . (٢) كانت الفلوس في مصر على نوعين، أحدهما المطبوع بالسكة،

وثانيهما غير المطبوع . وكان الصنف الثاني عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر، أو الأصفر، ويعبر عنها بالعنق .

(الفلقشندی : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٣ - ٤٤٤) . (٣) القبائل العربية بالشام عنصر مهم

في تاريخ تلك البلاد، انظر (Gibb : Damascus Chronicle. Introd. pp. 17-19) . وكانت ديار آل

فضل مندة من حصص إلى جعبر، وإلى الرحبة والبصرة، على الفرات . وآل فضل هم الفخذ الأول من ربيعة بن حازم،

وقد نشأ ربيعة هذا في أيام الأتابك زنكي، وهو ينتسب إلى عزيز بن سلامان ... بن طي، بن كهلان بن قحطان .

(الفلقشندی : صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٢٤ - ٣٢٥؛ ج ٤، ص ٢٠٣ - ٢٠٨) .

وخرج [الكامل] من دمشق، فنزل على سلمية في شهر رمضان، ورتب عساكره، وسار إلى منبج، فقدم عليه عسكر حلب، وزيه من العساكر. فسار وقد صار معه ستة عشر دهليزا،^(١) لسته عشر ملكا - وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكا؛ فعرضهم [الكامل] على البيرة أطلابا^(٢) بأسلحتهم، فلكثر ما أعجب بنفسه قال: "هذه العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الإسلام". وأمر بها فسارت شيئا بعد شيء نحو الدربند،^(٣) وقد جد السلطان علاء الدين في حفظ طرقاته بالمقاتلة. ونزل الكامل على ^(٤)النهر الأزرق، وهو بأول بلد الروم. ونزل عساكر الروم فيما بينه (٦٧ ب) وبين الدربند، وأخذوا عليه رأس الدربند، وبنوا عليه سورا يمنع العساكر من الطلوع، وقاتلوا من أعلاه، فقلت الأقوات عند عسكر الكامل.

واتفق - مع قلة الأقوات وامتناع الدربند - نفور ملوك بني أيوب من الملك الكامل، بسبب أنه حفظ عنه أنه لما أعجبه كثرة عساكره بالبيرة، قال لخواصه: "إن صار لنا ملك الروم فإننا نعوض ملوك الشام والشرق مملكة الروم، بدل ما بأيديهم؛ ونجعل الشام والشرق مضافا إلى ملك مصر". فحذر من ذلك المجاهد صاحب حمص، وأعلم به الأشرف موسى صاحب دمشق. فأوجس في نفسه خيفة موسى، وأحضر بني عمه وأقاربه من الملوك،

(١) الدهليز هنا الخيمة، التي ترافق السلطان في الحرب. وتختلف عن غيرها - من الخيم والدهاليز الكبيرة، التي تقام للسلطين في الصيد والتنزه - بكونها خيمة قائمة بذاتها، ليس بجوانبها خيم صغيرة، كالتى تقام عادة لتجهيز حاجات السلطان في أيام السلم. (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

(٢) جمع طاب، وهو لفظ كردى، معناه الأمير الذى يقود مائته فارس في ميدان القتال، ويطلق أيضا على قائد المائة أو السبعين. وكان أول ما استعمل هذا اللفظ بمصر والشام أيام السلطان صلاح الدين، ثم عدل بدلوله، فأصبح يطلق على الكتيبة (bataillon) من الجيش. (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

(٣) بغير ضبط في س. وليس المراد هنا بلدة الدربند، المسماة أيضا باب الأبواب، والواقعة على الشاطئ الغربى لبحر قزوين، شمالى باكو، وقبالة تفليس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦٤؛ القلقشندى: صبح الأضنى، ج ٤، ص ٣٦٤). وإنما هي لفظ فارسي، معناه فى الأصل سنبلة من حديد، يقفل بها باب الدكان، ويقال لها دروند أيضا. (Dozy: Supp. Dict. Ar.) ثم استعملت كما هنا، بمعنى المضايق والطرقات، (محيط المحيط) ثم وأراد المقرئى بها المعابر الضيقة، الواقعة شمالى البيرة والنهر الأزرق. (انظر الحاشية التالية).

(٤) أحد نهيرات الفرات الأعلى، ويجرى بين بهسنا وحصن منصور. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٢).

وأعلمهم ذلك . فاتفقوا على الملك الكامل ، وكتبوا إلى السلطان علاء الدين بالميل معه وخذلان الكامل . وسيروا الكتب [بذلك] ، فاتفق وقوعها في يد الملك الكامل ، فكتبها ورحل راجعا .

فأخذ [السلطان علاء الدين كيقباد] ، ملك الروم ، قلعة ^(١) نخرتبرت ، وسب قلاع أحر كانت مع الملوك الأرتقية ، في ذى القعدة . فاشتد حنق [الملك الكامل] ، لما حصل على أمرائه وعساكره من صاحب الروم في قلاع نخرتبرت ، ونسب ذلك إلى أهله من الملوك ، فتنكر ما بينه وبينهم .

وفيها مات الملك المفضل قطب الدين موسى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في ذى الحجة . وفيها بعث المنصور [عمر بن علي بن رسول] ، ملك اليمن ، عسكرا وخرزانه مال إلى الشريف راجح [بن قتادة] ، فأخرج من بمكة من المصريين .

وفيها حضر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي سماعاً ، بزقاق الطباخ بمدينة مصر ، في أول يوم من شهر رجب ، و [كان] هناك الشيخ أبو عبد الله القرشي ، وأبو عباس القسطلاني ، وجماعة [غيرهما] . فلما أنشد القوال صفق أبو يوسف الدهماني بيديه ، وارتفع عن الأرض متربعا ، إلى أن بلغ إلى أنبندارية المجلس ، ودار ثلاث دورات ، ثم نزل إلى مكانه . فقام الشيخ القرطبي ، وقد ارتفع الأنبدارية ، فكان أطول من قامته رافعا يديه .

(١) في س نخرتبرت ، في الموضعين (سطر ٦) ، بغير ضبط ، وإسقاط التاء الوسطى هكذا جاء في الشعر . وهو اسم أرمني ، يطلق على حصن زياد ، من بلاد الروم ، في أقصى ديار بكر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٩) .
 (٢) في س حنقه . (٣) انظر الخزرجي (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤٩ — ٥٠ ، ٥٤ — ٥٥) ،
 (٤) ليس بالمواعظ والاعتبار للقرنيزي ذكر لهذا الزقاق ، في باب أزقة القاهرة ومصر ، غير أنه يوجد جامع الطباخ (نفس المرجع : ج ٢ ، ص ٥٣١٥) ، وقد جدده الحاج علي الطباخ ، قبيل سنة ٥٧٤٦ هـ ، وموقع هذا الجامع بخط باب اللوق ، بجوار بركة الشفاف .
 (٥) في س القرشي . (٦) مضبوطة على منطوقها في (Blochet: Op. cit. P. 404. N. 1.)
 حيث هي مترجمة إلى (lambris) ، أي السقف .

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة . فيها عاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل من بلاد الشرق - في جمادى الأولى - وقد توحش ما بينه وبين أخيه الأشرف ، صاحب دمشق ، وغيره من الملوك . فقبض [الكامل] على المسعود صاحب آمد ، واعتقله في برج هو وأهله ، يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى ، ثم لأماته لهم . فملك صاحب الروم الرها وحران بالسيف ، وعاد إلى بلاده ، بعد ما استولى على ما كان بهما من الأموال . فلما بلغ الكامل ذلك أمر العساكر أن تجهز للسير إلى الشرق ، وأقطع ابن الأمير صلاح الدين الإربلي صنافير^(١) بالقايونية ، وجعل أقارب والده ومماليكه معه ، وعدتهم سبعة عشر رجلا .

وفيهما بعث ابن رسول إلى الشريف راجح [بن قتادة] بخزانة مال ، ليستخدم عسكرا . فلم يتمكن من ذلك ، لأنه بلغه أن السلطان الملك الكامل بعث الأمير أسد الدين جفريل ، أحد المماليك الكاملية ، إلى مكة بسبعائة فارس . [وحضر جفريل إلى مكة] ، ففر منه الشريف راجح بن قتادة إلى اليمن ، وملك [جفريل مكة]^(٢) في شهر رمضان ، وأقام العسكر بها .

وفيهما مات الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، صاحب البيرة ، في سابع صفر . فاستولى العزيز ، صاحب حلب ، عليها من بعده . و [فيها] مات (١٦٨) الأمير شمس الدين صواب ، الطواشي الكامل ، بجران في أواخر شهر رمضان .

* * *

سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . فيها استمر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر ، فمات بالقاهرة ومصر خلق كثير ، بلغت عدتهم زيادة على اثني عشر ألفا ، سوى من مات بالريف .

(١) بغير ضبط في س ، وهي بمركز قلوب ، غربي ناحية بهادة ، وشمالى كفر الحارث . وإليها ينسب الشيخ يحيى ابن على الصنافيرى ، المتوفى سنة ٧٧٢ هـ . (على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٢٤ - ٢٦) . هذا وبالقاهرة الحالية طريق اسمه شارع الصنافيرى . (٢) في س جفريل ، وبغير ضبط ، وفي القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٣) جبريل ؛ وفي الخزر جى (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٥٥) جبرئيل . انظر (Blochet : Op. cit. P. 405. N. 2.) . (٣) في س "ملكها في شهر رمضان" ، وقد أضيف ما بين الأقواس ، بعد مراجعة الخزر جى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

وفيها سار التتر إلى جهة الموصل ، فقتلوا ونهبوا وسبوا . وفيها سار الناصر داود ، صاحب الكرك ، إلى الخليفة [المستنصر بالله] ، خوفا من عمه الملك الكامل ، فإنه كان قد ألزمه حتى طلق ابنة الكامل ، فخشي أن ينتزع منه الكرك ، فوصل إلى بغداد ، فأكرمه الخليفة ، ومنعه من الاجتماع به ، رعاية للملك الكامل . ثم اجتمع به سرا ، ومنع عليه ، وبعث معه رسولا مشربسا من خواصه إلى الكامل ، يشفع فيه . فلما وصل [الرسول] إلى الكامل تلقاه ، وقبل الشفاعة .

وفيها سار الملك الكامل من القاهرة بعساكره يريد بلاد الشرق ، فآزل الرها حتى أخذها ، يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى ، وأسر منها زيادة على ثمانمائة من الأمراء ، وهدم قلعتها . ونازل حران ، وأخذها بعد حصار وقتال ، في رابع عشر جمادى الآخرة ، وأسر من كان بها من أجناد السلطان علاء الدين ، وأمرائه ومقدميه الصوباشية ، وكانوا سبعمائة وخمسة وعشرين رجلا ، فمات كثير منهم في الطرقات . ثم نزل [الكامل] على دنيسر ، وخرّبها . فورد عليه الخبر بأن التتر قد وصلوا إلى سنجار ، في مائة طلب ، كل طلب خمسمائة فارس . وأخذ [الكامل] قلعة السويداء عنوة ، وأسر من بها في سابع عشر جمادى [الآخرة] ، وهدمها ، وأخذ قطينا ، وأسر من بها في رجب . وفي تاسع عشره بعث [الكامل] جميع الأسرى إلى ديار مصر ، وعدتهم تزيد على الثلاثة آلاف ، وعاد إلى دمشق ، وسلم الشرق لابنه الملك الصالح [أيوب] .

(١) الشربوش قلنسوة طويلة أعجمية ، (محيط المحيط) ، وتلبس بدل العمامة ، وكانت شارة للأمراء ، فلا يلبسها رجال

العلم ، كالقضاة والكتّاب وغيرهم . وقد ألقى استعمالها بمصر زمن المماليك اليرجانية . (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٢) في س "ربيع" ، وهفوة المقرزي هنا ظاهرة . (٣) في س السوباشية ، بغير ضبط .

والصوباشي لفظ فارسي ، معناه " الوكيل في الضيعة ، من قبل صاحبها ؛ وفي اصطلاح أرباب السياسة الأمين الذي

تحبس النساء في بيته" . والعامة تقول الشوباصي ، (محيط المحيط) ، و (Dozy : Supp. Diet. Ar.) ، ولعل

رسم المقرزي نطق عامي آخر . (٤) بغير ضبط في س ، وهي بلدة كبيرة من نواحي الجزيرة . بينها وبين

ماردين فرسخان ، ويقال لها قوج حصار . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦١٢) . (٥) بغير ضبط في س ،

وهي بلدة قرب حران . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٧) . (٦) بغير ضبط في س ، أو في ياقوت

(معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٠٢) ، وهي بلدة على نهر الزاب الأعلى ، شمالي الموصل . انظر (Blochet : Op.

cit. p. 408)

وفيهما هدمت دنيسر ، وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب ماردين . وفيها خرج عسكر الروم ، بعد عود الكامل ، وحاصر آمد وأخرب داراً ، في خامس ذي القعدة .

وفيهما استولى الفرنج على مدينة قرية بالأندلس : وفيها قدم أنبا كيرلس داود بن لقلق بطرركا على الإسكندرية للبعاقبة ، في يوم الأحد ثالث عشرى بؤونة ، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة للشهداء ، الموافق لتاسع عشرى رمضان . فأقام [في البطركية] سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أعوام ، وكان عالماً ، محباً للرياسة ، وجمع المال ، وأخذ الشرطونية . وكانت أرض مصر قد خلت من الأساقفة ، [قبيل اعتلائه كرسي البطركية] ، فقدم جماعة من الأساقفة بمال كبير . ومرت به شدائد كثيرة ، فإن الراهب عماد المرشار كان قد سعى في ولايته البطركية ، وشرط عليه ألا يقدم أسقفاً إلا برأيه ، فلم يف له ، ولا التفت إليه . فأنحرف عنه ورافعه ، فوكل عليه وعلى عتة من أقاربه وأزواجه . وقام أيضاً عليه الشيخ السنبي بن التعبان الراهب ، وعانده وذكر مثالبه ، وأنه إنما تقدم بالرشوة ، وأنه أخذ الشرطونية ، فلا تصح له كهنوتية ، على حكم القوانين . ومال معه جماعة ، وعقدوا له مجلساً بحضور الصاحب (٦٨ ب) معين الدين ابن شيخ الشيوخ ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأثبتوا عليه أموراً شنة ، وعزموا على خلعه . فقام معه الكتاب المستوفون بديار مصر ، وتحدثوا مع الصاحب معين الدين ، فقتر مالاً حمله [البطريك] إلى السلطان ، واستمر [أنبا كيرلس] على بطركيته حتى مات ، يوم

(١) بلدة في لطف جبل ، بين نصيبين وماردين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥١٦ - ٥١٧) .
 (٢) انظر ص ١٨٣ - ١٨٤ . (٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Butcher : Op. cit. II. p. 139.) (٤) كذا في س ، بغير ضبط ، وفي (Ibid: Op. cit. II. P. 142.) ، راهب اسمه (Hamid) ، وكان زعيم الثورة ضد البطريق . وقد يكون لفظ المرشار تعريفاً لامم دير (Macarius) بوادي النظرون ، وهو أحد الأديرة الكبيرة بمصر ، في القرون الوسطى ، وعماد هذا - أو حامد - راهب به . وكان هذا الدير تابعاً للبطريك مباشرة ، فلعل طمعه في أموال الدير أحفظ الراهب عماد - أو حامد - وأثاره ، على الوجه المذكور بالمتن . (Ibid: Op. cit. II. P. 140.) (٥) مضبوط هكذا في س . ولعله سني الدولة . انظر (Blochet : Op. cit. P. 409) .

(٦) تفاصيل هذه الحوادث موجودة في (Butcher : Op. cit. II. pp. 140 - 151.)

الثلاثاء رابع عشر برمهات، سنة تسعمائة وتسع وخمسين للشهداء، الموافق لسابع رمضان سنة أربعين وستمائة؛ وخلا الكرسي بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوماً.

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، ملك اليمن، عسكرياً إلى مكة، مع الشهاب بن عبد الله، ومعه خزانة مال، فقاتله المصريون وأسروه، وجملوه إلى القاهرة مقيداً.

♦ ♦ ♦

سنة أربع وثلاثين وستمائة . فيها سار الملك الكامل من دمشق يريد القاهرة، فوصل إليها، وصعد قلعة الجبل في ... (١) ثم خرج إلى دمياط، فقدم عليه محيي الدين يوسف ابن الجوزي رسولا من الخليفة، وهو بها . وسافر [محيي الدين؟] إلى [السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيقسرو بن قلع أرسلان^(٢)]، صاحب الروم، ومعه الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذرى، رسولا من جهة الملك الكامل .

وفيها مات الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب، صاحب حلب، يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الأول، عن ثلاث وعشرين سنة وأشهر . وقام من بعده ابنه الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف، وعمره نحو السبع سنين . وقام بتدبير أمره الأmirان لؤلؤ الأمني، وعز الدين عمر بن محلي^(٣)، وبينهما وزير الدولة جمال الدين الأكرم، يراجع الستر الرفيع صفية^(٤) خاتون ابنة الملك العادل، على لسان جمال الدولة إقبال . وحضر الأمير بدر الدين بدر بن أبي الهيجاء، ووزين الدين قاضي حلب، إلى الملك الكامل، بزردية العزيز وكراغنده^(٥)، وخوذته ومركوبه . فأظهر [الكامل] الألم لموته، وقصر

(١) بياض في س . (٢) انظر الصفحة التالية، (سطر ١٢) .

(٣) في س محلي، بغير ضبط، وقد تقدم مثل هذا الاسم، (ص ٢٤٥، سطر ٤)، وصحح هناك كما هنا بالمتن .

انظر أيضا (Blochet : Op. cit. P. 411) .

(٤) في س صفية . راجع ص ١٧٤ (سطر ٩) .

(٥) الكراغند المعطف القصير، يلبس فوق الزردية، ويصنع من القطن — أو الحرير — المبطن المنجد (rembourrée et piquée)، والجمع كراغنديات . وهو لفظ فارسي (محيط المحيط، Dozy: Supp. Diet. Ar.)،

ويقاله في الإنجليزية لفظ (Surcoat)، انظر (Scott: Talisman. P. 3)، وفي الفرنسية (Jacquette) .

في إكرامهما، وحلف للناصر، وشرط أشياء، وأعاد الرسولين. ثم أرسل خلعة للناصر بغير مركوب،
ومعها عدة خلع للأمرء الخليليين، وخلعة للصالح صلاح الدين أحمد بن الظاهر غازي، صاحب
عينتاب. فاستوحشت أم الظاهر من لأخيها الكامل، ولم توافق على لبس أحد من الأمرء
الخلع. فلبس الناصر وحده خلعة الكامل، ورد الرسول الوارد إلى الصالح [صلاح الدين] بخلعته.
وفيها تنكر الأشرف، صاحب دمشق، على الملك الكامل، وراسل أهل حلب، فوافقوه
على منع الكامل من بلاد الشام، ومكاتبة السلطان علاء الدين، صاحب الروم، ليكون معهم.
فانتظمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل، فانزعج الملك الكامل، وعز ذلك عليه.
وكان حين بلغه الخبر بالإسكندرية، فخرج منها ليلاً، وسار إلى قلعة الجبل، وشرع في تدبير أمره.
فاتفق موت السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلعج أرسلان، ملك الروم،
وقيام ولده غياث الدين كيخسرو بن [علاء الدين] كيقباد من بعده، في سابع شوال، قبل اجتماعه
بالحافظ زكي الدين عبد العظيم [المنذري]، رسول السلطان. (١٦٩) فبعث ملوك الشام رسلهم
إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلعج بن أرسلان السلجوقي،
صاحب الروم، يعزونه في أبيه، ويخلفونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل. وسير
الكامل أفضل الدين محمد الخونجي يعزى غياث الدين بأبيه، ومعه ذهب برسم الصدقة عنه،
وثياب أطلس برسم أغشية القبر. وفيها كان الوباء أشد من السنة الماضية. وفيها ضرب
الملك الكامل الفلوس.

وفيها بعث [الملك الكامل] القاضي الأشرف بن [القاضي] الفاضل إلى الملك الناصر داود،
صاحب الكرك، يدعوه إلى موافقته. فرحل [الملك الناصر] إلى القاهرة، مع القاضي الأشرف؛

(١) عبارة من كالاتي: "فاتفق موت السلطان علاء الدين وقيام ولده من بعده..."، وبقائها هامش نصه:
"كي قباد (كذا) بن غياث الدين كيخسرو قلع أرسلان ملك الروم، وملك بعده ابنه عاب الدين كيخسرو بن كي قباد".
وقد أديج هذا الهامش على النحو الوارد بالمتن. (٢) انظر ص ٢٥٣ (سطر ٩). (٣) في ص كيقباد.
(٤) معظم عبارة المقرئ، من هنا إلى آخر أخبار هذه السنة، مشابهة في أسلوبها وألفاظها، لما في أبي الفداء.
(المختصر في أخبار البشر، ص ١١٢ - ١١٣، في Rec. Hist. Or. 1.) وقد أضيف ما بين الأقواس من
ذلك المرجع.

فسر الكامل بقدمه، وركب إلى لقائه، وأنزله بدار الوزارة، وقدم له أشياء كثيرة، وخلع عليه. وقلده [الكامل] دمشق، وأمر من عنده من الأمراء والملوك الأيوبية، فحملوا الغاشية بين يديه بالنوبة، فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل، ثم البقية واحدا بعد واحد، إلى أن صعد قلعة الجبل. وجدد [الناصر] عقده على مطلقة عاشوراء خاتون ابنة الكامل، في تاسع عشر ذي الحجة. فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الحوطة على نابلس، وأخذ ما كان فيها للناصر داود.

و [فيها] سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، صاحب حصن كيفا، يستأذن أباه في استخدام من خالف [السلطان غياث الدين كيخسرو]، صاحب الروم، من الخوارزمية. فأذن له في ذلك، واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية، فتقوى بهم.

وفيها استولى التتار على إربل، وقتلوا كل من فيها، وسبوا ونهبوا، حتى نتنت من كثرة القتلى، ثم رحلوا عنها.

وفيها قدم من جهة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول، فبلغه عنهم أنهم قالوا: "إنا اتفقت كلمتنا عليك، فلا تخرج من مصر إلى الشام، واحلف لنا على ذلك". فاتفق مرض الأشرف بالذرب^(١)، فكان لا يستقر بباطنه طعام ألبته، حتى انقضت السنة وهو مريض، من شهر رجب.

وفيها قدم عسكر من اليمن إلى مكة، فخار بهم الأمير أسد الدين جفرييل^(٢)، وكسرهم. فقدم الملك المنصور عمر بن رسول، وملك مكة بغير قتال، وتصدق بمال، وترك بها جماعة. فقدم الشريف شيحة بن قاسم^(٣)، أمير المدينة، وملك مكة منهم، ونهبهم، ولم يقتل أحدا.

(١) في س بالذرب. والذرب عند الأطباء مرض استطلاق البطن المتصل، والفرق بينه وبين الهبضة أن الذرب لا يكون معه قيء، وهو من الأمراض المزمنة. أما الهبضة فيكون معها قيء، وهي من الأمراض الحادة. (محيط المحيط). (٢) كذا في س، وبغير ضبط. انظر ص ٢٥٠، حاشية ٢. (٣) في س شحه. انظر (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠٠).

سنة خمس وثلاثين وستمائة . فيها مات الأشرف موسى بن العادل أبي بكر
 ابن أيوب، صاحب دمشق بها، يوم الخميس رابع المحرم، وعمره نحو من ستين سنة، ومدة
 ملكه بدمشق ثمانين سنة وأشهر . ولم يترك سوى ابنة، [تزوجها الملك الجواد يونس بن
 مودود بن الملك العادل] . فقام من بعده بدمشق أخوه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل،
 صاحب بصرى، بعهد من أخيه له . فاستولى [الملك الصالح عماد الدين] على دمشق وبعثك،
 وبعث ابنه الملك المنصور محمودا إلى الشرق، ليتسلم سنجار ونصيبين والخابور من نواب الأشرف،
 وبعث إلى المجاهد صاحب حمص، وإلى المظفر صاحب حماة، وإلى الحلبيين [أيضا]،
 ليحلفوا له ويتفقوا معه - على القاعدة التي تقررت بينهم (٦٩ ب) وبين الأشرف - على
 مخالفة الكامل . فأجابوا إلا صاحب حماة، فإنه مال مع الكامل، وبعث إليه يعلمه بميله
 إليه، فسر الكامل بذلك . ثم إن [الملك] الصالح [عماد الدين] صادر جماعة من الدماشقة،
 الذين قيل عنهم إنهم مع الملك الكامل، منهم العلم تعاسيف، وأولاد مزهر، وحبسهم
 في بصرى .

فتجهز الكامل، وخرج من قلعة الجبل بعساكره، بكرة يوم الخميس ثالث عشرى صفر،
 واستتاب على مصر ابنه الملك العادل . وأخذ معه التاصر داود، وهو لا يشك أن الملك
 الكامل سلم إليه دمشق، لما كان قد تقرّر بينهما . فكتب [الكامل] نائب قلعة عجلون

(١) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١١٣، في Rec. Hist. Or. I.) .
 (٢) قبالة هذه العبارة، بالهامش في س، فقرة بمعناها تقريبا، ونصها: "واستحلف بعده اخاه الملك الصالح عماد الدين
 إسماعيل، وحلف له الامراء، واركبه في حياته بالسنجق" . (٣) في س محمود . (٤) بغير ضبط في س،
 والخابور اسم لنهر كبير، منبعه عند رأس عين، ومصبه في الفرات، بعد أن يلتقي بنهر نصيبين وغيره . وتقع على نهر الخابور
 بلدان رحمة، غلب على كثير منها اسمه، (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٣)، فيكون البلد الوارد بالمتن أحدها .
 (٥) أي علم الدين . انظر ص ٢٣٢، سطر ٣ . (٦) (٧) العبارة بين الرقنين، منقولة نصها من أبي الفداء
 (المختصر في أخبار البشر، ص ١١٣، في Rec. Hist. Or. I.)، وقد وضعت بدل ما ورد في السلوك، لوضوحها
 مع، وهذا نصه: "... وهو لا يشك انه يتسلم دمشق لما تقرّر" . (٨) في س: "فكتب نائب قلعة عجلون،
 حتى سلها . ونزل الكامل على دمشق، بمسجد القدم" . انظر (Blochet: Op. cit. p. 417. N. 2.) .

حتى سلمها ، ونزل على دمشق بمسجد القُدم ، في ثالث عشر ربيع الأول ، وقد تحصنت وأتتها النجدات . فحاصرها وقطع عنها المياه ، وضايقها حتى غلت بها الأسعار ، وأحرق العقبية^(١) والطواحين ، وألح على أهلها بالقتال . وكان الوقت شتاء ، فاذعن الصالح [إسماعيل] ، وسلم دمشق لأخيه الكامل ، فعوضه عنها بعلبك والبقاع ، وبصرى والسواد . وكان السفير بينهما صاحب محي الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، رسول الخليفة ، الوارد ليوقع الصلح بين ملوك بني أيوب .

فتمسلم الكامل دمشق في عاشر جمادى الأولى ، وسار الصالح [إسماعيل] إلى بعلبك ، لإحدى عشرة بقية من جمادى الأولى . فنزل الملك الكامل بالقلعة ، وأمر بنصب الدهليز بظاهر دمشق ، وسير المظفر صاحب حماة إلى حمص ، وأطلق الفلك^(٢) المسيرى من سجن قلعة دمشق - وكان قد سجنه الملك الأشرف - ، ونقل الأشرف إلى تربته .

وأمر [الكامل] في يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة ألا يصل أحد من أئمة الجامع المغرب ، سوى الإمام الكبير فقط ، لأنه كان يقع بصلاتهم تشويش كبير على المصلين .

وورد الخبر باستيلاء الصالح [نجم الدين أيوب] بن الكامل على سنجار ونصيبين والخابور . وقدم رسول الخليفة بمال إلى الملك الكامل ، ليستخدم به عسكر للخليفة ، فإنه باقعه توجه التتر إلى بغداد . فقام الملك الكامل لما سُمِّ إليه كتاب الخليفة ، ووضع على رأسه ، وكان جملة ما حضر من المال مائة ألف دينار مصرية . فأمر الملك الكامل أن يُخرج من بيت المال مائتا ألف دينار ، ليستخدم بها العساكر ، وأن يجرد من عساكر مصر والشام عشرة آلاف ، نجدة للخليفة ،

(١) بغير ضبط في س ، وتسمى أيضا العقبية ، وهي قرية من ضواحي دمشق . : Demombynes — G. ; (Op. cit. pp. 26, 36.) ؛ وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٥٧ . (٢) بغير ضبط في س ، وهي حسبا جاء في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٤٤) موضع قرب الرملة ، غير أن القرائن تدل على أنها موضع قرب العقبية ، من ضواحي دمشق . (٣) في س الملك . انظر (Blochet: Op. cit. P. 418.) حيث عدل هذا الاسم ، وترجم إلى (Falak-ad-Din) .

(٤) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٩٥ ، في Rec. Hist. Or. I.) .

وأن يكون مقدم العساكر الناصر داود ، وألا يُصْرَفَ مما حضر من المال شيء ، بل يعاد بكاله إلى خزانة الخليفة . فتولى استخدام الأجناد الأميران ركن الدين الهيجاوى ، وعماد الدين ابن موسك ، وأن يكونا مع الناصر [داود] في خدمته . فأستخدم [الناصر] العسكر ، وسار إلى بغداد ، وهم نحو ثلاثة آلاف فارس .

وشرع الكامل يتجهز لإخذ حلب ، فخاف المجاهد صاحب حمص ، وبعث ابنه [المنصور إبراهيم] ، فقتل الأمر على أن يحمل [المجاهد] كل سنة للملك الكامل ألف درهم ، فعفا عنه .

وكان منذ دخل الكامل إلى قلعة دمشق قد حدث له زكام ، فدخل في ابتداءه إلى الحمام ، وصبَّ على رأسه الماء الحار . فاندفعت المواد إلى معدته ، فتورم وعرضت له حمى ، فنهاه الأطباء عن القيء ، وحذروه منه . فاتفق أنه تقياً (١٧٠) لوقته ، في آخر نهار الأربعاء حادى عشرى شهر رجب ، بقاعة الفضة من قلعة دمشق ، فدفن بها بكرة الغد ، وعمره نحو من ستين سنة ؛ وذلك بعد موت أخيه الأشرف بنحو ستة أشهر . فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحداً وسبعين يوماً ؛ ومدة مملكته بمصر ، بعد موت أبيه ، عشرين سنة وثلاثة وأربعين يوماً - وقيل وخمسة وأربعين يوماً - ، و [كانت] في أيام أبيه نحوها . فحكم مصر قريبا من أربعين سنة ؛ ومولده في الخامس والعشرين من ربيع الأول ، سنة ست وسبعين وثمانمائة .

وكان يحب أهل العلم ، ويؤثر مجالستهم ؛ وشغف بسماع الحديث النبوى ، وحدث بالإجازة من أبى محمد بن برى ، وأبى القاسم البوصيرى ، وعدة من المصريين ، وغيرهم . وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية ، وبني له دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، وجعل عليها أوقافا .

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Lane - Poole : Saladin. Table II. in pocket.)

هذا وفي أبى الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١١٤ ، في Rec. Hist. Or. I.) أن المجاهد أرسل نساءه إلى الملك الكامل ، ليشفعن له عنده ، "فدخلن على الملك الكامل ، فلم يلنظت إلى ذلك" . (٢) في ص ١١٤ .

(٣) كانت تلك المدرسة ، حسبما جاء في المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ٢ ، ص ٣٧٥) ، أول بيت للحديث

بالقاهرة ، وفيها يقول : "هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة ، وتعرف بدار الحديث الكاملية ، أنشأها السلطان =

وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها ، فمن أجاب عنها قدمه وحظى عنده . و [كانت] تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم : كالجمل ، اليمنى ، النحوى ، والفقير عبد الظاهر ، وابن دحية ، والأمير صلاح الدين الإربلى - وكان أحد الفضلاء - فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ، ليسامروه . فثقت العلوم والآداب عنده ، وقصده أرباب الفضائل ، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الرافرة الدارة . فمن قصده التاج بن الأرموى ، وأفضل الدين الخونجى ، والقاضى الشريف شمس الدين الأرموى ، قاضى العسكر ، وهؤلاء أئمة وقتهم فى المنقول والمعقول .

وكان مهيباً ، حازماً سديد الآراء ، حسن التدبير لما ليكه ، عفيفاً عن الدماء . وبلغ من مهابته أن الرمل - فيما بين العريش ومصر - كان يمز فيه الواحد ، بالذهب الكثير والأحمال [من] الثياب ، من غير خوف . وسُرق مرة فيه بساط ، فأحضر [الكامل] العربان الذين يخفرون الطريق ، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه . فبدلوا عوضه شيئاً كثيراً ، وهو أبى إلا إحضار السارق ، أو إتلاف أنفسهم وأموالهم بدله ، فلم يجدوا بدا من إحضار السارق والبساط .

وكان يباشر أمور الملك بنفسه ، من غير اعتماد على وزير ولا غيره . واستوزر أولاً الصاحب صفى الدين بن شكر ، ست سنين ، وانكف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات ، = الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان ، فى سنة اثنين وعشرين وستائة . وهى ثانى دار عملت للحديث ، فإن أول من بنى دارا [للحديث] على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زكى بدمشق . ثم بنى الكامل هذه الدار ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية . ووقف عليها الربيع الذى بجوارها ، على باب الخرنفش ، ويمتد إلى الدرب المقابل للجامع الأقر . وهذا الربيع من إنشاء الملك الكامل ، وكان موضعه من جملة القصر الغربى ، ثم صار موضعاً يسكنه القهاجون . وكان موضع المدرسة سوقاً للربيع ، ودارا تعرف بابن كستول . وأول من ولى تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن دحية ، ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن على بن دحية ، ثم الحافظ عبد العظيم المنذرى ، ثم الرشيد العطار . وما برحت بيد أعيان الفقهاء ، إلى أن كانت الحوادث والمحن ، منذ سنة ست وثمانمائة ، فتلاشت كما تلاشى غيرها ، وولى تدريسها صبى ، لا يشارك الأناسى إلا بالصورة ، ولا يمتاز عن البهيمية إلا بالنطق ، واستمر فيها دهر الأبدس بها ، حتى نسيت ، أو كادت تنسى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . (١) فى من ليسامرونه . (٢) فى من مهابا .

وكان الأمير نجر الدين عثمان الأستادار يتردد إليه في الأشغال . فلما مات الصاحب [صفي الدين] لم يستوزر [الكامل] بعده أحدا ، بل كان يستنهض من يختار في تدبير الأشغال (٧٠ ب) : فأقام^(١) معين الدين بن شيخ الشيوخ مدة ، وسماه نائب الوزارة ، ومرة أقام حاج الدين يوسف بن الصاحب صفي الدين ، ومرة جمال الدين بن البورى . وصار يباشر أمور الدولة بنفسه ، ويحضّر عنده الدواوين ، فيحاققهم ويحاسبهم . وإذا ابتدأت زيادة النيل خرج بنفسه وكشف الجسور ، ورتّب في كل جسر من الأمراء من يتولاه ، ويجمع الرجال لعمله . ثم يشرف على الجسور بعد ذلك ، فمتى اختل جسر عاقب متوليه أشد العقوبة ، فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة زائدة .

وأخرج [الكامل] من زكوات الأموال ، التي كانت تُجبي ، سهمى الفقراء والمساكين ، وجعلهما مصروفين في مصارفهما ، ورتب عليهما جاميكات الفقهاء والفقراء والصلحاء . و [كان] يجعل في كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم عنده ، ويجلس معهم للباحثة . وكان كثير السياسة ، وأقام [في] كل طريق خفراء تحفظ المسافرين . إلا أنه كان مُغرى بجمع المال ، مجتهدا في تحصيله : وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق ، لم تكن في أيام من تقدمه . وله شعر ، منه قوله :

إذا تحققتُ ما عند صاحبكم من الغرام فذاك القدر يكفيه
أتم سكتكم فؤادى وهو منزلكم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

وفيه يقول البهاء زهير بن محمد ، من قصيدة عند فتح دمياط : —

هو الكامل المولى الذى إن ذكرته فيا طرب الدنيا ويا فرح انعصر
به ارتجعت دمياط قهرا من العدى وطهرها بالسيف والملة الطهر
لك الله من ملك إذا جاد أوسطا فناهيك من عرف وناهيك من نكر
يقصر عنه المدح من كل بادح ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر



(١) في س "واقام" . (٢) هذا اللفظ مكرر في س .

وكان اولاد الشيخ صدر الدين بن جمويه هم أكابر دولته وأعيانها ، وهم الأمير نخر الدين يوسف ، وعماد الدين عمر ، وكمال الدين أحمد ، ومعين الدين حسن . وكان نخر الدين [قد] ترك لبس العمامة ، ولبس الشربوش والقباء ، ونادم السلطان . وكان فاضلا أدبيا ، يشارك في فنون ، وأخوته لهم فضائل ، وإليهم مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ، وتدرّس المدرسة الناصرية ، بجوار قبر الشافعي من القرافة ، وتدرّس المشهد الحسيني بالقاهرة .^(١) وما منهم إلا من تقدم على الجيوش ، وباشر الحرب . وأرضعت أمهم - [وهي] ابنة القاضي شهاب الدين ابن عصرون - الملك الكامل ، فصاروا إخوته من الرضاع .

فلما مات السلطان [الكامل] اتفق أولاد الشيخ ، والأمير سيف الدين علي بن قلعج ، وأخوه الأمير عماد الدين ، والملك الناصر داود ، وأرباب الدولة ، على تحليف الأجناد للملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل - وهو يومئذ يخلف أباه بقلعة الجبل - على ديار مصر ، وأن يرتب الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبي بكر بن أيوب ، في نيابة دمشق . وكتبوا ذلك [الأمر الثاني] عن الناصر داود ، وحلفوا [على ذلك] في يوم الخميس ثاني عشر رجب . وبعثوا الأمير نور الدين علي بن (١٧١) الأمير نخر الدين عثمان الأستادار إلى الناصر داود ، فأخرجه من دمشق إلى الكرك ، واستقر الجواد بدمشق ، نائبا لابن عمه الملك العادل . وسار العسكر من دمشق إلى مصر ، وتأخر بدمشق أمراء [عدة] - في جمع من عسكر مصر وممالك الأشرف - لحفظها ، ومقدمهم عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ . فبذل الجواد الأموال ، وطمع في الاستبداد بملك دمشق ، وألزم الخطيب بذكره في الخطبة بعد العادل .

(١) المدرسة الناصرية أول مدرسة بديار مصر . أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ، سنة ٥٦٦هـ ، برسم الفقهاء الشافعية ، وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد الفاطمي . وأول من ولى التدريس بها ابن زين التجار ، فحرفت به . ثم حرفت بالمدرسة الشريفة ، نسبة إلى الشريف القاضي شمس الدين الأرموي ، قاضي العسكر ، وكان قد درس بها أيضا . واشتهرت بهذه التسمية الثانية إلى زمن المقرئ ، أي حتى القرن التاسع الهجري . (المقرئ : المواظف والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦) .



كَمَل طبع كتاب " السلوك للقريزي " بمطبعة
دار الكتب المصرية في يوم الأربعاء ٥ ذو الحجة
سنة ١٣٥٢ (٢١ مارس سنة ١٩٣٤) م

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دارالكتب المصرية ١٩٣٢/٥٣/١٥٠٠)

بمجة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤

كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك

لتنقى الدين أحمد بن علي المقرئ

صححه ووضع حواشيه

محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)

مدرس بقسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الجزء الأول - القسم الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٣٤